

مؤلفات
ماو تسي تونغ
المختارة

المجلد الاول

يا عمال العالم اتحدوا !

مكتبة ماو تسي تونغ للعرب
https://sites.google.com/site/maoforarab

نسخه عن الأصل الموجود في القسم العربي لموقع الصين النظرية
الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com



毛澤东

مؤلفات

ماو تسي تونغ

المختارة

المجلد الاول

دار النشر باللغات الأجنبية
بكين ١٩٦٨

الطبعة الأولى ١٩٦٨

جرت هذه الترجمة وفقا للطبعة المجددة الصينية الأولى
من « المؤلفات المختارة لماوتسي تونغ » ، المجلد الأول
(دار الشعب للنشر ببكين في يوليو – تموز – ١٩٥٢) .

طبع في جمهورية الصين الشعبية

كلمة الناشر

تضم طبعة « المؤلفات المختارة » هذه مقالات مهمة كتبها الرفيق ماوتسى تونغ خلال المراحل المختلفة للثورة الصينية . وقد سبقت هذه الطبعة طبعات أخرى صدرت فى أماكن متعددة قبل بضع سنوات ، الا أنها لم تراجع من قبل المؤلف ، لذلك حصل تشويش كبير فى ترتيب محتوياتها ، كما حدث بعض الخطأ فى نصوصها ، وبالاضافة الى ذلك لم تستوعب تلك الطبعات فريقا من مقالاته المهمة . أما هذه الطبعة فقد رتبت محتوياتها حسب التواريخ المتسلسلة لكتابتها وحسب المراحل التاريخية المختلفة التى مر بها الحزب الشيوعى الصينى منذ تأسيسه عام ١٩٢١ . وقد ضممنا اليها — قدر استطاعتنا — فريقا من المقالات المهمة التى لم تحتو عليها الطبعات التى طبعت سابقا فى أماكن متعددة . وقد راجع المؤلف جميع المقالات الواردة فى هذه الطبعة وقام بتنقيح بعض الألفاظ والعبارات فيها كما أضاف بعض المحتويات الى عدد قليل منها أو عدل فى نصوصها .

وفى ما يلى بعض الملاحظات الخاصة بشؤون النشر :

أولا ، لا تزال الطبعة الحالية غير مكتملة . لأننا لم نستطع حتى الآن أن نحصل على كل ما كتبه الرفيق ماو تسى تونغ ، وخصوصا الرسائل والبرقيات العديدة التى حررها والتى تشكل جزءا كبيرا من مؤلفاته ، وذلك بسبب أن كثيرا من الوثائق الثورية قد تعرضت للتلف من قبل الكومينتانغ وضاع منها ما ضاع خلال سنى الحرب الطويلة .

ثانيا ، هناك مقالات للمؤلف كانت شائعة الإنتشار ، ولكن بعضها لم يضم الى هذه الطبعة عملا برغبة المؤلف ، مثل مقالة « تحقيقات فى الريف » ، والبعض الآخر لم ينشر منه هنا الا جزء يسير عملا برغبة المؤلف أيضا ، مثل مقالة « القضايا الاقتصادية والمالية » التى نشر منها الفصل الأول وحده (وهو « تلخيص أساسى حول أعمالنا السابقة ») .

ثالثا ، وضعنا لمقالات هذه الطبعة بعض الملاحظات ، منها ما يتعلق بشرح عناوينها وقد أثبتناه فى أسفل الصفحة الأولى لكل مقالة ، ومنها ما يختص بالنواحى السياسية والفنية وقد أثبتناه اثر كل مقالة .

رابعا ، يمكن الحصول على هذه الطبعة من المؤلفات المختارة مجتمعة فى مجلد واحد يحتوى على ما كتبه المؤلف فى مختلف المراحل ، أو متفرقة فى مجلدات أربعة يحتوى المجلد الأول منها على ما كتبه المؤلف فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى (١٩٢٤ — ١٩٢٧) وكذلك ما كتبه فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية (١٩٢٧ — ١٩٣٧) ؛ ويحتوى المجلد الثانى والثالث على ما كتبه فى مرحلة حرب المقاومة ضد اليابان (١٩٣٧ — ١٩٤٥) ؛ أما المجلد الرابع فيحتوى على ما كتبه فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثالثة (١٩٤٥ — ١٩٤٩) .

لجنة نشر المؤلفات المختارة لماو تسى تونغ
التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى

٢٥ أغسطس (آب) ١٩٥١

الفهرس

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية

مرحلة
الحرب الأهلية الثورية الأولى

تحليل لطبقات المجتمع الصينى

(مارس — آذار — ١٩٢٦)

من هم أعداؤنا ؟ ومن هم أصدقاؤنا ؟ هذه مسألة فى الدرجة الأولى من الأهمية بالنسبة للثورة . والسبب الأساسى فى أن جميع النضالات الثورية الماضية فى الصين لم تحقق الا نجاحات ضئيلة جدا ، يعود الى أن الذين قاموا بتلك النضالات لم يستطيعوا الاتحاد مع الأصدقاء الحقيقيين ليهاجموا الأعداء الحقيقيين . ان الحزب الثورى هو مرشد الجماهير ، فاذا قادها فى الثورة الى طريق خاطئ فلا بد أن تفشل الثورة . ولكى نضمن عدم قيادة الجماهير فى الثورة الى طريق خاطئ ولنكفل النصر للثورة ، ينبغى لنا أن نهتم بالاتحاد مع أصدقائنا الحقيقيين لنهاجم أعداءنا الحقيقيين . وعلينا لكى نميز بين هؤلاء وأولئك ، أن نقوم بتحليل عام للمركز الاقتصادى لمختلف الطبقات فى المجتمع الصينى ولموقف كل منها تجاه الثورة .

كتب الرفيق ماو تسى تونغ هذه المقالة لمكافحة انحرافين موجودين يومذاك داخل الحزب : الانحراف الأول هو الانتهازية اليمينية التى يمثلها تشن دو شيو والتى تهتم فقط بالتعاون مع الكومينتانغ وتنسى الفلاحين . والانحراف الثانى هو الانتهازية «اليسارية» التى يمثلها تشانغ قوه تاو والتى تحصر كل اهتمامها فى الحركة العمالية وحدها ، وتنسى الفلاحين أيضا . ان كلتا هاتين الانتهازيتين كانت تشعر بعدم كفاية قوتها ، ولكنها

ما هى أوضاع الطبقات المختلفة فى المجتمع الصينى ؟

طبقة ملاك الأراضى وطبقة الكومبرادوريين(١) . ان طبقة ملاك الأراضى وطبقة الكومبرادوريين فى الصين شبه المستعمرة والمتخلفة اقتصاديا هما تابعتان مخلصتان للبرجوازية الدولية ، يعتمد بقاؤهما وتطورهما على الامبريالية . وهما تمثلان أشد أنواع العلاقات الانتاجية تأخرا ورجعية فى الصين ، وتعوقان تطور القوى المنتجة فيها . ووجودهما مخالف تماما لأهداف الثورة الصينية . وهذا ينطبق بصورة خاصة على طبقة كبار ملاك الأراضى وطبقة كبار الكومبرادوريين اللتين تقفان دائما الى جانب الامبريالية ، وتؤلفان أشد العناصر عداء للثورة . وتمثلهما سياسيا جماعة الايتاتيست(٢) والجناح اليمينى من الكومينتانغ .

البرجوازية الوسطى . تمثل هذه الطبقة علاقات الانتاج الرأسمالية فى مدن الصين وأريافها . وهذه الطبقة ، ونعنى بها ، بصورة رئيسية ، البرجوازية الوطنية ، تقف من الثورة الصينية موقفا متناقضا : فهى اذا آلمتها ضربات الرأسمال الأجنبى واضطهاد أمراء الحرب أحست بحاجة الى الثورة ، وأيدت الحركة الثورية المناوئة للامبريالية وأمراء الحرب ؛ لكنها تعود فيساورها الشك فى الثورة اذا رأت البروليتاريا فى داخل البلاد قد هبت تخوض غمار الثورة فى قوة وعزم تساندها البروليتاريا العالمية من الخارج مساندة ايجابية ، واستشعرت الخطر يهدد تحقيق أمنية طبقتها فى التطور لتبلغ منزلة البرجوازية الكبرى . وهذه

لم تكن تعرف أين تجد القوى التى تدعمها ، وأين تجد الجمهور الغفير من الحلفاء . ولقد أشار الرفيق ماو تسى تونغ الى أن أخلص الحلفاء للبروليتاريا الصينية وأكثرهم عددا هم الفلاحون ، وبذلك حل المشكلة المتعلقة بالحليف الرئيسى الأول فى الثورة الصينية . وفضلا عن ذلك أدرك الرفيق ماو تسى تونغ بثاقب نظره أن البرجوازية الوطنية طبقة متذبذبة ، سوف تنقسم على نفسها خلال النهوض الثورى ، فينضم جناحها اليمينى الى جانب الامبريالية . وقد أكدت ذلك أحداث عام ١٩٢٧ .

الطبقة تنادى سياسيا بقيام دولة تستأثر بسلطة الحكم فيها طبقة البرجوازية الوطنية وحدها . وقد كتب أحدهم ، وهو يلقب نفسه بـ « التلميذ الحقيقى » لداى جى تاو(٣) ، فى جريدة « الصباح »(٤) الصادرة فى بكين يقول : « ارفع قبضتك اليسرى لتسحق بها الامبريالية ، وارفع قبضتك اليمنى لتسحق بها الحزب الشيوعى . » وهى عبارة تصور لنا مدى ما تعانيه هذه الطبقة من حيرة وارتباك . وتعارض هذه الطبقة تفسير مبدأ رفاهية الشعب ، الذى ينادى به الكومينتانغ ، وفق نظرية الصراع الطبقى ، كما تعارض تحالف الكومينتانغ مع روسيا وقبول الشيوعيين(٥) واليساريين فى صفوفه . ولكن محاولاتها فى اقامة دولة تحكمها البرجوازية الوطنية هى محاولات لن يكتب لها النجاح مطلقا ، ذلك لأن الوضع العالمى الراهن هو وضع تخوض فيه القوتان الكبيرتان ، قوة الثورة والقوة المعادية للثورة ، صراعاً نهائيا ، وقد رفعتا لواءين كبيرين : أحدهما لواء الثورة الأحمر ، تشرعه الأممية الثالثة عاليا ، وتناشد جميع الطبقات المضطهدة فى العالم للانتظام فى ظله ؛ والآخر هو اللواء الأبيض المعادى للثورة ، تشرعه عصبة الأمم عاليا ، وتدعو جميع العناصر المعادية للثورة فى العالم كله الى الاحتشاد فى ظله . ولا شك أن الطبقات الوسطية ، والحالة هذه ، ستنقسم على نفسها سريعا ، فتميل بعض فئاتها الى اليسار وتنضم الى موكب الثورة ، بينما تنحاز فئات أخرى منها الى اليمين وتنضم الى صفوف أعداء الثورة ، وليس هناك أى مجال لبقاء هذه الطبقات « مستقلة » . وعلى هذا فان الفكرة التى تداعب خيال البرجوازية الوسطى فى الصين حول ثورة « مستقلة » تقوم هى بالدور الرئيسى فيها ليست الا مجرد وهم .

البرجوازية الصغيرة . ينتمى الى هذه الطبقة الفلاحون الزارعون فى أرضهم(٦) وأصحاب الصناعات اليدوية وفئة صغار المثقفين ، كالطلاب ومعلمى المدارس الابتدائية والثانوية وصغار الموظفين الحكوميين والكتبة وصغار المحامين ، وصغار

التجار. وهى طبقة تستأهل اهتمامنا الكبير لضخامة عددها ولخصائصها الطبقية. والفلاحون الزارعون فى أرضهم وأصحاب الصناعات اليدوية يزاولون جميعا الانتاج الضيق النطاق. وتنقسم البرجوازية الصغيرة الى ثلاث جماعات رغم أن فئاتها المختلفة تعيش جميعا فى مركز اقتصادى واحد هو مركز البرجوازية الصغيرة. الجماعة الأولى تتألف من الذين يملكون فائضا من المال والحبوب، أى يجدون من ثمار عملهم الجسمانى أو الذهنى فائضا سنويا فوق ما ينفقونه على معيشتهم. وهؤلاء شديدو اللهفة الى الثراء يعبدون المارشال تشاو(٧) بغاية الاخلاص، وهم وان كانوا لا يحلمون بجمع ثروات طائلة فانهم يتطلعون دائما الى الارتقاء الى منزلة البرجوازية الوسطى. وكثيرا ما يسيل لعابهم بغزارة اذا وقع نظرهم على صغار الأغنياء الذين يحظون باحترام الناس. وهم جبناء يهابون موظفى الحكومة، ويتخوفون من الثورة بعض الخوف. ولما كان مركزهم الاقتصادى قريبا جدا من مركز البرجوازية الوسطى فهم يميلون كثيرا الى تصديق دعاياتها، ويقفون موقف التشكك من الثورة. وهذه الجماعة قليلة العدد بين البرجوازية الصغيرة، وتشكل الجناح اليمينى منها. أما الجماعة الثانية فتتألف من أولئك الذين يكفون أنفسهم اقتصاديا على وجه العموم. وهم يختلفون عن أفراد الجماعة الأولى اختلافا بينا، فهم يطمعون أيضا فى الثروة، الا أن المارشال تشاو يحرمهم منها دائما، وقد جعلهم ذلك والاضطهاد والاستغلال الذى يعانونه فى السنوات الأخيرة على أيدى الامبرياليين وأمراء الحرب وملاك الأراضى الاقطاعيين والبرجوازية الكومبرادورية الكبيرة قد جعلهم يشعرون أن الدنيا اليوم قد أصبحت غيرها بالأمس. ووجدوا أنهم لن يستطيعوا أن يكسبوا ما يكفيهم لمعيشتهم اذا بذلوا فقط نفس الجهود التى كانوا يبذلونها فيما مضى. بل عليهم، فى سبيل ذلك، أن يزيدوا ساعات العمل، فيقوموا الى العمل فى ساعة مبكرة ولا يتركوه الا فى ساعة متأخرة، وأن يضاعفوا العناية فى العمل. وصاروا، شيئا فشيئا، يشتمون، فسموا الأجانب بـ «الشياطين الأجانب»، وسموا أمراء الحرب بـ «القواد

النهابين» ، ووصفوا العتاة المحليين والوجهاء الأشرار (٨) بأنهم «أغنياء قساة القلوب». وهم يقفون من الحركة المناوئة للامبريالية وأمراء الحرب موقف الحياد يأبون التسرع فى الاشتراك فيها ، لسبب واحد هو أنهم يرتابون فى نجاح الحركة (وحجتهم فى ذلك أن الأجانب وأمراء الحرب يتمتعون بهذه القوة الفائقة) ، ولكنهم لا يعارضون الثورة مطلقا . وعدد هذه الجماعة كبير جدا يبلغ حوالى نصف عدد البرجوازية الصغيرة . أما الجماعة الثالثة فتتألف من الذين هبط مستوى معيشتهم . وأغلب الظن أن كثيرا من هذه الجماعة ينتسبون الى أسر كانت ميسورة الحال ، ثم ساءت حالهم تدريجيا بحيث لا يستطيعون أكثر من المحافظة على مستوى معيشتهم السابق ، ثم ازدادت الحال سوءا وهبط مستوى معيشتهم . وكلما صفوا حسابهم فى نهاية السنة راعهم ما صارت اليه حالهم وتنهدوا : « آه ، عجز آخر ! » ولما كان هؤلاء قد عاشوا على حال من الرخاء ثم ساءت حالهم سنة بعد أخرى ، وتراكمت عليهم الديون وصاروا يعيشون فى غم وسوء حال ، فهم « يرتجفون رعبا كلما فكروا فى مستقبلهم » . وهم يعانون ألما نفسانيا شديدا ، لأنهم يجدون اختلافا بينا بين ماضيهم وحاضرهم . وهذه الجماعة على جانب عظيم من الأهمية فى الحركة الثورية ، فهى تؤلف عددا لا يستهان به من الجمهور ، وتشكل الجناح اليسارى من البرجوازية الصغيرة . ان كل جماعة من الجماعات الثلاث المذكورة آنفا والتى تتألف منها البرجوازية الصغيرة تقف من الثورة ، فى الأوقات العادية ، موقفا يختلف عن موقف الجماعتين الأخريين ؛ ولكنه فى وقت الحرب ، حين تشتد تيارات الثورة وتلوح تباشير النصر ، فان الجناح اليسارى من البرجوازية الصغيرة سينضم الى الثورة ، بل ان الجماعة المتوسطة منها يمكن أن تفعل ذلك أيضا ، حتى ان العناصر اليمينية منها سيجرفها التيار الثورى العارم للبروليتاريا والجناح اليسارى من البرجوازية الصغيرة فتضطر الى مسايرة الثورة . ونستطيع أن نجزم بصحة هذا الحكم على ضوء تجارب حركة ٣٠ مايو (أيار) ١٩٢٥(٩) والحركات

الفلاحية فى مناطق مختلفة .

أشباه البروليتاريا . نقصد بأشباه البروليتاريا هنا خمس فئات : ١) الأغلبية الساحقة من أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم (١٠) ، ٢) الفلاحين الفقراء، ٣) صغار أصحاب الصناعات اليدوية ، ٤) عمال المحلات التجارية (١١) ، ٥) الباعة المتجولين . ان الأغلبية الساحقة من أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم تشكل مع الفلاحين الفقراء قسما عظيما جدا من الجماهير فى المناطق الريفية . ومشكلة الفلاحين هى فى الأساس مشكلتهم . ان أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم والفلاحين الفقراء وصغار أصحاب الصناعات اليدوية يزاولون جميعا الانتاج على نطاق أضيق من انتاج الفلاحين الزارعين فى أرضهم وأصحاب الصناعات اليدوية . ورغم أن الأغلبية الساحقة من أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم ، والفلاحين الفقراء ينتمون الى طبقة أشباه البروليتاريا ، فان فى الامكان تقسيمهم حسب ظروفهم الاقتصادية الى ثلاث مراتب : عليا ومتوسطة ودنيا . فأشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم يعيشون فى ظروف أسوأ من ظروف الفلاحين الزارعين فى أرضهم ، اذ يعوزهم كل عام حوالى نصف ما يحتاجون اليه من غذاء ، فلا بد لهم ، لكى يسدوا هذا النقص ، أن يستأجروا الأرض من غيرهم ، أو يبيعوا قسما من قوة عملهم ، أو يزاولوا التجارة برؤوس أموال صغيرة . وفى أواخر الربيع وأوائل الصيف ، حين يكونون قد استهلكوا غلال الموسم الماضى ولم تنضج مزروعات الموسم الجديد بعد ، يضطرون الى اقتراض المال بفوائد فاحشة وشراء الحبوب بأثمان باهظة ، فهم اذن أسوأ حالا من الفلاحين الزارعين فى أرضهم الذين لا يحتاجون لمعونة الآخرين ، الا أنهم أحسن حالا من الفلاحين الفقراء . ذلك أن الفلاحين الفقراء لا يملكون أرضا ، فلا ينالون مما يزرعون الا نصف محاصيله أو أقل ، بينما يستطيع أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم أن ينالوا كل ما يحصدون فى أراضيهم الخاصة رغم أنهم لا ينالون فى الأرض المستأجرة الا نصف محاصيلها أو أقل . لذلك نجد

أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم أكثر ثورية من الفلاحين الزارعين فى أرضهم، وأقل ثورية من الفلاحين الفقراء. والفلاحون الفقراء هم فلاحون مستأجرون فى الريف يعانون استغلال ملاك الأراضى. وهم ينقسمون حسب مراكزهم الاقتصادية الى فئتين. الفئة الأولى منهم يملكون قدرا وافرا نسبيا من الأدوات الزراعية ومبلغا من المال. وهم يحصلون على نصف ما ينتجونه فى العام، ويسدون العجز بما يزرعونه من غلات اضافية، وما يصيدونه من السمك أو برغوث البحر، وما يربونه من الدجاج أو الخنازير، أو ببيع جانب من قوة عملهم، ويستعينون بكل ذلك على أبسط ضروريات الحياة، ويأملون، وهم يعانون قسوة الحياة، أن يجدوا ما يسد رمقهم. ومن هنا نجد أنهم يعيشون فى ظروف أسوأ من ظروف أشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم، وأحسن من ظروف الفئة الأخرى من الفلاحين الفقراء. فهم أكثر ثورية من الأولين وأقل ثورية من الأخيرين. ونقصد بالفئة الأخرى من الفلاحين الفقراء أولئك الذين لا يملكون أدوات زراعية كافية ولا أموالا نقدية ولا أسمدة وافرة، لذلك تشح أرضهم ولا تعطى الا محصولا ضئيلا لا يبقى لهم منه الا شىء يسير بعد دفع ايجار الأرض، فتشتد حاجتهم الى بيع جانب من قوة عملهم. أما فى المواسم الشحيحة والأوقات العصيبة فيتضرعون الى الأقارب والأصحاب ويلتمسون العون منهم، فاذا استطاعوا أن يستعيروا منهم صاعا أو صاعين من الحبوب استعانوا به على الحياة عدة أيام، وهكذا تتراكم عليهم الديون فتثقل كاهلهم كما تثقل الأحمال ظهور الثيران. وهؤلاء من أشد الفلاحين بؤسا وشقاء وأكثرهم استجابة للدعايات الثورية. أما صغار أصحاب الصناعات اليدوية فقد سموا أشباه البروليتاريا لأنهم كثيرا ما يضطرون الى بيع جانب من قوة عملهم رغم أنهم يملكون وسائل انتاجية بسيطة ويزاولون مهنا حرة، فهم يشبهون الفلاحين الفقراء فى الريف الى حد ما من حيث مركزهم الاقتصادى. كما أنهم يشبهونهم على وجه العموم من حيث أنهم يشعرون دائما بوطأة الفقر

نتيجة للأعباء العائلية الثقيلة وللفارق العظيم بين ما يكسبون وبين تكاليف المعيشة، وأنهم مهددون دائما بالبطالة . أما عمال المحلات التجارية فهم مستخدمون ينفقون على عائلاتهم من أجور ضئيلة لا تزيد عادة الا مرة واحدة كل بضع سنوات مع أن أسعار البضائع ترتفع سنة بعد أخرى ، فاذا أتيحت للانسان فرصة وتحدث مع هؤلاء حديثا مستفيضا سمع منهم شكاوى لا نهاية لها . وهم فى مركز لا يختلف كثيرا عن مركز الفلاحين الفقراء وصغار أصحاب الصناعات اليدوية ، الأمر الذى يجعلهم أكثر استجابة للدعايات الثورية . والباعة المتجولون، سواء الذين يطوفون بالشوارع والأزقة وينادون على بضائعهم أو الذين يعرضون بضائعهم على دكك أو فروش على جوانب الطرقات ، لا يملكون سوى رأسمال صغير ولا يكسبون الا أرباحا ضئيلة لا تكفى للمأكل والملبس . فهم فى مركز لا يختلف كثيرا عن مركز الفلاحين الفقراء ، ويشاركونهم فى الحاجة الى ثورة تغير الأوضاع القائمة .

البروليتاريا . يبلغ عدد البروليتاريا الصناعية الحديثة نحو مليونى عامل . ونظرا لأن الصين متأخرة اقتصاديا فان البروليتاريا الصناعية الحديثة فيها ليست كبيرة العدد . وهؤلاء العمال الصناعيون يعملون بشكل رئيسى فى خمس صناعات، وهى السكك الحديدية ،والمناجم ،والنقل البحرى ، والغزل والنسيج ،وبناء السفن ، وان عددا كبيرا منهم يرزحون تحت استعباد المؤسسات التى يملكها الرأسماليون الأجانب . والبروليتاريا الصناعية ، رغم قلة عددها ، تمثل قوى الانتاج الجديدة فى الصين ، وهى أكثر الطبقات تقدمية فى الصين فى العصر الحديث ، وأصبحت القوة القائدة للحركة الثورية فيها . ونستطيع ادراك أهمية الدور الذى تلعبه البروليتاريا الصناعية فى الثورة الصينية اذا ما نظرنا الى القوة التى أظهرتها فى حركات الاضراب التى وقعت فى السنوات الأربع الأخيرة ، كاضراب البحارة(١٢) ، واضراب السكة الحديدية(١٣) ، والاضرابات فى مناجم الفحم بكايلوان

وجياوتسوه(١٤) ، واضراب شاميان(١٥) ، والاضرابات العامة التى وقعت فى كل من شانغهاى وهونغ كونغ(١٦) ، عقب حركة ٣٠ مايو (أيار) . وأول الأسباب التى مكنتهم من ذلك هو تمركزهم بحيث لا تجد فئة أخرى من فئات الشعب على هذه الدرجة من التمركز . والسبب الثانى هو وضاعة مركزهم الاقتصادى . انهم محرومون من وسائل الانتاج فلا يملكون الا أيديهم ، وقد يئسوا من الحصول على الثروة ، وهم فوق ذلك يلاقون أشد ألوان المعاملة قسوة وضراوة من قبل الامبرياليين وأمراء الحرب والبرجوازيين ، لذلك نجدهم يمتازون بشدة البأس فى الكفاح . ومما يسترعى الانتباه العظيم كذلك قوة العمال البائسين فى المدن ، ومعظمهم يشتغلون حمالين فى الموانى أو يجرون عربات الركشا ، وينتسب اليهم أيضا عمال تنظيف المراحيض وكناسو الشوارع وأمثالهم . وهؤلاء العمال لا يملكون من متاع الدنيا الا أيديهم ، فهم يشبهون العمال الصناعيين من حيث مركزهم الاقتصادى ، الا أنهم أقل منهم تمركزا ، وأنهم يقومون بدور أقل أهمية فى الانتاج . لا توجد الزراعة الرأسمالية الحديثة فى الصين حتى الوقت الحاضر . فنحن نقصد بالبروليتاريا الريفية الفلاحين الأجراء الذين يستأجرون بالسنة أوبالشهر أو باليوم . ولما كانوا لا يملكون أرضا ولا أدوات زراعية ولا أقل مبلغ من المال فانهم لا يجدون أمامهم سبيلا الى كسب معيشتهم الا ببيع قوة عملهم. وهم يعانون من طول ساعات العمل وقلة الأجور وسوء المعاملة وعدم ضمان الاستخدام أكثر مما يعانيه العمال الآخرون . وهؤلاء أكثر سكان الريف بؤسا وسوء حال ، ومركزهم فى الحركة الفلاحية مساو فى الأهمية لمركز الفلاحين الفقراء .

ويوجد ، عدا ما ذكرنا آنفا ، عدد غير قليل من البروليتاريا المتشردة ، ونعنى بها الفلاحين الذين فقدوا أرضهم وعمال الصناعات اليدوية الذين فقدوا كل فرصة للعمل . وهم يعيشون حياة أبعد ما تكون عن الاستقرار . ولهم جمعيات سرية فى أنحاء مختلفة من البلاد ، مثل « جمعية الثالوث » فى مقاطعتى فوجيان

وقوانغدونغ ، و« جمعية الاخوان » فى مقاطعات خونان وخوبى وقويتشو وسيتشوان ، و« جمعية السيوف الطويلة » فى مقاطعات آنخوى وخنان وشاندونغ ، و« جمعية الحياة العقلية » فى مقاطعة تشيلى(١٧) والمقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث (١٨) ، و « العصبة الخضراء » فى شانغهاى وغيرها(١٩) ، وكانت هذه الجمعيات هى منظمات يتبادلون المعونة فى ظلها فى نضالهم السياسى والاقتصادى . ان معالجة قضية هؤلاء الناس هى احدى قضايا الصين العويصة . فهم ذوو قوة وبأس فى النضال ، الا أنهم ميالون الى التخريب ، فاذا وجهناهم التوجيه الصحيح يمكن أن يصبحوا قوة ثورية .

نعلم مما تقدم ذكره أن أعداءنا هم كل من يتواطأون مع الامبريالية وهم أمراء الحرب والاداريون الكبار وطبقة الكومبرادوريين وطبقة كبار ملاك الأراضى وفئة المثقفين الرجعيين التابعين لهم . والقوة القائدة لثورتنا هى البروليتاريا الصناعية . وأقرب أصدقائنا هم أشباه البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة بمختلف فئاتهم . أما البرجوازية الوسطى المتذبذبة فقد يصبح جناحها اليمينى عدوا لنا وجناحها اليسارى صديقا لنا — ولكن علينا أن نتخذ دائما حذرنا حيالها لئلا تخلق الفوضى فى جبهتنا.

ملاحظات

(١) طبقة الكومبرادوريين : كان الرأسماليون الأجانب ، منذ دخل النفوذ الامبريالى فى الصين ، يستخدمون بعض الصينيين كعملاء لهم فى مباشرة العدوان الاقتصادى . ويدعى هؤلاء العملاء بالكومبرادوريين . وطبقة الكومبرادوريين هى برجوازية تربت فى أحضان الرأسماليين من البلدان الامبريالية وتخدمهم بصورة مباشرة . وتربط بين هذه الطبقة والقوى الاقطاعية المحلية علاقات متشعبة وثيقة — المعرب .

(٢) جماعة الايتاتيست : هم حفنة من الساسة الفاشستيين الوقحين الذين شكلوا حينذاك « عصبة شبيبة الايتاتيست الصينية » التى عادت فسمت نفسها « حزب الشباب الصينى » . وكان هؤلاء الساسة المعادون للثورة يحترفون مهنة مناهضة الحزب الشيوعى والاتحاد السوفياتى ، ويأخذون الاعانات المالية من الجماعات الرجعية القابضة على زمام السلطة ومن الامبرياليين .

(٣) انضم داى جى تاو الى الكومينتانغ فى شبابه ، وشارك تشيانغ كاى شيك فى مضاربات البورصة . وبعد وفاة صون يات صن عام ١٩٢٥ بدأ نشاطاته المضللة ضد الحزب الشيوعى وهيأ الطريق فكريا للانقلاب المعادى للثورة الذى قام به تشيانغ كاى شيك عام ١٩٢٧ . وقد ظل طوال سنوات عديدة كلبا أمينا لتشيانغ كاى شيك فى نشاطاته المعادية للثورة . ولما رأى أن حكم تشيانغ كاى شيك صار على وشك الانهيار يئس من مستقبله فانتحر فى فبراير (شباط) ١٩٤٩ .

(٤) جريدة « الصباح » الصادرة فى بكين : لسان حال جمعية الأبحاث الدستورية ، وكانت الجمعية منظمة سياسية تدعم يومذاك ، سياسيا ، سلطة أمراء الحرب الشماليين .

(٥) قرر صون يات صن عام ١٩٢٣ ، بمساعدة الشيوعيين الصينيين ، أن يعيد تنظيم الكومينتانغ ويحقق التعاون بين الكومينتانغ والحزب الشيوعى ، ويقبل انضمام الشيوعيين الى حزبه ، ثم عقد فى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٤ المؤتمر الوطنى الأول للكومينتانغ فى مدينة قوانغتشو (كانتون) ، حيث قرر السياسات الكبرى الثلاث : التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الحزب الشيوعى ، وتقديم المساعدة الى الفلاحين والعمال . وقد حضر المؤتمر الرفاق ماو تسى تونغ ، ولى دا تشاو ، ولين بو تشيو ، وتشيو تشيو باى وغيرهم ولعبوا دورا عظيما فى مساعدة الكومينتانغ على السير فى الطريق الثورى . ولقد انتخب بعضهم أعضاء أو أعضاء مرشحين فى اللجنة التنفيذية المركزية للكومينتانغ .

(٦) يشير الرفيق ماو تسى تونغ هنا الى الفلاحين المتوسطين .

(٧) المارشال تشاو : اسمه تشاو قونغ مينغ وهو اله المال كما جاء فى الأساطير الشعبية فى الصين .

(٨) يقصد بالعتاة المحليين ملاك الأراضى والفلاحون الأغنياء وكبار الموظفين المتقاعدين والموسرون فى الريف الصينى أو المدن الصينية ، الذين كانوا يستغلون نفوذهم للبغى والطغيان فى المجتمع القديم . والوجهاء الأشرار هم أولئك العتاة المحليون

الذين كانوا على مستوى عال نسبيا من الثقافة ويتمتعون بمنزلة أرفع سياسيا واجتماعيا . وكان العتاة المحليون والوجهاء الأشرار يمثلون طبقة ملاك الأراضى سياسيا فى النواحى التى يقيمون فيها ، فكانوا يهيمنون على السلطات المحلية ويتلاعبون فى الدعاوى القضائية ويختلسون الأموال العامة ويعيشون عيشة الترف والبذخ ويعيثون فى الأرض فسادا ويضطهدون الشعب — المعرب .

(٩) حركة ٣٠ مايو (أيار) كانت حركة معادية للامبريالية قام بها الشعب الصينى على نطاق البلاد كلها عام ١٩٢٥ احتجاجا على جريمة قتل أبناء الشعب الصينى التى ارتكبها البوليس البريطانى فى شانغهاى يوم ٣٠ مايو (أيار) . خلال شهر مايو قام عمال مصانع الغزل والنسيج التى كان اليابانيون يمتلكونها فى تشينغداو وشانغهاى باضرابات واسعة النطاق على التوالى ، فتعرضت لقمع الامبريالية اليابانية وأتباعها أمراء الحرب الشماليين . وفى ١٥ مايو أطلق الرأسماليون اليابانيون أصحاب بعض مصانع الغزل والنسيج بشانغهاى النار على العمال ، فقتل العامل قو تشنغ خونغ وجرح عشرة عمال ونيف . وفى ٢٨ من نفس الشهر قتل ثمانية عمال بتشينغداو على يد الحكومة الرجعية. وفى يوم ٣٠ منه ذهب أكثر من ألفى طالب الى مناطق الامتيازات الأجنبية بشانغهاى ، يدعون الى التضامن مع العمال واستعادة مناطق الامتيازات الأجنبية ، ثم حشدوا أكثر من عشرة آلاف شخص من الجماهير الشعبية أمام مركز البوليس بمنطقة الامتيازات البريطانية ، وهتفوا بشعارات مثل « لتسقط الامبريالية » و« يا أبناء الشعب الصينى اتحدوا » . فأطلق البوليس البريطانى النار عليهم فقتل وجرح كثير من الطلبة ، هذه هى « مذبحة ٣٠ مايو » الشهيرة . ولقد أثار هذا الحادث اثر وقوعه موجة السخط لدى أبناء الشعب ، فقامت فى جميع أنحاء البلاد مظاهرات واضرابات قام بها العمال والطلبة والتجار ، الأمر الذى شكل حركة واسعة النطاق ضد الامبريالية .

(١٠) يشير الرفيق ماو تسى تونغ هنا الى الفلاحين البائسين الذين يشتغلون فى أرض يستأجرونها من الآخرين الى جانب اشتغالهم فى أرضهم الخاصة .

(١١) ينقسم عمال المحلات التجارية فى الصين القديمة الى مراتب مختلفة . والرفيق ماو تسى تونغ يشير هنا الى أوسع مرتبة منها . وهناك عمال من مرتبة أدنى يعيشون حياة البروليتاريا .

(١٢) يشير هنا الى اضراب بحارة هونغ كونغ واضراب ملاحى المراكب البخارية فى نهر اليانغتسى فى أوائل ١٩٢٢ . وقد استمر بحارة هونغ كونغ باصرار فى اضرابهم طوال ثمانية أسابيع ، وبعد صراع مرير أريقت فيه الدماء ، اضطرت السلطات

الامبريالية البريطانية فى هونغ كونغ أخيرا الى الموافقة على زيادة الأجور ورفع الحظر عن اتحاد البحارة واطلاق سراح العمال المعتقلين ودفع تعويضات لعائلات الشهداء . ولم تمض على ذلك فترة قصيرة حتى أعلن ملاحو المراكب البخارية فى نهر اليانغتسى اضرابا استمر أسبوعين وتكلل هو الآخر بالظفر .

(١٣) شرع الحزب الشيوعى الصينى ، بعد تأسيسه عام ١٩٢١ مباشرة ، يسعى لتنظيم عمال السكك الحديدية ، فوقعت اضرابات فى سائر الخطوط الرئيسية عام ١٩٢٢ و١٩٢٣ تحت قيادة الحزب الشيوعى . وأشهر هذه الاضرابات هو الاضراب العام الذى قام به عمال سكة الحديد خط بكين – هانكو فى ٤ فبراير (شباط) ١٩٢٣ فى سبيل حق العمال فى تنظيم اتحاد عام لنقابات العمال فى الخط بأسره . وفى ٧ من نفس الشهر قام ووبى فو ، وشياو ياو نان ، وهما من أمراء الحرب الشماليين وتدعمهما الامبريالية البريطانية ، بمذبحة رهيبة بين العمال المضربين ، عرفت فيما بعد باسم « مذبحة السابع من فبراير (شباط) » .

(١٤) جرى اضراب كايلوان فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٢ . ومناجم كايلوان هى اسم مختصر لحقول فحم كايبينغ ولوانتشو بمقاطعة خبى فى الصين ، وتشكل منطقة واسعة متصلة من مناجم الفحم كان يعمل فيها يومذاك ما يزيد عن خمسين ألف عامل . وقد اغتصب الامبرياليون البريطانيون منجم كايبينغ أثناء حركة « يى خه توان » عام ١٩٠٠ ، فنظم الصينيون على اثر ذلك شركة مناجم فحم لوانتشو . وفيما بعد ، عندما أسست ادارة مناجم كايلوان ضمت الشركة اليها ، وعلى هذا النحو سيطر الامبرياليون البريطانيون على مناجم كايبينغ ومناجم لوانتشو معا . وتقع مناجم فحم جياوتسوه فى شمالى مقاطعة خنان ، وهى من مناجم الفحم الشهيرة فى الصين . وقد أضرب عمال مناجم جياوتسوه من أول يوليو (تموز) الى ٩ أغسطس (آب) ١٩٢٥ .

(١٥) كانت شاميان ، وهى قسم من مدينة قوانغتشو ، منطقة امتيازات للامبرياليين البريطانيين . وفى يوليو (تموز) ١٩٢٤ أصدرت السلطة الامبريالية البريطانية فى شاميان أمرا بوليسيا جديدا يوجب على جميع الصينيين المقيمين فى المنطقة أن يبرزوا بطاقات شخصية تحمل صورهم عند دخولهم الى المنطقة أو خروجهم منها ، بينما يحق للأجانب أن يدخلوا المنطقة أو يخرجوا منها بكل حرية . وقد أضرب العمال فى شاميان فى يوم ١٥ يوليو (تموز) احتجاجا على هذا الاجراء التعسفى . وأخيرا اضطر الامبرياليون البريطانيون الى الغاء ذلك الأمر .

(١٦) بعد حادث ٣٠ مايو (أيار) ١٩٢٥ فى شانغهاى بدأت فيها اضرابات عامة فى أول يونيو (حزيران) اشترك فيها أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ عامل ، كما بدأت اضرابات عامة فى هونغ كونغ فى ١٩ من نفس الشهر اشترك فيها ٢٥٠٫٠٠٠ عامل . ولقد استمر عمال هونغ كونغ فى اضرابهم ، بمساعدة الشعب فى طول البلاد وعرضها ، طوال ستة عشر شهرا ، وسجلوا بذلك أطول اضراب فى تاريخ الحركة العمالية العالمية .

(١٧) تشيلى : اسم قديم لمقاطعة خبى – المعرب .

(١٨) يقصد بالمقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث مقاطعات لياونينغ وجيلين وخيلونغجيانغ الواقعة بشمال الصين الشرقى – المعرب .

(١٩) كانت جمعية الثالوث وجمعية الاخوان وجمعية السيوف الطويلة وجمعية الحياة العقلية والعصبة الخضراء جمعيات سرية بدائية الشكل بين أفراد الشعب ، وكانت متألفة فى الدرجة الأولى من فلاحين مفلسين وحرفيين عاطلين وبروليتاريين متشردين وغيرهم . وفى عهود الصين الاقطاعية كثيرا ما شكل هؤلاء عن طريق روابط دينية وخرافية منظمات عديدة ذات أسماء متنوعة تقوم على نظام حكم كبير العائلة ، وكانت بعض هذه المنظمات تملك الأسلحة . كانوا يسعون عن طريق هذه المنظمات الى تبادل المعونة فى الحياة الاجتماعية ، وقد حاربوا ، فى ظل هذه المنظمات وفى فترات من التاريخ ، الحكام وملاك الأراضى الذين يضطهدونهم . ولكن من الواضح أن الفلاحين والحرفيين ما كانوا يستطيعون الخروج من مأزقهم عن طريق مثل هذه المنظمات المتأخرة . يضاف الى ذلك ، أنها كثيرا ما تنقلب الى أداة فى أيدى ملاك الأراضى والعتاة المحليين يسيطرون عليها ويستغلونها ، ولهذا السبب ولميلها الأعمى الى التدمير ، فقد تحول بعضها الى قوى رجعية . وقد استخدمها تشيانغ كاى شيك فى انقلابه المعادى للثورة عام ١٩٢٧ لتحطيم وحدة الجماهير الكادحة وتخريب الثورة . ولما نهضت وتعاظمت قوة البروليتاريا الصناعية الحديثة شكل الفلاحون بالتدريج وتحت قيادة الطبقة العاملة منظمات من نوع جديد تماما ، ففقدت تلك الجمعيات البدائية المتأخرة ما يبرر وجودها .

تقرير عن
تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان

(مارس – آذار – ١٩٢٧)

أهمية مسألة الفلاحين

لقد أجريت ، خلال زيارتى الأخيرة لخونان(١) تحقيقا مباشرا حول الأوضاع فى خمس محافظات : شيانغتان وشيانغشيانغ وخنغشان وليلينغ وتشانغشا . وخلال الاثنين والثلاثين يوما من الرابع من يناير (كانون الثانى) الى الخامس من فبراير (شباط) ، عقدت جلسات للتحقيق فى القرى وعواصم المحافظات حضرها فلاحون مجربون ورفاق يعملون فى حركة الفلاحين ، فاستمعت بانتباه الى تقاريرهم وجمعت غير قليل من المعلومات . وقد عرفت ، فيما يتعلق بحركة الفلاحين ،

كتب الرفيق ماو تسى تونغ هذه المقالة كرد على النقد الموجه من داخل الحزب وخارجه آنذاك لنضال الفلاحين الثورى . ولأجل الرد على ذلك النقد سافر الرفيق ماو تسى تونغ الى مقاطعة خونان حيث مكث ٣٢ يوما أجرى خلالها تحقيقا ثم كتب هذا التقرير . فلم يقبل رأيه الانتهازيون اليمينيون فى الحزب يومذاك بقيادة تشن دو شيو وأصروا على آرائهم الخاطئة . وقد كان خطأهم الأساسى أنهم لم يجرؤوا ،

أحوالا كثيرة مناقضة تماما لما سمعته من أفواه طبقة الوجهاء فى هانكو وتشانغشا . كما أننى رأيت وسمعت عن أشياء كثيرة غريبة لم يكن لى علم بها من قبل . وأعتقد أن نفس الشيء ينطبق على مناطق أخرى كثيرة . ان كل ما يقال ضد حركة الفلاحين يجب تصحيحه بسرعة . وكل الاجراءات الخاطئة التى اتخذتها السلطات الثورية فيما يتعلق بحركة الفلاحين يجب أن تصحح على وجه السرعة . وبهذا وحده يمكن افادة مستقبل الثورة بعض الفائدة . ذلك لأن النهضة الراهنة التى تشهدها حركة الفلاحين هى حدث هائل . ولن تنقضى الا فترة قصيرة حتى يهب فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين فى مقاطعات الصين الوسطى والجنوبية والشمالية بسرعة خارقة وقوة جارفة كالعاصفة العاتية ، لا تستطيع أية قوة أخرى ، مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجهها . وهم سوف يحطمون جميع القيود والأغلال التى تكبلهم ، وينطلقون قدما فى الطريق المؤدية الى التحرر . وسوف يقذفون فى غياهب القبور بجميع الامبرياليين وأمراء الحرب والموظفين الفاسدين والعتاة المحليين والوجهاء الأشرار . أما الأحزاب الثورية والرفاق الثوريون فانهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام اختبار الفلاحين الذين سيقررون قبولهم أو رفضهم . أ تسير على رأس الفلاحين وتقودهم ؟ أم تقف وراء ظهورهم معيبا لهم ؟ أم تقف فى وجوههم تناهضهم ؟ ان لكل صينى الحرية فى أن يختار أحد هذه المواقف الثلاثة ، بيد أن الظروف ستجبرك على الاختيار العاجل .

وقد أرهبهم التيار الرجعى للكومينتانغ ، على تأييد النضالات الثورية العظيمة التى خاض غمارها الفلاحون أو كانوا على وشك خوض غمارها . وفضلوا ، تساهلا مع الكومينتانغ ، هجر الفلاحين الذين هم الحليف الرئيسى الأول ، مما أدى الى عزل الطبقة العاملة والحزب الشيوعى وتركهما بلا قوة مساعدة . والسبب الرئيسى فى أن الكومينتانغ تجرأ على خيانة الثورة وشن حملة لـ « تطهير الحزب » واعلان الحرب على الشعب فى صيف ١٩٢٧ هو أنه تمكن من استغلال هذا الضعف فى الحزب الشيوعى .

تنظيم الصفوف

اذا نظرنا الى حركة الفلاحين فى المحافظات الواقعة فى الأجزاء الوسطى والجنوبية من مقاطعة خونان والتى أحرزت الحركة فيها تقدما كبيرا يمكننا تقسيم تطور الحركة فى المقاطعة الى مرحلتين على وجه العموم . المرحلة الأولى من يناير (كانون الثانى) الى سبتمبر (أيلول) من العام الماضى ، وكانت مرحلة للتنظيم . وفى هذه المرحلة كانت الفترة من يناير (كانون الثانى) الى يونيو (حزيران) فترة نشاط سرى ، ومن يوليو (تموز) الى سبتمبر (أيلول) ، عندما كان الجيش الثورى يقوم بطرد تشاو خنغ تى(٢) ، كانت فترة نشاط علنى . فى هذه المرحلة لم يكن مجموع أعضاء اتحادات الفلاحين يزيد على ما يتراوح بين ٣٠٠ر٠٠٠ و ٤٠٠ر٠٠٠ ، وكانت الجماهير التى تستطيع الاتحادات قيادتها بصورة مباشرة لا تزيد على المليون الا قليلا . ولم يكن فى المناطق الريفية بعد أى نضال يذكر ، وبالتالى لم توجه الأوساط المختلفة انتقادات تذكر لاتحادات الفلاحين . بل ان بعض الضباط فى جيش الحملة الشمالية كانوا يذكرون اتحادات الفلاحين بعبارات من المديح نظرا لأنه كان فى وسع أعضاء الاتحادات أن يعملوا كمرشدين أو كشافين أو حمالين للجيش . والمرحلة الثانية من أكتوبر (تشرين الأول) الماضى الى يناير (كانون الثانى) من هذا العام ، وكانت مرحلة للعمل الثورى . وفى هذه المرحلة قفز عدد أعضاء الاتحادات الى مليونين وازداد عدد الجماهير التى تحت القيادة المباشرة لها الى عشرة ملايين . ولما كان أغلب الفلاحين يقدمون اسما واحدا للانضمام لاتحاد الفلاحين نيابة عن كل العائلة فان عضوية مليونين تعنى بالفعل تبعية حوالى عشرة ملايين من الجماهير للاتحادات . وقد تم تنظيم ما يقرب من نصف عدد الفلاحين فى خونان . وفى محافظات مثل شيانغتان وشيانغشيانغ وليويانغ وتشانغشا وليلينغ ونينغشيانغ وبينغجيانغ وشيانغين وخنغشان

وخنغيانغ وليبانغ وتشنشيان وآنخوا ، قد انتظم جميع الفلاحين تقريبا فى ظل اتحادات الفلاحين ، أو أصبحوا تحت قيادتها . ولما أصبح للفلاحين منظماتهم الواسعة الانتشار بادروا الى العمل ، وأحدثوا ، فى بحر أربعة أشهر ، ثورة عظيمة فى الريف ، ثورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ .

ليسقط العتاة المحليون والوجهاء الأشرار
كل السلطة لاتحادات الفلاحين

ان الأهداف الرئيسية لهجوم الفلاحين هى العتاة المحليون والوجهاء الأشرار وملاك الأراضى البغاة ، والى جانب ذلك يوجهون الهجمات على الأفكار والنظم القائمة على أساس النظام الأبوى ، وعلى الموظفين الفاسدين فى المدن وعلى التقاليد والعادات السيئة فى القرى . وهذا الهجوم فى قوته وسرعته أشبه ما يكون بالعاصفة العاتية أو الاعصار ، فمن ينحن فى وجهه تكتب له الحياة ومن يقاومه يهلك . ونتيجة لذلك تحطمت كليا الامتيازات التى تمتع بها ملاك الأراضى الاقطاعيون لآلاف السنين . وأسقطت كل ذرة من كرامة ملاك الأراضى وهيبتهم . وبانهيار سلطة ملاك الأراضى أصبحت اتحادات الفلاحين الآن هى الأجهزة الوحيدة للسلطة ، كما أصبح الشعار الجماهيرى : « كل السلطة لاتحادات الفلاحين » حقيقة واقعة . وحتى توافه الأمور ، كالشجار بين زوجين ، أصبحت تعرض على اتحاد الفلاحين . وما من أمر يمكن تسويته اذا لم يكن أحد رجال اتحاد الفلاحين حاضرا . ان الاتحاد فى حقيقة الأمر يتصرف وحده فى جميع الشؤون فى الريف ، وأصبح بالفعل كما جاء فى القول السائر : « اذا قال كلمة نفذها » . ومن لم ينخرطوا فى عضوية الاتحادات ليس بوسعهم الا ذكرها بالخير ولا يستطيعون ذكرها بكلمة سوء . وقد حرم العتاة المحليون والوجهاء الأشرار وملاك الأراضى البغاة

من كل حق فى الكلام ، وما من أحد منهم يجرؤ على التمتمة بكلمة « لا » . وأمام قوة اتحادات الفلاحين وبأسها فر كبار العتاة المحليين والوجهاء الأشرار الى شانغهاى ، وفر من يليهم فى المرتبة الى هانكو ، وفر من هم فى المرتبة الثالثة الى تشانغشا ، ومن هم فى المرتبة الرابعة الى عواصم المحافظات ، أما من فى المرتبة الخامسة فما دونها من حثالة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فقد استسلموا لاتحادات الفلاحين فى القرى .

يقول أحد الوجهاء الأشرار الصغار : « هذه عشرة يوانات(٣) ، أرجوكم أن تسمحوا لى بالانضمام الى اتحاد الفلاحين . »

فيجيبه الفلاحون : « سحقا لك ! من يريد نقودك القذرة ! »

ان عددا كبيرا من ملاك الأراضى المتوسطين والصغار والفلاحين الأغنياء وحتى الفلاحين المتوسطين ممن كانوا يعارضون اتحادات الفلاحين ، يسعون الآن بلا جدوى للانضمام اليها . وكثيرا ما صادفت أثناء زيارتى لمختلف الأماكن أمثال هؤلاء الناس فكانوا يستعطفوننى قائلين : « أرجوك يا سيدى المندوب القادم من عاصمة المقاطعة أن تكون لى كفيلا ! »

وكان سجل احصاء السكان لدى السلطات المحلية فى عهد أسرة تشينغ يحتوى على جزءين : سجل نظامى وسجل خاص ، وكان السجل النظامى يحمل أسماء الناس الشرفاء والسجل الخاص يحمل أسماء اللصوص وقطاع الطرق وغيرهم من الأشرار . وقد أصبح الفلاحون فى بعض الأماكن الآن يستخدمون هذا لالقاء الرعب فى قلوب من كانوا يعارضون الاتحادات فى الماضى فيقولون : « اكتبوا أسماءهم فى السجل الخاص ! »

ولما كان هؤلاء يخافون تسجيل أسمائهم فى السجل الخاص فانهم يسعون بمختلف الوسائل للانضمام الى الاتحاد ، ولا تطمئن نفوسهم الا اذا أدرجت أسماؤهم فى سجل الاتحاد . الا أن الاتحاد فى معظم الحالات يرفضهم رفضا

قاطعا ، ولذلك يعيشون فى قلق مستمر ؛ ونظرا لأن أبواب الاتحادات موصدة فى وجوههم ، أصبحوا كمتشردين لا مأوى لهم ، أصبحوا « طريدين » بلغة أهل الريف . وجملة القول أن ما يسمى « جمعية الفلاحين » والذى كان الناس ينظرون اليه بازدراء قبل أربعة أشهر قد أصبح الآن مؤسسة محترمة غاية الاحترام . والذين كانوا يخرون على وجوههم أمام سلطة الوجهاء أصبحوا ينحنون احتراما فى وجه سلطة الفلاحين . ان كل فرد ، كائنا من كان ، يعترف بأن العالم فعلا قد تغير منذ أكتوبر (تشرين الأول) الماضى .

« فظيع جدا » و« رائع جدا »

لقد أزعج تمرد الفلاحين فى الريف أحلام الوجهاء العذبة . وعندما وصلت الأنباء من الريف الى المدن ضج الوجهاء فى الحال . وبعد وصولى الى تشانغشا مباشرة قابلت أناسا من مختلف الأوساط والتقطت كثيرا من الاشاعات والقيل والقال . ولم أجد فردا واحدا من الفئات الوسطى فصاعدا الى الجناح اليمينى من الكومينتانغ الا ولخص كل ما حدث فى جملة واحدة هى « فظيع جدا . » حتى ان الناس المفعمين بالأفكار الثورية وقعوا تحت وطأة رأى الجماعة القائلة : « فظيع جدا » ، الذى غمر المدينة آنذاك ، فخار عزمهم عندما تصوروا الأحداث التى وقعت فى الريف ، ولم يستطيعوا انكار كلمة « فظيع » . أما التقدميون جدا فلم يزيدوا على القول : « هذه أمور حتمية فى مجرى الثورة ولو أنها فظيعة . » وباختصار فما من أحد يستطيع انكار كلمة « فظيع » كلية . ولكن الحقيقة ، كما ذكرنا سابقا ، هى أن الجماهير العظيمة من الفلاحين قد نهضت لأداء رسالتها التاريخية وأن القوى الديمقراطية فى الريف قد نهضت للاطاحة بالقوى الاقطاعية فيه . ان الطبقة الاقطاعية القائمة على النظام الأبوى التى تضم العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وملاك الأراضى البغاة هى أساس الحكم

الاستبدادى منذ آلاف السنين وحجر الزاوية الذى ترتكز عليه الامبريالية وأمراء الحرب والموظفون الفاسدون . وهدف الثورة الوطنية الحقيقى هو الاطاحة بهذه القوة الاقطاعية . وقد حقق الفلاحون فى أشهر قلائل ما سعى اليه الدكتور صون يات صن ولكنه عجز عن تحقيقه خلال الأربعين عاما التى سخرها لخدمة الثورة الوطنية . وهذه مأثرة رائعة لم ينجز مثلها من قبل لا خلال أربعين سنة ولا خلال آلاف السنين . انه رائع جدا . انه ليس « فظيعا » على الاطلاق ، وقد يوصف بأى وصف آخر الا بـ « فظيع جدا » . ومن الواضح أن القول بـ « انه فظيع جدا » هو نظرية أناس يعارضون نهوض الفلاحين خدمة لمصالح ملاك الأراضى ، انها بلا شك نظرية طبقة ملاك الأراضى، تستهدف المحافظة على النظام الاقطاعى القديم واعاقة تأسيس نظام الديمقراطية الجديد ، وهى بلا شك نظرية معادية للثورة . ويجب ألا يردد هذا الهذر أى رفيق ثورى . واذا كنت رجلا ذا نظرة ثورية راسخة وقمت بجولة فى القرى ورأيت ما يجرى هناك فلا شك أنك ستحس فرحة عظيمة لم تحس مثلها من قبل . فان الألوف المؤلفة من العبيد ، أعنى الفلاحين ، يجندلون هناك الأعداء الذين يأكلون لحومهم . وما يفعله الفلاحون هو شىء صحيح تمام الصحة ، هو شىء رائع جدا ! وتعبير « شىء رائع جدا » هو نظرية الفلاحين وسائر الثوريين . وعلى كل رفيق ثورى أن يعلم أن الثورة الوطنية تتطلب انقلابا عظيما فى الريف . وقد فشلت ثورة ١٩١١(٤) لأنها لم تحدث هذا الانقلاب . وحدوث هذا الانقلاب الآن هو عامل هام لاتمام الثورة . وعلى كل رفيق ثورى أن يؤيده ، والا وقف موقفا مناهضا للثورة.

مسألة ما يسمى « تجاوز الحد »

وهناك قسم آخر من الناس يقول : « نعم ، ان اتحادات الفلاحين ضرورية الا أنها تجاوزت الحد كثيرا فى تصرفاتها الآن . » وهذه وجهة نظر من يقفون

بين بين . ولكن ما هى حقيقة الوضع ؟ صحيح أن الفلاحين « يركبون هواهم » نوعا ما فى الريف . فاتحاد الفلاحين يتمتع بسلطة ليس فوقها سلطة ، فلا يسمح لملاك الأراضى أن تكون لهم كلمة فى الأمور ، كما قضى تماما على هيبتهم ونفوذهم . وهذا معناه القاء ملاك الأراضى أرضا ودوسهم بالأقدام . « سوف نكتب أسماءكم فى السجل الخاص ! » وهم يفرضون الغرامات على العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ويطالبونهم بدفع التبرعات ويحطمون محفاتهم التى يحملون عليها . ويقتحم جموع الفلاحين بيوت العتاة المحليين والوجهاء الأشرار الذين يعارضون اتحاد الفلاحين فيذبحون خنازيرهم ويستنفدون أرزهم . حتى انهم قد يطأون بأرجلهم الأسرة المحلاة بالعاج التى تنام عليها الآنسات والسيدات الشابات فى بيوت العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، ويتمرغون فيها لبعض الوقت . ويعتقلون هؤلاء كلما أرادوا اعتقالهم ويلبسونهم الطراطير الورقية ويطوفون بهم فى أنحاء القرى قائلين : « الآن تعرفون من نحن أيها الوجهاء الأشرار ! » ونظرا لأنهم يفعلون ما يحلو لهم ويقلبون كل شيء رأسا على عقب ، فقد خلقوا نوعا من الارهاب فى الريف . وهذا ما يسميه بعض الناس بـ « تجاوز الحد » ، أو بـ « تجاوز حد الصواب فى اصلاح الخطأ » ، أو بـ « شيء لا يحتمل » . وقد تبدو مثل هذه النعوت صحيحة فى الظاهر الا أنها مغلوطة أيضا فى الحقيقة . فأولا ، ان العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وملاك الأراضى البغاة هم الذين اضطروا الفلاحين الى فعل كل هذا . فقد ظل هؤلاء لقرون عديدة يستخدمون سلطانهم فى الاستبداد بالفلاحين ودوسهم بالأقدام ، ولهذا كان رد الفعل لدى الفلاحين قويا على هذا النحو . وقد حدثت أعنف الانتفاضات وأخطر الاضطرابات فى الأماكن التى ظل فيها العتاة المحليون والوجهاء الأشرار وملاك الأراضى البغاة يرتكبون أشنع الجرائم . وأعين الفلاحين بصيرة لا تخطئ أبدا . فهم يحفظون حسابا دقيقا فيمن هو شرير ومن هو غير شرير ، ومن هو أكثر شرا ومن هو

يقل عنه ، ومن يستحق عقابا شديدا ومن يستحق عقابا خفيفا ، ونادرا ما زاد العقاب على الجريمة التى اقترفت . ثانيا ، ان الثورة ليست مأدبة ولا كتابة مقال ولا رسم صورة ولا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة والوداعة والرقة ، أو ذلك الهدوء واللطف والأدب والتسامح وضبط النفس . ان الثورة انتفاضة وعمل عنف تلجأ اليه احدى الطبقات للاطاحة بطبقة أخرى . وثورة الريف هى ثورة تطيح بها طبقة الفلاحين بسلطة طبقة الملاك الاقطاعيين . فاذا لم يستخدم الفلاحون قوة هائلة لا يمكنهم أبدا أن يطيحوا بسلطة ملاك الأراضى التى تعمقت جذورها مدى آلاف السنين . ولا بد من مد ثورى عات فى المناطق الريفية لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى يقدر على استنهاض ملايين الناس ليصبحوا قوة هائلة . ان جميع الأعمال التى ذكرتها آنفا والتى وصمت بأنها « تجاوزت الحد » قد نبعت من قوة الفلاحين التى انبثقت من المد الثورى العاتى فى الريف. وهذه الأعمال ضرورية جدا فى المرحلة الثانية لحركة الفلاحين – مرحلة العمل الثورى . لقد كان من الضرورى فى هذه المرحلة تأسيس السلطة المطلقة للفلاحين . وكان من الضرورى منع النقد المعيب لاتحادات الفلاحين . وكان من الضرورى الاطاحة بكامل سلطة الوجهاء ورميهم على الأرض بل ودوسهم بالأقدام . فجميع الأعمال التى وصمت بأنها « تجاوزت الحد » هى أعمال ذات مغزى ثورى فى المرحلة الثانية . وبعبارة أخرى كان من الضرورى خلق جو من الارهاب لفترة قصيرة من الزمن فى كل قرية ، وبدون ذلك يستحيل كبت نشاطات المعادين للثورة فى الريف أو الاطاحة بسلطة الوجهاء . ومن أجل اصلاح الخطأ لا بد من تجاوز حد الصواب ، والا لما أمكن اصلاح الخطأ(٥) .

ورأى هذه الجماعة القائلة ان الفلاحين « تجاوزوا الحد » يختلف فى الظاهر عن رأى الجماعة الأخرى المذكورة قبلا والتى تقول ان حركة الفلاحين « فظيعة جدا » ، الا أنه فى الجوهر ينطلق من وجهة النظر نفسها ويعبر أيضا عن نظرية

ملاك الأراضى التى تدافع عن مصالح الطبقات صاحبة الامتيازات . ولما كانت هذه النظرية تعوق نهضة حركة الفلاحين و بالتالى تحطم الثورة وجب علينا أن نعارضها بحزم شديد .

ما يسمى « حركة الرعاع »

يقول الجناح اليمينى من الكومينتانغ : « ان حركة الفلاحين هى حركة الرعاع ، حركة الفلاحين الكسالى . » وهذا الرأى سائد فى تشانغشا الآن . ولما ذهبت الى الريف سمعت الوجهاء يقولون : « لا بأس من تكوين اتحادات للفلاحين ، الا أن رجالها الحاليين أشخاص غير صالحين ، فلا بد من تغييرهم بآخرين ! » وهذا الرأى لا يختلف عن رأى الجناح اليمينى ، فأصحاب الرأيين يقولون انه لا بأس من قيام حركة الفلاحين (لأن الحركة قد قامت فعلا فلا أحد يجرؤ على معارضتها) ، الا أن رجالها الحاليين أشخاص غير صالحين . وهم يحقدون بصفة خاصة على رجال الاتحادات فى المستويات الدنيا ويسمونهم بـ « الرعاع » . وبالاختصار فان جميع الذين كان الوجهاء يحتقرونهم ويمرغونهم فى الوحل ، والذين كانوا لا يحتلون أى مكان فى المجتمع ، ولم يكن لهم حق فى الكلام ، قد رفعوا الآن رؤوسهم فجأة وعلى غير انتظار . لم يرفعوا رؤوسهم وحسب ، بل أمسكوا زمام السلطة بأياديهم . وهم الآن أصحاب الأمر والنهى فى اتحادات الفلاحين فى النواحى (٦) (أى فى اتحادات الفلاحين من أدنى مستوى) ، وجعلوا هذه الاتحادات شيئا مخيفا . لقد رفعوا أياديهم السمراء الخشنة وأنزلوها على رؤوس الوجهاء . انهم يوثقون الوجهاء الأشرار ويضعون على رؤوسهم الطراطير الورقية ويسحبونهم بالحبال ويطوفون بهم فى المواكب فى أرجاء القرى (ويسمون هذا العمل فى شيانغتان وشيانغشيانغ الطواف فى الناحية ، ويسمونه فى ليلينغ

الطواف فى الحقول) . ولا يمر يوم واحد دون أن يطلقوا عبارات خشنة كالطلقات لا تعرف الرحمة فى آذان هؤلاء الوجهاء يزجرونهم ويندّدون بهم . انهم يصدرون الأوامر ويسيرون جميع الأمور . وأصبحوا فوق كل انسان آخر بعد أن كانوا فى أسفل الدرك ، وهذا ما يسمى « قلب الأمور رأسا على عقب » .

طليعة الثورة

حينما يكون هناك موقفان متعارضان تجاه أمر أو رجل يظهر رأيان مختلفان . ومن الأمثلة المناسبة على ذلك القول « فظيع جدا » أو « رائع جدا » ، « رعاع » أو « طليعة الثورة » .

لقد قلت آنفا ان الفلاحين أدوا مهمة ثورية بقيت سنوات عديدة دون انجاز ، وقدموا بذلك خدمة هامة للثورة الوطنية . فهل أدى هذه المهمة الثورية العظيمة ، وهذه الخدمة الثورية الهامة كل الفلاحين ؟ كلا . اذ أن هناك ثلاثة أنواع من الفلاحين : الفلاحون الأغنياء والفلاحون المتوسطون والفلاحون الفقراء . والثلاثة الأنواع تعيش فى ظروف مختلفة ولها وجهات نظر متباينة حول الثورة . فالاشاعات التى انتهت الى أسماع الفلاحين الأغنياء فى المرحلة الأولى هى أن جيش حملة الشمال منى بهزيمة منكرة فى جيانغشى ، وأن تشيانغ كاى شيك جرح فى ساقه(٧) وأنه طار راجعا الى قوانغدونغ(٨) ، وأن وو بى فو(٩) قد استولى مرة أخرى على يويهتشو ، وأن اتحادات الفلاحين سوف لا تدوم طويلا بالتأكيد ، وأن مبادئ الشعب الثلاثة(١٠) سوف لا تسود أبدا ، لأنها أشياء لم يسمع بها من قبل . وكان اذا دخل أحد رجال اتحاد الفلاحين فى الناحية (وغالبا ما يكون ممن يسمون بـ « الرعاع ») بيت فلاح غنى وبيده سجل العضوية وخاطبه قائلا : « نرجو أن تنضم الى اتحاد الفلاحين . » فكيف كان يجيبه الفلاح

الغني فى هذه الحالة ؟ اذا كان الفلاح الغنى مؤدبا بعض الشىء أجابه بقوله : « اتحاد الفلاحين ؟ لقد عشت هنا عشرات السنين أزرع الأرض ، ولم أسمع بشىء اسمه اتحاد الفلاحين ، ومع ذلك كانت حياتى تسير على ما يرام . ونصيحتى أنه من الأفضل أن تتركوا هذا الشىء ! » أما الفلاح الغنى الشكس فيقول : « ماذا ؟ اتحاد الفلاحين ؟ هذا اتحاد سوف يؤدى بكم الى قطع رقابكم. لا تزجوا بى فى المهالك ! » ولكن من الغريب حقا أن اتحادات الفلاحين ما زالت باقية مع أنه قد مضت عدة شهور على تأسيسها ، بل وأنها تجرؤ على الوقوف بوجه الوجهاء . فقد قبضت اتحادات الفلاحين على وجهاء مقيمين فى المناطق المجاورة وطافت بهم فى أرجاء القرى لأنهم رفضوا تسليم غلايينهم التى يدخنون بها الأفيون . وفى عواصم المحافظات قتل بعض كبار الوجهاء ، مثل يان يونغ تشيو فى محافظة شيانغتان ، ويانغ تشى تسه فى محافظة نينغشيانغ . وبمناسبة الاحتفال العظيم بذكرى ثورة أكتوبر (تشرين الأول) ، وفى المؤتمرات الشعبية ضد بريطانيا ، وفى الاحتفالات العظمى بانتصار حملة الشمال ، تظاهر ما يزيد على عشرة آلاف من الفلاحين فى كل ناحية فى مواكب حاشدة متدفقة رافعين الرايات الكبيرة والأعلام الصغيرة وعلى أكتافهم الفؤوس وعيدان الحمل . وعندها فقط أصابت الفلاحين الأغنياء الحيرة والارتباك . وخلال الاحتفالات العظيمة بانتصار حملة الشمال ، بلغهم أنه تم الاستيلاء على جيوجيانغ ، وأن تشيانغ كاى شيك لم يجرح فى ساقه ، وأن وو بى فو قد هزم فى النهاية . وبالاضافة لهذا شاهدوا عبارات مثل « عاشت مبادئ الشعب الثلاثة » ، « عاشت اتحادات الفلاحين » ، « عاش الفلاحون » ، مكتوبة بخط واضح على « الاعلانات الرسمية الحمراء الخضراء » (الشعارات) . وهنا يتساءل الفلاحون الأغنياء وقد تملكتهم حيرة عظيمة : « عاش الفلاحون ؟ هل يعتبر هؤلاء الناس كالأباطرة(١١) أيضا ؟ » أما اتحادات الفلاحين فقد داخلها الزهو والخيلاء . وأصبح رجال الاتحادات

يقولون للفلاحين الأغنياء : « لا بد أن نكتب أسماءكم فى السجل الخاص ! » أو « سيكون رسم الدخول بعد شهر عشرة يوانات لكل شخص ! » وفى هذه الظروف فقط بدأ الفلاحون الأغنياء شيئا فشيئا ينضمون للاتحادات (١٢) ، وقد دفع بعضهم نصف يوان أو يوانا واحدا كرسم دخول (بينما رسم الدخول المقرر هو مائة ون(١٣) فقط) ، وبعضهم لم يقبل فى الاتحادات الا بعد أن وجد من تشفع له اليها . الا أن هناك كثيرا من المتعنتين لم ينضموا للاتحادات حتى هذا اليوم . وعندما ينضم الفلاح الغنى للاتحاد يسجل عادة اسم عجوز فى الستين أو السبعين من عمره من بين أفراد عائلته لأنه فى خوف دائم من « التجنيد الاجبارى » . وبعد أن ينضم الفلاحون الأغنياء الى الاتحاد فانهم لا يتحمسون للعمل من أجله . ان موقفهم سلبى دائما .

وماذا عن الفلاحين المتوسطين ؟ ان موقفهم متذبذب . وهم يعتقدون أن الثورة سوف لا تجلب لهم فائدة كبيرة . اذ أنهم يملكون الأرز فى قدورهم ، وما من دائن يطرق أبوابهم فى منتصف الليل . ولما كان هؤلاء يحكمون على الأشياء تبعا لما اذا كانت موجودة من قبل أم لا فانهم يقطبون حواجبهم وينهمكون فى التفكير سائلين أنفسهم : « هل فعلا يمكن لاتحاد الفلاحين أن يثبت على قدميه ؟ » و « هل يمكن فعلا لمبادئ الشعب الثلاثة أن تسود ؟ » فكانت نتيجة تفكيرهم هى : « لا أظن ! » انهم يحسبون أن كل هذه تتوقف على مشيئة السماء ، فيتساءلون هكذا : « تنظيم اتحاد فلاحين ؟ من يدرى اذا كانت هذه مشيئة السماء أم لا ؟ » فكان رجال الاتحاد فى المرحلة الأولى اذا دخلوا دار فلاح متوسط وسجلاتهم فى أيديهم وخاطبوه قائلين : « نرجوك أن تنضم الى الاتحاد ! » أجابهم الفلاح المتوسط : « لا داعى للعجلة ! » ولم ينضم الفلاحون المتوسطون الى اتحادات الفلاحين الا فى المرحلة الثانية عندما أصبحت هذه الاتحادات تتمتع بسلطة عظيمة . وتصرفاتهم فى الاتحادات خير من تصرفات

الفلاحين الأغنياء ، الا أنهم ، موقتا ، لم يتحمسوا لها كثيرا ، وما زالوا يفضلون الانتظار لمعرفة ما سيحدث . فمن الضرورى جدا للاتحادات أن تعمل على كسب عضوية الفلاحين المتوسطين فيها وأن تشرح الأمور لهم كثيرا .

أما القوة الرئيسية التى ثابرت على النضال القاسى المرير فى الريف فهى الفلاحون الفقراء . فقد ناضلوا بنشاط طوال الوقت ، سواء خلال مرحلة النشاط السرى أو مرحلة النشاط العلنى . انهم أكثر الناس استجابة لقيادة الحزب الشيوعى . وهم ألد أعداء للعتاة المحليين والوجهاء الأشرار ويهاجمون معسكرهم بلا أدنى تردد . انهم يقولون للفلاحين الأغنياء : « لقد انضممنا الى اتحاد الفلاحين منذ وقت طويل ، فلماذا تترددون حتى الآن ؟ » ويجيبهم الفلاحون الأغنياء بلهجة تهكم : « وما الذى يحول بينكم وبين الانضمام الى الاتحاد وأنتم لا تملكون قرميدة فوق رؤوسكم ولا مغرز ابرة من الأرض تحت أقدامكم ! » حقا أن الفلاحين الفقراء لا يخشون ضياع أى شىء . الواقع أن عددا كبيرا منهم « لا يملكون قرميدة فوق رؤوسهم ولا مغرز ابرة من الأرض تحت أقدامهم » ، فما الذى يحول بينهم وبين الانضمام لاتحادات الفلاحين ؟ وتدل احصائيات أجريت فى محافظة تشانغشا على أن الفلاحين الفقراء يشكلون ٧٠ ٪ من سكان الريف والفلاحين المتوسطين ٢٠ ٪ وملاك الأراضى والفلاحين الأغنياء ١٠ ٪ . وينقسم الفلاحون الفقراء الذين يشكلون ٧٠ ٪ من السكان الى قسمين : الفقراء المعدمين تماما والفقراء الأقل عوزا . و« الفقراء المعدمون تماما » (١٤) هم أولئك الذين لا يملكون شيئا على الاطلاق لا أرضا ولا نقودا ولا أى وسيلة للمعيشة ويضطرون الى هجر بيوتهم والعمل كجنود مرتزقة أو أجراء ، أو الى التشرد والتسول ، وهم يشكلون ٢٠ ٪ من سكان الريف . أما « الفقراء الأقل عوزا » (١٥) فهم أولئك الذين يملكون بعض الشىء ، مثل قطعة أرض صغيرة ، أو نقود قليلة ، وهم يستهلكون أكثر مما يكسبون ويعيشون فى كد وألم طوال العام كعمال

الصناعات اليدوية ، والفلاحين المستأجرين (باستثناء المتيسرى الحال منهم) ، وأشباه الفلاحين الزارعين فى أرضهم ، ويشكل هؤلاء ٥٠ ٪ من سكان الريف . وهذا الحشد العظيم من الفلاحين الفقراء ، الذين يشكلون بمجموعهم ٧٠ ٪ من سكان الريف ، هو العمود الفقرى لاتحادات الفلاحين والطليعة فى الاطاحة بالقوى الاقطاعية وصاحب الفضل الأول فى انجاز المهمة الثورية العظيمة التى لم يتم انجازها من قبل منذ أعوام طويلة . ولولا طبقة الفلاحين الفقراء (« الرعاع » كما يسميهم الوجهاء) كان من المستحيل خلق الوضع الثورى الراهن فى الريف والاطاحة بالعتاة المحليين والوجهاء الأشرار وانجاز الثورة الديمقراطية . وقد كسب الفلاحون الفقراء ، لكونهم أكثر الفلاحين ثورية ، سلطة القيادة لاتحادات الفلاحين . فهم يشغلون تقريبا جميع مراكز رئاسة وعضوية لجان اتحادات الفلاحين فى المستوى الأدنى فى المرحلتين الأولى والثانية على السواء (ففى محافظة خنغشان مثلا يبلغ عدد الفلاحين المعدمين تماما ٥٠ ٪ من مجموع موظفى الاتحادات فى النواحى ، والفقراء الأقل عوزا ٤٠ ٪ والمثقفين البؤساء ١٠ ٪) . ان هذه القيادة التى يمارسها الفلاحون الفقراء هى ضرورية للغاية . فبدون الفلاحين الفقراء لا يمكن أن تكون هناك ثورة . وانكار دورهم هو انكار للثورة . والهجوم عليهم هو هجوم على الثورة . ولم يحدث أن أخطأوا أبدا فى الاتجاه العام للثورة . لقد أسقطوا هيبة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار . وألقوا بهم ، كبارهم وصغارهم ، على الأرض وداسوهم بالأقدام . وكثير من الأعمال التى قاموا بها أثناء المرحلة الثورية ، والتى وصفت بأنها أعمال « تجاوزت الحد » ، كانت فعلا مما تتطلبه الثورة بالضبط . وقد لجأت بعض حكومات المحافظات فى خونان وبعض مراكز الحزب الفرعية فى المحافظات(١٦) وبعض اتحادات الفلاحين فيها الى اجراءات خاطئة ، حتى ان بعضها أرسل جنودا لاعتقال موظفى الاتحادات فى المستويات الدنيا استجابة لرغبة ملاك

الأراضى . وقد ألقى بعدد كبير من رؤساء وأعضاء لجان الاتحادات فى النواحى فى سجون محافظتى خنغشان وشيانغشيانغ . ان هذا خطأ فاحش زاد من غرور الرجعيين . ويكفى المرء ، لكى يحكم ما اذا كان ذلك خاطئا أم لا ، أن يرى كيف فرح ملاك الأراضى البغاة ذلك الفرح العظيم وكيف ارتفعت معنوية الرجعيين فى كل مكان اعتقل فيه رؤساء وأعضاء لجان اتحادات الفلاحين . يجب علينا أن نقاوم الافتراءات المناهضة للثورة التى تسمى الحركة « حركة الرعاع » و « حركة الفلاحين الكسالى » ، ويجب أن نكون حذرين بصفة خاصة حتى لا نرتكب أخطاء مساعدة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى هجومهم على طبقة الفلاحين الفقراء . والحقيقة أنه بالرغم من أن بعض الفلاحين الفقراء القادة كان بهم بعض النواقص الا أن معظمهم قد أصلحوا أنفسهم الآن . وهم أنفسهم يقومون ، بنشاط ، بحظر ألعاب القمار واحتراف المقامرة وقمع اللصوص وقطاع الطرق . وحيثما كان اتحاد الفلاحين قويا تم القضاء على ألعاب القمار واحتراف المقامرة واختفى أثر اللصوص وقطاع الطرق . وقد أصبح الناس فعلا فى بعض المناطق لا يستحوذون على المفقودات على جوانب الطرق وأن الانسان لا يحتاج الى اغلاق باب داره فى الليل . ويشير احصاء أجرى فى خنغشان أن ٨٥ ٪ من الفلاحين الفقراء القادة قد أصبحوا صالحين تماما ، وبرهنوا على أنهم أكفاء ومجدون فى العمل . وان ١٥ ٪ منهم فقط ما زالوا يحتفظون ببعض العادات السيئة . وأكثر ما يصف به الانسان هؤلاء هو أنهم « أقلية غير صالحة » ، فلا يجوز لنا أبدا أن نردد قول العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فنسمى هؤلاء القادة جميعا وبلا تمييز بـ « رعاع » . وكل ما يمكن عمله لأجل علاج مسألة هذه « الأقلية غير الصالحة » هو القيام ، تحت شعار تدعيم نظام اتحادات الفلاحين ، بالدعاية وسط الجماهير وتثقيف هذه الأقلية وتقوية النظام فى الاتحادات ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال ارسال الجنود بغير وجه حق للقيام بالاعتقالات فيترتب

على ذلك النيل من سمعة طبقة الفلاحين الفقراء وتشجيع غرور العتاة المحليين والوجهاء الأشرار . وهذه نقطة يجب أن نوليها انتباها خاصا .

أربعة عشر انجازا عظيما

معظم من يوجهون اللوم لاتحادات الفلاحين يزعمون أن هذه الاتحادات فعلت أشياء كثيرة سيئة . وقد سبق وأوضحت أن هجوم الفلاحين على العتاة المحليين والوجهاء الأشرار هو عمل ثورى تماما ليس فيه ما يوجب اللوم بحال من الأحوال . ولكن الأعمال التى قام بها الفلاحون كثيرة ، ولكى نرد على اللوم الموجه لهم ، يجب أن ندرس بدقة جميع أعمالهم عملا فعملا حتى يمكننا معرفة ما فعلوه معرفة تامة . ولقد قسمت أعمال الفلاحين خلال الأشهر القلائل الماضية ولخصتها ، فوجدت أنهم قد حققوا بقيادة اتحاداتهم أربعة عشر انجازا عظيما ، وهى :

١ ــ تنظيم الفلاحين فى اتحادات خاصة بهم

هذا أول انجاز عظيم حققه الفلاحون . وفى محافظات مثل شيانغتان وشيانغشيانغ وخنغشان ، تم تنظيم جميع الفلاحين تقريبا ولا يكاد يوجد هناك ركن لم ينهض فيه الفلاحون ، وهذه أحسن المحافظات . وفى بعض المحافظات مثل ييبانغ وخوارونغ ، تم تنظيم الجزء الأعظم من الفلاحين وبقى جزء صغير منهم بغير تنظيم ، وتعد هذه المحافظات فى الدرجة الثانية . وفى محافظات أخرى مثل تشنغبو ولينغلينغ ، تم تنظيم جزء صغير من الفلاحين بينما الأغلبية

منهم لم يتم تنظيمها بعد ، وتعد هذه المحافظات فى الدرجة الثالثة . أما المنطقة الواقعة غربى خونان فلم تصل اليها الدعاية حول اتحادات الفلاحين بعد لوقوعها تحت سيطرة يوان تسو مينغ (١٧) فبقى الفلاحون بدون أى تنظيم فى عدد كبير من المحافظات ، وتعد هذه فى الدرجة الرابعة . وعلى وجه التقريب فان محافظات أواسط مقاطعة خونان والتى تقع حول تشانغشا هى أكثر المحافظات تقدما ، وتأتى بعدها المحافظات التى فى جنوبى المقاطعة ، وأما فى غربيها فما زال التنظيم فى مرحلته الأولى . وتشير الاحصائيات التى أجراها اتحاد الفلاحين فى المقاطعة فى نوفمبر (تشرين الثانى) الماضى ، الى أنه قد تم تأسيس اتحادات بلغت جملة عضويتها ١٫٣٦٧٫٧٢٧ فلاحا فى ٣٧ من محافظات المقاطعة البالغ مجموعها ٧٥ محافظة . وقد تم تنظيم حوالى مليون من هؤلاء الأعضاء خلال شهرى أكتوبر (تشرين الأول) ونوفمبر (تشرين الثانى) من العام الماضى عندما قويت سلطة الاتحادات الى درجة عالية ، بينما ظلت عضوية الاتحادات قبل سبتمبر (أيلول) الماضى لا تتجاوز ما بين ٣٠٠٫٠٠٠ و ٤٠٠٫٠٠٠ . والآن ، وقد انقضى شهران آخران : ديسمبر (كانون الأول) ويناير (كانون الثانى) ، لا تزال حركة الفلاحين فى نموها المتصاعد . وقد بلغت العضوية فى نهاية يناير (كانون الثانى) مليونين على الأقل . ولما كانت العائلة الواحدة ، ومتوسط أعضائها خمسة أشخاص ، لا تقيد عادة الا اسما واحدا للانضمام لعضوية الاتحاد فان جملة الجماهير التابعة للاتحادات تبلغ حوالى عشرة ملايين . وهذه السرعة المذهلة المتصاعدة فى التوسع توضح السبب فى عزل العتاة المحليين والوجهاء الأشرار والموظفين الفاسدين ، وتوضح السبب فى دهشة الرأى العام بأن الدنيا فعلا قد تبدلت منذ قيام حركة الفلاحين ، كما توضح السبب فى قيام ثورة عظيمة فى الريف . هذا أول الانجازات العظيمة التى أحرزها الفلاحون بقيادة اتحاداتهم .

٢ – توجيه الضربات لملاك الأراضى سياسيا

ان أول ما يفعله الفلاحون بعد أن يشكلوا اتحاداتهم ، هو تحطيم هيبة طبقة ملاك الأراضى سياسيا ، ولا سيما هيبة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار منهم ، أى ازاحة سلطة ملاك الأراضى عن مكانها فى المجتمع الريفى ، واقامة سلطة الفلاحين . وهذا نضال فى أقصى درجة من الخطورة والأهمية . وهو محور النضال فى المرحلة الثانية ، مرحلة العمل الثورى . وبدون الانتصار فى هذا النضال يستحيل احراز أى نصر فى النضال الاقتصادى ، كالنضال فى سبيل تخفيض الايجارات والفوائد وللحصول على الأرض وغيرها من وسائل الانتاج . ولم يعد هذا بمشكلة فى عدد كبير من المحافظات فى خونان ، مثل شيانغشيانغ وخنغشان وشيانغتان ، حيث أن سلطة ملاك الأراضى قد أطيح بها تماما وأصبحت سلطة الفلاحين هى السلطة الوحيدة . الا أنه فى بعض المحافظات مثل ليلينغ ما زالت هناك بعض أماكن (كالمنطقتين الغربية والجنوبية من ليلينغ) تبدو سلطة ملاك الأراضى فيها أضعف من سلطة الفلاحين فى الظاهر ، ولكن نظرا لأن الصراع السياسى لم يكن حادا ، فان سلطة ملاك الأراضى فى الحقيقة ، تنافس ، سرا ، سلطة الفلاحين . ولا يمكن بعد أن يقال بأن الفلاحين فى مثل هذه الأماكن قد كسبوا النصر السياسى ، ولذا فما زال عليهم أن يشنوا النضال السياسى بصورة عنيفة أكثر حتى يتم تحطيم سلطة ملاك الأراضى تماما . ان الأساليب التى يستخدمها الفلاحون فى توجيه الضربات السياسية الى ملاك الأراضى يمكن اجمالها فيما يلى :

تصفية الحسابات . فى معظم الأحيان يختلس العتاة المحليون والوجهاء الأشرار الأموال العامة التى تمر عن طريقهم ويغشون فى الحسابات . واستخدم الفلاحون الآن مسألة تصفية الحسابات فرصة أطاحوا فيها بعدد كبير من العتاة

المحليين والوجهاء الأشرار . وقد تم فى أماكن كثيرة تأسيس لجان للتصفية تختص بمراجعة الحسابات مع هؤلاء العتاة والوجهاء الذين أصبحوا يرتجفون لمجرد رؤية مثل هذه اللجان . وقد قامت حملات تصفية من هذا النوع على نطاق واسع فى كل المحافظات التى أصبحت حركة الفلاحين فيها حركة نشطة . وأهمية هذه الحملات لا تكمن فى أنها تهدف الى استرجاع الأموال المنهوبة بقدر ما تكمن فى فضح الجرائم التى ارتكبها العتاة المحليون والوجهاء الأشرار والاطاحة بهم من مراكزهم السياسية والاجتماعية .

فرض الغرامة . يحدد الفلاحون غرامات على جرائم معينة مثل التلاعب الذى تكشفه مراجعة الحسابات ، والاعتداءات الماضية على الفلاحين ، والنشاطات الحالية الموجهة لتحطيم اتحادات الفلاحين ، وخرق الحظر المفروض على ألعاب القمار واحتراف المقامرة ، ورفض تسليم غلايين الأفيون . وتبعا للجريمة يدفع العاتى المحلى فلان مبلغ كذا من الغرامة ويدفع الوجيه الشرير فلان مبلغ كذا ، وتتراوح الغرامات من عشرات اليوانات الى آلاف اليوانات . وطبيعى أن الشخص الذى يغرمه الفلاحون يفقد ماء وجهه تماما .

التبرع الاجبارى . يجبر ملاك الأراضى الأغنياء القساة القلوب على التبرع لاغاثة الفقراء ومن أجل تنظيم التعاونيات أو وكالات التسليف للفلاحين أو لأغراض أخرى . ان هذه التبرعات الاجبارية نوع من العقاب أيضا ، الا أنها أخف وطأة من الغرامة . وبغرض تفادى المتاعب فان عددا ليس صغيرا من الملاك يتبرعون لاتحادات الفلاحين من تلقاء أنفسهم .

الاحتجاجات الصغرى . عندما يهاجم أحد الناس اتحاد الفلاحين سواء بقوله أو فعله ، وكان جرمه صغيرا ، يتجمع عدد كبير من الفلاحين ويندفعون الى منزله للتعبير عن الاحتجاج بصورة غير شديدة . وعادة ما يتركونه بعد أن يكتب « عهدا بالكف والانقطاع » يتعهد فيه بالكف عن التشهير باتحاد الفلاحين

سواء بالقول أو الفعل .

المظاهرات الكبرى . يجتمع عدد كبير من الناس للتظاهر ضد عات محلى أو وجيه شرير ممن يعادون الاتحاد ، ويأكل المتظاهرون فى بيته فلا مفر لهم فى هذه الحال أن يذبحوا خنازيره ويستهلكوا أرزه . وقد حدثت مثل هذه الحالات مرات غير قليلة . كما حدث منذ وقت قريب مضى فى ماجياخه بمحافظة شيانغتان ، أن تجمهر ١٥ ألفا من الفلاحين وذهبوا الى بيوت ستة من الوجهاء الأشرار حيث نددوا بهم ، وقد استمروا فى ذلك أربعة أيام ذبحوا خلالها أكثر من ١٣٠ رأسا من الخنازير أكلوا لحومها. وعادة ما تنتهى المظاهرات بفرض الغرامات .

الباس الملاك الطراطير العالية والطواف بهم فى المواكب عبر القرى . هذا شيء شائع جدا فى مختلف الأماكن ، اذ يلبس العاتى المحلى أو الوجيه الشرير طرطورا عاليا من الورق مكتوبا عليه « العاتى المحلى فلان » أو « الوجيه الشرير فلان » ، ثم يقاد بحبل ، ويحيط به من أمامه وخلفه مجموعة كبيرة من الفلاحين. وفى بعض الأحيان تقرع الصناجات النحاسية ويلوح بالأعلام لجذب انتباه الناس . وهذا النوع من العقاب هو أكثر ما يخافه العتاة المحليون والوجهاء الأشرار ويجعلهم يرتجفون من الهلع . وكل من ألبس الطرطور العالى مرة يفقد ماء وجهه تماما ولا يمكنه أن يرفع رأسه مرة ثانية . ولهذا يفضل معظم الأغنياء الغرامة على لبس الطرطور . ولكن اذا أصر الفلاحون فلا بد أن يلبسوه له . وقد لجأ اتحاد الفلاحين فى احدى النواحي الى طريقة بارعة وهى أن يعتقل أحد الوجهاء الأشرار ويعلن أنه سوف يلبسه الطرطور فى نفس اليوم . فيمتقع وجه الرجل من الخوف . ثم يقرر الاتحاد عدم الباسه الطرطور فى نفس اليوم . وكانت الحجة فى ذلك هى أنه اذا ألبس الطرطور فورا فسوف يتعنت ولا يخاف بعد ذلك ، ولهذا من الأفضل اطلاق سراحه على أن يلبس الطرطور فى يوم آخر .

ومن ذلك الحين يصبح الرجل فى حالة شديدة من القلق لا يعرف معها لا راحة ولا نوما هنيئا بسبب جهله باليوم الذى يلبس فيه الطرطور .

حبس الملاك فى سجن المحافظة . هذا عقاب أشد من الباس الطرطور العالى . عندما يعتقل أحد العتاة المحليين أو الوجهاء الأشرار يرسل الى سجن المحافظة حيث يحبس هناك ويطالب حاكم المحافظة بأن يحاكمه ويعاقبه . والأشخاص الذين يحبسون الآن هم من نوع آخر يختلف عما كان . ففى الماضى كان الوجهاء هم الذين يرسلون الفلاحين لحبسهم فى السجن ، أما الآن فقد أصبح الفلاحون يرسلون الوجهاء الى السجن .

الطرد . ليس للفلاحين رغبة فى طرد المعروفين بجرائمهم من بين العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، اذ أنهم يفضلون اعتقالهم أو اعدامهم . ولخوف هؤلاء من الاعتقال أو الاعدام فانهم يهربون . وفى المحافظات التى تطورت فيها حركة الفلاحين تطورا جيدا ، قد هرب تقريبا جميع العتاة المحليين والوجهاء الأشرار البارزين وهذا مساو للطرد . وقد فرت الفئة العليا منهم الى شانغهاى ، والفئة التى تليها الى هانكو ، ومن هم من الفئة الثالثة فروا الى تشانغشا ، ومن هم من الفئة الرابعة فروا الى عواصم المحافظات . وأكثر الفارين أمانا هم من هربوا الى شانغهاى . وبعض الذين فروا الى هانكو ، مثل الثلاثة الذين فروا من خوارونغ ، قد ألقى عليهم القبض وأعيدوا فى النهاية . ومن هربوا الى تشانغشا معرضون ، أكثر من غيرهم ، لأن يقبض عليهم أبناء مختلف المحافظات الذين يتعلمون فى تشانغشا – وهى عاصمة المقاطعة – فى أى لحظة كانت . وقد شاهدت بنفسى فى تشانغشا اثنين ألقى عليهما القبض . أما الذين لجأوا الى عواصم المحافظات فهم من المرتبة الرابعة ومن السهل على الفلاحين الذين لهم عيون كثيرة فيها أن يكتشفوهم . وقد عزت السلطات المالية المصاعب المالية التى تجابه حكومة مقاطعة خونان الى أن الفلاحين طردوا الأغنياء مما سبب

المصاعب فى تدبير المال ، وهذا يوضح الى أى حد أصبح العتاة المحليون والوجهاء الأشرار غير محتملين فى قراهم .

الاعدام . هذا عقاب ينزل ، بلا شك ، بكبار العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وينفذه الفلاحون بالتضامن مع أقسام الشعب الأخرى . فمثلا أعدمت سلطات الحكومة يانغ تشى تسه فى نينغشيانغ ، وتشو جيا قان فى يويهيانغ ، وفو داو نان ، وصون بو تشو فى خوارونغ ، رميا بالرصاص تحت الحاح الفلاحين وغيرهم من أقسام الشعب . أما يان رونغ تشيو فى شيانغتان فقد أجبر الفلاحون وغيرهم من أقسام الشعب حاكم المحافظة على الموافقة على اخراجه من السجن وأعدمه الفلاحون بأيديهم رميا بالرصاص . وليو تشاو فى نينغشيانغ قد قتله الفلاحون بأنفسهم . أما فيما يتعلق ببنغ تشى فان فى ليلينغ ، وتشو تيان جيويه ، وتساو يون فى يييانغ ، فان « المحكمة الخاصة بمحاكمة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار » فى سبيل الحكم عليهم واعدامهم . ان اعدام واحد من أمثال هؤلاء الوجهاء الأشرار والعتاة المحليين الكبار يحدث هزة عنيفة فى جميع أرجاء المحافظة ، فهو عمل فعال جدا فى استئصال الشرور المتبقية للاقطاع . وفى كل محافظة يوجد عدد من أمثال هؤلاء العتاة والوجهاء قد يصل فى بعض المحافظات الى عشرات ، ولا يقل عن بضعة أفراد فى بعضها الآخر ، والسبيل الوحيد الفعال لقمع الرجعيين هو أن يعدم فى كل محافظة على الأقل الأفراد القلائل منهم الذين ارتكبوا أشنع الجرائم . وعندما كان العتاة المحليون والوجهاء الأشرار فى أوج سلطتهم كانوا يذبحون الفلاحين بدون أن ترمش لهم عين بمقدار ما يحمل هذا التعبير من معنى . وقد قتل بأمر خه ماى تشيوان الذى ظل عشر سنوات رئيسا لفصيلة الدفاع فى بلدة شينكانغ من تشانغشا ، ما يقرب من ألف من الفلاحين البائسين ، ووصف عمله هذا بوقاحة بأنه « اعدام قطاع الطرق » . أما تانغ جيون يان ، ولوه شو لين اللذان كانا يترأسان فصيلة الدفاع فى بلدة

ينتيان بمحافظة شيانغتان مسقط رأسى ، فقد قتلا أكثر من خمسين شخصا ودفنا أربعة أشخاص أحياء خلال أربعة عشر عاما منذ سنة ١٩١٣ . ومن بين الأكثر من خمسين شخصا الذين قتلاهم كان أول الضحايا شخصين بريئين من الشحاذين . قال تانغ جيون يان : « لأبدأ العمل بقتل شحاذين ! » وهكذا قضى على حياة هذين الشحاذين . وطالما بلغ العتاة المحليون والوجهاء الأشرار فى الأيام السالفة هذه الدرجة من القسوة ، وخلقوا هذا الارهاب الأبيض فى الريف ، فكيف يسوغ بعدئذ لأى انسان أن ينكر على الفلاحين فعلهم وهو أنهم نهضوا الآن ، وقتلوا حفنة من العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وخلقوا قليلا من الارهاب بكبت المناهضين للثورة ؟

٣ ـ توجيه الضربات لملاك الأراضى اقتصاديا

حظر ارسال الأرز خارج المنطقة ، وحظر رفع سعره ، وتحريم احتكاره . هذا أحد الأحداث العظيمة التى وقعت فى الأشهر القليلة الماضية فى النضال الاقتصادى الذى خاضه فلاحو خونان . فمنذ أكتوبر (تشرين الأول) الماضى حتى الوقت الراهن والفلاحون الفقراء يمنعون تدفق أرز الملاك والفلاحين الأغنياء الى خارج المنطقة ، كما حظروا رفع أسعاره واحتكاره . وحقق الفلاحون بنتيجة هذا أهدافهم كاملة ، اذ توقف تماما تدفق الأرز الى الخارج ، فنزلت أسعاره كثيرا كما زال كل أثر لاحتكاره .

حظر زيادة الايجارات والرهائن (١٨) ، والدعاية لتخفيضهما . قد حدث فى يوليو (تموز) وأغسطس (آب) الماضيين أيام كانت اتحادات الفلاحين ضعيفة ، أن أنذر الملاك ، واحدا تلو الآخر ، الفلاحين الذين يستأجرون أراضيهم بوجوب زيادة ايجارات الأراضى والرهائن ، سيرا على عادتهم المتبعة

فى ممارسة الاستغلال لأبعد الحدود . الا أنه فى أكتوبر (تشرين الأول) عندما تعاظمت قوة اتحادات الفلاحين كثيراً ووقفت كلها ضد زيادة الايجارات والرهائن ، لم يجرؤ الملاك على الادلاء بكلمة أخرى حول هذا الموضوع . ومن نوفمبر (تشرين الثانى) فصاعدا وبتفوق سلطة الفلاحين على سلطة الملاك، فقد اتخذ الفلاحون خطوة أبعد فى الدعاية لتخفيض الايجارات والرهائن . وأصبح الفلاحون يقولون : مما يؤسف له أن اتحادات الفلاحين لم تكن لها قوة كافية عندما دفعنا الايجارات فى الخريف الماضى والا لخفضناها آنذاك . ان الفلاحين يقومون اليوم بالدعاية على نطاق واسع لتخفيض الايجارات فى الخريف القادم ، ويتساءل الملاك الآن عن الكيفية التى يطبقون بها تخفيض الايجارات . أما تخفيض الرهائن فقد بدأ يطبق فعلا فى خنغشان وغيرها من المحافظات .

حظر الغاء عقود ايجار الأراضى . كان هناك كثير من ملاك الأراضى ، حتى يوليو (تموز) وأغسطس (آب) من السنة الماضية ، يلغون عقود ايجار الأراضى ويؤجرونها مرة أخرى . الا أنه بعد أكتوبر (تشرين الأول) لم يعد أحد يجرؤ على الغاءعقود الايجار . وقد أصبحت مسألة الغاء عقود ايجار الأراضىوتأجيرها مرة أخرىخارجة عن الموضوع الآن،والمشكلة الوحيدة التى لا تبرح مستعصية الى درجة ما هى مشكلة ما اذا كان يمكن للمالك الغاء عقود ايجار الأرض ليفلحها بنفسه أم لا . وحتى هذا لا يسمح به الفلاحون فى بعض الأماكن . وفى أماكن أخرى يسمح للمالك بالغاء عقود ايجار الأرض اذا كان يريد فلحها بنفسه ، الا أن هذا يسبب مشكلة العطالة بين الفلاحين الذين يستأجرون الأرض . وحتى الآن لم تتفق الآراء على حل موحد لهذه المشكلة .

تخفيض الفائدة . قد تم تخفيض الفائدة عموما فى محافظة أنخوا ، كما حدثت حالات من التخفيض فى محافظات أخرى أيضا . الا أن الملاك فى الأماكن التى تتمتع فيها اتحادات الفلاحين بالقوة « أوقفوا الاقراض » بصورة

تامة خوفا من أن يصبح المال « مشاعا » ، ولهذا تلاشى اقراض المال تقريبا فى الريف . وتخفيض الفائدة فى هذه الحال ينحصر فى القروض القديمة . ولم تخفض وحسب فائدة هذه القروض القديمة ، بل أصبح من غير المسموح به للدائن أن يضغط على المدين بغرض تسديد الدين . ويجيب الفلاحون الفقراء اذا ما طولبوا بالسداد : « لا تلق اللائمة على فالمحصول قليل هذا العام ، دع مسألة السداد الى العام القادم ! »

٤ ـ الاطاحة بحكم العتاة المحليين والوجهاء الأشرار الاقطاعى ـ قلب سلطة الدو والتوان(١٩)

ان أجهزة السلطة السياسية القديمة فى الدو والتوان (أعنى المركز والناحية) ، لا سيما الأجهزة التى على مستوى الدو ، أى المستوى الذى يلى مستوى المحافظة ، كانت جميعها تقريبا فى أيادى العتاة المحليين والوجهاء الأشرار . وكانت للدو سلطة على عدد من السكان يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين أو ستين ألفا ، وكانت له قوات مسلحة خاصة به مثل فصائل الدفاع ، وسلطة مستقلة فى جمع الضرائب مثل سلطة فرض ضريبة الأرض بمعدل المو الواحد(٢٠) ، كما كانت له سلطة مستقلة فى القضاء لمباشرة الاعتقال والسجن والمحاكمة وانزال العقاب بالفلاحين كما يحلو له . وكان الوجهاء الأشرار الذين يسيطرون على أجهزة السلطة هذه هم فى الحقيقة ملوك فى الريف . ولم يكن الفلاحون يكترثون كثيرا برئيس الجمهورية ، أو حاكم المقاطعة العسكرى(٢١) أو حاكم المحافظة ، فقد كان « رؤساؤهم » الحقيقيون هم ملوك الريف هؤلاء الذين اذا تنحنحوا أدرك الفلاحون أن عليهم أن يأخذوا الحذر الشديد منهم . وبنتيجة التمرد الراهن فى الريف فان هيبة طبقة الملاك عموما قد

أطيح بها، وطبعى أن انهارت بالتالى أجهزة السلطة الريفية التى يسيطر عليها العتاة المحليون والوجهاء الأشرار . وأصبح رؤساء الدو و التوان يتوارون عن الأنظار ولا يجرؤون على الظهور ، وأصبحوا يحيلون جميع الأمور الخاصة بالناحية الى اتحادات الفلاحين . ويصرفون الناس قائلين :

« هذا ليس من شأنى ! »

وكلما تطرق حديث الفلاحين الى رؤساء الدو و التوان قالوا بغضب :

« تلك الحفنة الحقيرة ! لقد سقطت وانتهى أمرها ! »

نعم ، ان تعبير « انتهى أمرها » يصف بصورة صادقة وضع أجهزة السلطة الريفية القديمة فى الأماكن التى اجتاحتها عواصف الثورة .

٥ ـ الاطاحة بقوات الملاك المسلحة وتأسيس قوات الفلاحين

كانت قوات طبقة ملاك الأراضى المسلحة فى أواسط خونان أقل منها فى غربى وجنوبى المقاطعة . واذا حسبنا هذه القوات بمعدل ٦٠٠ بندقية فى كل محافظة فان مجموع البنادق فى الـ ٧٥ محافظة يصبح ٤٥٫٠٠٠ بندقية ، وقد تكون هناك بنادق أكثر فى حقيقة الأمر . وفى الأجزاء الجنوبية والوسطى من المقاطعة حيث تطورت حركة الفلاحين تطورا سريعا لم تستطع طبقة الملاك الصمود أمام للقوة الهائلة التى نهض بها الفلاحون ، فاستسلمت معظم قواتهم المسلحة لاتحادات الفلاحين و وقفت الى جانب مصالح الفلاحين ، كما حدث فى محافظات نينغشيانغ و بينغجيانغ وليويانغ وتشانغشا وليلينغ وشيانغتان وشيانغشيانغ وآنخوا وخنغشان وخنغيانغ . وفى بعض المحافظات مثل باوتشينغ وقف جزء صغير من هذه القوات موقف الحياد، لكنه يميل الى الاستسلام فى نفس الوقت . وجزء صغير آخر

منها وقف من الاتحادات موقفا عدائيا ، الا أن الفلاحين يهاجمونه حاليا ومن الممكن أن يقضوا عليه فى وقت قصير ، وتوجد أمثلة لهذا الوضع فى محافظات ييتشانغ ولينو و وجياخه. والقوات المسلحة التى يتم الاستيلاء عليها بهذه الطريقة من يد الملاك الرجعيين سيعاد تنظيمها جميعا فى « فصائل عاملة للميليشيا المجندة من كل عائلة »(٢٢) ، وتوضع تحت اشراف الأجهزة الجديدة أجهزة الحكم الذاتى فى الريف والتى هى أجهزة السلطة السياسية للفلاحين . ان هذه القوات المسلحة القديمة التى يستولى عليها هى مورد لانشاء قوات الفلاحين المسلحة . وهناك مورد آخر جديد لانشاء قوات الفلاحين هو فصائل الرماح التابعة لاتحادات الفلاحين . ويبلغ عدد هذه الرماح ــ وهى سلاح ذو حدين برأس مدبب ، مركب على عصا طويلة ــ ١٠٠ ألف رمح فى محافظة شيانغشيانغ وحدها . وفى كل من شيانغتان وخنغشان وليلينغ وتشانغشا وغيرها من المحافظات عدد من الرماح يتراوح بين ٧٠٫٠٠٠ ــ ٨٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠ ــ ٦٠٫٠٠٠ و ٣٠٫٠٠٠ ــ ٤٠٫٠٠٠ . وقد نمت فصائل الرماح بسرعة فى كل محافظة قامت فيها حركة الفلاحين . وهؤلاء الفلاحون المسلحون بالرماح سيشكلون « فصائل احتياطية للميليشيا المجندة من كل عائلة » . وهذا الحشد العظيم المسلح بالرماح والذى هو أكبر من القوات المسلحة القديمة التى سبق ذكرها ، هو قوة مسلحة وليدة جديدة يرتعد العتاة المحليون والوجهاء الأشرار جميعا لمجرد رؤيتها . وعلى السلطة الثورية فى خونان أن تعمل على أن تبنى هذه القوة على أساس واسع حقا بين الفلاحين الذين يعدون أكثر من عشرين مليونا فى محافظات المقاطعة التى يبلغ عددها ٧٥ محافظة ، وأن يمتلك كل فلاح سواء كان شابا أو كهلا رمحا من الرماح ، ولا يجوز لها أن تفرض أى قيد على تملك الرمح ظنا منها أنه شىء مريع . وانه لجبان حقا من يفزع من منظر فصائل الرماح ! والعتاة المحليون والوجهاء الأشرار وحدهم هم الذين يخافونها ، أما الثوريون فلا يجوز لهم أن يفزعوا منها مطلقا .

٦ ـ الاطاحة بسلطة
سعادة حاكم المحافظة وحجاب المحاكم

لا يمكن لحكومة المحافظة أن تكون طاهرة الا اذا نهض الفلاحون ، وقد تأكدت هذه الحقيقة فى هايفنغ من مقاطعة قوانغدونغ . وحصلنا الآن فى خونان على أدلة أكثر على صدقها . ففى كل محافظة يهيمن العتاة المحليون والوجهاء الأشرار عليها ، لا بد أن يكون الحاكم ، كائنا من كان ، فاسدا دون استثناء تقريبا . وحيثما ثار الفلاحون كانت حكومة المحافظة طاهرة كائنا من كان يتولى أمرها . وفى المحافظات التى زرتها كان حكامها ملزمين بالتشاور مع اتحادات الفلاحين مسبقا فى كل أمر من الأمور . كما أننا نجد فى المحافظات التى أصبحت سلطة الفلاحين فيها قوية جدا أن كلمة اتحادات الفلاحين تحدث المعجزات . فاذا طالب الاتحاد باعتقال أحد العتاة المحليين أو الوجهاء الأشرار فى الصباح لم يجرؤ الحاكم على ارجاء تنفيذ هذا الأمر حتى الظهر ، واذا طالب باعتقاله فى الظهر لم يجرؤ على تأجيل تنفيذ الطلب الى ما بعد الظهر . وحينما كانت سلطة الفلاحين فى بداية نموها فى الريف ، كان الحكام يعملون بالتواطؤ مع العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ضد الفلاحين . ولما ازدادت سلطة الفلاحين وأصبحت منافسة لسلطة الملاك لجأ الحكام الى طريقة مداراة الملاك والفلاحين معا ، فقد كانوا يقبلون بعض اقتراحات اتحادات الفلاحين بينما يرفضون بعضها الآخر . أما ما ذكرنا آنفا من أن كلمة اتحاد الفلاحين تحدث المعجزات فقد حصل بعد أن تغلبت سلطة الفلاحين تماما على سلطة الملاك . ووضع الحكومات فى الوقت الراهن فى شيانغشيانغ وشيانغتان وليلينغ وخنغشان وغيرها من المحافظات هو كما يلى :

١) تتخذ جميع القرارات بواسطة مجلس مشترك يتشكل من حاكم المحافظة

وممثلى المنظمات الجماهيرية الثورية . ويدعو الحاكم المجلس للانعقاد فى دار المحافظة . ويسمى هذا المجلس فى بعض المحافظات « المجلس المشترك للمنظمات العامة والحكومة المحلية » ، ويسمى فى محافظات أخرى « مجلس شؤون المحافظة » . والى جانب الحاكم نفسه ، يحضر اجتماعات المجلس ممثلو اتحاد الفلاحين واتحاد النقابات واتحاد التجار واتحاد النساء واتحاد معلمى وموظفى المدارس واتحاد الطلاب ومركز الكومينتانغ الفرعى(٢٣) ، فى المحافظة . وفى هذه الاجتماعات يتأثر الحاكم بوجهات نظر المنظمات الجماهيرية ودائما ما ينفذ رغباتها . وعليه يجب أن نقول ان تطبيق نظام اللجان الديمقراطى فى التنظيم الحكومى للمحافظات لم يعد مشكلة فى خونان . وحكومات المحافظات الراهنة على جانب عظيم من الديمقراطية فى شكلها ومحتواها معا . وقد حدث هذا الوضع خلال الشهرين أو الثلاثة أشهر الأخيرة أى بعد أن نهض الفلاحون فى جميع أرجاء الريف وأطاحوا بسلطة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار . وعندما رأى حكام المحافظات أن الدعامة التى كانوا يستندون اليها فى الماضى قد انهارت وأنهم فى حاجة الى دعامة جديدة اذا أرادوا الاحتفاظ بوظائفهم بدأوا يتوددون الى المنظمات الجماهيرية ، ومن هنا نتجت الأوضاع المبينة أعلاه .

ب) لم يعد للمساعد القضائى أى قضايا يعالجها . ما زال النظام القضائى فى خونان نظاما يباشر فيه حاكم المحافظة ، الى جانب وظيفته ، مسئولية شؤون القضاء بالاشتراك مع مساعد قضائى يعاونه أثناء المحاكمات . وبغرض الاثراء فقد كان الحاكم ومن تحته يعتمدون اعتمادا كليا على مباشرة أعمال جمع الضرائب والاتاوات وامداد القوات المسلحة بالرجال والمؤن ، وابتزاز المال عن طريق الخلط بين الحق والباطل فى الدعاوى المدنية والجنائية ، ولا سيما الطريقة الأخيرة فهى مصدر ثابت مضمون للحصول على المال . وقد اختفى خلال الأشهر القلائل الأخيرة ، وبسقوط العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ،

جميع المحتالين الذين يلبسون أثواب المحاماة . وبالاضافة لهذا فان جميع مشاكل الفلاحين صغيرة كانت أو كبيرة أصبحت تعالجها اتحادات الفلاحين فى مختلف المستويات . ولهذا لم تعد هناك أعمال تذكر للمساعد القضائى فى حكومة المحافظة . وقد أخبرنى المساعد القضائى فى شيانغشيانغ قائلا : « عندما لم تكن هناك اتحادات للفلاحين كانت حكومة المحافظة تتلقى كل يوم ، فى المتوسط ، ٦٠ عريضة تتعلق بدعاوى مدنية وجنائية ؛ وأصبحت منذ ظهور الاتحادات لا تتلقى فى اليوم الا أربع أو خمس عرائض فى المتوسط . » ونتيجة لذلك لم يسع الحاكم ومساعديه الا أن يتركوا محافظ نقودهم فارغة .

ج) أصبح الحرس المسلح ورجال الشرطة وحجاب المحكمة ، جميعا يتوارون عن الأنظار ولا يجرؤون على الاقتراب من القرى لابتزاز الأموال . وقد كان سكان القرى فى الماضى ، يخافون من سكان المدن ، أما الآن فقد أصبح سكان المدن يخافون من سكان القرى . وعلى وجه الخصوص الكلاب الشرسة التى كانت تربيها حكومة المحافظة — رجال الشرطة والحرس المسلح وحجاب المحكمة فقد أصبحوا يخافون من التردد على القرى ، واذا ترددوا عليها لم يكونوا يجرؤون على ابتزاز الأموال . لقد أصبحوا يرتجفون رعبا لدى رؤية رماح الفلاحين .

٧ — الاطاحة بالسلطان العشائرى لمعابد الأسلاف وشيوخ العشائر والسلطان الدينى لآلهة المدن والقرى وسيطرة الأزواج على الزوجات

يخضع الرجال فى الصين عادة لسيطرة ثلاثة أنظمة من السلطان هى : ١) نظام الدولة (للسلطان السياسى) ويمتد من الحكومة المركزية الى المقاطعة ،

فالمحافظة ، حتى الناحية ؛ ب) نظام العشيرة (السلطان العشائرى) ويمتد من المعبد المركزى للأسلاف وفروعه حتى رأس العائلة ؛ ج) النظام الروحى (السلطان الدينى) ويمتد من ملك الجحيم الى آلهة المدن حتى آلهة القرى الذين ينتمون الى العالم السفلى ، ومن امبراطور السماء الى مختلف الآلهة والأرواح الذين ينتمون الى عالم الأرواح السماوية . أما النساء فالى جانب خضوعهن لسيطرة الأنظمة الثلاثة السالفة الذكر ، يخضعن كذلك لسيطرة الرجال (سلطان الزوج). وهذه الأنواع الأربعة من السلطان – السلطان السياسى ، والسلطان العشائرى ، والسلطان الدينى ، وسلطان الزوج ، تمثل كل عقلية ونظام الأبوة الاقطاعى ، وهى السلاسل الأربع الكبرى التى تقيد الشعب الصينى ، وعلى الأخص الفلاحين. وقد سبق أن ذكرنا كيف أطاح الفلاحون بالسلطان السياسى لملاك الأراضى فى الريف . ولما كان السلطان السياسى لملاك الأراضى هو العمود الفقرى لسائر أنواع السلطان ، فانه بانهياره تزعزعت أركان السلطان العشائرى والسلطان الدينى وسلطان الزوج جميعا . وحيثما كانت اتحادات الفلاحين قوية فان شيوخ العشائر ووكلاء مال معابد الأسلاف لم يعودوا يجرؤون على كبت من هم أقل مرتبة فى عشائرهم أو على اختلاس مال المعابد . وقد أطيح بالشيوخ والوكلاء السيئين باعتبارهم عتاة محليين ووجهاء أشرارا . ولم يعد أى أحد منهم يجرؤ على فرض العقوبات البدنية القاسية أو عقوبة الاعدام التى كانوا ينزلونها بالفلاحين فى معابد الأسلاف مثل « الجلد » و« الاعدام غرقا » و« دفن الأحياء » . كما تم القضاء على القاعدة العتيقة التى تمنع النساء والفقراء من حضور المآدب التى تقام فى معابد الأسلاف . وقد حدث أن تجمعت النساء فى باى قوه من محافظة خنغشان وتدفقن الى معبد الأسلاف حيث احتللن المقاعد هناك وأكلن وشربن ولم يكن أمام الشخصيات المرموقة من زعماء العشيرة الا أن يتركوهن يفعلن ما يحلو لهن . وفى مكان آخر ، حيث أبعد الفلاحون الفقراء عن وليمة

فى المعبد تدفق حشد منهم الى المعبد وأكلوا وشربوا ما شاء لهم بينما لاذ العتاة المحليون والوجهاء الأشرار وغيرهم من السادة ذوى الجلابيب الطويلة بالفرار هلعا . أما السلطان الدينى فقد تزعزع هو الآخر فى كل مكان بتطور حركة الفلاحين . وقد استولت اتحادات الفلاحين فى أماكن كثيرة على معابد الآلهة وجعلتها مكاتب لها . وتدعو الاتحادات فى كل مكان الى تحويل ملكية المعبد للصرف على فتح مدارس للفلاحين والانفاق على الاتحادات ، ويسمى الفلاحون هذا المال بـ « دخل الخرافة العام » . وفى محافظة ليلينغ أصبح حظر ممارسة أعمال الخرافة وتحطيم الأصنام أمرا شائعا . وفى المراكز الشمالية من هذه المحافظة حظر الفلاحون مواكب البخور التى كانت تنظم ارضاء لاله الأمان . وكانت فى معبد الديانة التاوية فى تل فو بو الواقع بالقرب من بلدة لوكو ، أصنام كثيرة ، وعندما كانت هناك حاجة الى مساحة اضافية لاقامة مركز الكومينتانغ الفرعى فى الناحية ، فقد كومت كل هذه الأصنام صغيرها وكبيرها معا فى ركن من الأركان ، ولم يبد الفلاحون أى اعتراض على ذلك . ومنذ ذلك الوقت قلما مورست عادة تقديم القرابين الى الآلهة واقامة الطقوس الدينية وتقديم المصابيح المقدسة لدى موت أحد أفراد العائلة . ولما كان رئيس اتحاد الفلاحين سون شياو شان هو الذى بادر بهذا الحظر ، فقد حقد عليه الرهبان التاويون فى الناحية حقدا عظيما . وفى المركز الثالث شمالى محافظة ليلينغ قام الفلاحون ومدرسو المدرسة الابتدائية بتحطيم الأصنام الخشبية فى دير لونغ فنغ واستخدموا خشبها لطهى اللحم . وقام الفلاحون والتلاميذ معا بحرق أكثر من ٣٠ صنما فى هيكل دونغ فو فى المنطقة الجنوبية من المحافظة ، ولم ينج غير صنمين صغيرين لـ « صاحب السعادة باو » اختطفهما فلاح مسن وهو يقول : « لا ترتكبوا خطيئة ! » وفى الأماكن التى أصبحت فيها سلطة الفلاحين غالبة لم يعد يؤمن بالآلهة غير المسنين من الفلاحين والفلاحات ، أما الفلاحون الشباب والكهول

فقد نبذوا هذا الايمان . ولما كان الفلاحون الشباب والكهول هم الذين يسيطرون على الاتحادات فقد أصبحت حركة الاطاحة بالسلطان الدينى والقضاء على الخرافة سائرة فى كل مكان . أما سلطان الزوج فقد كان على الدوام ضعيفا نسبيا بين الفلاحين الفقراء ، لأن الفلاحات الفقيرات مضطرات لأسباب مالية الى المساهمة فى العمل الجسمانى بقسط أكبر مما لنساء الطبقات الميسورة ، ومن ثم اكتسبن حقا أعظم فى الكلام فى الشؤون العائلية حتى فى اتخاذ القرارات فيها . وفى السنوات الأخيرة زاد الاقتصاد الريفى افلاسا ، الأمر الذى قوض الشرط الأساسى لسيطرة الرجال على النساء . واليوم ، عندما نهضت حركة الفلاحين ، بادرت النساء فى أماكن عديدة الى تنظيم الاتحاد النسائى الريفى ، فقد سنحت لهن الفرصة كى يرفعن رؤوسهن ،وأخذ سلطان الزوج يتزعزع يوما فيوما . وبالاختصار ، فان جميع العقليات والأنظمة القائمة على أساس نظام الأبوة الاقطاعى أخذت تتزعزع مع تعاظم سلطة الفلاحين . ومع ذلك فان الفلاحين يركزون جهودهم فى المرحلة الحاضرة على تحطيم السلطة السياسية لملاك الأراضى . وحيثما تم تحطيم هذه السلطة تحطيما كاملا بدأ الفلاحون فى توجيه الهجوم على مراكز السلطات الثلاث الأخرى – سلطان العشيرة وسلطان الآلهة وسيطرة الذكر على الأنثى . الا أن هذا الهجوم لا يزال الآن فى « بدايته » فقط ، ولا يمكن أن تتم الاطاحة بصورة شاملة بالسلطات الثلاث الا بعد أن ينتصر الفلاحون انتصارا كاملا فى النضال الاقتصادى . وعليه فان مهمتنا الراهنة هى قيادة الفلاحين لتركيز أعظم الجهود فى النضال السياسى حتى تتم الاطاحة تماما بسلطة ملاك الأراضى . ويجب أن يعقب هذا مباشرة النضال الاقتصادى حتى يمكن حل مسألة الأرض وغيرها من المسائل الاقتصادية التى تهم الفلاحين الفقراء حلا نهائيا . أما الغاء نظام العشيرة ، وازالة الخرافة وعدم المساواة بين الرجال والنساء ، فسوف يتم عقب ذلك كنتيجة طبيعية للانتصار فى النضال السياسى والاقتصادى.

واذا بذلت جهود كثيرة لازالة هذه الأشياء عنوة وبدون نضوج الظروف فلا شك أن العتاة المحليين والوجهاء الأشرار سوف يتخذون هذا ذريعة لشن دعاية مناهضة للثورة بهدف تحطيم حركة الفلاحين بالقاء شعارات مثل « اتحاد الفلاحين لا يحترم الأسلاف » ، و« اتحاد الفلاحين يسيء الى الآلهة ويحطم الديانة » و« اتحاد الفلاحين يدعو الى اباحية الزوجات » . وخير شاهد على هذا هو الحوادث الأخيرة التى وقعت فى شيانغشيانغ من مقاطعة خونان وفى يانغشين من مقاطعة خوبى حيث استطاع ملاك الأراضى استغلال معارضة بعض الفلاحين تحطيم الأصنام . ان الفلاحين هم الذين صنعوا الأصنام ، وعندما يحين الوقت فهم الذين سيطرحونها جانبا بأيديهم ، وليست هناك حاجة لأن يؤدى هذا العمل شخص آخر نيابة عنهم وقبل أن تنضج الظروف . ويجب على الشيوعيين أن يتخذوا فى الدعاية حول هذه الأشياء سياسة « شد وتر القوس بدون اطلاق السهم مع الاحتفاظ بهيئة المتحفز . » (٢٤) ان الفلاحين وحدهم هم الذين يقررون القاء الأصنام جانبا ، وهدم المعابد الخاصة بالعذارى الشهيدات والأقواس المقامة للأرامل العفيفات والنساء البارات ، ومن الخطأ أن يقوم أى شخص آخر بهذا العمل نيابة عنهم .

وعندما كنت فى الريف قمت وسط الفلاحين ببعض الدعاية ضد الخرافة . قلت :

« ان من يؤمن بالألفاظ الثمانية(٢٥) يرجو حسن الحظ ، ومن يؤمن بتأثير مواقع القبور (٢٦) يرجو حصول البركة من موقع قبور الأسلاف . وفى الأشهر القلائل الأخيرة أطيح بالعتاة المحليين والوجهاء الأشرار والموظفين الفاسدين جميعا . فهل من المعقول أن حظهم جميعا كان حسنا قبل هذه الأشهر القلائل، وأن مواقع قبور أسلافهم كانت تجلب لهم البركة ، ثم ساء حظهم فجأة فى هذه الأشهر ولم يعد لمواقع قبور أسلافهم أى بركة ؟ ان العتاة المحليين

والوجهاء الأشرار يستهزئون باتحادكم قائلين : " يا للعجب ! لقد أصبح العالم اليوم عالم أعضاء اللجان . انظروا ، لا يمكن للمرء أن يذهب حتى للتبول دون أن يقابل واحدا من أعضاء اللجان ! " هذا صحيح تماما ، ففى المدن والقرى ، فى نقابات العمال واتحادات الفلاحين ، والكومينتانغ ، والحزب الشيوعى ، بلا استثناء ، أعضاء لجان تنفيذية ، حقا أن العالم أصبح عالم أعضاء اللجان . ولكن هل يعزى هذا الى فعل الألفاظ الثمانية وموقع قبور الأسلاف ؟ ومن الصدفة الغريبة حقا أن الألفاظ الثمانية لجميع الفقراء التعسين قد انقلبت فجأة وجلبت لهم حسن الطالع ! كما بدأت قبور أسلافهم فجأة تباركهم ! الآلهة ؟ انهم يستحقون الاحترام والتبجيل . ولكن اذا كان لديكم فقط الاله قوان(٢٧) وآلهة الرحمة ولم تكن لديكم جمعية للفلاحين أكان فى امكانكم اذن أن تطيحوا بالعتاة المحليين والوجهاء الأشرار ؟ ان هؤلاء الآلهة مساكين عاجزون ، لقد عبدتموهم قرونا عديدة ولم يطيحوا لكم بواحد من العتاة المحليين أو الوجهاء الأشرار ! والآن تريدون تخفيض الايجارات ، وأود أن أسألكم ما هو سبيلكم لتحقيق هذا ؟ هل تؤمنون بالآلهة أم بجمعية الفلاحين ؟ »

وقهقه الفلاحون لسماعهم كلماتى هذه .

٨ ـ تعميم الدعاية السياسية

لو افتتحت عشرة آلاف مدرسة للحقوق والعلوم السياسية ، فهل كان بوسعها أن تعمم هذا التثقيف السياسى بين الرجال والنساء والشبان والشيوخ فى كل مكان حتى فى الأصقاع النائية من الريف فى مثل هذا الوقت القصير كما فعلت اتحادات الفلاحين اليوم ؟ لا أعتقد ذلك . ان الشعارات السياسية « تسقط الامبريالية » « يسقط أمراء الحرب » « يسقط الموظفون الفاسدون » « يسقط

العتاة المحليون والوجهاء الأشرار » قد طارت بلا أجنحة ، طارت الى الشباب والكهول والشيوخ والأطفال والنساء فى عدد لا يحصى من القرى ، وتغلغلت فى عقولهم ثم انطلقت تتردد على شفاههم . ولننظر على سبيل المثال الى زمرة من الأطفال يلعبون ، اذا غضب أحدهم على آخر ، وجحظت عيناه وضرب الأرض بقدمه ورفع قبضته مهددا فلا شك أنك سوف تسمعه يصيح صيحة حادة : « تسقط الامبريالية ! »

وفى منطقة شيانغتان عندما يتشاجر الأطفال الذين يرعون البقر يتشبه أحدهم بتانغ شنغ تشى وآخر بيه كاى شين(٢٨) ، وعندما ينهزم أحدهما ويفر هاربا بينما يتعقبه الآخر يصبح المتعقب هو تانغ شنغ تشى بينما الهارب هو يه كاى شين . أما أغنية « تسقط الدول الامبريالية . . . » فيمكن بالطبع لكل طفل فى المدن أن يتغنى بها ، حتى ان عددا كبيرا من أطفال القرى أصبحوا يحفظونها أيضا .

ان بعض الفلاحين يمكنهم أيضا أن يرددوا وصية الدكتور صون يات صن . وقد أخذوا منها عبارات « الحرية » و« المساواة » و« مبادىء الشعب الثلاثة » و« المعاهدات غير المتكافئة » ويطبقونها بصورة آلية نوعا ما فى حياتهم الواقعية اليومية . فاذا صدم شخص يدل مظهره على أنه من الوجهاء ، واحدا من الفلاحين ، ووقف فى طريق الفلاح مترفعا دون أن يفسح له الطريق ، صاح الفلاح فى غضب : « يا لك من عات محلى ! ألا تعرف مبادئ الشعب الثلاثة ؟ » وفى الماضى كان الفلاحون من مزارع الخضار فى ضواحى تشانغشا اذا دخلوا المدينة لبيع محصولهم ، كان رجال الشرطة يعاملونهم بفظاظة . أما الآن فقد وجد الفلاحون سلاحا هو مبادئ الشعب الثلاثة . فاذا ضرب الشرطى فلاحا يبيع خضاره فى السوق ، أو سبه ، رد عليه الفلاح فورا ذاكرا مبادئ الشعب الثلاثة فلا يجد الشرطى ما يقول فيسكت . وذات مرة حصل خصام بين اتحاد الفلاحين

فى أحد مراكز محافظة شيانغتان واتحاد الفلاحين فى احدى نواحيها فهتف رئيس اتحاد الفلاحين الأخير : « تسقط المعاهدات غير المتكافئة لاتحاد الفلاحين فى المركز ! »

ان انتشار الدعاية السياسية فى المناطق الريفية هو انجاز يعزى بأكمله الى الحزب الشيوعى والى اتحادات الفلاحين . وقد أحدثت شعارات ورسوم بسيطة وخطب موجزة أثرا واسعا وسريعا جدا بين الفلاحين حتى ان كلا منهم يبدو وكأنه درس مدة من الزمن فى مدرسة سياسية . وتشير تقارير الرفاق الذين يقومون بالعمل فى الريف الى أن الدعاية السياسية جرت بصورة واسعة أيام الاجتماعات الجماهيرية الثلاثة ، المظاهرة المعادية لبريطانيا ، والاحتفال بثورة أكتوبر (تشرين الأول) ، والاحتفال العظيم بانتصار الحملة الشمالية . فقد كانت الدعاية السياسية فى هذه المناسبات واسعة الانتشار حيثما كانت توجد اتحادات فلاحية مما استنهض كل الريف وحقق نتائج عظيمة . ويجب من الآن فصاعدا الاهتمام باستغلال كل فرصة لاغناء محتوى هذه الشعارات البسيطة وتوضيح معناها بالتدريج .

٩ ــ محظورات الفلاحين

عندما وطد اتحاد الفلاحين بقيادة الحزب الشيوعى سلطته فى الريف بدأ الفلاحون بتحريم الأشياء التى لا يحبونها ، أو بفرض القيود عليها . وألعاب القمار واحتراف المقامرة وتدخين الأفيون هى الأشياء الثلاثة المحرمة تحريما أشد من غيرها .

ألعاب القمار : لقد حرمت فى الأماكن التى يتمتع فيها اتحاد الفلاحين بالقوة لعبة ماه ــ جونغ والدومينو وألعاب الورق ، تحريما تاما .

وقد أحرق اتحاد الفلاحين فى المركز الرابع عشر من محافظة شيانغشيانغ سلتين مليئتين بقطع لعبة ماه – جونغ .

واذا ذهب المرء الى الريف الآن فسوف لا يجد أى نوع من ألعاب القمار هذه . ومن يخالف أمر التحريم يعاقب على الفور بصورة حازمة .

احتراف المقامرة : أصبح « المقامرون المحترفون » الآن يقومون بأنفسهم بحظر المقامرة . ومثلما قضى على ألعاب القمار فقد تم القضاء كذلك على احتراف المقامرة فى الأماكن التى تتمتع اتحادات الفلاحين فيها بالقوة .

تدخين الأفيون : حرم هذا بصرامة شديدة . وعندما تأمر اتحادات الفلاحين بتسليم غلايين تدخين الأفيون لا يجرؤ أى أحد على ابداء أدنى اعتراض . وفى محافظة ليلينغ رفض أحد الوجهاء الأشرار تسليم غليونه ، فاعتقل وطاف به الفلاحون عبر القرى .

ان حملة الفلاحين لـ « تجريد مدمنى الأفيون من سلاحهم – غلايينهم » ليست أقل شدة من تجريد جنود وو بى فو ، وسون تشوان فانغ (٢٩) من سلاحهم بواسطة جيش الحملة الشمالية . وقد تم تجريد الشيوخ الوقورين فى كثير من عائلات الضباط فى الجيش الثورى ، ممن لا يستطيعون الحياة بدون تدخين الأفيون ، من « سلاحهم » ، بواسطة « الأباطرة » (أى الفلاحين كما يسميهم الوجهاء الأشرار تهكما بهم) . ولم يحرم « الأباطرة » زرع الأفيون وتدخينه وحسب ، بل حرموا نقله أيضا . وقد تم الاستيلاء على كميات كبيرة من الأفيون كان يجرى نقلها من قويتشو الى جيانغشى عبر محافظات باوتشينغ وشيانغشيانغ ويوشيان وليلينغ ، وتم احراقها ، الأمر الذى أثر على دخل الحكومة. وأخيرا أمر اتحاد الفلاحين فى المقاطعة ، اعتبارا لحاجة جيش الحملة الشمالية الى المال ، أمر الاتحادات فى المستويات الدنيا بـ « تعطيل تنفيذ أمر حظر النقل موقتا » . وقد أثار هذا العمل استياء الفلاحين وتذمرهم .

وعدا هذه الأشياء الثلاثة ، هناك أشياء كثيرة حرمها الفلاحون أو فرضوا عليها القيود ، وفيما يلى بعض الأمثلة :

طبل الزهور . وهو نوع من التمثيل المسرحى المبتذل ، وقد حرم فى أماكن عديدة .

المحفات . فى عدد كبير من المحافظات ولا سيما فى شيانغشيانغ ، وقعت حوادث تحطيم المحفات . ان الفلاحين يحقدون حقدا بالغا على الذين يستعملون المحفات ، فهم تواقون دائما الى تحطيمها ، الا أن اتحاد الفلاحين يمنعهم من هذا . ويقول رجال الاتحادات للفلاحين : « اذا حطمتم المحفات فلن يؤدى ذلك الا الى توفير أموال الأغنياء وفقدان الحمالين لعملهم . ألا يضر هذا بمصلحة جماعتنا ؟ » ولما أدرك الفلاحون ما يعنيه الاتحاد لجأوا الى تكتيك جديد هو زيادة أجرة الحمالين زيادة كبيرة كعقوبة تفرض على الأغنياء .

صناعة الخمر والسكر . لقد حرم تماما استخدام الأرز لتقطير الخمور وصناعة السكر ، فضج مقطرو الخمر وصانعو السكر بالشكوى . وفى بلدة فوتيانبو من محافظة خنغشان لم يحرم التقطير ، الا أن سعر الخمر قد خفض الى درجة بعيدة ، ولما أدرك الخمارون أنه ما من ربح يجنى من عملهم فقد اضطروا الى وقف تقطير الخمر .

الخنازير . أصبح عدد الخنازير التى تمتلكها كل عائلة محددا لأن الخنازير تستهلك الأرز .

الدجاج والبط . لقد منعت تربية الدجاج والبط فى محافظة شيانغشيانغ الا أن النساء يعارضن هذا . وفى محافظة خنغشان يسمح لكل عائلة فى يانغتانغ بتربية ثلاثة طيور فقط وفى فوتيانبو بخمسة . وقد حرمت تماما تربية البط فى عدد كبير من الأماكن ، نظرا لأن البط أسوأ من الدجاج ، اذ أنه لا يستهلك حبوب الأرز وحسب ، بل يتلف أيضا شتلات الأرز .

الولائم . لقد حرمت الولائم الفاخرة عموما . وقد تقرر فى بلدة شاوشان من محافظة شيانغتان أن تقدم فقط ثلاثة أنواع من لحوم الحيوان للضيوف ، هى الدجاج والسمك ولحم الخنزير . وحرم تقديم براعم البامبو وحشائش البحر وشعرية المادة النشوية . أما فى محافظة خنغشان فقد تقرر تقديم ما لا يزيد على ثمانية صحون من الطعام فى كل وليمة . وفى المركز الشرقى الثالث فى محافظة ليلينغ يسمح فقط بتقديم خمسة صحون ، وفى المركز الشمالى الثانى يسمح بتقديم ثلاثة صحون من اللحم وثلاثة صحون من الخضر ، وفى المركز الغربى الثالث حرمت ولائم رأس السنة القمرية . وقد طبق حظر « ولائم محشيات البيض » فى محافظة شيانغشيانغ وهى ليست من الولائم الفاخرة . وعندما لاحظ الفلاحون فى المركز الثانى من شيانغشيانغ أن احدى العائلات قد نقضت هذا الحظر بأن أقامت وليمة من ولائم «محشيات البيض» بمناسبة عرس أحد أبنائها ، اندفعوا الى البيت وقضوا على الحفل . أما فى بلدة جيامو من محافظة شيانغشيانغ فقد امتنع الناس عن أكل الطعام الفاخر وأصبحوا يقدمون الفاكهة فقط قربانا للأسلاف .

الثيران . تعتبر الثيران كنزا لدى الفلاحين . وقد أصبح قول الفلاحين : « من ذبح ثورا فى حياته تحول هو الى ثور فى الحياة الأخرى » بمثابة التعليم الدينى ، ولهذا لا يجوز ذبح الثيران أبدا . وقد كان الفلاحون قبل احرازهم السلطة لا يملكون القوة على تحريم ذبح الثيران ، فلم يكن فى وسعهم الا أن يلجأوا الى الخرافات الدينية لمعارضة ذبحها . الا أنهم منذ قيام اتحادات الفلاحين قد امتدت سلطتهم حتى شملت الثيران فحرموا ذبحها فى المدن . وقد أوصدت حتى الآن أبواب خمسة من ستة دكاكين للجزارين فى مدينة شيانغتان وأصبح الدكان الباقى يذبح فقط الثيران المريضة أو العاجزة . وقد أصبح ذبح الثيران محرما فى كل محافظة خنغشان . وعندما انكسرت ساق ثور يملكه أحد الفلاحين استشار

اتحاد الفلاحين قبل أن يجرؤ على ذبحه . وعندما تسرعت الغرفة التجارية فى تشوتشو بذبح بقرة جاء الفلاحون الى المدينة واحتجوا على هذا العمل ، وبعد أن دفعت الغرفة التجارية غرامة على فعلها أطلقت المفرقعات دليلا على الاعتذار عن ذلك الفعل .

حياة التشرد . اتخذ فى ليلينغ قرار يحرم سؤال الناس عن طريق الطواف فى البيوت وتهنئة أصحابها بحلول الربيع أو بزكى الناس بعبارات من المديح أو الترنيم بأناشيد زهر اللوتس ، وهى أعمال كان يمارسها المتشردون . وحرمت هذه الأعمال فى محافظات أخرى عديدة ، أو اختفت من تلقاء نفسها ولم يعد أحد من الناس يمارسها . وكان هناك عدد من « العتاة المتسولين » ، ويسمون أيضا « الصعاليك » ، الذين كانوا متشبعين بروح الشر ، أما الآن فلم يعد أمامهم سبيل الا الخضوع لاتحادات الفلاحين . وكان الصعاليك فى شاوشان من محافظة شيانغتان يستخدمون معبد اله المطر ملجأ لهم ، وكانوا جسورين لا يخشون أحدا ، فلما قامت اتحادات الفلاحين هجروا المعبد فى هدوء . وقد ألقى اتحاد الفلاحين فى ناحية خودى بشاوشان القبض على ثلاثة من هؤلاء المتشردين وألزمهم بنقل الطين لأفران الطوب . كما اتخذت قرارات تحرم عادات البذخ وتقديم الهدايا وتبادل الزيارات فى رأس السنة .

والى جانب هذه ، هناك محظورات صغيرة عديدة فى مختلف الأماكن ، ففى ليلينغ مثلا حرمت مواكب البخور لارضاء اله الأمان ، والمهاداة بالفواكه والحلويات ، وحرق الجلابيب الورقية أثناء مهرجان الأرواح ، ولصق رسوم التبرك والتفاؤل فى رأس السنة . وحرم فى قوشوى بمحافظة شيانغشيانغ حتى تدخين النارجيلة . وحرم فى المركز الثانى من نفس المحافظة اطلاق المفرقعات والعيارات النارية ، ويغرم من يطلق المفرقعات مبلغ يوان وعشرين فنا ، ومن يطلق العيارات مبلغ ٢ يوان وأربعين فنا . كما حرمت فى المركز السابع والمركز العشرين اقامة

الطقوس الدينية للموتى . وحرم فى المركز الثامن عشر تقديم الهدايا النقدية لعائلات الموتى . وأمثال هذه المحظورات لا يمكن حصرها ، ويمكن عموما أن تسمى بمحظورات الفلاحين .

ولهذا الحظر مغزيان مهمان : الأول أن هذا الحظر يشكل ثورة ضد العادات الاجتماعية السيئة مثل ألعاب القمار واحتراف المقامرة وتدخين الأفيون . وقد ولدت هذه العادات نتيجة الجو السياسى المتعفن لدى طبقة ملاك الأراضى ، وقد قضى على هذه العادات حالما تمت الاطاحة بسلطة هذه الطبقة . والثانى أن هذا الحظر شكل من أشكال الدفاع عن النفس ضد استغلال تجار المدن ، مثل حظر الولائم والمهاداة بالفواكه والحلويات . ولما كانت أسعار البضائع الصناعية غالية جدا والمنتوجات الزراعية رخيصة الى أبعد الحدود ، مما نتج عنه فقر الفلاحين المدقع واستغلالهم بلا شفقة أو رحمة من قبل التجار ، لم يكن للفلاحين بد من أن يعملوا على تشجيع الاقتصاد فى النفقة حماية لأنفسهم . أما الحظر الذى فرضه الفلاحون على ارسال الأرز الى خارج المنطقة ، كما ذكرنا سابقا ، فالغرض منه الحيلولة دون ارتفاع سعره لأن الفلاحين الفقراء ليس لديهم ما يكفى لاطعام أنفسهم مما يضطرهم الى شراء الأرز من السوق . والسبب فى كل هذا هو فقر الفلاحين والتناقض بين المدينة والريف . وليس الأمر راجعا الى أن الفلاحين يرفضون البضائع الصناعية أو التجارة بين المدينة والريف عملا بما يسمى بنظرية الحضارة الشرقية(٣٠) . ومن الضرورى للفلاحين ، حماية لأنفسهم من الناحية الاقتصادية ، أن ينظموا لأنفسهم تعاونيات للاستهلاك تسهل عليهم شراء البضائع بالجملة . وعلى الحكومة أن تقدم المساعدة الى اتحادات الفلاحين حتى تستطيع اقامة جمعيات تعاونية للتسليف . واذا ما تمت هذه الأشياء فلا داعى للفلاحين بطبيعة الحال أن يحظروا ارسال الأرز خارج المنطقة كاجراء لمنع ارتفاع سعره ، كما أنهم لن يلجأوا الى حظر ادخال بضائع

صناعية معينة الى الريف كاجراء يدافعون به عن أنفسهم من الناحية الاقتصادية .

١٠ ـ القضاء على اللصوص وقطاع الطرق

أعتقد أنه ما من حاكم منذ عهد الملوك يو ، تانغ ، وين ، وو ، الى عهد أباطرة أسرة تشينغ ورؤساء الجمهورية ، قد أظهر قوة بأس فى القضاء على اللصوص وقطاع الطرق مثلما تفعل اتحادات الفلاحين اليوم . فحيثما كانت اتحادات الفلاحين قوية لم يعد هناك أثر لهؤلاء . ومما يدهش له حقا أن اللصوص الذين كانوا يسرقون الخضار قد اختفوا أيضا فى أماكن كثيرة . الا أنه لم يزل هناك فى بعض الأماكن بعض السراق . أما قطاع الطرق فقد اختفى أثرهم تماما فى المحافظات التى زرتها ، حتى فى المناطق التى كانت نهبا لقطاع الطرق فى الماضى . والأسباب فى ذلك ما يلى : أولا ، أصبح أعضاء اتحادات الفلاحين ينتشرون فوق التلال وفى الأودية مسلحين بالرماح والهراوات اذا أطلق أحدهم الانذار انطلق مئات منهم للعمل ، وبذلك لم يعد لقطاع الطرق مكان يختبئون فيه . ثانيا ، قد انخفض سعر الأرز منذ قيام حركة الفلاحين . وبينما كان سعر الدان(٣١) ستة يوانات فى الربيع الماضى قد انخفض الى يوانين فقط فى الشتاء الماضى ، وأصبحت مشكلة الطعام أقل حدة بالنسبة للشعب . ثالثا ، لقد انضم أعضاء الجمعيات السرية(٣٢) الى اتحادات الفلاحين حيث يستطيعون أن يقوموا بأعمال البطولة وينفسوا عن حقدهم علنا وبصورة مشروعة ، ولم يعد هناك مبرر لبقاء جمعيات سرية مثل المنظمات « الجبلية » و« الكوخية » و« الضريحية » و« النهرية »(٣٣) . وقد شفوا غليلهم تماما من طبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار الذين كانوا يضطهدونهم بأن ذبحوا خنازيرهم وخرافهم وفرضوا عليهم الغرامات الفادحة والعقوبات الصارمة . رابعا ، أصبحت الجيوش

تجند أعدادا كبيرة من الجنود وقد تجند كثير من « العصاة » . وهكذا انتهى شر اللصوص وقطاع الطرق بقيام حركة الفلاحين . وحتى الوجهاء والأغنياء ، فيما يتعلق بهذه النقطة ، يحبذون عمل اتحادات الفلاحين . انهم يعلقون على ذلك قائلين : « اتحادات الفلاحين ؟ انها والحق يقال لا تخلو من بعض الفائدة.»

لقد كسبت اتحادات الفلاحين مساندة عامة بحظرها ألعاب القمار واحتراف المقامرة وتدخين الأفيون والقضاء على اللصوص وقطاع الطرق .

١١ ـ القضاء على الضرائب الفاحشة

نظرا لأن البلاد لم تتوحد بعد ولم تتم الاطاحة بسلطة الامبرياليين وأمراء الحرب فلا يوجد سبيل حتى الآن لازاحة عبء الضرائب والجبايات الحكومية الثقيل الواقع على أكتاف الفلاحين ، وبعبارة أوضح ، ازاحة عبء نفقات الجيش الثورى . ولكن الجبايات الباهظة التى كان يفرضها العتاة المحليون والوجهاء الأشرار على الفلاحين أيام سيطرتهم على السلطة فى الريف ، مثل ضريبة الأرض بمعدل المو الواحد قد ألغيت أو خفضت على الأقل بعد نهضة حركة الفلاحين وسقوط العتاة المحليين والوجهاء الأشرار . ويمكن اضافة هذا أيضا الى منجزات اتحادات الفلاحين .

١٢ ـ حركة التعليم

كان التعليم فى الصين قاصرا دائما على ملاك الأراضى ولم يكن للفلاحين سبيل اليه . الا أن ثقافة الملاك هى من خلق الفلاحين ، اذ أن مصدرها ليس سوى العرق والدماء التى يمتصونها من الفلاحين . ان ٩٠ فى المائة من السكان

فى الصين غير متعلمين والأغلبية الساحقة من هؤلاء فلاحون . وحالما تمت الاطاحة بسلطة الملاك فى المناطق الريفية بدأت حركة الفلاحين الثقافية . وها هم الفلاحون الذين كانوا يبغضون المدارس أصبحوا الآن ينشئون مدارس ليلية بحماس . انهم دائما ما يكرهون « المدارس الأجنبية الطراز » . وعندما كنت طالبا وعدت الى قريتى ورأيت الفلاحين يعارضون « المدارس الأجنبية الطراز » كنت أقف موقف سائر « الطلاب والمعلمين من الطراز الأجنبى » وأدافع عنها ، وكنت أشعر دائما بأن الفلاحين كانوا مخطئين نوعا ما . ولم أدرك خطأ موقفى هذا وصحة موقف الفلاحين الا فى عام ١٩٢٥ عندما عشت بالريف ستة أشهر ، وكنت قد أصبحت شيوعيا وتزودت بوجهة النظر الماركسية . لقد كانت الكتب المدرسية التى تستخدم فى المدارس الابتدائية الريفية تعنى كلها بأشياء خاصة بالمدن ولا تلائم حاجيات الريف . والى جانب هذا كان موقف المعلمين فى المدارس الابتدائية تجاه الفلاحين سيئا جدا ، وبدلا من أن يكونوا عونا للفلاحين كانوا مبغوضين من قبلهم . ولهذا كان الفلاحون يفضلون الكتاتيب (كانوا يسمونها بالمدارس الصينية) على المدارس الحديثة (كانوا يسمونها بالمدارس الأجنبية الطراز) ، كما كانوا يفضلون معلمى الكتاتيب على معلمى المدارس الابتدائية . أما الآن فقد أخذ الفلاحون فى انشاء مدارسهم الليلية بحماس وسموها مدارس الفلاحين . وقد افتتح بعضها وبعضها يجرى تنظيمه . وتوجد بالمتوسط الآن مدرسة واحدة فى كل ناحية . والفلاحون متحمسون جدا لتأسيس هذه المدارس ، ويعتبرونها وحدها ، لا مدارس سواها ، مدارسهم الحقيقية . وما يصرف على المدارس الليلية من مال يأتى من « دخل الخرافة العام » ، ومن أموال معابد الأسلاف ، ومما شابه من الأموال والممتلكات العامة الأخرى التى لم يكن يستفاد منها مطلقا . وكانت ادارة التعليم فى المحافظات تريد استخدام هذه الأموال العامة لتأسيس مدارس وطنية أى « المدارس الأجنبية

الطراز » التى لا تلائم حاجة الفلاحين ، وكان رأى الفلاحين هو أن تستخدم هذه الأموال لتأسيس مدارس فلاحية ، وكانت نتيجة النزاع أن كلا من الجانبين حصل على بعض المال ، وفى بعض المناطق حصل الفلاحون وحدهم على المال . لقد نتج عن تطور حركة الفلاحين ارتفاع سريع فى مستواهم الثقافى . ولا بد أن تظهر بعد وقت ليس ببعيد عشرات الآلاف من المدارس فى القرى فى أنحاء المقاطعة . وهذا يختلف تماما عن الحديث الفارغ حول « تعميم التعليم » الذى يثرثر به المثقفون ومن يسمون بـ « المربين » والذى ما زال حتى الآن ألفاظا جوفاء .

١٣ ـ الحركة التعاونية

ان الفلاحين فعلا بحاجة الى تعاونيات ولا سيما الى تعاونيات الاستهلاك والبيع والتسليف . اذ أن التجار يستغلونهم عندما يشترون البضائع ، وينقصون أسعار سلع الفلاحين عندما يبيع هؤلاء منتجاتهم الزراعية ، وعندما يستلفون النقود أو الأرز يستغلهم المرابون بالربا الفاحش ، والفلاحون يتحرقون شوقا لايجاد حل لهذه المسائل الثلاث . وعندما كان القتال دائرا فى وادى نهر اليانغتسى فى الشتاء الماضى وانقطعت طرق التجارة وارتفع سعر الملح فى خونان نظم عدد كبير من الفلاحين تعاونيات لشراء الملح . وعندما عمد الملاك الى « وقف الاقراض » جرت محاولات كثيرة من قبل الفلاحين لتنظيم « وكالات للتسليف » لأنهم كانوا بحاجة الى استلاف المال . والمشكلة الكبرى هى عدم وجود لائحة مفصلة وصالحة لتنظيم التعاونيات . ونظرا لأن كثيرا من التعاونيات التى نظمها الفلاحون فى أماكن مختلفة بصورة تلقائية ليست متمشية مع مبادئ التعاون فان الرفاق الذين يعملون بين الفلاحين يستفهمون بلهفة دائما عن « لائحة

للتنظيم » . فاذا ما كفلنا الارشاد الصحيح فان حركة التعاون يمكن أن تتسع فى كل مكان جنبا الى جنب مع نمو اتحادات الفلاحين .

١٤ ـ بناء الطرق واصلاح السدود والأحواض

وهذا أيضا من منجزات اتحادات الفلاحين . فقد كانت الطرق فى الريف قبل قيام اتحادات الفلاحين رديئة جدا . ولما كانت الطرق لا يمكن اصلاحها بدون المال ولم يكن الأثرياء راغبين فى الدفع ، فقد تركت فى حالة سيئة . وان كانت هناك اصلاحات فانها تتم كعمل من أعمال الاحسان ، حيث تجمع مبالغ قليلة من المال من العوائل التى « ترجو الجزاء فى العالم الآخر » ، وتبنى بها طرق ضيقة معبدة بصورة سيئة . ولما قامت اتحادات الفلاحين أصدرت أوامر ببناء الطرق وحددت العرض المطلوب لكل طريق سواء كان ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو عشر أقدام تبعا للحاجة ، وأمرت كل مالك يقع منزله فى الناحية التى يمر بها طريق من الطرق ببناء جزء منه . فاذا صدر الأمر فمن ذا يجرؤ على المخالفة ؟ وقد ظهرت فى فترة قصيرة طرق جيدة عديدة . ولكن هذا ليس عملا من قبيل الاحسان بل هو نتيجة الاجبار ، واجبار بسيط من هذا النوع ليس أمرا سيئا على الاطلاق . وينطبق نفس الشيء على السدود والأحواض. فقد كان ملاك الأراضى القساة القلوب دائما ما يبتزون من الفلاحين المستأجرين كل ما يستطيعون ابتزازه ، ولكنهم يأبون صرف دراهم قليلة لاصلاح السدود والأحواض فكانوا يتركون الأحواض تجف والمستأجرين يموتون جوعا ولا يهمهم شيء آخر غير الايجار . أما وقد وجدت اتحادات الفلاحين الآن فيمكن توجيه الأمر بلا مواربة للمالك لاجباره على اصلاح السدود والأحواض . فاذا رفض ذلك ، خاطبه الاتحاد بأدب : « حسنا ! اذا رفضت اصلاح السد فقدم الأرز بمعدل

دو(٣٤) واحد لكل يوم عمل ! » ولما كانت هذه المساومة ليست فى مصلحته فانه يسارع بالاصلاح بنفسه . وبالتالى أصلح كثير من السدود والأحواض التى تتطلب الاصلاح وأصبحت جيدة .

ان كل الأربعة عشر عملا التى سبق ذكرها قد أنجزها الفلاحون بقيادة اتحاداتهم . فهل يتكرم القارئ بأن يفكر مليا ويقول لى أيها لم يكن عملا حسنا من حيث الروح الأساسية ومن حيث المغزى الثورى ؟ وأعتقد أن العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وحدهم هم الذين يصفون هذه الأعمال بالسوء ! ومن الغريب حقا أنه بلغنا من نانتشانغ(٣٥) أن تشيانغ كاى شيك وتشانغ جينغ جيانغ(٣٦) وسادة آخرين لا يوافقون مطلقا على نشاطات فلاحى خونان هذه . ويشاطرهم هذا الرأى أمثال ليو يويه تشى(٣٧) أحد القادة اليمينيين فى خونان ويقولون : « لقد أصبحوا حمرا ! » وأنا أرى أنه لن تكون هناك ثورة وطنية بدون هذا القدر القليل من الحمرة ! واذا كان الانسان يتحدث حول « استنهاض الجماهير الشعبية » كل يوم ، ثم يخاف خوف الموت عندما تنهض الجماهير فعلا ، فأى فرق يكون بين حاله وحال ولع الأمير شه بالتنين(٣٨) !

ملاحظات

(١) كانت مقاطعة خونان يومذاك مركز حركة الفلاحين فى الصين .

(٢) كان تشاو خنغ تى حاكم خونان آنذاك عميلا لأمراء الحرب الشماليين . وقد أطاح جيش الحملة الشمالية بحكمه فى عام ١٩٢٦ .

(٣) كانت الصين تستخدم العملة الفضية فى تلك الأيام ، وكان « اليوان » ، وهو يساوى مائة فن ، يحتوى على نحو ٢٤ غراما من الفضة الصافية – المعرب .

(٤) كانت ثورة ١٩١١ ثورة أطاحت بحكومة أسرة تشينغ الاستبدادية . ففى ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) من ذلك العام قام قسم من جيش أسرة تشينغ الجديد بانتفاضة فى مدينة ووتشانغ بتحريض من الجماعات الثورية للبرجوازية والبرجوازية

الصغيرة يومذاك ، وأعقبت ذلك انتفاضات قامت فى مقاطعات أخرى فانهار حكم أسرة تشينغ سريعا . وفى أول يناير (كانون الثانى) ١٩١٢ تشكلت الحكومة الموقتة لجمهورية الصين فى نانكين وانتخب صون يات صن رئيسا موقتا للجمهورية . وقد انتصرت هذه الثورة بفضل التحالف بين البرجوازية والفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة فى المدن . ولكن الجماعات التى قادت تلك الثورة كانت تميل بطبيعتها الى المهادنة فلم تمنح الفلاحين أى منافع حقيقية ، وبدلا عن ذلك خضعت لضغط الامبريالية والقوى الاقطاعية مما أدى الى وقوع السلطة السياسية فى يد أمير الحرب الشمالى يوان شى كاى ، وبسبب ذلك فشلت الثورة نهائيا .

(٥) « تجاوز حد الصواب فى اصلاح الخطأ » قول صينى مأثور . وكثيرا ما استخدم هذا القول ، فيما مضى ، بغرض الحد من نشاط الناس ، بحيث يسمح لهم فقط بالنشاط فى حدود ادخال اصلاحات على النظام القديم ، وتحظر عليهم النشاطات الهادفة الى تحطيم النظام القديم بأكمله . وكانت النشاطات التى تتم فى حدود ادخال اصلاحات على النظام القديم تسمى نشاطات فى « حد الصواب » ، والتى تهدف الى تحطيم النظام القديم توصف بأنها « تجاوزت حد الصواب » . وهذه النظرية بالذات هى نظرية الاصلاحيين ونظرية الانتهازيين فى الصفوف الثورية . وقد فند الرفيق ماو تسى تونغ هنا نظرية الاصلاحيين هذه . فحينما يقول : « من أجل اصلاح الخطأ لا بد من تجاوز حد الصواب ، والا لما أمكن اصلاح الخطأ » ، فانما يقصد أن الأسلوب الثورى الجماهيرى ، لا الأسلوب التصحيحى – الاصلاحى ، هو الذى يجب استخدامه للقضاء على النظام الاقطاعى القديم .

(٦) كانت الناحية أصغر وحدة فى التقسيمات الادارية للصين فى ذلك العهد ، وهى مؤلفة من عدد من القرى – المعرب .

(٧) بما أن حقيقة تشيانغ كاى شيك لم تكن قد انكشفت تماما ، بصفته مناهضا للثورة ، عندما تقدم جيش الحملة الشمالية الى وادى نهر اليانغتسى فى شتاء ١٩٢٦ وربيع ١٩٢٧ ، فقد كانت جماهير الفلاحين لا تزال تعتقد بأنه ثورى . أما ملاك الأراضى والفلاحون الأغنياء فكانوا لا يرضون عنه ، وأشاعوا أن جيش الحملة الشمالية قد منى بالهزيمة وأن تشيانغ كاى شيك جرح فى ساقه . وقد انكشفت حقيقة تشيانغ كاى شيك تماما بصفته مناهضا للثورة فى ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ عندما نظم انقلابه المعادى للثورة فى شانغهاى وغيرها ، وقام بتقتيل العمال وكبت الفلاحين وهاجم الحزب الشيوعى . ومن ذلك اليوم غير الملاك والفلاحون الأغنياء موقفهم تجاهه

وبدأوا يؤيدونه .

(٨) كانت قوانغدونغ هى القاعدة الثورية الأولى فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى (١٩٢٤ - ١٩٢٧) .

(٩) كان وو بى فو من مشاهير أمراء الحرب الشماليين ، ينتسب هو وتساو كون الذى اشتهر بسوء سمعته فى كسب انتخابات رئاسة الجمهورية فى عام ١٩٢٣ عن طريق رشو أعضاء البرلمان ، الى فريق مقاطعة تشيلى من فرق أمراء الحرب الشماليين ، وقد أيد تساوكون كزعيم له وكان يشار اليهما معا بـ« تساو- وو» . ومنذ عام ١٩٢٠، بعد أن هزم دوان تشيى روى أحد أمراء الحرب من فريق آنخوى، سيطر وو بى فو على حكومة أمراء الحرب الشماليين في بكين بصفته عميلا للامبريالية الانجلو أمريكية. وهو الذى دبر مذبحة ٧ فبراير (شباط) ١٩٢٣ التى قتل فيها عدد كبير من العمال المضربين على خط حديد بكين - هانكو . وقد انهزم فى عام ١٩٢٤ فى الحرب ضد تشانغ تسوه لين ، المعروفة عموما بـ« الحرب بين فريق تشيلى وفريق فنغتيان » (فنغتيان هو الاسم القديم لمقاطعة لياونينغ - المعرب) ،فضاعت من يده سلطة بكين . ولكنه عاد الى السلطة فى عام ١٩٢٦ حين تصالح مع تشانغ تسوه لين بتحريض من الامبرياليين اليابانيين والبريطانيين . وعندما زحف جيش الحملة الشمالية من قوانغدونغ وسار متجها نحو الشمال فى عام ١٩٢٦ كان هو أول عدو تمت الاطاحة به .

(١٠) مبادئ الشعب الثلاثة هى المبادئ والبرنامج التى وضعها صون يات صن للثورة الديمقراطية البرجوازية فى الصين حول مسألة الوطنية والديمقراطية ورفاهية الشعب . وفى عام ١٩٢٤ أعاد صون يات صن تفسير مبادئ الشعب الثلاثة فى « بيان المؤتمر الوطنى الأول للكومينتانغ » ، فأوضح مبدأ الوطنية بأنها مناهضة الامبريالية ، ووعد بتقديم العون النشط لحركات العمال والفلاحين ، وهكذا تطورت مبادئ الشعب الثلاثة القديمة فأصبحت جديدة تتضمن السياسات الكبرى الثلاث : التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الحزب الشيوعى ، وتقديم المساعدة الى الفلاحين والعمال . وقد كانت مبادئ الشعب الثلاثة الجديدة هذه التى تتضمن السياسات الكبرى الثلاث أساسا سياسيا للتعاون بين الحزب الشيوعى والكومينتانغ خلال مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى . انظر القسم العاشر من مقالة « حول الديمقراطية الجديدة » الواردة فى المجلد الثانى من المؤلفات المختارة .

(١١) ان معنى كلمة « عاش » فى اللغة الصينية هو بالحرف الواحد : عشرة آلاف سنة ، وكانت هذه الكلمة لقب الامبراطور فى عهود الصين الاقطاعية . وقد فقد هذه الكلمة

مدلولها هذا فى العصر الحاضر وأصبحت تستعمل للتهليل و التهنئة – المعرب .

(١٢) ماكان يجب السماح للفلاحين الأغنياء بالانضمام لاتحادات الفلاحين . ولم تكن جماهير الفلاحين تفهم هذه النقطة فى عام ١٩٢٧ .

(١٣) كان « الون » وحدة من العملة النحاسية ، وكان كل فن يساوى عددا من الونات يختلف باختلاف المناطق وباختلاف الأيام فى المنطقة الواحدة – المعرب .

(١٤) يقصد الرفيق ماو تسى تونغ بـ « الفقراء المعدمين تماما » هنا الفلاحين الأجراء (بروليتاريا الريف) والبروليتاريا المتشردة فى الريف .

(١٥) يقصد أشباه بروليتاريا الريف .

(١٦) يقصد مراكز حزب الكومينتانغ الفرعية في المحافظات .

(١٧) يوان تسو مينغ ، أحد أمراء الحرب من مقاطعة قويتشو ، كان يسيطر على الجزء الغربى من خونان .

(١٨) كان الفلاح مستأجر الأرض يقدم عموما الى مالك الأراضى رهينة اما نقدية أو عينية كشرط يفرضه المالك قبل أن يؤجر الأرض للفلاح . وبالرغم من أن هذه الرهينة كانت ضمانا لتسديد الفلاح للايجار الا أنها كانت فى الحقيقة تشكل نوعا من الاستغلال الزائد – المعرب .

(١٩) فى خونان تقابل كلمة « الدو » كلمة « المركز » ، وكلمة « التوان » كلمة « الناحية » . وكانت أجهزة السلطة السياسية القديمة فى الدو والتوان أداة فى أيدى ملاك الأراضى للتحكم على الفلاحين .

(٢٠) يساوى « المو » ١/١٥ من الهكتار وكانت ضريبة الأرض بمعدل المو الواحد ضريبة اضافية فوق ضريبة الأرض النظامية يفرضها نظام العتاة والوجهاء على الفلاحين امعانا فى استغلالهم .

(٢١) كان رئيس القوة الحربية فى كل مقاطعة ، المعين من قبل سلطة أمراء الحرب الشماليين يسمى بـ « حاكم المقاطعة العسكرى » . وكان بالفعل ديكتاتورا على المقاطعة يجمع فى يده سلطة الادارة والسلطة العسكرية فيها . وكان كل حاكم عسكرى بالتواطؤ مع الامبرياليين يحافظ على نظام اقطاعى عسكرى انفصالى فى مقاطعته .

(٢٢) كانت « الفصائل العاملة للميليشيا المجندة من كل عائلة » نوعا من القوات المسلحة فى الريف يومذاك . وسميت « المجندة من كل عائلة » لأن كل عائلة تقريبا كانت تقدم أحد أفرادها للانضمام اليها . وبعد هزيمة الثورة فى عام ١٩٢٧ سيطر ملاك الأراضى فى أماكن كثيرة على هذه الميليشيا وحولوها الى قوة مسلحة معادية للثورة .

(٢٣) فى ذلك الوقت كان عدد كبير من مراكز الكومينتانغ الفرعية فى المحافظات ، تحت قيادة اللجنة التنفيذية المركزية للكومينتانغ فى ووهان ، منظمات تطبق السياسات الكبرى الثلاث للدكتور صون يات صن : التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الحزب الشيوعى ، وتقديم المساعدة الى الفلاحين والعمال ، وكانت تمثل التحالف الثورى للشيوعيين والجناح اليسارى من الكومينتانغ وسائر العناصر الثورية .

(٢٤) هذه العبارة مأخوذة من كتاب « منسيوس » ، وتصف كيف أن المدرب الماهر فى الرماية يشد وتر قوسه ويحافظ على هيئة من يهم باطلاق السهم الا أنه لا يطلقه . والمقصود من هذه الاستعارة أنه يجدر بالشيوعيين أن يوجهوا الفلاحين لبلوغ قدر كامل من الوعى السياسى ، وأن يتركوهم ينبذون الخرافة وسائر العادات والتقاليد السيئة بمحض ارادتهم ، بدلا من أن يأمروا بنبذها نيابة عن الفلاحين .

(٢٥) كانت الألفاظ الثمانية طريقة خرافية لمعرفة الحظ فى الصين القديمة ، وأساسها معرفة السنة المعينة التى ولد فيها الشخص والتى يرمز اليها بلفظين يدلان على نوع من الحظ ، وكذلك معرفة شهر ويوم وساعة ولادة الشخص التى يرمز الى كل منها بلفظين أيضا ، ثم ربط هذه الألفاظ الثمانية بعضها ببعض والنظر فيها بمجموعها ، فيعرف من ذلك حظ الشخص — المعرب .

(٢٦) تأثير مواقع القبور عقيدة خرافية فى الصين القديمة مؤداها أن موقع قبور الأسلاف يؤثر على طالع الشخص . ويدعى المنجمون أنهم يعرفون أى مكان يصلح للدفن وما اذا كان موقع القبر يجلب الحظ أم لا — المعرب .

(٢٧) الاله قوان : اسمه قوان يو (١٦٠ — ٢١٩ م) من قواد عصر الممالك الثلاث ، قدسه الشعب بعد موته واتخذه الها — المعرب .

(٢٨) كان تانغ شنغ تشى قائدا وقف الى جانب الثورة واشترك فى الحملة الشمالية . أما يه كاى شين ، فقد كان قائدا وقف الى جانب أمراء الحرب الشماليين فى وجه الثورة .

(٢٩) كان سون تشوان فانغ أمير حرب امتد سلطانه على خمس مقاطعات جنوبى نهر اليانغتسى . وهو الجلاد الذى قمع انتفاضة عمال شانغهاى . وقد هزمت قواته الرئيسية فى شتاء ١٩٢٦ بواسطة جيش الحملة الشمالية فى نانتشانغ وجيوجيانغ من مقاطعة جيانغشى .

(٣٠) « نظرية الحضارة الشرقية » كانت نظرية رجعية ترفض الحضارة العلمية الحديثة وتقنع بالحفاظ على أسلوب الانتاج الزراعى المتخلف وثقافة الشرق الاقطاعية .

(٣١) « الدان » وحدة للوزن . كان الدان الواحد يساوى ٦٠ كيلوغراما تقريبا حسب مقاييس الوزن القديمة ، بينما أصبح الآن يساوى ٥٠ كيلوغراما وفقا لمقاييس الوزن الجديدة — المعرب .

(٣٢) راجع الملاحظة (١٩) فى مقالة « تحليل لطبقات المجتمع الصينى » .

(٣٣) المنظمات « الجبلية » و « الكوخية » و « الضريحية » و « النهرية » هذه أسماء كانت تطلقها الجمعيات السرية البدائية على نفسها دليلا على طوائفها المختلفة .

(٣٤) « الدو » وحدة للكيل . والدو الواحد يساوى عشرة شنغات ، وكل شنغ يساوى لترا . وكان الدو فى مقاطعة خونان يومذاك يسع أقل من ١٠ كيلوغرامات من الأرز — المعرب .

(٣٥) عندما احتل جيش الحملة الشمالية مدينة نانتشانغ فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٦ انتهز تشيانغ كاى شيك الفرصة وأقام فيها مركز قيادته العامة ، وجمع حوله العناصر اليمينية من الكومينتانغ وعددا من الساسة التابعين لأمراء الحرب الشماليين وشرع يحوك ، بالتواطؤ مع الامبرياليين ، مؤامرة معادية للثورة ضد ووهان التى كانت آنذاك المركز الثورى . وأخيرا فى ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ قام تشيانغ كاى شيك بانقلابه خيانة للثورة حيث ارتكب مذبحة شانغهاى .

(٣٦) تشانغ جينغ جيانغ هو أحد قادة الجناح اليمينى فى الكومينتانغ ، وكان ساعد تشيانغ كاى شيك ورأسه المفكر .

(٣٧) كان ليو يويه تشى رئيس « جمعية اليسار » وهى جماعة هامة كانت تناهض الشيوعيين فى خونان .

(٣٨) ذكر ليو شيانغ (٧٧ — ٦ ق . م) الذى عاش فى عهد أسرة هان فى كتابه «شين شيو» القصة التالية : « كان الأمير شه مولعا بالتنين ، فكان يزين بيته وما فيه من أثاث وأدوات بنقوش ورسوم من التنانين . فلما سمع تنين حقيقى بولعه هذا وزاره فى بيته استطير لبه روعا . وقد اتضح من ذلك أن الأمير شه لم يكن مولعا بالتنين . » وقد أورد الرفيق ماو تسى تونغ ذلك ليوضح كيف أن تشيانغ كاى شيك وأمثاله كانوا يتحدثون عن الثورة باللسان ولكنهم يخافون منها ويعارضونها بالفعل .

مرحلة
الحرب الأهلية الثورية الثانية

لماذا يمكن أن تبقى السلطة السياسية الحمراء في الصين

(٥ أكتوبر — تشرين الأول — ١٩٢٨)

١ — الوضع السياسي الداخلي

ان الحكم الحالى الذى يملك زمامه أمراء الحرب الكومينتانغيون ، وهم أمراء حرب جدد ، لا يزال يمثل حكم طبقة الكومبرادوريين فى المدن وطبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى الريف ، وهو حكم استسلم للامبريالية فى المجال الخارجي وحل فيه أمراء حرب جدد محل أمراء الحرب القدامى فى المجال الداخلى ، ولقد عرض هذا الحكم الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين لاستغلال اقتصادى واضطهاد سياسي أشد قسوة مما مضى . وكانت الثورة الديمقراطية البرجوازية التى انطلقت من قوانغدونغ لم تبلغ سوى منتصف الطريق حتى اغتصبت قيادتها طبقة الكومبرادوريين وطبقة العتاة والوجهاء وحولتاها فورا الى طريق معادية للثورة ، فبقى العمال والفلاحون والفئات الأخرى من عامة الناس وحتى البرجوازية(١) يرزحون تحت الحكم

هذه المقالة هى جزء من قرار صاغه الرفيق ماو تسى تونغ للمؤتمر الثانى للحزب فى منطقة حدود خونان — جيانغشى ، وكان عنوانه « المسائل السياسية ومهمات المنظمات الحزبية فى منطقة الحدود » .

المعادى للثورة دون أن يحصلوا على شىء من التحرر السياسى أو الاقتصادى .

كانت الفرق الأربع من أمراء الحرب الكومينتانغيين الجدد ـ فريق تشيانغ كاى شيك، وفريق مقاطعة قوانغشى، وفريق فنغ يو شيانغ، وفريق يان شى شان(٢) ـ قد حافظت قبل استيلائها على بكين وتيانجين، على وحدة موقتة فيما بينها لمواجهة تشانغ تسوه لين(٣) . ولكن هذه الوحدة تمزقت فور الاستيلاء على بكين وتيانجين ، فتحولت الى صراع عنيف بين هذه الفرق الأربع ، بل كان كل من فريق تشيانغ كاى شيك وفريق مقاطعة قوانغشى يعد عدته لشن حرب على الآخر . ان التناقضات والصراعات بين مختلف فرق أمراء الحرب الصينيين هى انعكاس للتناقضات والصراعات بين البلدان الامبريالية المختلفة . وما دامت الصين مقسمة بين البلدان الامبريالية فلا يمكن على الاطلاق لفرق أمراء الحرب أن تتهادن فيما بينها ، وان حصلت أى مهادنة بينها فانها لا تعدو أن تكون موقتة . ان مهادنة موقتة تحصل اليوم انما تكمن وراءها حرب أكبر فى الغد .

ان الصين فى حاجة ملحة الى ثورة ديمقراطية برجوازية ، وهذه الثورة لا يمكن انجازها الا بقيادة البروليتاريا . وبما أن البروليتاريا لم تكن حازمة فى تولى قيادتها فى ثورة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ التى انطلقت من قوانغدونغ وامتدت نحو أودية نهر اليانغتسى ، فقد اغتصبت هذه القيادة طبقة الكومبرادوريين وطبقة العتاة والوجهاء وأحلتا محل الثورة حركة مضادة للثورة . وهكذا منيت الثورة الديمقراطية البرجوازية بهزيمة موقتة ، وقد أصيبت البروليتاريا والفلاحون الصينيون بضربة شديدة من جراء هزيمة الثورة ، وأصيبت البرجوازية الصينية (وليست طبقتا الكومبرادوريين والعتاة والوجهاء) بضربة أيضا . ومع ذلك فقد قامت خلال الأشهر الأخيرة اضرابات منظمة فى المدن وانتفاضات منظمة فى الريف فى شمال البلاد وجنوبها على حد سواء قامت بها الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين تحت قيادة الحزب الشيوعى . كما ينذر الوضع باضطرابات عنيفة بين الجنود فى جيوش أمراء الحرب

بسبب الجوع والبرد . وفى الوقت نفسه قامت البرجوازية ، نتيجة تحريض فريق وانغ جينغ وى – تشن قونغ بوه لها ، بحركة اصلاحية(٤) ذات أبعاد ليست ضيقة فى المناطق الساحلية وعلى طول نهر اليانغتسى . وان قيام هذه الحركة هو حادث جديد .

ان محتوى الثورة الديمقراطية الصينية ، حسب توجيهات الأممية الشيوعية واللجنة المركزية لحزبنا ، هو الاطاحة بحكم الامبريالية وأداتها أمراء الحرب فى الصين لاتمام الثورة الوطنية وتحقيق الثورة الزراعية للقضاء على الاستغلال الاقطاعى الذى تمارسه طبقة العتاة والوجهاء على الفلاحين . وقد ظلت هذه الحركة العملية الثورية تتطور مع تعاقب الأيام منذ حدوث مذبحة جينان(٥) فى مايو (أيار) ١٩٢٨ .

٢ – أسباب ظهور وبقاء السلطة السياسية الحمراء فى الصين(٦)

لم يحدث من ذى قبل فى جميع بلدان العالم أن بقيت فى بلد واحد ولفترة طويلة من الزمن منطقة صغيرة واحدة ، أو عدة مناطق صغيرة خاضعة للسلطة السياسية الحمراء وسط حصار السلطة السياسية البيضاء . ولظهور هذه الظاهرة الغريبة أسباب خاصة. وان بقاءها وتطورها لا يمكن أن يتحققا الا بتوفر شروط معينة وهى : أولا ، لا يمكن لهذه الظاهرة أن تحصل فى أى بلد امبريالى أو أية مستعمرة واقعة تحت الحكم الامبريالى المباشر(٧) ، وانما تحصل فقط فى الصين المتأخرة اقتصاديا ، وشبه المستعمرة الواقعة تحت الحكم الامبريالى غير المباشر . لأن هذه الظاهرة الغريبة لا تحصل الا مع ظهور ظاهرة غريبة أخرى وهى الحروب الدائرة بين السلطات السياسية البيضاء . فقد ظلت الفرق المختلفة من أمراء

الحرب القدامى والجدد التى تقف وراءها بلدان امبريالية مختلفة وفئات مختلفة من طبقة الكومبرادوريين وطبقة العتاة والوجهاء فى داخل البلاد ، يشن بعضها على بعض حروبا متصلة منذ السنة الأولى لميلاد الجمهورية الصينية (١٩١٢) ، وهذه الظاهرة هى احدى المميزات الخاصة بالصين شبه المستعمرة . ومثل هذه الظاهرة لا توجد فى أى بلد من البلدان الامبريالية بل وحتى فى أى مستعمرة خاضعة للحكم الامبريالى المباشر ، وهى يمكن فقط أن تنشأ فى بلد مثل الصين يخضع للحكم الامبريالى غير المباشر . وهناك سببان يعللان نشوء هذه الظاهرة ، أولهما الاقتصاد الزراعى المتفرق (ليس الاقتصاد الرأسمالى الموحد) ، ثانيهما سياسة التفرقة والاستغلال التى تنتهجها الامبريالية عن طريق تحديد مناطق النفوذ . اذ أن الانقسامات والحروب الطويلة الأمد بين السلطات السياسية البيضاء توفر شرطا لازما لظهور وبقاء منطقة واحدة أو عدة مناطق حمراء صغيرة تحت قيادة الحزب الشيوعى وسط حصار السلطة السياسية البيضاء . ومنطقة القواعد الثورية فى حدود خونان ـ جيانغشى هى بالضبط واحدة من هذه المناطق الصغيرة . ولكن غالبا ما تساور بعض الرفاق الشكوك فى قدرة مثل هذه السلطة السياسية الحمراء على البقاء عندما يواجهون الظروف العصيبة والحرجة ، فيقعون فريسة للتشاؤم . والسبب فى ذلك هو أنهم لم يجدوا تفسيرا صحيحا لظهور هذه السلطة السياسية الحمراء وبقائها . وبمجرد ادراكنا أن الانقسامات والحروب سوف لا تنقطع أبدا بين السلطات السياسية البيضاء فى الصين ، سوف لا تساورنا الشكوك فى ظهور السلطة السياسية الحمراء وبقائها ونموها المتزايد . ثانيا ، ان الأماكن التى ظهرت فيها السلطة السياسية الحمراء الصينية ، قبل غيرها ، واستطاعت أن تبقى لمدة طويلة ، هى ليست بالأماكن التى لم تتأثر بالثورة الديمقراطية ، مثل سيتشوان وقويتشو ويوننان والمقاطعات الشمالية ، بل هى الأماكن التى سبق أن نهضت فيها جماهير العمال والفلاحين والجنود نهضة كبيرة فى أثناء الثورة الديمقراطية البرجوازية عام

١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ ، مثل مقاطعات خونان وقوانغدونغ وخوبى وجيانغشى . وقد تشكلت حينذاك فى مناطق كثيرة من هذه المقاطعات منظمات واسعة من نقابات العمال واتحادات الفلاحين ، وخاضت فيها الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين نضالات اقتصادية وسياسية كثيرة ضد طبقة ملاك الأراضى والعتاة والوجهاء والبرجوازية . ولذا قامت سلطة سياسية شعبية فى مدينة قوانغتشو استمرت ثلاثة أيام ، كما ظهرت فى فترة من الزمن قواعد ثورية للفلاحين(٨) فى هايفنغ ولوفنغ وشرقى خونان وجنوبيها ومنطقة حدود خونان – جيانغشى وخوانغآن من مقاطعة خوبى . وكذلك الحال بالنسبة الى الجيش الأحمر الحالى ، فقد تكون على أساس قوة انفصلت عن الجيش الثورى الوطنى الذى درب تدريبا سياسيا ديمقراطيا فى الماضى وأصبح تحت نفوذ العمال والفلاحين . أما الجيوش التى لم تتلق مطلقا أى تدريب سياسى ديمقراطى ، ولم تقع تحت نفوذ العمال والفلاحين مثل جيوش يان شى شان وتشانغ تسوه لين فلا يمكن أبدا أن تنفصل عنها اليوم عناصر تتكون منها قوات حمراء . ثالثا ، ان بقاء السلطة السياسية الشعبية لأمد طويل فى مناطق صغيرة يتوقف على تطور الوضع الثورى على نطاق البلاد كلها . فاذا كان الوضع الثورى على نطاق البلاد كلها فى تطور مستمر فمما لا شك فيه أن المناطق الحمراء الصغيرة سوف تبقى طويلا ، ليس هذا فحسب ، بل هى ستصبح حتما احدى القوى المتعددة التى تعمل للاستيلاء على السلطة السياسية على المستوى الوطنى . أما اذا لم يتطور الوضع الثورى باستمرار فى كل البلاد ، بل ركد لفترة طويلة نسبيا ، فسيستحيل على المناطق الحمراء الصغيرة عندئذ أن تبقى طويلا . ان الوضع الثورى الصينى يواصل تطوره الآن تبعا لاستمرار الانقسامات والحروب داخل طبقة الكومبرادوريين وطبقة العتاة والوجهاء فى الصين وداخل صفوف البرجوازية العالمية . وهكذا أصبح من المحقق أن المناطق الحمراء الصغيرة سوف

لا تبقى طويلا فحسب ، بل سوف تواصل التطور وتقترب يوما فيوما من غاية الاستيلاء على السلطة السياسية على المستوى الوطنى . رابعا ، ان وجود قوة مناسبة من الجيش الأحمر النظامى هو شرط ضرورى لبقاء السلطة السياسية الحمراء . فاذا كانت لدينا فصائل الحرس الأحمر المحلى(٩) فقط دون جيش أحمر نظامى ، فاننا لن نستطيع الا مواجهة « الميليشيا المجندة من كل عائلة » وحدها دون القوات البيضاء النظامية . لهذا السبب فاننا اذا لم نملك قوة مناسبة من الجيش النظامى فلن نستطيع أبدا ـ ولو كانت جماهير العمال والفلاحين واعية جدا ـ أن ننشئ قواعد ثورية ، فضلا عن انشاء قواعد ثورية تبقى طويلا وتتطور يوما بعد آخر . وهكذا فان فكرة « انشاء قواعد ثورية مسلحة للعمال والفلاحين » هى فكرة هامة يجب أن يستوعبها تماما الحزب الشيوعى وجماهير العمال والفلاحين فى مناطق القواعد الثورية . خامسا ، لا بد من شرط هام آخر بالاضافة الى الشروط التى تقدمت فى سبيل بقاء السلطة السياسية الحمراء لأمد طويل وتطورها ، ذلك هو قوة التنظيمات للحزب الشيوعى وصحة سياساته .

٣ ـ القواعد الثورية فى منطقة حدود خونان ـ جيانغشى وهزيمة أغسطس (آب)

ان الانقسامات والحروب بين أمراء الحرب أضعفت حكم السلطة السياسية البيضاء مما أتاح للسلطة السياسية الحمراء فرصة القيام فى مناطق صغيرة . ولكن الحرب بين أمراء الحرب ليست قائمة كل يوم . وكلما ساد استقرار موقت بين السلطات السياسية البيضاء فى مقاطعة واحدة أو عدة مقاطعات فان الطبقات الحاكمة فى هذه المقاطعة أو المقاطعات ستتحد حتما وتبذل كل ما فى وسعها

للقضاء على السلطة السياسية الحمراء . لذلك فاذا قامت سلطة سياسية حمراء فى منطقة من المناطق قبل أن تتوفر الشروط اللازمة لاقامتها والمحافظة عليها ، فستكون هذه السلطة عرضة لأن يطيح بها العدو . وهذا هو السبب فى أن كثيرا من السلطات السياسية الحمراء التى قامت بفضل تطور الأحداث قبل ابريل (نيسان) الأخير فى أماكن مثل قوانغتشو ، وهايفنغ ولوفنغ ، ومنطقة حدود خونان – جيانغشى ، وجنوبى خونان ، وليلينغ ، وخوانغآن ، قد دمرتها السلطة السياسية البيضاء خلال فترات متعاقبة . أما القواعد الثورية التى أنشئت مجددا فى منطقة حدود خونان – جيانغشى بعد ابريل (نيسان) فقد واجهت فترة كان يسود فيها استقرار موقت بين القوى الحاكمة فى الجنوب ، وكان عدد القوات التى ترسلها مقاطعتا خونان وجيانغشى « للابادة » يزيد دائما على ثمانية أو تسعة أفواج ، وقد بلغ فى بعض الأحيان ثمانية عشر فوجا . ومع ذلك قاتلنا العدو ، بأقل من أربعة أفواج طوال أربعة أشهر استطعنا خلالها توسيع منطقة القواعد الثورية يوما فيوما ، وتعميق الثورة الزراعية أكثر فأكثر ، وتوسيع منظمات السلطة السياسية الشعبية على نطاق أوسع فأوسع ، وتقوية الجيش الأحمر وفصائل الحرس الأحمر يوما بعد آخر ، وكل ذلك يرجع بالضبط الى صحة سياسات الحزب الشيوعى فى منطقة حدود خونان – جيانغشى (منظمة الحزب المحلية ومنظمة الجيش الحزبية) . لقد كانت سياسات لجنة الحزب فى منطقة الحدود الخاصة ولجنة الفيلق الحزبية(١٠) وقتئذ كما يلى : خوض النضال بحزم ضد العدو ، واقامة سلطة سياسية فى القطاع الأوسط من سلسلة لوشياو الجبلية(١١) ، ومعارضة نزعة الفرار ؛ وتعميق الثورة الزراعية فى منطقة القواعد الثورية ؛ وتطوير منظمات الحزب المحلية عن طريق مساعدة منظمة الجيش الحزبية ، وتطوير القوات المسلحة المحلية عن طريق مساعدة الجيش النظامى ؛ وتركيز قوات الجيش

الأحمر لتتحين الفرص وتحارب فيها العدو الذى تجابهه ، ومعارضة تقسيم وحدات قواتنا لكى لا تتعرض لسحق العدو واحدة بعد أخرى ؛ وأخيرا تبنى سياسة التقدم على شكل موجات متتابعة فى توسيع منطقة القواعد الثورية ، ومعارضة سياسة التقدم المتهور . وبفضل صحة هذه التكتيكات ، بالاضافة الى ملاءمة طوبوغرافية المنطقة للنضال ، وانعدام الوفاق التام بين قوات خونان وقوات جيانغشى المعتدية ، تمكنا من احراز تلك الانتصارات خلال الأشهر الأربعة من ابريل (نيسان) الى يوليو (تموز) . ولم يستطع العدو ، رغم تفوقه علينا عدة أضعاف ، تدمير هذه القواعد الثورية ، وكذلك لم يقدر على منع اتساعها المتزايد ، وبالاضافة لذلك ، كانت الأوضاع تشير الى تزايد تأثير هذه القواعد الثورية على مقاطعتى خونان وجيانغشى . وكان السبب الوحيد فى هزيمة أغسطس (آب) يعود الى أن قسما من رفاقنا لم يدركوا أن تلك الفترة كانت على وجه التحقيق ، فترة استقرار موقت بين الطبقات الحاكمة ، فاتخذوا استراتيجية قابلة للتطبيق فقط فى فترة حدوث الانقسامات السياسية بين الطبقات الحاكمة ، اذ قسموا القوات ، فتقدمت فى تهور ، الأمر الذى أدى الى الهزيمة فى منطقة الحدود وفى جنوبى خونان معا . وقد أخطأ الرفيق دو شيو جينغ ممثل لجنة الحزب فى مقاطعة خونان خطأ فاحشا ، اذ أنه لم يطلع على الظروف الواقعية فى ذلك الحين ، وأعرض عن قرارات الاجتماع المشترك للجنة منطقة الحدود الخاصة ولجنة الفيلق ولجنة محافظة يونغشين ، وكان كل ما يهمه هو تنفيذ أوامر لجنة مقاطعة خونان بصورة آلية ، ومسايرة رأى جنود الفوج التاسع والعشرين من الجيش الأحمر فى التهرب من وجه النضال والعودة الى بيوتهم . وقد أنقذت لجنة الحزب فى منطقة الحدود ولجنة الفيلق الموقف المترتب على هذه الهزيمة بعد سبتمبر (أيلول) بفضل التدابير التى اتخذتاها بشأن اصلاح هذه الأخطاء .

٤ ـ الدور الذى تلعبه القواعد الثورية فى منطقة حدود خونان ـ جيانغشى فى المقاطعات الثلاث خونان وخوبى وجيانغشى

ان القواعد الثورية المسلحة للعمال والفلاحين فى منطقة حدود خونان ـ جيانغشى ، والتى تتخذ نينغقانغ مركزا لها ، لا تنحصر أهميتها قطعا فى المحافظات الواقعة فى منطقة الحدود ، بل سوف تكون لها أهمية بالغة العظمة أثناء انتفاضة العمال والفلاحين فى خونان وخوبى وجيانغشى ، من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية فى هذه المقاطعات الثلاث . ان للمهمات العظيمة الأهمية التى ستقع على المنظمة الحزبية فى منطقة الحدود أثناء تطور الانتفاضات فى هذه المقاطعات الثلاث خونان وخوبى وجيانغشى هى : توسيع أثر الثورة الزراعية والسلطة السياسية الشعبية فى منطقة الحدود بحيث يمتد الى الوديان السفلى لنهر شيانغجيانغ فى خونان ونهر قانجيانغ فى جيانغشى وحتى الى مقاطعة خوبى ؛ وتوسيع الجيش الأحمر وتحسين نوعيته باطراد خلال النضال بحيث يستطيع أداء رسالته المفروضة فى الانتفاضة العامة المقبلة للمقاطعات الثلاث ؛ وتوسيع القوات المسلحة المحلية فى المحافظات ، أى توسيع فصائل الحرس الأحمر وفصائل الانتفاضة للعمال والفلاحين وتحسين نوعيتها بحيث تستطيع فى الوقت الحاضر أن تقاتل الميليشيا المجندة من كل عائلة وقوات مسلحة صغيرة العدد وتحمى فى المستقبل السلطة السياسية لمنطقة الحدود ؛ ورفع كفاءة رجال العمل المحليين لكى يقل اعتمادهم على مساعدة رجال الجيش الأحمر شيئا فشيئا الى أن يستطيعوا العمل تماما بالاعتماد على أنفسهم ، وعندئذ يقوم رجال منطقة الحدود بالأعمال فيها دون غيرهم ، وحتى يمكن للمنطقة أن تقدم رجالا عاملين للجيش الأحمر وللأماكن التى يشملها توسع القواعد الثورية كذلك .

٥ـ القضايا الاقتصادية

لقد واجهنا بسبب تطويق القوى البيضاء من جميع النواحى مشكلة عويصة للغاية ألاوهى النقص فى الضروريات اليومية التى يحتاج اليها الجيش والشعب ، والنقص فى النقود . ولقد ظل الملح والأقمشة والأدوية وغيرها من الضروريات اليومية ، بسبب حصار العدو المشدد ، نادرة وغالية للغاية منذ عام مضى فى مناطق القواعد الثورية بالحدود ، الأمر الذى أدى الى تعرض جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة(١٢) ، وكذلك جنود الجيش الأحمر ، لضيق الحال الذى بلغ أحيانا غايته . وتقع على عاتق الجيش الأحمر الى جانب مهمة القتال مهمة أخرى هى تحصيل المؤن بنفسه . وهو يعجز أحيانا حتى عن تحصيل العلاوة النقدية للطعام التى قدرها خمسة فنات للشخص الواحد يوميا ما عدا الحبوب . ولقد مرض عدد كبير من الجنود من سوء التغذية ، أما الجرحى فى المستشفيات فهم فى حالة أسوأ . وطبيعى أن مثل هذه المصاعب لا مناص منها قبل الاستيلاء على السلطة السياسية على المستوى الوطنى ، ومع ذلك فان هناك حاجة ماسة الى التغلب على هذه المصاعب الى درجة ما ، حتى تتحسن معيشتنا بعض الشيء ، ونضمن مؤنا كافية نسبيا للجيش الأحمر على وجه الخصوص . واذا كانت المنظمة الحزبية فى منطقة الحدود لا تستطيع أن تجد طريقة ملائمة لمعالجة المشكلة الاقتصادية فسوف تصادف القواعد الثورية عندئذ مصاعب كبيرة فى الظروف التى سيبقى فيها الاستقرار فترة طويلة نسبيا بين قوى العدو . اذن فجدير حقا بكل عضو من أعضاء الحزب أن يهتم بحل هذه المشكلة الاقتصادية الى درجة كبيرة .

٦ ـ قضية القواعد العسكرية

ان للمنظمة الحزبية فى منطقة الحدود مهمة أخرى هى توطيد القاعدتين العسكريتين عند الآبار الخمس(١٣) وجيولونغ . ان منطقة الآبار الخمس الجبلية الواقعة عند ملتقى المحافظات الأربع : يونغشين ولينغشيان ونينغقانغ وسويتشوان ، ومنطقة جيولونغ الجبلية الواقعة عند ملتقى المحافظات الأربع يونغشين ونينغقانغ وتشالينغ وليانخوا كلتاهما تتمتع بموقع ممتاز طوبوغرافيا ، وعلى الأخص منطقة الآبار الخمس حيث الجماهير تعضدنا ، وموقع الأرض يمتاز بأهمية استراتيجية بالغة ، فهما ليستا قاعدتين عسكريتين هامتين لمنطقة الحدود فى الوقت الحاضر فقط ، بل ستبقيان هكذا فى المستقبل حين تتطور الانتفاضة فى المقاطعات الثلاث خونان وخوبى وجيانغشى . ووسائل توطيدهما هى : أولا ، بناء استحكامات حربية قوية . ثانيا ، تخزين مؤن غذائية كافية . ثالثا ، اقامة مستشفيات أفضل للجيش الأحمر ، ويجب على المنظمة الحزبية فى منطقة الحدود أن تسعى لانجاز هذه المهام الثلاث بصورة مضبوطة .

ملاحظات

(١) يقصد الرفيق ماو تسى تونغ بالبرجوازية هنا البرجوازية الوطنية . أما الفارق بينها وبين البرجوازية الكومبرادورية الكبيرة فقد وضحه الرفيق ماو تسى تونغ بالتفصيل فى مقالتيه «حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية» (ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٣٥)، و«الثورة الصينية والحزب الشيوعى الصينى» (ديسمبر ـ كانون الأول ـ ١٩٣٩).

(٢) يقصد من فريق مقاطعة قوانغشى فريق لى تسونغ رن وباى تشونغ شى . وقد تعاونت هذه الفرق الأربع فى الحرب ضد تشانغ تسوه لين ، واحتلت بكين وتيانجين

فى يونيو (حزيران) ١٩٢٨ .

(٣) كان تشانغ تسوه لين زعيم فريق فنغتيان من أمراء الحرب ، وأصبح أقوى أمراء الحرب فى الشمال بعد أن انهزم وو بى فو عام ١٩٢٤ فى الحرب الثانية بين فريق تشيلى وفريق فنغتيان . وفى عام ١٩٢٦ تحالف مع وو بى فو واستوليا على بكين . وفى يونيو (حزيران) ١٩٢٨ اضطر الى الخروج من بكين عائدا الى الشمال الشرقى ، وقتل فى الطريق بلغم وضعته الامبريالية اليابانية التى ظلت تستخدم تشانغ أداة لها .

(٤) بعد احتلال الغزاة اليابانيين مدينة جينان فى ٣ مايو (أيار) ١٩٢٨ ومهادنة تشيانغ كاى شيك اليابانيين بوقاحة وعلانية ، أخذ قسم من البرجوازية الوطنية التى سارت وراء انقلاب عام ١٩٢٧ المعادى للثورة ، يشكل تدريجيا ولمصلحته الخاصة معارضة خارج الحكم ضد السلطة السياسية لتشيانغ كاى شيك . وكان الفريق الانتهازى المعادى للثورة الذى يتزعمه وانغ جينغ وى وتشين قونغ بوه قد قام بالنشاطات فى هذه الحركة ، ثم أصبح « جماعة اعادة التنظيم » فى داخل الكومينتانغ .

(٥) اتجه تشيانغ كاى شيك شمالا عام ١٩٢٨ بتأييد الامبريالية الانجلوأمريكية ، الى مهاجمة تشانغ تسوه لين . وقد عمدت الامبريالية اليابانية ، كى تمنع النفوذ الانجلوأمريكى من الامتداد شمالا ، الى ارسال القوات لغزو واحتلال مدينة جينان عاصمة مقاطعة شاندونغ ، فقطعت الخط الحديدى بين تيانجين وبوكو . وفى ٣ مايو (أيار) قتلت القوات اليابانية المعتدية فى هذه المدينة عددا كبيرا من الصينيين ، وعرف هذا الحادث بـ « مذبحة جينان » .

(٦) كانت السلطة السياسية الحمراء فى الصين قريبة فى شكلها التنظيمى من السلطة السياسية السوفياتية . فالسوفيات أى المجلس التمثيلى هو نظام سياسى خلقته الطبقة العاملة الروسية أثناء الثورة عام ١٩٠٥ . وقد استنبط لينين وستالين ، على ضوء النظرية الماركسية ، أن الجمهورية السوفياتية هى أنسب شكل للتنظيم الاجتماعى والسياسى فى المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد حققت ثورة أكتوبر (تشرين الأول) الاشتراكية عام ١٩١٧ بقيادة الحزب البلشفى الذى كان يتزعمه لينين وستالين ، لأول مرة فى العالم مثل هذه الجمهورية السوفياتية الاشتراكية التى تمارس فيها دكتاتورية البروليتاريا . أما فى الصين فان نظام المجلس التمثيلى قد اتبع ، بعد هزيمة الثورة عام ١٩٢٧ ، بوصفه شكل السلطة السياسية الشعبية للانتفاضات الجماهيرية الثورية التى قامت فى أماكن مختلفة تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى

و بصفة خاصة الرفيق ماو تسى تونغ . بيد أن مثل هذه السلطة السياسية ، فى تلك المرحلة من الثورة الصينية ، تختلف طبيعتها عن طبيعة السلطة السياسية لدكتاتورية البروليتاريا فى الاتحاد السوفياتى ، اذ كانت تمارس فى تلك المرحلة ، الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية للثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا ضد الامبريالية والاقطاعية .

(٧) احتلت الامبريالية اليابانية ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، عددا كبيرا من المستعمرات فى الشرق التى كانت خاضعة لحكم الامبريالية البريطانية والأمريكية والفرنسية و الهولندية . و لكن جماهير العمال و الفلاحين و البرجوازية الصغيرة فى المدن والعناصر البرجوازية الوطنية فى تلك المستعمرات استطاعت بقيادة الأحزاب الشيوعية أن تستغل التناقضات القائمة بين الامبريالية البريطانية والأمريكية والفرنسية والهولندية من جهة والامبريالية اليابانية من جهة أخرى ، فشكلت جبهة متحدة واسعة ضد العدوان الفاشى ، وأنشأت قواعد مناهضة لليابان ، وقامت بحرب العصابات المريرة ضد الغزاة اليابانيين ، ونتيجة لذلك أخذ يتغير الوضع السياسى الذى كان سائدا فى تلك البلدان قبل نشوب الحرب العالمية الثانية . ثم لما طردت الامبريالية اليابانية من تلك المستعمرات عند نهاية الحرب العالمية الثانية حاولت الامبريالية الامريكية والبريطانية والفرنسية و الهولندية اعادة حكمها الاستعمارى ، بيد أن شعوب المستعمرات ، وقد شكلت قوات مسلحة على جانب عظيم من القوة أثناء حرب المقاومة ضد اليابان ، رفضت أن تعود الى حياتها السابقة ؛ وفضلا عن ذلك فان نظام الامبريالية كله أصبح يتزعزع بشدة على الصعيد العالمى ، نتيجة تعاظم قوة الاتحاد السوفياتى والانهيار أو الضعف الذى أصاب البلدان الامبريالية كافة باستثناء الولايات المتحدة أثناء الحرب ، ولاسيما نتيجة تصدع الجبهة الامبريالية فى الصين بسبب انتصار ثورتها . ووفر ذلك كله لجميع شعوب المستعمرات وشبه المستعمرات فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية نفس ما توفر للصين على وجه التقريب من الامكانيات فى المحافظة على قواعد ثورية صغيرة وكبيرة وعلى سلطات سياسية ثورية ، وفى المثابرة طويلا على حرب ثورية قوامها تطويق المدن من الريف ، وفى المضى الى الأمام خطوة خطوة حتى احتلال المدن وكسب الانتصار على نطاق وطنى فى تلك المستعمرات وشبه المستعمرات . وعلى ضوء هذا الوضع الجديد تغيرت نظرة الرفيق ماو تسى تونغ التى كان يتبناها عام ١٩٢٨ حول مسألة بناء السلطة السياسية الحمراء فى المستعمرات الخاضعة للحكم الامبريالى المباشر .

(٨) اشارة الى الهجمات المضادة الأولى التى شنها الشعب فى مختلف المناطق بقيادة الحزب الشيوعى ضد القوى المعادية للثورة بعد ما خان تشيانغ كاى شيك

ووانغ جينغ وى الثورة على التوالى عام ١٩٢٧ . ففى قوانغتشو قام العمال والجنود الثوريون بانتفاضة ثورية مشتركة فى ١١ ديسمبر (كانون الأول) من ذلك العام انتهت الى قيام سلطة سياسية شعبية ، ولقد دارت المعركة عنيفا بينهم وبين القوات المعادية للثورة والتى تؤازرها الامبريالية مباشرة ، وأخيرا أخفقت هذه الانتفاضة الشعبية بسبب التفاوت العظيم فى القوى . وكان الفلاحون فى هايفنغ ولوفنغ وغيرهما من المناطق الواقعة على الساحل الشرقى من قوانغدونغ قد بدأوا حركة ثورية قوية خلال ١٩٢٣ – ١٩٢٥ بقيادة الرفيق بنغ باى الشيوعى ، وقدمت هذه الحركة مساعدة كبيرة الى الجيش الثورى الوطنى فى قوانغتشو فى انتصار حملتيه الشرقيتين ضد تشن جيونغ مينغ المعادى للثورة . ثم قام الفلاحون هناك ، بعد خيانة تشيانغ كاى شيك للثورة فى ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ ، بثلاث انتفاضات متتالية فى ابريل (نيسان) وسبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) ، وأقاموا فى منطقة هايفنغ ولوفنغ سلطة سياسية ثورية استمرت حتى ابريل (نيسان) ١٩٢٨ . وفى شرقى مقاطعة خونان قام الفلاحون بانتفاضة فى سبتمبر (أيلول) ١٩٢٧ ، واستولوا على المنطقة التى تشمل ليويانغ وبينغجيانغ وليلينغ وتشوتشو. وفى الوقت نفسه قام عشرات الآلاف من الفلاحين فى شياوقان وماتشنغ وخوانغآن فى شمال شرقى مقاطعة خوبى بانتفاضة مسلحة ، واحتلوا مدينة خوانغآن طوال ثلاثين يوما ونيف . وفى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٨ ، قام الفلاحون بانتفاضة فى محافظات ييتشانغ وتشنتشو ولييانغ ويونغشينغ وتسيشينغ فى جنوبى خونان وأقاموا سلطة سياسية ثورية دامت ثلاثة أشهر .

(٩) كانت فصائل الحرس الأحمر منظمات مسلحة جماهيرية فى القواعد الثورية ورجالها لا ينقطعون عن العمل المنتج .

(١٠) لجنة الحزب فى منطقة الحدود الخاصة يقصد بها لجنة الحزب الشيوعى الصينى فى منطقة حدود خونان – جيانغشى الخاصة ، وكانت وقتذاك منظمة حزبية على مستوى ما بين لجنة المقاطعة ولجنة المحافظة . أما لجنة الفيلق الحزبية فيقصد بها لجنة الحزب فى الفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر للعمال والفلاحين فى منطقة حدود خونان – جيانغشى – المعرب .

(١١) هى سلسلة جبلية ضخمة على حدود خونان – جيانغشى ، وتقوم جبال جينغقانغ فى القطاع الأوسط منها .

(١٢) يقصد الرفيق ماو تسى تونغ بالبرجوازية الصغيرة هنا عناصرها الأخرى من غير الفلاحين ، أى الحرفيين ، وصغار التجار ، وأصحاب المهن الحرة ، والمثقفين

من أصل البرجوازية الصغيرة . ان هذه العناصر الاجتماعية فى الصين توجد فى المدن بصورة رئيسية ، الا أنها توجد كذلك فى الريف بأعداد كبيرة . راجع مقالة « تحليل لطبقات المجتمع الصينى » .

(١٣) يقصد بمنطقة الآبار الخمس الجبلية جبال جينغقانغ الواقعة فيما بين محافظات يونغشين ونينغقانغ وسويتشوان فى غربى مقاطعة جيانغشى ومحافظة لينغشيان فى شرقى مقاطعة خونان ، اذ أن هناك أمكنة خمسة تطلق عليها أسماء : البئر الكبرى ، والبئر الصغرى ، والبئر العليا ، والبئر الوسطى ، والبئر السفلى .

النضال فى جبال جينغقانغ

(٢٥ نوفمبر – تشرين الثانى – ١٩٢٨)

القواعد الثورية فى منطقة حدود خونان – جيانغشى وهزيمة أغسطس (آب)

ان ظهور منطقة صغيرة واحدة أو عدة مناطق صغيرة ذات سلطة سياسية حمراء وسط تطويق السلطة السياسية البيضاء داخل بلد واحد ، هو ظاهرة لم تعرفها الا الصين وحدها من بين بلدان العالم اليوم . ووجدنا بعد التحليل أن أحد أسباب هذه الظاهرة يعود الى الانقسامات والحروب المستمرة داخل طبقة الكومبرادوريين وطبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى الصين . وما دامت هذه الانقسامات والحروب مستمرة داخل هاتين الطبقتين فان القواعد الثورية المسلحة للعمال والفلاحين يمكنها أيضا أن تبقى وتتطور باستمرار . وبالاضافة الى ذلك فان بقاء هذه القواعد الثورية المسلحة وتطورها يتطلبان الشروط التالية : ١ – جماهير واعية ؛ ٢ – منظمات حزبية جيدة ؛ ٣ – قوة معينة من الجيش الأحمر ؛ ٤ – طوبوغرافية ملائمة للعمليات العسكرية ؛ ٥ – مصادر اقتصادية تقدم ما يكفى من المؤن .

هذا تقرير قدمه الرفيق ماو تسى تونغ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى .

وينبغى لمناطق القواعد الثورية أن تتخذ تجاه الطبقات الحاكمة التى تطوق هذه المناطق استراتيجية تختلف باختلاف هاتين الفترتين : الفترة التى يسود فيها استقرار موقت بين السلطات السياسية لهذه الطبقات ، والفترة التى تقع فيها الانقسامات داخل هذه الطبقات . ففى فترة الانقسامات داخل الطبقات الحاكمة ، كفترة الحرب التى دارت بين لى تسونغ رن وتانغ شنغ تشى فى مقاطعتى خونان وخوبى(١) ، وفترة الحرب التى دارت بين تشانغ فا كوى ولى جى شن فى مقاطعة قوانغدونغ(٢) ، يجوز لنا أن نتخذ الى حد ما استراتيجية التقدم المتسم بشئ من المجازفة ، وأن نوسع القواعد الثورية الى مناطق واسعة نسبيا عن طريق العمليات العسكرية . ولكن ينبغى لنا مع ذلك أن نهتم بوضع أسس وطيدة فى المناطق المركزية بحيث يكون لدينا ما نعتمد عليه دون أن نخشى أى شىء عندما يحل الارهاب الأبيض . أما فى الفترة التى يسود فيها استقرار نسبى بين السلطات السياسية للطبقات الحاكمة ، كما حدث فى المقاطعات الجنوبية بعد ابريل (نيسان) من هذا العام ، فينبغى أن تكون استراتيجيتنا استراتيجية تقدم تدريجى . وفى مثل هذا الحال ، فان أسوأ الأمور فى المجال العسكرى ، هو أن نقسم قواتنا لتتقدم تقدما متصفا بالمغامرة ، أما فى مجال العمل المحلى (أى توزيع الأرض ، واقامة السلطة السياسية ، وتوسيع صفوف الحزب ، وتنظيم القوات المسلحة المحلية) ، فان أسوأ شىء هو أن نبعثر رجالنا العاملين فى مناطق متعددة ونهمل وضع أسس وطيدة فى المناطق المركزية . ان الفشل الذى منى به كثير من المناطق الحمراء الصغيرة فى مختلف أنحاء البلاد تعود أسبابه اما الى عدم توفر الشروط الموضوعية اللازمة واما الى الأخطاء الذاتية فى التكتيك . والسبب الوحيد لارتكاب الأخطاء فى التكتيك يعود الى الفشل فى التمييز بوضوح بين الفترتين المختلفتين – الفترة التي يسود فيها استقرار موقت بين السلطات السياسية للطبقات الحاكمة

والفترة التى تقع فيها الانقسامات داخل هذه الطبقات . وقد نادى بعض الرفاق حتى فى الفترة التى كان يسود فيها استقرار موقت بين السلطات السياسية للطبقات الحاكمة بتقسيم قواتنا واللجوء الى المغامرة فى التقدم ، بل والأدهى من ذلك أنهم نادوا بتكليف فصائل الحرس الأحمر وحدها بمهمة الدفاع عن مناطق واسعة ، كما لو كانوا يجهلون تماما أن العدو يملك الى جانب الميليشيا المجندة من كل عائلة قوات نظامية أيضا يستطيع أن يحشدها لشن الهجمات على مناطقنا . وقد تجاهلوا تماما فى العمل المحلى أن يقيموا أسسا وطيدة فى المناطق المركزية ، وكل ما يهمهم هو التوسع اللامحدود دون اعتبار للامكانيات الذاتية . وكل من نادى فى المجال العسكرى باتخاذ سياسة التوسع التدريجى ودعا فى مجال العمل المحلى الى تركيز الجهود فى وضع أسس وطيدة فى المناطق المركزية حتى نجعل أنفسنا فى مركز لا يقهر ، دعاه هؤلاء « محافظا » . وكانت آراؤهم الخاطئة هذه هى السبب الأساسى فيما لحق بنا من هزيمة فى أغسطس (آب) الماضى فى منطقة حدود خونان — جيانغشى وفى الهزيمة التى أصابت الفيلق الرابع من الجيش الأحمر فى جنوبى خونان فى الوقت نفسه .

وقد بدأت أعمالنا فى منطقة حدود خونان — جيانغشى فى أكتوبر (تشرين الأول) من السنة الماضية . وفى البداية لم يبق لنا أية منظمة حزبية على الاطلاق فى المحافظات ، أما قواتنا المسلحة المحلية فلم يبق منها الا وحدتان بجوار جبال جينغقانغ تحت قيادة يوان ون تساى ووانغ تسوه ، وكانت كل منهما تملك ستين بندقية فى حالة سيئة ، بينما سلمت كل البنادق التى تملكها قوات دفاع الفلاحين فى محافظات يونغشين وليانخوا وتشالينغ ولينغشيان الى طبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، كما أن الحماسة الثورية لدى الجماهير قد أخمدت . ولما حل فبراير (شباط) من العام الحالى ، كانت لجان حزبية على مستوى المحافظة قد تشكلت فى نينغقانغ ويونغشين وتشالينغ وسويتشوان ، كما تشكلت

لجنة حزبية للمركز الخاص فى لينغشيان ، وبدأ التنظيم الحزبى فى ليانخوا ، وتمت اتصالات بيننا وبين لجنة محافظة وانآن . وقد أنشئت حتى ذلك التاريخ وحدات صغيرة من القوات المسلحة المحلية فى سائر المحافظات باستثناء لينغشيان . وقامت فى نينغقانغ وتشالينغ وسويتشوان ويونغشين وعلى الأخص فى المحافظتين الأخيرتين ، انتفاضات عديدة عن طريق عمليات فصائل حرب العصابات للاطاحة بالعتاة المحليين والوجهاء الأشرار واستنهاض الجماهير ، وتكللت جميعها بنجاحات لا بأس بها . وحتى ذلك الحين ، لم تكن الثورة الزراعية قد أجريت بصورة عميقة . وقد أطلق على جهاز السلطة السياسية اسم حكومة العمال والفلاحين والجنود . ونظمت لجان الجنود فى الجيش(٣) . وعندما كان الجيش يعمل فى مهمات متفرقة تشكل لقيادتها لجان للعمل . وكان الجهاز القيادى العالى للحزب فى ذلك الحين هو لجنة الجبهة الأمامية (وكان ماو تسى تونغ أمينا لها) التى تم تعيين أعضائها من قبل لجنة الحزب فى مقاطعة خونان خلال انتفاضة حصاد الخريف(٤) . وبناء على طلب لجنة الحزب الخاصة فى جنوبى خونان ، حلت لجنة الجبهة الأمامية فى أوائل مارس (آذار) وأعيد تنظيمها بوصفها لجنة الحزب فى الفرقة (وكان خه تينغ ينغ أمينا لها) ، فأصبحت بذلك جهازا تنحصر اختصاصاته فى قيادة المنظمات الحزبية فى الجيش وحده دون المنظمات الحزبية المحلية . وفى أثناء ذلك ، أرسلت قوات الوحدة التى كانت تحت قيادة ماو تسى تونغ الى جنوبى خونان بناء على طلب لجنة الحزب الخاصة هناك ، ونتيجة لذلك استولى العدو على منطقة حدود خونان — جيانغشى طوال شهر وأكثر . ووقعت الهزيمة فى جنوبى خونان فى نهاية مارس (آذار) ، وفى ابريل (نيسان) انسحبت القوتان اللتان يقودهما كل من تشو ده وماو تسى تونغ سويا مع قوات الفلاحين فى جنوبى خونان الى نينغقانغ حيث شرعت فى اعادة بناء القواعد الثورية فى منطقة الحدود .

ان فترة ما بعد ابريل (نيسان) التى نعيد فيها بناء القواعد الثورية فى منطقة حدود خونان – جيانغشى كانت فترة يسود فيها استقرار موقت بين القوى الحاكمة فى الجنوب ، وكان عدد القوات الرجعية التى ترسلها مقاطعتا خونان وجيانغشى « للابادة » يبلغ ثمانية أو تسعة أفواج على الأقل ، وقد بلغ فى بعض الأحيان ثمانية عشر فوجا . ومع ذلك قاتلنا العدو ، بأقل من أربعة أفواج طوال أربعة أشهر استطعنا خلالها توسيع منطقة القواعد الثورية يوما فيوما ، وتعميق الثورة الزراعية أكثر فأكثر ، وتوسيع السلطة السياسية الشعبية على نطاق أوسع فأوسع ، وتوسيع الجيش الأحمر وفصائل الحرس الأحمر يوما بعد آخر ، وكل ذلك يعود بالضبط الى صحة سياسات الحزب فى منطقة الحدود (المنظمة الحزبية المحلية ومنظمة الجيش الحزبية) . لقد كانت سياسات اللجنة الحزبية لمنطقة الحدود الخاصة (وكان ماو تسى تونغ أمينا لها) ولجنة الفيلق الحزبية (وكان تشن يى أمينا لها) وقتئذ كما يلى : خوض النضال بحزم ضد العدو ، واقامة سلطة سياسية فى القطاع الأوسط من سلسلة لوشياو الجبلية ، ومعارضة نزعة الفرار ؛ وتعميق الثورة الزراعية فى منطقة القواعد الثورية ؛ وتطوير المنظمات الحزبية المحلية عن طريق مساعدة منظمة الجيش الحزبية ، وتطوير القوات المسلحة المحلية عن طريق مساعدة الجيش النظامى ؛ واتخاذ موقف الدفاع تجاه مقاطعة خونان حيث القوى الحاكمة تتمتع بشىء من القوة ، واتخاذ موقف الهجوم تجاه مقاطعة جيانغشى حيث القوى الحاكمة ضعيفة نسبيا ؛ وتكريس جهود كبرى للعمل فى محافظة يونغشين من أجل اقامة قاعدة ثورية فيها بقوة الجماهير الشعبية ، والتحضير لنضال طويل الأمد هناك ؛ وتركيز قوات الجيش الأحمر لتتحين الفرص وتحارب فيها العدو الذى تجابهه ، ومعارضة تقسيم وحدات قواتنا لكى لا تتعرض لسحق العدو لها واحدة بعد أخرى ؛ وأخيرا تبنى سياسة التقدم على شكل موجات

متتابعة فى توسيع منطقة القواعد الثورية ومعارضة سياسة التقدم المتهور . وبفضل صحة هذه التكتيكات وملاءمة طوبوغرافية الأرض فى منطقة الحدود للنضال ، وانعدام الوفاق التام بين قوات خونان وقوات جيانغشى المعتدية ، تمكنا من كسب عدد من الانتصارات العسكرية وتوسيع منطقة القواعد الثورية بقوة الجماهير الشعبية خلال الأشهر الأربعة من ابريل (نيسان) الى يوليو (تموز) . ولم يستطع العدو ، رغم تفوقه علينا عدة أضعاف ، تدمير هذه القواعد الثورية ولا اعاقة تطورها . وبالاضافة لذلك ، كانت الأوضاع تشير الى تزايد تأثير هذه القواعد الثورية على مقاطعتى خونان وجيانغشى . وكان السبب الوحيد فى هزيمة أغسطس (آب) يعود الى أن قسما من رفاقنا لم يدركوا أن تلك الفترة كانت على وجه التحقيق فترة استقرار موقت بين الطبقات الحاكمة ، فاتخذوا سياسة قابلة للتطبيق فقط فى فترة حدوث الانقسامات بين الطبقات الحاكمة ، اذ قسموا القوات ، فتقدمت نحو جنوبى خونان فى تهور ، الأمر الذى أدى الى الهزيمة فى منطقة الحدود وفى جنوبى خونان معا . ان دو شيو جينغ ممثل لجنة مقاطعة خونان ، ويانغ كاى مينغ أمين لجنة الحزب لمنطقة الحدود الخاصة الذى تم تعيينه من قبل لجنة المقاطعة ، انتهزا فرصة غياب الأشخاص الذين يخالفونهما الرأى بحزم ، مثل ماو تسى تونغ ووان شى شيان والذين كانوا موجودين فى يونغشين بعيدا عنهما ، فلم يطلعا على الظروف الواقعية فى ذلك الحين وأعرضا عن قرارات الاجتماع المشترك للجنة الفيلق ولجنة منطقة الحدود الخاصة ولجنة محافظة يونغشين بعدم الموافقة على آراء لجنة مقاطعة خونان ، وكان كل ما يهمهما هوتنفيذ أوامر لجنة مقاطعة خونان بالزحف نحو جنوبى خونان بصورة آلية ، ومسايرة رغبة جنود الفوج الـ ٢٩ من الجيش الأحمر (المشكل من فلاحى ييتشانغ) فى التهرب من وجه النضال والعودة الى بيوتهم ، مما أدى الى الهزيمة فى كل من منطقة الحدود وجنوبى خونان .

وكان الفيلق الثامن من قوات العدو فى خونان بقيادة وو شانغ قد اعتدى على نينغقانغ فى منتصف يوليو (تموز) ، وواصل تقدمه الى يونغشين ، وحاول عبثا أن يشتبك معنا (كان رجالنا يحاولون مهاجمته عبر ممر صغير ولكن لم يصادفوه) ، فتراجع مسرعا الى تشالينغ عبر ليانخوا خشية من الجماهير التى تدعمنا . وكانت القوة الرئيسية للجيش الأحمر التى خرجت من نينغقانغ للهجوم على لينغشيان وتشالينغ قد بدلت خطتها حالما وصلت الى لينغشيان ، فاتجهت نحو جنوبى خونان ، بينما قوات جيانغشى المعادية التى تتألف من خمسة أفواج من الفيلق الثالث بقيادة وانغ جيون وجين هان دينغ وستة أفواج من الفيلق السادس بقيادة خو ون دو ، قامت من جديد بهجوم مشترك على يونغشين . وفى ذلك الحين ، لم يكن فى يونغشين سوى فوج واحد من قواتنا ، فقام هذا الفوج تحت حماية الجماهير الغفيرة بعمليات حرب العصابات من مختلف الاتجاهات ، واستطاع مشاغلة تلك الأفواج الأحد عشر فى دائرة يبلغ قطرها ثلاثين لى(٥) بجوار عاصمة محافظة يونغشين لمدة خمسة وعشرين يوما . وفقدنا يونغشين فى النهاية بسبب هجوم العدو العنيف ، ثم فقدنا كذلك ليانخوا ونينغقانغ . وفى ذلك الحين ، شب الخصام فجأة بين قوات العدو فى جيانغشى ، فانسحب الفيلق السادس الذى بقيادة خو ون دو مسرعا ، ثم اشتبك مع الفيلق الثالث الذى يقوده وانغ جيون فى معركة بتشانغشو . أما الأفواج الخمسة الأخرى من قوات جيانغشى فقد انسحبت الى داخل عاصمة محافظة يونغشين مسرعة . فلو لم تتحرك قوتنا الرئيسية نحو جنوبى خونان ، لكان من الممكن تماما أن نهزم قوات العدو هذه وأن نوسع منطقة القواعد الثورية حتى تضم جيآن وآنفو وبينغشيانغ ونجعلها رقعة متصلة ببينغجيانغ وليويانغ . ولكنه لما كانت القوة الرئيسية بعيدة وكان أفراد الفوج الوحيد الذي نملكه متعبين ، فقد تقرر أن يترك قسم من الفوج للدفاع عن

جبال جينغقانغ متعاونا مع الوحدتين اللتين يقودهما يوان ون تساى ووانغ تسوه ، كما تقرر أن أقود القسم الآخر وأتجه به نحو قويدونغ لملاقاة قوتنا الرئيسية ودعوتها الى العودة . وفى ذلك الحين ، كانت هذه القوة قد تراجعت من جنوبى خونان الى قويدونغ حيث تم اللقاء بيننا وبينها فى ٢٣ أغسطس (آب) .

ولم تكد القوة الرئيسية للجيش الأحمر تصل الى لينغشيان فى منتصف يوليو (تموز) حتى رفض ضباط وجنود الفوج الـ ٢٩ منها الانصياع للأوامر وذلك لتذبذبهم السياسى ورغبتهم في العودة الى بيوتهم فى جنوبى خونان ، بينما كان الفوج الـ ٢٨ يعارض الذهاب الى جنوبى خونان ويرغب فى الذهاب الى جنوبى جيانغشى ، ولكنه كان يرفض العودة أيضا الى يونغشين . ولما كان دو شيو جينغ يشجع الفوج الـ ٢٩ على التمادى فى آرائه الخاطئة ، ولم تستطع لجنة الفيلق الحزبية أن تمنعه من ذلك ، فقد خرجت قوتنا الرئيسية من لينغشيان فى اتجاه تشنتشو فى ١٧ يوليو (تموز) . وفى ٢٤ منه اشتبكت فى تشنتشو مع قوات العدو التى كانت تحت قيادة فان شي شنغ ، وانتصرت قوتنا فى بادىء الأمر لكنها انهزمت بعدئذ ، فانسحبت من المعركة . وعند ذلك تصرف أفراد الفوج الـ ٢٩ على هواهم ، وانطلقوا فى اتجاه بيوتهم فى ييتشانغ ، فقضى على عدد منهم فى لوتشانغ من قبل قطاع الطرق الذين يقودهم خو فنغ تشانغ ، وتبعثر آخرون منهم فى مناطق تشنتشو وييتشانغ ،ولم نعرف كيف كان مصيرهم ، فلم نستطع جمع أكثر من مائة رجل منهم فى ذلك اليوم . وكان من حسن الحظ أن الفوج الـ ٢٨ من قوتنا الرئيسية لم يتكبد سوى خسائر طفيفة ، فاحتل قويدونغ فى ١٨ أغسطس (آب) . وفى ٢٣ منه التقى هذا الفوج مع القوات القادمة من جبال جينغقانغ ، وتقرر أن تعود هذه القوات جميعا الى جبال جينغقانغ عن طريق تشونغيى وشانغيو . وعندما بلغت هذه القوات تشونغيي ، تمرد قائد الكتيبة يوان تشونغ تشيوان علي رأس سرية من المشاة

وسرية أخرى من المدفعية ، وعلى الرغم من أننا استطعنا ارجاع هاتين السريتين، الا أن قائد الفوج وانغ ارتشو لقى حتفه . وفى ٣٠ أغسطس (آب) ، عندما كان رجالنا فى طريق عودتهم وقبل أن يصلوا الى هدفهم فى جبال جينغقانغ انتهزت وحدة من قوات العدو فى كل من خونان وجيانغشى هذه الفرصة فهاجمتا جبال جينغقانغ . بيد أن حاميتنا التى تقل عن كتيبة واحدة قد استفادت من مواقعها الجيدة ، وصدت هجوم العدو وهزمته منقذة بذلك هذه القاعدة .

والأسباب التى أدت الى هذه الهزيمة هى كما يلى : ١ — ان الضباط والجنود فى احدى الوحدات ، بسبب تذبذبهم واشتياقهم الى أهاليهم ، فقدوا قدرتهم على القتال ، بينما فتر حماس رجال وحدة أخرى اذ أنهم لا يرغبون فى الذهاب الى جنوبى خونان . ٢ — وهنت قوى رجالنا بسبب المسير الطويل فى صيف شديد القيظ . ٣ — خرج رجالنا من لينغشيان وتقدموا عدة مئات كيلومترات فى تهور ، وبذلك فقدوا الاتصال بمنطقة الحدود وأصبحوا فى عزلة . ٤ — بما أن الجماهير فى جنوبى خونان لم تستنهض بعد فقد تبين أن الحملة لم تكن سوى مغامرة عسكرية . ٥ — لم نكن مطلعين على أوضاع العدو . ٦ — كانت التحضيرات غير كافية ولم يفهم الضباط والجنود مغزى العملية .

الوضع الراهن فى منطقة القواعد الثورية

ان المناطق الحمراء ظلت تتوسع تدريجيا منذ ابريل (نيسان) من هذا العام . وبعد معركة لونغيوانكو (الواقعة على حدود يونغشين ونينغقانغ) فى ٢٣ يونيو (حزيران) ، حيث هزمنا قوات جيانغشى المعادية للمرة الرابعة ، بلغت منطقة الحدود أوج تطورها ، اذ كانت تشمل المحافظات الثلاث —

نينغقانغ ويونغشين وليانخوا ، وقطاعا صغيرا من كل من جيآن وآنفو ، والقطاع الشمالى من سويتشوان ، والقطاع الجنوبى الشرقى من لينغشيان . وتم فى المناطق الحمراء توزيع معظم الأراضى ، وما زال القسم الباقى منها فى مرحلة التوزيع . وتشكلت أجهزة السلطة السياسية على مستوى المركز والناحية فى كل مكان . كما أسست حكومات على مستوى المحافظة فى نينغقانغ ويونغشين وليانخوا وسويتشوان ، وكذلك تشكلت حكومة منطقة الحدود . ونظمت فى القرى عموما فصائل الانتفاضة للعمال والفلاحين ، كما نظمت فصائل الحرس الأحمر فى المراكز والمحافظات . ولما هاجمت قوات جيانغشى المعادية منطقتنا فى يوليو (تموز) ، وشنت قوات خونان وجيانغشى المعادية هجوما مشتركا على جبال جينغقانغ فى أغسطس (آب) ، احتل العدو كل عواصم المحافظات وجميع السهول فى منطقة الحدود . وكانت قوات الأمن والميليشيا المجندة من كل عائلة — وهى أدوات فى يد العدو — تمعن فى البغى والطغيان ، فساد الارهاب الأبيض كل المدن والأرياف . وقد انهارت معظم المنظمات الحزبية وأجهزة السلطة السياسية . كما أخذ الفلاحون الأغنياء والوصوليون الذين تسللوا الى الحزب يرتدون عن الثورة فى أعداد ضخمة . ولم تتراجع قوات خونان المعادية الى لينغشيان الا بعد معركة جبال جينغقانغ فى ٣٠ أغسطس (آب) ، ولكن قوات جيانغشى المعادية بقيت تتحصن فى سائر عواصم المحافظات ومعظم القرى . ومهما يكن من أمر ، فقد ظل العدو عاجزا عن احتلال المناطق الجبلية التى كانت تشمل القطاع الغربى والشمالى من نينغقانغ ، ومراكز تيانلونغ وشياوشيجيانغ ووانتيانشان فى القسم الشمالى والغربى والجنوبى من يونغشين على الترتيب ، ومركز شانغشى فى ليانخوا ، ومركز جبال جينغقانغ فى سويتشوان ، ومركزى تشينغشيقانغ ودايوان فى لينغشيان . وفى يوليو (تموز) وأغسطس (آب) ،

خاض فوج من الجيش الأحمر ، بالتعاون مع فصائل الحرس الأحمر فى مختلف المحافظات ، عشرات من المعارك الكبيرة والصغيرة ، لكنه لم يخسر فيها سوى ثلاثين بندقية ، وفى النهاية انسحب الى الجبال .

وفيما كان رجالنا يتراجعون الى جبال جينغقانغ عن طريق تشونغيى وشانغيو ، طاردتنا الفرقة السابعة المستقلة بقيادة ليو شى يى ، وهى من قوات جنوبى جيانغشى المعادية ، فلحقتنا فى أرض سويتشوان . وفى ١٣ سبتمبر (أيلول) هزمنا ليوشى يى واستولينا على عدة مئات من البنادق واحتللنا سويتشوان. وفى ٢٦ منه عاد رجالنا الى جبال جينغقانغ . ثم اشتبكنا فى أول أكتوبر (تشرين الأول) فى محافظة نينغقانغ مع لواء تشو خون يوان من قوات العدو التى بقيادة شيونغ شى خوى ، فربحنا المعركة واستردنا جميع أراضى المحافظة . وفى أثناء ذلك انضم الينا ١٢٦ رجلا من قوات خونان المعادية التى يقودها يان تشونغ رو والتى كانت تعسكر فى قويدونغ ، فنظموا فى كتيبة للحرس وعين بى تشان يون قائدا لها . وفى ٩ نوفمبر (تشرين الثانى) هزمنا فوجا من قوات لواء تشو خون يوان المذكور فى عاصمة محافظة نينغقانغ وفى لونغيوانكو . وتقدمنا فى اليوم التالى نحو يونغشين واحتللنا المدينة ، لكننا انسحبنا الى نينغقانغ بعد فترة قصيرة من ذلك . وان منطقتنا تشمل فى الوقت الحاضر كل محافظة نينغقانغ وقسما من كل من سويتشوان ولينغشيان ويونغشين ، وهى تشكل شريطا ضيقا متصلا يمتد من المنحدر الجنوبى لجبال جينغقانغ فى سويتشوان جنوبا الى حدود ليانخوا شمالا . أما مركز شانغشى فى ليانخوا ، ومركزا تيانلونغ وواننيانشان فى يونغشين فهى غير مرتبطة تماما بهذا الشريط المتصل . ويحاول العدو أن يدمر منطقتنا القاعدية بالهجمات العسكرية والحصار الاقتصادى ، ونحن نتهيأ لتحطيم هجماته .

المسائل العسكرية

ان النضال فى منطقة الحدود يتخذ كليا شكل النضال العسكرى ، فلا بد من أن يكون كل من الحزب والجماهير فى حالة حرب . وقد أصبحت المشكلة الرئيسية فى حياتنا اليومية هى كيفية مجابهة العدو وكيفية قتاله . ولا بد أن تكون القواعد الثورية قواعد مسلحة . وكل مكان لا توجد فيه قوة مسلحة ، أو فيه قوة غير كافية ، أو اتخذ فيه تكتيك خاطىء فى مجابهة العدو ، سيتمكن العدو من احتلاله على الفور . ولما كان هذا النضال يزداد شدة كل يوم ، فقد أصبحت مشاكلنا فى غاية التعقيد والخطورة .

ان الجيش الأحمر فى منطقة الحدود يتكون من : ١ ــ الوحدة القادمة من مدينتى تشاوتشو وشانتو ، وكانت سابقا من القوات التى تحت قيادة يه تينغ وخه لونغ(٦) ؛ ٢ ــ فوج الحرس التابع لحكومة وتشانغ الوطنية السابقة(٧) ؛ ٣ ــ فلاحين من بينغجيانغ وليويانغ(٨) ؛ ٤ ــ فلاحين من جنوبى خونان(٩) وعمال من جبل شويكو(١٠) ؛ ٥ ــ جنود أسرى من القوات التى كان يقودها كل من شيو كه شيانغ وتانغ شنغ تشى وباى تشونغ شى وتشو بى ده ووو شانغ وشيونغ شى خوى ؛ ٦ ــ فلاحين من المحافظات فى منطقة الحدود . ولكن القوات التى كانت تحت قيادة يه تينغ وخه لونغ ، وفوج الحرس ، والفلاحين من بينغجيانغ وليويانغ لم يبق منها الا الثلث بعد قتال دام سنة وأكثر . وكذلك قتل وجرح عدد كبير من فلاحى جنوبى خونان . وهكذا فعلى الرغم من بقاء الأقسام الأربعة الأولى حتى اليوم كعمود فقرى للفيلق الرابع من الجيش الأحمر ، الا أن أفرادها قد صاروا أقل بكثير من أفراد القسمين الأخيرين . وفضلا عن ذلك فان معظم الرجال فى هذين القسمين هم من الجنود الأسرى ، ولولا وجود هؤلاء الأسرى كتعويض عن

الخسائر البشرية ، فان مورد القوة البشرية للجيش سيصبح مشكلة خطيرة . وعلى الرغم من ذلك ، فان الزيادة الضئيلة فى رجال الجيش لا تساير الزيادة فى البنادق ، فنحن نادرا ما نفقد البنادق ، ولكن كثيرا ما نفقد الرجال اذ يتعرضون للاصابة والقتل والمرض أو يفرون . وقد وعدت اللجنة الحزبية فى مقاطعة خونان أن ترسل الى هنا عمالا من آنيوان(١١) ، ونحن متلهفون على تحقيق ذلك .

أما فيما يتعلق بالتركيب الطبقى لرجال الجيش الأحمر ، فان بعضهم من العمال والفلاحين ، والبعض الآخر من البروليتاريا المتشردة . وطبيعى أنه ليس أمرا حسنا أن يكون عدد البروليتاريا المتشردة بينهم كبيرا جدا . ولكن البروليتاريين المتشردين يمتازون بقدرة قتالية كبيرة ، ونظرا لأن القتال ينشب كل يوم والخسائر جسيمة فى الرجال بين قتلى وجرحى ، فانه ليس من الأمر الهين اذا استطعنا أن نجد بروليتاريين متشردين ليعوضوا عن النقص فى رجال الجيش . وكل ما نستطيع أن نفعله فى هذه الحال هو تشديد التربية السياسية .

وان غالبية جنود الجيش الأحمر قد جاءوا من جيوش مرتزقة ، لكنهم ما ان ينضمون الى الجيش الأحمر حتى تتغير طبيعتهم . ذلك يعود أولا وقبل كل شيء الى أن الجيش الأحمر قد ألغى نظام الارتزاق ، مما يشعر الجنود بأنهم يحاربون من أجل أنفسهم ومن أجل الشعب لا من أجل أناس آخرين . ولم يطبق الجيش الأحمر حتى الآن نظاما للرواتب المنتظمة ، بل يوزع على الرجال فقط الحبوب ومصروفات زيت الطهى والملح وحطب الوقود والخضروات ، وبعض المال لمصروفات الجيب . وقد وزعت الأرض على سائر ضباط وجنود الجيش الأحمر الذين هم من أهالى منطقة الحدود ، ولكن يصعب كثيرا توزيع الأرض على أولئك الذين جاءوا من خارج هذه المنطقة .

ان جميع جنود الجيش الأحمر قد أصبحوا واعين طبقيا بعد التثقيف السياسى ، وعرفوا ضرورة توزيع الأرض واقامة السلطة السياسية وتسليح العمال والفلاحين وغير ذلك ، وأدركوا جميعا أنهم يحاربون من أجل أنفسهم ومن أجل الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين . ولهذا أصبح بوسعهم تحمل مشاق النضال المرير دون أى شكوى . وقد نظمت فى كل سرية أو كتيبة أو فوج لجنة للجنود تمثل مصالحهم وتقوم بالعمل السياسى والجماهيرى .

ولقد برهنت التجربة على أنه لا يجوز الغاء نظام ممثلى الحزب(١٢) . ونظرا لأن فروع الحزب نظمت على أساس السرية ، فان دور ممثل الحزب على مستوى السرية يتمتع بأهمية خاصة . فان من واجبه أن يشرف على لجنة الجنود ، ويحفزها فى أعمال التربية السياسية ، ويقوم بتوجيه العمل فى الحركة الجماهيرية ، ويعمل فى الوقت نفسه كأمين لفرع الحزب . وقد برهنت الوقائع على أن السرية تصبح أكثر جودة كلما كان ممثل الحزب فيها أفضل ، بينما يصعب على قائد السرية أن يلعب مثل هذا الدور الفعال فى الناحية السياسية . ولما كانت الخسائر جسيمة فى الكوادر على المستويات الدنيا فكثيرا ما يعين جنود العدو الذين نأسرهم قادة للفصائل أو السرايا بعد وقت وجيز من أسرهم . فبعض أولئك الذين أسروا فى فبراير (شباط) ومارس (آذار) من هذا العام قد أصبحوا الآن قادة للكتائب . وقد يبدو ظاهريا أن فى مقدور جيشنا ، ما دام يدعى الجيش الأحمر ، أن يستغنى عن ممثلى الحزب ، ولكن الواقع عكس ذلك تماما . ولقد ألغى الفوج الـ ٢٨ هذا النظام حين كان فى جنوبى خونان ، ولكنه عاد الى تطبيقه فيما بعد . واذا بدلنا اسم ممثلى الحزب بـ « مرشدين » فسوف يؤدى ذلك الى الخلط بينهم وبين المرشدين فى قوات الكومينتانغ وهو أمر يكرهه الجنود الأسرى . وفضلا عن ذلك فان تبديل اسم بآخر أمر لا علاقة له بطبيعة النظام . لذلك قررنا

ألا نجرى أى تبديل . ان الخسائر فى ممثلى الحزب جد جسيمة ، فنأمل من اللجنة المركزية ولجنتى المقاطعتين أن ترسل لنا على الأقل ثلاثين رفيقا مؤهلين للعمل كممثلين للحزب، وذلك الى جانب تنظيمنا لبعض الصفوف التدريبية من أجل تربية كوادر ليسدوا النقص .

لا بد للجندى أن يتلقى عادة تدريبا لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة قبل أن يشترك فى القتال ، أما جنودنا فلا بد لهم أن يشتركوا فى القتال فى اليوم التالى لتجنيدهم دون أى تدريب يذكر . ولما كان مستوى التكنيك العسكرى منخفضا جدا لدى جنودنا فانهم يحاربون بالشجاعة وحدها . ونظرا لأنه من المستحيل أن نجد فترات طويلة للراحة والتدريب ، فان السبيل الوحيد هو أن نحاول تجنب بعض المعارك حتى نكسب بعض الوقت للتدريب اذا استطعنا ذلك . وقد نظمنا من أجل تدريب الضباط ذوى الرتب الدنيا فصل تدريب لـ ١٥٠ شخصا ، وفى نيتنا أن نجعل منه مؤسسة دائمة . ونأمل أن ترسل الينا اللجنة المركزية ولجنتا المقاطعتين عددا كبيرا من الضباط الذين هم من مرتبة قادة الفصائل والسرايا فما فوق .

وقد طلبت لجنة مقاطعة خونان منا أن نعتنى بحياة الجنود المادية وأن نجعلها على الأقل أفضل بقليل من متوسط الحياة للعامل أو الفلاح . ولكن الواقع الحالى عكس ذلك ، لأن كل فرد لا ينال فى اليوم ، ما عدا حصته من الحبوب ، الا خمسة فنات ثمن مصروفات زيت الطهى والملح وحطب الوقود والخضروات ، بل ونجد صعوبة كبيرة فى المحافظة على هذه الحالة . ونحن فى حاجة الى أكثر من عشرة آلاف ريال فضى فى الشهر لضمان هذه المصروفات وحدها ، وهو مبلغ لا نحصل عليه الا بواسطة توجيه الضربات للعتاة المحليين(١٣) . وقد حصلنا الآن على كمية من القطن تكفى لحشو ملابس شتوية لجميع رجال الفيلق البالغ عددهم خمسة آلاف رجل ، ولكن لا تزال تنقصنا الأقمشة

اللازمة لتفصيل هذه الملابس . وعلى الرغم من برودة الطقس ، فان عددا كبيرا من رجالنا لا يبرحون يرتدون فقط بذلة صيفية خفيفة فوق بذلة أخرى مثلها . وعلى كل حال فقد اعتدنا تحمل المشاق . وفضلا عن ذلك ، فان الجميع على السواء يتحملون نفس المشاق ، فكل واحد منهم ، من قائد الفيلق حتى الطاهى ، يأكل بخمسة فنات فى اليوم باستثناء ما يخصص له من الحبوب . أما بشأن مصروفات الجيب ، فيحصل كل فرد على نفس المبلغ ، سواء أ كان عشرين فنا أم أربعين(١٤) . ولذلك لا يضمر الجنود حقدا البتة على أى شخص كان .

وبعد كل اشتباك نجد عددا من الجنود الجرحى . وقد سقط عدد كبير من الضباط والجنود مرضى من جراء سوء التغذية والتعرض للبرد ولأسباب أخرى . وان مستشفياتنا التى تقع فى الجبال تمارس العلاج عن طريق الطب التقليدى الصينى والطب الغربى ، ولكن ينقصها الأطباء والأدوية . ويوجد فيها حاليا ما يزيد عن ثمانمائة نزيل . وقد وعدت لجنة مقاطعة خونان أن تزودنا بالأدوية ، لكننا لم نتلق حتى الآن أى شيء منها . ولا نزال نأمل من اللجنة المركزية ولجنتى المقاطعتين أن ترسل لنا بضعة أطباء ممن يزاولون الطب الغربى ، وشيئا من اليود .

والسبب فى صمود الجيش الأحمر دون أن يصيبه الوهن رغم مثل هذا المستوى المنخفض فى حياته المادية ورغم الاشتباكات غير المنقطعة ، يعود ، فضلا عن الدور الذى يلعبه الحزب ، الى الديمقراطية التى يمارسها الجيش . فالضباط لا يضربون الجنود ، وهم يعيشون معهم فى مستوى واحد ، والجنود يتمتعون بحرية الاجتماع والكلام ، وألغيت الشكليات والرسميات السخيفة ، كما أن دفاتر الحسابات مفتوحة لمراقبة الجميع . والجنود هم الذين يشرفون على اعداد طعامهم ، فهم يستطيعون أن يوفروا ، حتى من

المبلغ اليومى البالغ خمسة فنات والمخصص لشراء زيت الطهى والملح وحطب الوقود والخضروات ، مبلغا صغيرا من أجل مصروفات الجيب يسمى فائض مصروفات الطعام ، ويبلغ على وجه التقريب ستة أو سبعة أعشار من الفن الواحد لكل شخص يوميا . وقد قابل الجنود هذه التدابير برضى بالغ . وان الجنود الأسرى الجدد على الأخص يحسون أن جيش الكومينتانغ وجيشنا هما عالمان مختلفان . وبالرغم من أنهم يشعرون أن الظروف المادية فى الجيش الأحمر أسوأ مما فى الجيش الأبيض الا أنهم قد تحرروا معنويا . وان نفس الجندى الذى لم يكن شجاعا البارحة فى جيش العدو قد أصبح اليوم يتمتع بشجاعة بالغة وهو فى الجيش الأحمر ، وهذه حقيقة تبين لنا ما للديمقراطية من تأثير . ان الجيش الأحمر لأشبه ببوتقة ينصهر فيها سائر الجنود الأسرى فور انضمامهم اليه . وفى الصين ليس الشعب وحده بحاجة الى الديمقراطية ، بل الجيش كذلك بحاجة اليها . وان النظام الديمقراطى فى الجيش هو سلاح مهم فى تقويض الجيش الاقطاعى المرتزق(١٥) .

وتتشكل المنظمات الحزبية فى الجيش حاليا على أربعة مستويات : فرع السرية ، ولجنة الكتيبة ، ولجنة الفوج ، ولجنة الفيلق . ويوجد فرع فى كل سرية ، وخلية فى كل جماعة . وان « تنظيم فرع حزبى فى كل سرية » هو عامل مهم فى قدرة الجيش الأحمر على خوض غمار القتال بشجاعة وبسالة فى الظروف القاسية دون أن يتصدع . وقبل سنتين ، عندما كنا فى جيش الكومينتانغ ، لم يكن لحزبنا أى قاعدة تنظيمية بين الجنود . كما أنه لا يوجد حتى بين قوات يه تينغ(١٦) سوى فرع حزبى واحد فى كل فوج ، وهذا هو السبب فى أن هذه القوات لم تستطع الصمود فى وجه أى امتحان قاس . والنسبة بين الحزبيين واللاحزبيين فى الجيش الأحمر اليوم هى نسبة واحد الى ثلاثة على وجه التقريب ، أى بمعدل عضو حزبى واحد بين كل

أربعة رجال . وقد قررنا مؤخرا أن نجند للحزب عددا أكبر من بين الجنود المقاتلين بحيث تصبح النسبة متساوية بين الحزبيين واللاحزبيين(١٧) . وان فروع السرايا فى الوقت الحاضر ينقصها أمناء جيدون ، ونحن نطلب من اللجنة المركزية أن ترسل لنا لهذه الغاية عددا كبيرا من النشطين الذين يعملون فى مختلف المناطق ولم يعد فى مقدورهم البقاء فى مراكزهم . وان الكوادر الذين أتوا من جنوبى خونان يقومون كلهم على وجه التقريب بالعمل الحزبى فى الجيش ، ولكن بعضهم قد تشتتوا فى أغسطس (آب) أثناء المعارك فى جنوبى خونان ، ولذلك فاننا نعجز اليوم عن نقل قسم من هؤلاء الكوادر للعمل كأمناء لفروع الحزب فى السرايا .

أما القوات المسلحة المحلية فتتكون من فصائل الحرس الأحمر وفصائل الانتفاضة للعمال والفلاحين . والأخيرة مسلحة بالرماح وبنادق الصيد ، ومنظمة على أساس الناحية ، بحيث تكون لكل ناحية فصيلة تضم عددا من الأعضاء يتناسب مع عدد سكان الناحية . ومهمتها هى قمع العناصر المعادية للثورة ، وحماية السلطة السياسية فى الناحية ، ومساعدة الجيش الأحمر أو فصائل الحرس الأحمر فى القتال عندما يأتى العدو . وقد نظمت فصائل الانتفاضة لأول مرة فى محافظة يونغشين كقوة سرية ، ثم خرجت الى حيز العلنية بعد استيلائنا على المحافظة برمتها . ولقد عمم هذا النظام الآن فى المحافظات الأخرى من منطقة الحدود ، وبقيت التسمية دون تبديل . والأسلحة الرئيسية التى تستخدمها فصائل الحرس الأحمر هى بنادق سعتها خمس طلقات ، لكنها تملك أيضا بنادق سعتها تسع طلقات وأخرى سعتها طلقة واحدة . ويبلغ عدد هذه الأسلحة ١٤٠ بندقية فى نينغقانغ ، و٢٢٠ فى يونغشين ، و٤٣ فى ليانخوا ، و٥٠ فى تشالينغ ، و٩٠ فى لينغشيان ، و١٣٠ فى سويتشوان ، و١٠ فى وانآن ، فمجموعها يبلغ ٦٨٣ بندقية . ومعظم هذه البنادق مقدمة

من الجيش الأحمر ، أما الجزء الصغير منها فهو مما غنمته فصائل الحرس الأحمر بنفسها من العدو . وتتزايد باطراد القدرة القتالية لدى غالبية فصائل الحرس الأحمر فى مختلف المحافظات بفضل قتالها المتواصل ضد قوات الأمن والميليشيا المجندة من كل عائلة ، التابعة للعتاة المحليين والوجهاء الأشرار . وقبل حادثة ٢١ مايو (أيار)(١٨) ، كانت توجد فى مختلف المحافظات قوات دفاع الفلاحين . وكانت تملك ٣٠٠ بندقية فى يوشيان، و٣٠٠ فى تشالينغ ، و٦٠ فى لينغشيان ، و٥٠ فى سويتشوان ، و٨٠ فى يونغشين ، و٦٠ فى ليانخوا ، و٦٠ فى نينغقانغ (رجال يوان ون تساى) ، و٦٠ فى جبال جينغقانغ (رجال وانغ تسوه) ، فمجموعها ٩٧٠ بندقية . أما بعد الحادثة ، فلم يبق منها سوى ست بنادق فى سويتشوان وبندقية واحدة فى ليانخوا ، باستثناء بنادق رجال يوان ون تساى ووانغ تسوه التى لم تلحق بها أى خسارة ، وقد استولى العتاة المحليون والوجهاء الأشرار على البقية كلها . وكان هذا العجز من جانب قوات دفاع الفلاحين عن المحافظة على بنادقهم هو نتيجة الخط الانتهازى . وفى الوقت الحاضر لا تزال فصائل الحرس الأحمر فى مختلف المحافظات تشكو من النقص الشديد فى البنادق ، فهى أقل عددا من البنادق التى يملكها العتاة المحليون والوجهاء الأشرار ، فينبغى للجيش الأحمر أن يواصل تزويد فصائل الحرس الأحمر بالأسلحة . ان من واجب الجيش الأحمر أن يبذل كل ما فى وسعه لكى يساعد الشعب على تسليح نفسه ، بشرط ألا يضعف ذلك من قدرته القتالية . وقد قررنا تأليف كل كتيبة من الجيش الأحمر من أربع سرايا وتزويد كل سرية بـ ٧٥ بندقية ، واذا أضفنا الى بنادق الكتائب الثلاث ما تملكه كل من سرية الحرس ، وسرية المدافع الرشاشة ، وسرية مدافع الهاون ، والقيادة العامة للفوج ، والقيادات الثلاث للكتائب التابعة للفوج ، أصبحت لكل فوج ١٠٧٥ر١ بندقية . وانه

لمن الواجب أن نستخدم قدر الامكان البنادق التى يتم الاستيلاء عليها أثناء القتال فى تسليح القوات المحلية . وفيما يتعلق بقادة فصائل الحرس الأحمر ، ينبغى للمحافظات أن ترسل الى فصل التدريب المنظم من قبل الجيش الأحمر أناسا يتلقون فيه التدريب ليكونوا قادة لها بعد اتمام تدريبهم . ويتوجب على الجيش الأحمر أن يقلل تدريجيا من عدد من يرسلهم الى المحافظات والذين هم من غير أهلها للعمل فيها كقادة فصائل الحرس الأحمر . ان تشو بى ده يسلح كذلك قوات الأمن والميليشيا المجندة من كل عائلة ، التابعة له ، كما أن القوات المسلحة التابعة للعتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى مختلف المحافظات من منطقة الحدود هى قوة لا يستهان بها من حيث تعدادها وقدرتها القتالية . ولهذه الأسباب جميعا ، لا يجوز لنا أن نتراخى ولو لحظة واحدة فى توسيع القوات المسلحة المحلية الحمراء .

ويجب على الجيش الأحمر أن يعمل بمبدأ تركيز القوات ، بينما فصائل الحرس الأحمر يجب أن تتبنى مبدأ تقسيم القوات . ففى المرحلة الراهنة من الاستقرار الموقت بين السلطات السياسية الرجعية ، يستطيع العدو أن يجمع قوات هائلة لمهاجمة الجيش الأحمر ، لذلك فليس فى مصلحة الجيش الأحمر أن يقسم قواته . ولقد أثبتت تجاربنا أن تقسيم القوات يؤدى الى الهزيمة فى كل مرة تقريبا ، بينما تركيز قواتنا لقتال عدو أقل منا عددا أو مساو لنا أو متفوق علينا قليلا ، كثيرا ما ينتهى الى الظفر . ان لجنة الحزب المركزية أصدرت الينا تعليماتها بأن نوسع حرب العصابات حتى تشمل منطقة مترامية الأطراف تغطى آلافا عديدة من الأميال طولا وعرضا ، وقد يعود السبب فى ذلك الى مبالغتها فى تقدير قوتنا . أما بالنسبة الى فصائل الحرس الأحمر فان تقسيم القوات يكون فى مصلحتها ، وفى الوقت الحاضر تزاول فصائل الحرس الأحمر فى مختلف المحافظات أسلوب تقسيم القوات والقتال فى

وحدات متفرقة .

وان أنجع الأساليب للدعاية بين قوات العدو هو اطلاق سراح الأسرى وتقديم المعالجة الطبية لجرحاهم . وحالما نأسر بعض الجنود وقادة الكتائب والسرايا والفصائل من قوات العدو فاننا نقوم بالدعاية بينهم ، فينقسمون الى قسمين : قسم يريدون البقاء وقسم آخر يرغبون فى الذهاب ، وهؤلاء الأخيرون نعطيهم نفقات السفر ونطلق سراحهم . وبذلك نستطيع أن ندحض فى الحال افتراءات العدو الزاعمة أن « قطاع الطرق الشيوعيين يقتلون كل من تقع عليه أبصارهم » . وبخصوص هذا التدبير تقول مجلة « جيوشى شيونكان » الناطقة بلسان يانغ تشى شنغ : « يا له من لؤم قاتل ! » ان جنود الجيش الأحمر يحيطون الأسرى بالعناية البالغة كما يودعونهم وداعا حارا ، أما الجنود الأسرى فنجدهم فى كل مرة يلقون خطبا فى « حفلة التوديع للاخوة الجدد » يعبرون فيها عن امتنانهم القلبى . كما أن المعالجة الطبية لجرحى العدو هى أيضا وسيلة ناجعة جدا . وتقليدا لنا ، عمد فى الأيام الأخيرة بعض الأذكياء فى صفوف العدو ، مثل لى ون بين ، الى عدم قتل الأسرى والى تقديم العناية الطبية للجنود الجرحى . وعلى الرغم من ذلك حدث مرتين أن بعض رجالنا عادوا الى صفوفنا بأسلحتهم أثناء الاشتباكات بين الفريقين . وفضلا عن ذلك فقد قمنا قدر امكاننا بدعاية مكتوبة ككتابة الشعارات . وأينما ذهبنا غطينا الجدران بالشعارات . ولكن ينقصنا من يجيدون الرسم ، ونأمل أن ترسل لنا اللجنة المركزية واللجنتان الحزبيتان فى المقاطعتين بعضا من هؤلاء .

القواعد العسكرية : ان القاعدة الأولى ــ جبال جينغقانغ ــ تقع عند التقاء حدود المحافظات الأربع : نينغقانغ ولينغشيان وسويتشوان ويونغشين ؛ وتقع عند المنحدر الشمالى لجبال جينغقانغ قرية ماوبينغ من أعمال محافظة نينغقانغ ، وتقع عند المنحدر الجنوبى قرية خوانغآو من أعمال محافظة سويتشوان ، وتفصل

بين القريتين ٩٠ لى ، أما عند المنحدر الشرقى فتقع قرية ناشان من أعمال محافظة يونغشين ، وتقع عند المنحدر الغربى قرية شويكو من أعمال محافظة لينغشيان ، وتفصل بينهما ٨٠ لى . ويبلغ محيط دائرة هذه القاعدة ٥٥٠ لى وهويمتد من ناشان عبر لونغيوانكو (فى محافظة يونغشين) ، وشينتشنغ ، وماوبينغ ، ودالونغ (وجميعها فى محافظة نينغقانغ) ، وشيدو ، وشويكو ، وشياتسون (وجميعها فى محافظة لينغشيان) ، وبينغبانشيو ، ودايجيابو ، ودافن ، ودويتسيتشيان ، وخوانغآو ، ووودوجيانغ ، الى تشهآو (وجميعها فى محافظة سويتشوان) ، ومنها الى ناشان مرة ثانية . وتوجد فى هذه الجبال حقول للأرز وبعض القرى عند مواقع البئر الكبرى ، والبئر الصغرى ، والبئر العليا ، والبئر الوسطى ، والبئر السفلى ، وعند تسيبينغ ، وشياتشوانغ ، وشينغتشو ، وتساوبينغ ، وباينيخو ، ولوفو ، وهذه الأماكن كانت فى الماضى أوكارا لقطاع الطرق والجنود المشتتين ، ولكنها تحولت الآن الى قواعد لنا . بيد أن عدد السكان فيها لا يتجاوز الألفين ، ومحصول الأرز أقل من عشرة آلاف دان ، بحيث أن الجيش الأحمر المرابط فيها يعتمد كليا فى مؤنه على الحبوب التى ترسلها محافظات نينغقانغ ويونغشين وسويتشوان . وان سائر الممرات الاستراتيجية فى الجبال محصنة بالاستحكامات ، كما أن المستشفيات ، ومعامل اللحف والملابس ، وقسم الذخيرة ، ومكاتب المؤخرة الخاصة بمختلف الأفواج موجودة جميعا فى هذه المنطقة . وفى الوقت الحاضر تنقل الحبوب الى الجبال من نينغقانغ . واذا توفر لدينا ما يكفى من المؤن فانه يستحيل على العدو أن يقتحم حدودنا . أما القاعدة الثانية – جبال جيولونغ – فتقع عند التقاء حدود هذه المحافظات الأربع : نينغقانغ ويونغشين وليانخوا وتشالينغ ، وهى أقل أهمية من جبال جينغقانغ ، وتتخذها القوات المسلحة المحلية فى المحافظات الأربع آخر قاعدة لها ، وقد تم تحصينها أيضا . ومن الضرورى

أن تستفيد القواعد الثورية الحمراء التى تطوقها السلطة السياسية البيضاء من المزايا الاستراتيجية التى تتمتع بها الجبال .

مسألة الأرض

حالة الأراضى فى منطقة الحدود : اذا تحدثنا بصورة عامة فان أكثر من ٦٠ بالمائة من الأراضى فى يد ملاك الأراضى وأقل من ٤٠ بالمائة فى يد الفلاحين . وفى مقاطعة جيانغشى ، فان ملكية الأرض أكثر تركيزا فى محافظة سويتشوان حيث تبلغ الأرض التى فى يد ملاك الأراضى ٨٠ بالمائة تقريبا . وتأتى يونغشين فى المرتبة الثانية حيث تبلغ الأرض التى فى يد ملاك الأراضى ٧٠ بالمائة تقريبا . ويوجد فى محافظات وانآن ونينغقانغ وليانخوا عدد أكبر من الفلاحين الزارعين فى أرضهم ، لكن ملاك الأراضى يملكون مع ذلك معظم الأراضى – حوالى ٦٠ بالمائة ، أما الفلاحون فلا يملكون سوى ٤٠ بالمائة . أما فى مقاطعة خونان ، فان حوالى ٧٠ بالمائة من الأراضى فى كل من محافظتى تشالينغ ولينغشيان فى يد ملاك الأراضى .

مشكلة الطبقة الوسطى : اذا أخذنا بعين الاعتبار حالة الأراضى هذه وجدنا أنه من الممكن أن نحصل على تأييد غالبية السكان فى مصادرة جميع الأراضى واعادة توزيعها(١٩) . بيد أن السكان فى المناطق الريفية ينقسمون على العموم الى ثلاث طبقات : طبقة ملاك الأراضى الكبار والمتوسطين ، والطبقة الوسطى التى تتشكل من ملاك الأراضى الصغار والفلاحين الأغنياء ، وطبقة الفلاحين المتوسطين والفقراء . وغالبا ما ترتبط مصالح الفلاحين الأغنياء بمصالح ملاك الأراضى الصغار . وان الأرض التى فى يد الفلاحين الأغنياء لا تشكل سوى نسبة مئوية ضئيلة من المساحة الكلية ، ولكن اذا أضفنا

اليها أرض ملاك الأراضى الصغار بلغ مجموعها نسبة لا يستهان بها . والمظنون أن هذه هى الحالة السائدة فى كل البلاد تقريبا . وان السياسة المتعلقة بالأرض التى تتبع فى منطقة الحدود هى المصادرة التامة والتوزيع بصورة شاملة ؛ وهكذا فقد تعرض كل من طبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار والطبقة الوسطى لضرباتنا فى المنطقة الحمراء . هذه هى سياستنا ، ولكننا أثناء تطبيقها العملى اصطدمنا بعراقيل شديدة من قبل الطبقة الوسطى . ففى الأيام الأولى من الثورة ، كان أفراد الطبقة الوسطى يتظاهرون بالاستسلام أمام طبقة الفلاحين الفقراء ، لكنهم فى الواقع كانوا يستغلون المكانة التى يتمتعون بها فى المجتمع والسلطة العشائرية لاخافة الفلاحين الفقراء ومن أجل تأجيل توزيع الأرض . وحينما وجدوا أن التأجيل لم يعد ممكنا عمدوا الى عدم الافصاح عن مساحة ما يملكونه من أراض ، أو يحتفظون بالأرض الخصبة لأنفسهم ويتركون الأرض غير الخصبة للآخرين . وكثيرا ما كان الفلاحون الفقراء فى هذه الفترة يقبلون آراء الطبقة الوسطى ولا يجرؤون على المبادرة الى العمل الايجابى ، نظرا لأنهم تعرضوا طويلا للكبت والقهر وأنهم غير واثقين من انتصار الثورة . فالأعمال الايجابية لا تتخذ فى القرى ضد الطبقة الوسطى الا بعد حلول فترة المد الثورى ، عندما يتم الاستيلاء على السلطة السياسية فى محافظة واحدة أو عدة محافظات مثلا ، وتتكرر هزائم الجيش الرجعى ، وتظهر قوة الجيش الأحمر للعيان عدة مرات . ولنأخذ مثلا بالقطاع الجنوبى من محافظة يونغشين ، حيث الطبقة الوسطى أكبر عددا ، فقد كانت الحالة فيه أكثر خطورة فى مسألة تأجيل توزيع الأرض وعدم الافصاح عن ملكية الأرض الحقيقية . ولم يتم توزيع الأرض فيه بصورة فعلية الا عندما أحرز الجيش الأحمر نصرا كبيرا فى لونغيوانكو فى ٢٣ يونيو (حزيران) وعاقبت حكومة المركز بعض الأشخاص الذين عملوا على تأجيل توزيع الأرض . وبما

أن النظام العشائرى الاقطاعى منتشر على نطاق واسع فى كل محافظة ، حيث أن عشيرة واحدة تقطن فى الغالب قرية كاملة أو عدة قرى ، فلا بد من مرور زمن طويل قبل أن يكتمل الاستقطاب الطبقى ويتم التخلص من النفوذ العشائرى فى القرى .

ارتداد الطبقة الوسطى فى ظل الارهاب الأبيض : بما أن الطبقة الوسطى تعرضت للضربات خلال المد الثورى ، فانها ترتد على الفور الى جانب العدو حين يحل الارهاب الأبيض . وكان ملاك الأراضى الصغار والفلاحون الأغنياء فى يونغشين ونينغقانغ هم الذين دلوا القوات الرجعية على منازل الفلاحين الثوريين هناك فأحرقتها بصورة فظيعة . وبناء على توجيهات الرجعيين كانوا يحرقون البيوت ويعتقلون الناس بوقاحة بالغة . وعندما رجع الجيش الأحمر الى مناطق نينغقانغ وشينتشنغ وقوتشنغ ولونغشى ، فر الألوف من الفلاحين هناك مع الرجعيين الى يونغشين ، وذلك لأنهم انخدعوا بدعاية الرجعيين القائلة بأن الشيوعيين سوف يقتلونهم . فقمنا بدعايات قلنا فيها : « لا نقتل الفلاحين المرتدين » و« مرحبا بعودة الفلاحين المرتدين لحصاد مزروعاتهم » ، وعندئذ فقط أخذ بعضهم يعودون الى دورهم تدريجيا .

وحين تكون الثورة على نطاق البلاد كلها فى جزر ، فان أصعب مشكلة تواجهنا فى مناطق القواعد الثورية هى عجزنا عن السيطرة على الطبقة الوسطى . وان للسبب الرئيسى فى ارتداد هذه الطبقة يعود الى أنها قد تعرضت لضربات بالغة من قبل الثورة . أما اذا كانت كل البلاد فى حالة مد ثورى ، وازدادت شجاعة طبقة الفلاحين الفقراء لأنها تجد ما تعتمد عليه ، فان الطبقة الوسطى سوف لا تجرؤ على تجاوز الحدود فى تصرفاتها لأنها تجد ما تخشاه . فعندما امتدت الحرب بين لى تسونغ رن وتانغ شنغ تشى الى خونان ، حاول ملاك الأراضى الصغار فى تشالينغ أن يتملقوا الفلاحين ، فكان بعضهم يهدون

لحم الخنزير للفلاحين فى عيد رأس السنة (وكان الجيش الأحمر وقتذاك قد انسحب من تشالينغ قاصدا سويتشوان) . ولكنه بعد ما وضعت تلك الحرب أوزارها ، لم يعد يحدث أى شىء من ذلك القبيل . وفى الوقت الراهن الذى يظهر فيه مد معاكس للثورة فى كل البلاد ، فان الطبقة الوسطى فى المناطق البيضاء ، التى سبق أن تعرضت للضربات ، قد انحازت كلها تقريبا الى جانب طبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، وأصبحت طبقة الفلاحين الفقراء قوة معزولة . وهذه مشكلة جد خطيرة(٢٠) .

ضغط الحياة اليومية يؤدى الى ارتداد الطبقة الوسطى : ان المنطقتين الحمراء والبيضاء اللتين تقف احداهما ضد الأخرى هما بمثابة دولتين متعاديتين. وان التجارة بين المنطقتين قد انقطعت بصورة تامة تقريبا ، بسبب الحصار المحكم الذى يفرضه العدو ومعاملتنا الخاطئة للبرجوازية الصغيرة ، ونظرا لأن الضروريات اليومية مثل الملح والأقمشة والأدوية نادرة وغالية الثمن ، وأن المنتجات الزراعية مثل الأخشاب والشاى وزيت الطهى لا يمكن ارسالها الى المناطق البيضاء مما أدى الى انقطاع مصدر دخل الفلاحين النقدى ، فقد تأثر سائر أفراد الشعب من جراء ذلك . وان طبقة الفلاحين الفقراء تستطيع بصورة نسبية تحمل مثل هذه المشاق ، لكن الطبقة الوسطى سوف تستسلم لطبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار حالما تجد نفسها لم تعد تطيق هذه المشاق . واذا لم تستمر الانقسامات والحروب فى صفوف العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وأمراء الحرب فى الصين ولم تتطور الأوضاع الثورية الى الأمام على نطاق البلاد كلها ، فستتعرض القواعد الثورية الحمراء فى المناطق الصغيرة لضغط اقتصادى قاس ، وسيصبح بقاؤها لمدة طويلة أمرا غير مؤكد، ذلك أن مثل هذا الضغط الاقتصادى ليس أمرا لا يطاق بالنسبة الى الطبقة الوسطى فحسب ، بل قد يأتى يوم لا يستطيع فيه العمال والفلاحون الفقراء

وجنود الجيش الأحمر أن يثابروا على تحمل هذا الضغط . وقد حدث أن نفد ملح الطعام فى محافظتى يونغشين ونينغقانغ ، وانقطع ورود الأقمشة والأدوية تماما ، ناهيك عن الأشياء الأخرى . ويمكن الحصول الآن على الملح فى هاتين المحافظتين ، بيد أن سعره باهظ . أما الأقمشة والأدوية فلا تزال معدومة . كما أن الأخشاب والشاى وزيت الطهى التى تنتج بكميات كبيرة فى نينغقانغ وغربى يونغشين وشمالى سويتشوان (وكلها داخل محيط قواعدنا الحالية) لا يمكن ارسالها حتى الآن الى خارج هذه المناطق(٢١) .

المقياس فى توزيع الأراضى : تعتبر الناحية كوحدة لتوزيع الأرض . وفى بعض المناطق حيث تكثر الجبال وتقل الأرض الصالحة للزراعة ، مثلا فى مركز شياوجيانغ من محافظة يونغشين ، تعتبر ثلاث نواح أو أربع مجتمعة كوحدة واحدة ، بيد أن هذه الحالات نادرة جدا . وكان سائر سكان الريف ، رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، يتلقون حصصا متساوية من الأرض . لكنه أجرى الآن تغيير فى المقياس يتفق مع مشروع اللجنة المركزية ، فأصبحت القدرة على العمل مقياس التوزيع ، بحيث أن الشخص الذى يملك القدرة على العمل يتلقى حصة هى ضعف حصة الشخص الذى لا يملك تلك القدرة(٢٢) .

مسألة التنازلات للفلاحين الذين يملكون الأرض : وهى مسألة لم تناقش بالتفصيل بعد . وقد طالب الفلاحون الأغنياء من بين صفوف الفلاحين الذين يملكون الأرض بأن تتخذ القوة المنتجة كمقياس للتوزيع ، أى أن أولئك الذين يملكون قوة عاملة أكبر ورأسمالا أكثر (كالأدوات الزراعية مثلا) يجب أن يمنحوا حصة أكبر من الأرض . ويرى الفلاحون الأغنياء أن التوزيع المتساوى والتوزيع وفقا للقدرة على العمل كلاهما ليس فى مصلحتهم. وقد أبدوا الاستعداد لأن يبذلوا جهودا أكبر حتى يستطيعوا زيادة انتاج محصولاتهم اذا ما أضيفت هذه الجهود الى فعالية رساميلهم . انهم لن يرضوا اذا ما

منحوا أرضا مساوية لما يمنح لغيرهم وأهملت جهودهم الخاصة ورأسمالهم الزائد (أى بقيت عاطلة) . ولا يزال توزيع الأرض يجرى وفقا لمشروع اللجنة المركزية ، بيد أن هذه المشكلة جديرة بالمناقشة مرة أخرى ، وسوف نقدم تقريرا بشأنها عندما يتم التوصل الى نتيجة .

ضريبة الأرض : ان نسبة هذه الضريبة فى نينغقانغ هى ٢٠ بالمائة من المحصول ، أى بزيادة ٥ بالمائة عن النسبة التى حددتها اللجنة المركزية ، ونظرا لأن تحصيل الضريبة قيد التنفيذ ، ينبغى ألا نجرى الآن أى تغيير فى هذه النسبة ، ونحن سوف نخفضها فى العام المقبل . وفيما عدا ذلك ، فان القطاعات الموجودة فى داخل منطقة القواعد الثورية من أراضى سويتشوان ولينغشيان ويونغشين هى جميعا مناطق جبلية حيث يعيش الفلاحون فى فقر مدقع ، فلا يصح تحصيل الضريبة منهم . ونحن نعتمد على توجيه الضربات للعتاة المحليين فى المناطق البيضاء من أجل تغطية نفقات الحكومة وفصائل الحرس الأحمر . أما بخصوص مؤن الجيش الأحمر فنحصل على الأرز فى الوقت الراهن عن طريق تحصيل ضريبة الأرض فى نينغقانغ ، بينما لا نستطيع الحصول على الأموال النقدية الا عن طريق توجيه الضربات للعتاة المحليين أيضا . ولقد جمعنا خلال حرب العصابات التى قمنا بها فى سويتشوان فى أكتوبر (تشرين الأول) ما يزيد عن عشرة آلاف يوان ، وهو مبلغ سيكفينا لفترة من الزمن ، وسوف نرى ما يمكن عمله عندما ينفد هذا المبلغ .

مسألة السلطة السياسية

ان السلطة السياسية الشعبية على مستويات المحافظة والمركز والناحية قد أقيمت بصورة شاملة ، بيد أن تسميتها لا تتفق مع الواقع . فنحن لا نجد

في أماكن عديدة أي مجلس لممثلي العمال والفلاحين والجنود يمكن التحدث عنه . واللجان التنفيذية لحكومات النواحي والمراكز وحتى لحكومات المحافظات قد انتخبت عن طريق الاجتماعات الجماهيرية . بيد أن الاجتماعات الجماهيرية المعقودة بصورة ارتجالية لا يمكنها أن تناقش المشاكل ولا أن تساعد في تدريب الجماهير سياسيا ، واضافة الى ذلك فانه يسهل كثيرا على المثقفين والوصوليين أن يسيطروا على هذه الاجتماعات . وفي بعض الأماكن قد تشكلت مجالس ممثلين ، لكنها تعتبر مجرد جهاز موقت لانتخاب اللجان التنفيذية ، فاذا ما تم هذا الانتخاب استأثرت اللجان بالسلطة ولم يعد للمجالس أي ذكر . أما مجالس ممثلي العمال والفلاحين والجنود الجديرة بهذا الاسم فليست معدومة ولكنها نادرة الوجود . والسبب في ذلك يعود الى نقص الدعاية والتثقيف المتعلقين بهذا النظام السياسي الجديد – نظام مجلس الممثلين . ان العادات السيئة التي تتجسد في الاستبداد والتعسف والتي كانت سائدة في العهود الاقطاعية لها جذور عميقة في أذهان الجماهير وحتى في أذهان عامة أعضاء الحزب ، ولا يمكن استئصالها في فترة وجيزة ، فحالما يعرض أمر من الأمور يبحثون عن أيسر السبل لحله ولا يحبون اللجوء الى النظام الديمقراطي الذي يعتبرونه شيئا معقدا . وليس في الامكان تطبيق المركزية الديمقراطية في المنظمات الجماهيرية بصورة واسعة وفعالة الا اذا ظهرت فعاليتها في النضال الثوري وفهمت الجماهير أن تلك المركزية الديمقراطية هي أحسن طريقة لتعبئة قواها وتقديم المساعدة لنضالاتها . واننا نصوغ الآن قانونا تنظيميا مفصلا للمجالس على مختلف المستويات (على أساس الخطوط الأولية التي وضعتها اللجنة المركزية) ، وذلك لكي نصحح بصورة تدريجية الأخطاء السابقة . كما أننا نشكل الآن في الجيش الأحمر مجالس ممثلي الجنود في مختلف المستويات ، وسنواصل تشكيلها بصورة دائمة ، وذلك من أجل تصحيح

الخطأ السابق الذى يكمن فى وجود لجان الجنود فقط من دون مجالس ممثليهم .

والذى تعرفه الجماهير الشعبية عامة فى الوقت الراهن باعتباره « حكومة العمال والفلاحين والجنود » هو اللجنة التنفيذية ، ذلك لأنهم لا يزالون يجهلون السلطة التى يتمتع بها مجلس الممثلين ، ويعتقدون أن اللجنة التنفيذية هى وحدها جهاز السلطة الحقيقى . وان كل لجنة تنفيذية لا تستند الى مجلس ، كثيرا ما تتصرف فى أعمالها دون اعتبار آراء الجماهير ، وقد حدث فى كل مكان أن مثل هذه اللجنة تتردد وتهادن فى مصادرة الأرض وتوزيعها ، وتبدد الأموال وتختلسها ، وتتخوف وتتراجع أمام القوى البيضاء أو تخوض النضال ضدها دون حزم . وفيما عدا ذلك ، فان هذه اللجنة التنفيذية نادرا ما تجتمع فى نصاب كامل ، فلجنتها الدائمة هى التى تتصرف فى كل الأعمال وتتخذ فيها القرارات . حتى ان اللجنة الدائمة على مستوى كل من حكومتى المركز والناحية ، قلما تجتمع ، بل ان كلا من رئيس اللجنة والسكرتير وأمين الخزينة وقائد فصيلة الحرس الأحمر (أو قائد فصيلة الانتفاضة) يتصرف فى الأمور التى يختص بها ويتخذ فيها القرارات ، وهؤلاء الأربعة يعملون على الدوام فى مكتب اللجنة . وهكذا فان الناس لم يتعودوا على ممارسة المركزية الديمقراطية حتى فى العمل الحكومى .

وفى الأيام الأولى ، تهافت ملاك الأراضى الصغار والفلاحون الأغنياء للوصول الى اللجان الحكومية وعلى الأخص تلك اللجان التى على مستوى الناحية . ولقد حملوا الأشرطة الحمراء وتظاهروا بالحماسة واستطاعوا التسلل فى اللجان الحكومية بوسائل خداعة ، وقبضوا على كل سلطة فيها ، ولم يتركوا الا دورا ثانويا للأعضاء الذين هم من الفلاحين الفقراء . ولن يكون فى الامكان التخلص منهم الا بعد فضح ملامحهم الحقيقية فى مجرى النضال وبعد تثبيت أقدام الفلاحين الفقراء . وان مثل هذه الحالات قد ظهرت فى

أماكن عديدة رغم أنها لم تظهر على نطاق واسع .

ويتمتع الحزب بهيبة وسلطان عظيمين بين الجماهير ، بينما الحكومة متأخرة عنه بكثير فى هذه الناحية ، والسبب فى ذلك يعود الى أن الحزب يعمد ، بغية تسهيل الأمور ، الى معالجة أمور عديدة بصورة مباشرة ، غير عابئ بأجهزة السلطة السياسية ، وهناك أمثلة عديدة على ذلك . وفى بعض الأماكن لا توجد فرق الحزب القيادية فى أجهزة السلطة السياسية ، فى حين أنها توجد فى بعض الأماكن الأخرى ، لكنها لا تؤدى وظيفتها على وجه مرض . وينبغى للحزب من الآن فصاعدا أن يؤدى مهمته فى قيادة الحكومة ؛ فسياسات الحزب وتدابيره ، باستثناء الدعاية حولها ، يجب أن تنفذ عن طريق الأجهزة الحكومية . أما أسلوب حزب الكومينتانغ الخاطئ فى اصدار الأوامر مباشرة الى حكومته فأمر يجب أن نتجنب حدوثه .

مسألة التنظيم الحزبى

النضال ضد الانتهازية : يمكن القول بأن الانتهازيين كانوا يسيطرون على المنظمات الحزبية فى محافظات منطقة الحدود فى فترة ما قبل حادثة ٢١ مايو (أيار) ١٩٢٧ وبعدها . فكانوا نادرا ما يخوضون نضالات حازمة أمام الحركة المعادية للثورة . ولما حل أكتوبر (تشرين الأول) من السنة الماضية ، عندما وصل الجيش الأحمر (الفوج الأول من الفرقة الأولى التابعة للفيلق الأول من الجيش الثورى للعمال والفلاحين) الى مختلف المحافظات فى منطقة الحدود ، لم يبق فيها سوى عدد قليل من الأعضاء الحزبيين المتخفين ، أما المنظمات الحزبية فقد سحقت تماما على يد العدو . وكانت فترة ما بين نوفمبر (تشرين الثانى) من السنة الماضية وابريل (نيسان) هى فترة اعادة

بناء الحزب ، كما كانت الفترة التى أعقبت مايو (أيار) هى فترة توسع فيها الحزب على نطاق واسع . وخلال الاثنى عشر شهرا الماضية شهدنا فى كل مكان مظاهر الانتهازية داخل الحزب ، فهناك عدد من الأعضاء الحزبيين تعوزهم العزيمة على النضال ، فاذا وصل العدو اختفوا فى قلب الجبال وسموا ذلك بـ « نصب كمين » ، بينما نجد عددا آخر من الأعضاء الحزبيين يتمتعون بالنشاط الفائق ، الا أنهم يميلون الى القيام بانتفاضات طائشة . وكلا المظهرين انعكاس لايديولوجية البرجوازية الصغيرة . وقد قل حدوث مثل هذه الحالات تدريجيا بعد فترة طويلة من التمرس أثناء النضال ومن التثقيف الداخلى فى الحزب . وفى هذه الفترة ظهرت أيضا نفس ايديولوجية البرجوازية الصغيرة هذه فى الجيش الأحمر . وهكذا كانت تطرح اقتراحات داعية الى خوض المعارك اليائسة أو الى الاسراع فى الهروب كلما اقترب العدو . وغالبا ما كان نفس الشخص يعبر عن هاتين الفكرتين فى أثناء مناقشة ما سيتخذ من الخطوات العسكرية . ولم يتم تصحيح هذه الأفكار الانتهازية بصورة تدريجية الا بعد فترة طويلة من الصراع الداخلى فى الحزب وبعد تلقى دروس من الوقائع الموضوعية ، كتكبد الخسائر فى المعارك اليائسة والفشل بسبب الهروب .

نزعة التعصب المحلى : ان الاقتصاد فى منطقة الحدود زراعى ، ولا تزال بعض المناطق تعيش فى عصر المدقات اليدوية (تستخدم فى المناطق الجبلية على العموم مدقات يدوية خشبية لتقشير الأرز ، ولا تكثر المدقات الحجرية الا فى السهول) . وان وحدة التنظيم الاجتماعى هى ، على وجه العموم ، العشيرة المؤلفة من عائلات يحمل أفرادها اسم جد واحد . وكثيرا ما نجد فى المنظمات الحزبية فى القرى أن اجتماع الفرع الحزبى هو بمثابة اجتماع عشيرة بالفعل ، ذلك لأن الفرع الحزبى غالبا ما يتألف من أعضاء حزبيين

ينتسبون الى عشيرة واحدة بسبب تجاورهم فى السكنى . وفى الحقيقة أنه لأمر فى غاية الصعوبة أن يبنى فى مثل هذه الظروف «حزب بلشفى مناضل» . ان مثل هؤلاء الأعضاء لا يفهمون كثيرا أن الشيوعيين لا يرسمون خطا فاصلا بين بلد وآخر ، أو بين مقاطعة وأخرى ، كما أنهم لا يفهمون كثيرا أن الشيوعيين لا يرسمون خطا فاصلا بين مختلف المحافظات أو المراكز أو النواحى . ان التعصب المحلى يوجد بشكل خطير بين أهالى محافظة وأخرى ، وكذلك بين أهالى مختلف المراكز داخل المحافظة الواحدة وحتى بين أهالى النواحى فيها . ان أسلوب الاقناع بالحجج فى سبيل تصفية هذه النزعة لا يثمر فى أحسن الأحوال الا نتائج محدودة ، ولكن الاضطهاد من قبل القوى البيضاء ، الذى لا يتصف بنزعة التعصب المحلى ، يؤدى خدمة أكبر فى هذا المضمار ، ومثال ذلك أن حملات « الابادة المشتركة » التى قامت بها القوى المعادية للثورة فى المقاطعتين قد أشعرت أبناء الشعب فى غمرة النضال أن هناك مصلحة مشتركة تربط بينهم ، فهذا هو السبيل الوحيد لتصفية تلك النزعة تدريجيا . وبفضل كثير من هذه الدروس ، أخذت نزعة التعصب المحلى فى التضاؤل .

مشكلة السكان الأصليين والمستوطنين : هناك ظاهرة أخرى شاذة فى محافظات منطقة الحدود ، ألا وهى التنافر بين السكان الأصليين والمستوطنين. فلا يزال هناك تنافر شديد بين السكان الأصليين وبين المستوطنين الذين أتى أسلافهم من الشمال واستوطنوا هذه الأرض قبل مئات السنين ، والعداء التقليدى المستحكم فيما بينهم لعميق الجذور ، وقد يؤدى فى بعض الأحيان الى نزاعات عنيفة . وان هؤلاء المستوطنين الذين يبلغ تعدادهم عدة ملايين يقطنون منطقة تبدأ من حدود فوجيان وقوانغدونغ ، وتمتد على طول الحدود بين خونان وجيانغشى حتى جنوبى خوبى . والمستوطنون يقطنون المناطق

الجبلية ويقاسون من اضطهاد السكان الأصليين الذين يقطنون السهول ، ولم يكن لهم قط أى حقوق سياسية . ولقد رحبوا بالثورة الوطنية خلال السنتين الماضيتين معتقدين أن الوقت قد حان لكى يرفعوا رؤوسهم . لكن الثورة فشلت لسوء الحظ فبقوا يعانون اضطهاد السكان الأصليين كما كانوا . وتواجهنا قضية السكان الأصليين والمستوطنين ، فى نينغقانغ وسويتشوان ولينغشيان وتشالينغ التى تقع فى محيط منطقتنا ، وتظهر فى حالة أكثر خطورة فى نينغقانغ . وفى السنتين الماضيتين ، اتحد الثوريون من السكان الأصليين مع المستوطنين فى محافظة نينغقانغ ، وأطاحوا تحت قيادة الحزب الشيوعى بالسلطة السياسية التى كانت فى أيدى العتاة المحليين والوجهاء الأشرار من السكان الأصليين ، واستولوا على السلطة فى كل المحافظة . وفى يونيو (حزيران) من السنة الماضية ، تمردت حكومة جيانغشى التى يرأسها تشو بى ده على الثورة ، وفى سبتمبر (أيلول) قام العتاة المحليون والوجهاء الأشرار بارشاد قوات تشو بى ده لشن حملة « الابادة » على نينغقانغ ، وأثاروا مرة ثانية التنافر بين السكان الأصليين والمستوطنين . ومن الناحية المنطقية ، ينبغى ألا يمتد هذا التنافر بين السكان الأصليين والمستوطنين الى صفوف الطبقات المستغلة (بفتح الغين) من العمال والفلاحين ، ناهيك عن امتداده الى داخل الحزب الشيوعى . ولكن الحقيقة أن هذا التنافر لا يزال موجودا بحكم قوة العادة المستحكمة التى تعود الى عهود بعيدة . ومثال ذلك أنه حين منينا بالهزيمة فى منطقة الحدود فى أغسطس (آب) أرشد العتاة المحليون والوجهاء الأشرار من السكان الأصليين القوات الرجعية للعودة الى نينغقانغ ، ونشروا الاشاعات القائلة بأن السكان المستوطنين يريدون تذبيح السكان الأصليين ، الأمر الذى جعل معظم الفلاحين من السكان الأصليين يرتدون عن جانب الثورة ويحملون الأشرطة البيضاء ويرشدون القوات البيضاء لاحراق المنازل والقيام بحملة تفتيش فى

الجبال . وعندما دحر الجيش الأحمر القوات البيضاء فى أكتوبر (تشرين الأول) ونوفمبر (تشرين الثانى) ، فر الفلاحون من السكان الأصليين مع الرجعيين ، فاستولى الفلاحون من السكان المستوطنين بالمقابل على ممتلكات الفلاحين من السكان الأصليين . وبانعكاس هذه الحالة فى داخل الحزب ، كثيرا ما تحدث بين الأعضاء نزاعات عديمة المعنى . والوسيلة التى لجأنا اليها هى ، من جهة ، أن نعلن الآتى : «لا نقتل الفلاحين المرتدين» و« نوزع الأراضى أيضا على الفلاحين المرتدين عندما يعودون » ، وذلك لمساعدتهم على التخلص من نفوذ العتاة المحليين والوجهاء الأشرار والعودة الى بيوتهم دون هواجس أو شكوك ؛ ومن جهة أخرى أن تصدر حكوماتنا على مستوى المحافظة أوامرها الى الفلاحين من السكان المستوطنين باعادة الممتلكات التى استولوا عليها الى أصحابها ، وأن تصدر اعلانات بحماية الفلاحين من السكان الأصليين . أما فى الحزب فيجب تعزيز عملنا التثقيفى لضمان الوحدة بين هاتين الفئتين من الأعضاء الحزبيين .

ارتداد الوصوليين : ان عددا كبيرا من الوصوليين قد تسللوا الى الحزب منتهزين فرصة قبول عضوية جديدة للحزب بصورة علنية أثناء المد الثورى (فى يونيو — حزيران) ، فكانت نتيجة ذلك أن عدد أعضاء الحزب فى منطقة الحدود قد ارتفع فى فترة وجيزة وبلغ أكثر من عشرة آلاف . ولما كانت غالبية المسؤولين عن الفروع ولجان المراكز من الأعضاء الجدد ، لم يكن من المستطاع ايجاد تثقيف جيد فى داخل الحزب . فلما حل الارهاب الأبيض ارتد أولئك الوصوليون وأرشدوا الرجعيين لالقاء القبض على رفاقنا ، الأمر الذى أدى الى انهيار معظم المنظمات الحزبية فى المناطق البيضاء . وبعد سبتمبر (أيلول) أجرى الحزب حملة تطهير مشددة فى صفوفه ، وحدد مؤهلات طبقية دقيقة يجب أن تتوفر لدى أعضاء الحزب . ولقد حلت جميع المنظمات

الحزبية فى محافظتى يونغشين ونينغقانغ ، وجرت اعادة تسجيل الأعضاء . وعلى الرغم من حدوث انخفاض كبير فى عدد الأعضاء ، الا أن قدرتهم النضالية قد ازدادت . وكانت جميع المنظمات الحزبية تعمل علنا فى الماضى، الا أن منظمات سرية شكلت منذ سبتمبر (أيلول) ، حتى يستطيع الحزب مواصلة نشاطاته عند قدوم الرجعيين . وبذلنا كل جهودنا ، فى الوقت نفسه ، كى ننفذ الى المناطق البيضاء ونقوم بنشاطاتنا داخل معسكر العدو . ولكننا لم نستطع بعد وضع أساس للتنظيمات الحزبية فى المدن المجاورة ، وذلك أولا لأن العدو أقوى منا فى المدن ، وثانيا لأن جيشنا قد أضر بمصالح البرجوازية كثيرا عند احتلاله تلك المدن ، فيصعب على أعضاء الحزب أن يثبتوا أقدامهم هناك . واننا فى الوقت الحاضر نصحح هذا الخطأ ونبذل قصارى جهدنا لبناء منظماتنا الحزبية فى المدن ، ولكننا لم نحرز حتى الآن كثيرا من النتائج .

أجهزة الحزب القيادية : لقد أعيدت تسمية مجلس ادارة الفرع بلجنة الفرع . وتوجد فوق الفرع لجنة المركز ، وفوق لجنة المركز لجنة المحافظة . وهناك لجان للمراكز الخاصة تشكلت بسبب حالات خاصة ، وهى على مستوى أعلى من لجنة المركز وأدنى من لجنة المحافظة ، وعلى سبيل المثال نجد لجنة مركز خاص فى كل من المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية الشرقية من محافظة يونغشين . ويوجد فى كل منطقة الحدود خمس لجان محافظة ، وهى لجان نينغقانغ ويونغشين وليانخوا وسويتشوان ولينغشيان . وكانت توجد فى تشالينغ لجنة محافظة ، ولكن بما أن الأعمال لم تستطع أن تتقدم هناك ، وأن القوى البيضاء قد سحقت معظم المنظمات التى تشكلت هناك فى فترة ما بين الشتاء الماضى وهذا الربيع ، ومن ثم لم نستطع أن نقوم بأعمالنا فى الستة أشهر الأخيرة الا فى المناطق الجبلية المجاورة لنينغقانغ ويونغشين ، لذلك شكلت فيها لجنة مركز خاص بدلا عن لجنة المحافظة . أما محافظتا

يوشيان وآنرن اللتان لا يمكن الوصول اليهما الا عن طريق تشاليىنغ ، فقد أرسلنا اليهما بعض الرفاق ، لكنهم عادوا دون أن ينجزوا أى شيء . وعقدت لجنة محافظة وانآن اجتماعا مشتركا معنا فى سويتشوان فى يناير (كانون الثانى). ولكن القوى البيضاء قطعت الصلات بيننا وبين هذه اللجنة لأكثر من نصف سنة ، ولم نستطع أن نتصل بها مرة ثانية الا عندما بلغ الجيش الأحمر وانآن فى سبتمبر (أيلول) فى احدى عمليات حرب العصابات . ولقد جاء مع قواتنا ثمانون فلاحا ثوريا من محافظة وانآن الى جبال جينغقانغ ، وتكونت منهم فصيلة حرس وانآن الأحمر . ولا توجد فى محافظة آنفو منظمة حزبية . أما لجنة محافظة جيآن المتاخمة ليونغشين فلم تتصل بنا سوى مرتين ، والغريب حقا أنها لم تقدم لنا أية مساعدة . وفى منطقة شاتيان من محافظة قويدونغ جرى توزيع الأرض مرتين فى مارس (آذار) وأغسطس (آب) ، وتشكلت فيها منظمات حزبية وضعت تحت اشراف اللجنة الخاصة لجنوبى خونان التى مركزها فى شيآردونغ من لونغشى . وتشرف على لجان المحافظات لجنة منطقة حدود خونان — جيانغشى الخاصة . ولقد عقد مؤتمر الحزب الأول لمنطقة الحدود فى ماوبينغ من محافظة نينغقانغ فى ٢٠ مايو (أيار) ، وانتخب ٢٣ عضوا للجنة الأولى لمنطقة الحدود الخاصة ، وانتخب ماو تسى تونغ أمينا لها . وفى يوليو (تموز) ، أرسلت لجنة مقاطعة خونان الينا يانغ كاى مينغ فتولى أعمال الأمين بالوكالة . وفى سبتمبر (أيلول) ، أصيب يانغ بالمرض فتحمل تان تشن لين كل مسؤولياته . وفى أغسطس (آب) ، عندما توجهت القوة الرئيسية من الجيش الأحمر الى جنوبى خونان ، وكانت القوى البيضاء تمارس ضغطا شديدا على منطقة الحدود ، عقدنا اجتماعا طارئا فى يونغشين . وبعد عودة الجيش الأحمر الى نينغقانغ فى أكتوبر (تشرين الأول) ، عقد فى ماوبينغ مؤتمر الحزب الثانى لمنطقة الحدود . وقد أجاز المؤتمر الذى استمر

ثلاثة أيام ابتداء من ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ، عدة قرارات من بينها « القضايا السياسية ومهمات المنظمات الحزبية لمنطقة الحدود » ، وانتخب ١٩ عضوا للجنة الثانية لمنطقة الحدود الخاصة وهم تان تشن لين ، تشو ده ، تشن يى ، لونغ تشاو تشينغ ، تشو تشانغ جيه ، ليو تيان تشيان ، يوان بان تشو ، تان سى تسونغ ، تان بينغ ، لى شى فى ، سونغ يى يويه ، يوان ون تساى ، وانغ تسوه نونغ ، تشن تشنغ رن ، ماو تسى تونغ ، وان شى شيان ، وانغ تسوه ، يانغ كاى مينغ وخه تينغ ينغ . وتشكلت لجنة دائمة من خمسة أعضاء وانتخب تان تشن لين (عامل) أمينا لها وتشن تشنغ رن (مثقف) نائبا للأمين . وعقد فى ١٤ نوفمبر (تشرين الثانى) مؤتمر الحزب السادس للفيلق الرابع من الجيش الأحمر ، وانتخب ٢٣ عضوا للجنة الفيلق شكل خمسة منهم لجنة دائمة وانتخب تشو ده أمينا لها . وكل من لجنة منطقة الحدود الخاصة ولجنة الفيلق تخضع لقيادة لجنة الجبهة الأمامية . ولقد أعيد تنظيم لجنة الجبهة الأمامية فى ٦ نوفمبر (تشرين الثانى) من خمسة أعضاء عينتهم اللجنة المركزية وهم ماو تسى تونغ ، وتشو ده ، وأمين المنظمة الحزبية القيادية المحلية (تان تشن لين) ، ورفيق عامل (سونغ تشياو شنغ) ، ورفيق فلاح (ماو كه ون) ، وأمين هذه اللجنة هو ماو تسى تونغ . وتضم لجنة الجبهة الأمامية فى الوقت الحاضر أمانة ومكتبا للدعاية ومكتبا للتنظيم ولجنة للحركة العمالية ولجنة للشؤون العسكرية . وتقود لجنة الجبهة الأمامية هذه المنظمات الحزبية المحلية . ومن الضرورى الابقاء على لجنة منطقة الحدود الخاصة لأن لجنة الجبهة الأمامية تضطر أحيانا الى التحرك مع القوات .

اننا نرى أن مسألة القيادة الايديولوجية البروليتارية هى مسألة فى غاية الأهمية . فجميع الأعضاء تقريبا فى المنظمات الحزبية فى محافظات منطقة الحدود هم من الفلاحين ، وستضل هذه المنظمات الطريق اذا لم نضعها تحت القيادة الايديولوجية

البروليتارية . والى جانب ايلاء اهتمام عظيم للحركة العمالية فى عواصم المحافظات والبلدات الكبيرة الأخرى ، يجب علينا أن نزيد عدد ممثلى العمال فى أجهزة السلطة السياسية . وينبغى كذلك أن نزيد من نسبة العمال والفلاحين الفقراء فى أجهزة الحزب القيادية على مختلف المستويات .

مسألة طبيعة الثورة

اننا نوافق كل الموافقة على قرار الأممية الشيوعية المتعلق بقضية الصين . ومن المؤكد أن الصين فى الوقت الحاضر لا تزال فى مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية . وان برنامج الثورة الديمقراطية الشاملة فى الصين يتضمن ، على الصعيد الخارجى ، الاطاحة بالامبريالية فى سبيل تحقيق التحرر الوطنى التام ؛ وعلى الصعيد الداخلى ، استئصال ما لطبقة الكومبرادوريين فى المدن من نفوذ وسلطة ، واكمال الثورة الزراعية ، والقضاء على العلاقات الاقطاعية فى القرى ، والاطاحة بحكومة أمراء الحرب . ولا بد لنا أن نمر عبر هذه الثورة الديمقراطية قبل أن نستطيع وضع أساس حقيقى من أجل الانتقال الى الاشتراكية. وقد لاحظنا بوضوح خلال عام مضى ونحن نقاتل فى مناطق مختلفة ، أن التيار الثورى على نطاق كل البلاد فى حالة جزر . ففى الوقت الذى أنشئت فيه السلطة الحمراء فى مناطق صغيرة معدودة ، لا يزال أبناء الشعب بصورة عامة محرومين من الحقوق الديمقراطية البسيطة ، فالعمال والفلاحون وحتى الديمقراطيون البرجوازيون لا يملكون حق الكلام والاجتماع ، فالانضمام الى الحزب الشيوعى يعتبر أفدح الجرائم . وحيثما ذهب الجيش الأحمر وجد الجماهير فى برود وتحفظ ، وهى لا تبدأ فى النهوض الا بعد قيامنا بالدعاية بينها . وكائنا ما كانت وحدة العدو التى تجابهنا ، فلا بد لنا من قتالها بكل

قوة ، اذ لا نجد أى تمرد أو انتفاضة داخل قوات العدو . وهذا الأمر ينطبق حتى على فيلق العدو السادس الذى جند أكبر عدد من « المتمردين » بعد حادثة ٢١ مايو (أيار) . ونحن نعانى من احساس قوى بالعزلة و نتوق على الدوام الى التخلص منها . وانه لمن الضرورى لتحويل الثورة الى تيار ملتهب يجتاح البلاد بأسرها ، أن نشن نضالات من أجل الديمقراطية سياسيا واقتصاديا تسهم فيها البرجوازية الصغيرة فى المدن أيضا .

لقد طبقنا حيال البرجوازية الصغيرة قبل فبراير (شباط) من هذا العام سياسة صحيحة نسبيا . وفى مارس (آذار) ، وصل ممثل اللجنة الخاصة فى جنوبى خونان الى نينغقانغ ، وانتقدنا بأننا انحرفنا كثيرا نحو اليمين فلم نقم الا بالقليل من أعمال الحرق والقتل ولم ننفذ سياسة ما يسمى بـ « تحويل البرجوازية الصغيرة الى بروليتاريا ، ومن ثم اجبارها على الاشتراك فى الثورة »، وعلى اثر ذلك بدلت قيادة لجنة الجبهة الأمامية السابقة وغيرت السياسة . وفى ابريل (نيسان) ، حين وصل جيشنا بكامل قواته الى منطقة الحدود ، لم نحرق ولم نقتل كثيرا الا أننا عمدنا الى المصادرة الصارمة لممتلكات التجار المتوسطين فى المدن وفرضنا بشدة التبرعات الاجبارية على ملاك الأراضى الصغار والفلاحين الأغنياء فى الريف . وكذلك فقد قامت دعاية واسعة حول شعار اللجنة الخاصة فى جنوبى خونان القائل بأن « كل المصانع للعمال » . وان هذه السياسة اليسارية المتطرفة التى تهاجم البرجوازيين الصغار قد دفعت بغالبيتهم الى جانب العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، وكانت من نتيجة ذلك أن حملت هذه الجماعة الأشرطة البيضاء وأخذت تعارضنا . وقد أدى التغيير التدريجى الذى حدث مؤخرا فى هذه السياسة الى تحسن تدريجى فى الوضع . وأحرزت بعض النتائج الطيبة فى سويتشوان على الأخص ، اذ لم يعد التجار فى عاصمة المحافظة والبلدات يخافون من

مقابلتنا ، بل أخذ يثنى عدد لا بأس به منهم على الجيش الأحمر . وصار يحضر السوق الدورية فى تساولين (هى سوق تقام عند الظهيرة مرة كل ثلاثة أيام) حوالى عشرين ألف شخص ، وهو أمر لم يسبق له مثيل من قبل . ويثبت ذلك صحة سياستنا . وكان العتاة المحليون والوجهاء الأشرار يفرضون ضرائب باهظة على الشعب ، وكان حرس التأديب(٢٣) فى سويتشوان يفرضون خمسة مكوس على جميع المنتجات الزراعية بلا استثناء التى تمر على الطريق البالغ طولها سبعين لى من خوانغآو الى تساولين . ولقد سحقنا حرس التأديب وألغينا هذه المكوس ، فكسبنا بذلك تأييد سائر الفلاحين والتجار الصغار والمتوسطين .

وطلبت منا اللجنة المركزية أن نعلن برنامجا سياسيا يأخذ بعين الاعتبار مصالح البرجوازية الصغيرة ، ونحن من جانبنا نقترح على اللجنة المركزية أن تضع برنامجا سياسيا للثورة الديمقراطية بجميع جوانبها يأخذ بعين الاعتبار مصالح العمال ، والثورة الزراعية ، والتحرر الوطنى حتى تجد فيه مختلف المناطق ما تسترشد به .

ان احدى الصفات المميزة للثورة فى الصين ، وهى بلد يسوده الاقتصاد الزراعى ، اللجوء الى العمليات العسكرية لتطوير الانتفاضات . ونقترح على اللجنة المركزية أن تبذل جهودا كبيرة فى العمل العسكرى .

مسألة موقع القواعد الثورية

ان المنطقة التى تبدأ من شمالى قوانغدونغ وتمتد على طول حدود خونان ــ جيانغشى الى جنوبى خوبى ، تقع كليا داخل منطقة سلسلة لوشياو الجبلية . ولقد تجولنا فى جميع أنحاء هذه السلسلة ، فتبين المقارنة بين قطاعاتها

المختلفة أن القطاع الأوسط ، ومركزه نينغقانغ ، هو أكثر ملاءمة لاقامة قاعدتنا العسكرية . ان طوبوغرافية الأرض فى القطاع الشمالى لا تصلح لعمليات الهجوم والدفاع كما هى الحال فى القطاع الأوسط ، والى جانب ذلك فان القطاع الشمالى قريب جدا من مراكز العدو السياسية الكبرى ، فان كنا لا ننوى الاستيلاء على تشانغشا أو ووهان فى القريب العاجل فانه لأمر فى غاية الخطورة أن نحشد قوات كبيرة فى منطقة ليويانغ وليلينغ وبينغشيانغ وتونغقو . وان طوبوغرافية الأرض فى القطاع الجنوبى أفضل منها فى القطاع الشمالى ، بيد أن القاعدة الجماهيرية فى هذا القطاع أضعف منها فى القطاع الأوسط ، وأن التأثير السياسى لهذا القطاع على خونان وجيانغشى أقل مما للقطاع الأوسط حيث يمكن لأية حركة أن تترك تأثيرا على الوديان السفلى للأنهر فى هاتين المقاطعتين . ان القطاع الأوسط يتمتع بالمزايا التالية : ١ ــ قاعدة جماهيرية بذلنا الجهود فى بنائها لأكثر من عام . ٢ ــ أساس متين نسبيا للمنظمات الحزبية . ٣ ــ قوات مسلحة محلية متمرسة فى النضال تمكنا من بنائها خلال أكثر من سنة وهى أثمن انجاز حققناه . واذا ما أضيفت هذه القوات المحلية الى الفيلق الرابع من الجيش الأحمر تشكلت قوة لا يمكن لأى عدو أن يحطمها . ٤ ــ قاعدة عسكرية ممتازة ــ جبال جينغقانغ ، فضلا عن قواعد لقواتنا المسلحة المحلية فى سائر المحافظات . ٥ ــ امكانية تأثير القطاع على المقاطعتين وعلى الوديان السفلى لأنهارهما ، ولهذا التأثير أهمية سياسية تفوق ما يتمتع به تأثير منطقة جنوبى خونان أو منطقة جنوبى جيانغشى ، الذى لا يتعدى حدود المقاطعة الواحدة بل ينحصر فى الوديان العليا لأنهار المقاطعة وفى مناطقها البعيدة عن العمران . وان عيب القطاع الأوسط يتجسد فى المشاكل الاقتصادية الخطيرة ، وعلى وجه الخصوص فى مشكلة النقد ، والسبب فى ذلك يعود الى بقائه كقاعدة ثورية منذ زمن طويل ومجابهته لقوات

العدو الكثيرة الخاصة بـ « التطويق والابادة » .

أما بخصوص خطة عملنا هنا ، فقد أعلنت اللجنة الحزبية فى مقاطعة خونان ثلاثة مشاريع مختلفة خلال أسابيع معدودة فى يونيو (حزيران) ويوليو (تموز) . وفى المرة الأولى جاء يوان ده شنغ ووافق على الخطة القاضية باقامة سلطتنا السياسية فى القطاع الأوسط من سلسلة لوشياو الجبلية . ثم جاء فى المرة الثانية دو شيو جينغ ويانغ كاى مينغ ودعوا الى تحرك الجيش الأحمر متوسعا نحو جنوبى خونان دون أدنى تردد وابقاء قوة لديها مائتا بندقية فقط للدفاع عن منطقة الحدود مع فصائل الحرس الأحمر ، وقالا ان تلك سياسة « صحيحة بصورة مطلقة » . وفى المرة الثالثة ، بعد مضى عشرة أيام فقط ، جاء يوان ده شنغ مرة أخرى حاملا الينا رسالة من لجنة المقاطعة ، والغريب أن اللجنة ، فى رسالتها التى كالت لنا فيها الشتائم ، تدعو الجيش الأحمر هذه المرة الى التوجه نحو شرقى خونان ، قائلة ان تلك سياسة « صحيحة بصورة مطلقة » ، وطالبتنا أن نطبقها أيضا « دون أدنى تردد » . وهذه التوجيهات القسرية قد وضعتنا أمام معضلة عويصة لأننا اذا رفضنا تنفيذها فان فى هذا الرفض معنى العصيان ، أما اذا نفذناها فاننا نعلم علم اليقين أن ذلك سيؤدى الى الهزيمة . وفى المرة الثانية عندما وصلتنا الرسالة ، عقدت لجنة الفيلق ولجنة منطقة الحدود الخاصة ولجنة محافظة يونغشين اجتماعا مشتركا قررت فيه عدم تنفيذ توجيهات لجنة المقاطعة ، وذلك لأنها ترى أنه من الخطورة الذهاب الى جنوبى خونان . بيد أن دو شيو جينغ ويانغ كاى مينغ ، اللذين أصرا على مشروع لجنة المقاطعة ، دفعا بعد ذلك بأيام قليلة كل الجيش الأحمر للهجوم على تشنتشو مستغلين فى ذلك اشتياق جنود الفوج الـ ٢٩ الى أهاليهم ، فأدى ذلك الى الهزائم التى نزلت بمنطقة الحدود والى هزيمة الجيش الأحمر على السواء . لقد فقد الجيش الأحمر حوالى نصف رجاله ، بينما أحرق ما لا يحصى من المنازل وقتل ما

لا يعد من الناس فى منطقة الحدود ، وسقطت المحافظات الواحدة تلو الأخرى ، وبعضها لا يبرح حتى هذه اللحظة فى أيدى الأعداء . أما بخصوص التحرك نحو شرقى خونان فلا يجوز اطلاقا أن تقوم القوات الرئيسية للجيش الأحمر بمثل هذا العمل قبل أن يحدث انشقاق بين سلطات العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى مقاطعات خونان وخوبى و جيانغشى . ولو لم نتقدم نحو جنوبى خونان فى يوليو (تموز) لكان فى مقدورنا أن نتفادى هزيمة أغسطس (آب) فى منطقة الحدود ، بل كان فى مقدورنا أيضا أن نستفيد من فرصة الحرب فى تشانغشو من مقاطعة جيانغشى بين الفيلق السادس من قوات الكومينتانغ وبين الفيلق الثالث منها بقيادة وانغ جيون ، وذلك لكى نسحق قوات العدو فى يونغشين ونجتاح جيآن وآنفو ونمكن طليعتنا من الوصول الى بينغشيانغ حيث يتم الاتصال مع الفيلق الخامس من الجيش الأحمر فى القطاع الشمالى من نفس السلسلة الجبلية . ولا بد لنا حتى فى هذه الحال أن نحافظ على نينغقانغ كمركز قيادتنا العامة ، ونكتفى بارسال بعض قوات حرب العصابات الى شرقى خونان . أما بخصوص الزحف شمالا فنظرا لأن الحرب لم تنشب فى معسكر العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وأن قوات العدو الهائلة لا تزال موجودة فى بينغشيانغ وتشالينغ ويوشيان على حدود مقاطعة خونان ، فاننا سنمنح العدو فرصة ثمينة للهجوم على قواعدنا لو حركنا قواتنا الرئيسية فى اتجاه الشمال . ولقد طلبت منا اللجنة المركزية أن ننظر بعين الاعتبار فى أمر التقدم الى شرقى خونان أو جنوبيها ، ولكن مخاطر جمة ستنجم عن تنفيذ هذه الخطة . وبالرغم من أن التقدم الى شرقى خونان لم يوضع موضع التنفيذ ، الا أن التقدم الى جنوبى خونان قد انتهى بالفشل . وانه لجدير بنا أن نتذكر دائما هذه التجربة الأليمة .

لا تزال تواجهنا الآن فترة لم يقع فيها بعد انشقاق بين سلطات طبقة

العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، كما أن قوات العدو الخاصة بـ « الابادة » المنتشرة حول منطقة الحدود لا تزال تعد أكثر من عشرة أفواج . لكننا اذا استطعنا الاستمرار فى ايجاد حل لمشكلة النقد (لم يعد الغذاء والكساء مشكلة عويصة) ، فاننا سنستطيع ، معتمدين على الأساس الذى وضعناه فى منطقة الحدود ، أن نجابه هذا العدد من قوات العدو بل سنستطيع مجابهة عدد أكبر منها . أما اذا تحرك الجيش الأحمر بعيدا عن منطقة الحدود ، فانها سوف تتعرض للتخريب فى الحال كما حدث فى أغسطس (آب) . وعندئذ فان الأمر قد لا يؤدى الى ابادة فصائل حرسنا الأحمر جميعا ، الا أن المنظمات الحزبية و القاعدة الجماهيرية فى المنطقة سوف تتعرض لضربات بالغة ، وأن جميع أعمالنا فى السهول سوف تتحول الى حالة سرية كما حدث فى أغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) ، اذا استثنينا بعض الأماكن الجبلية التى يمكن أن نحتفظ بها كقواعد ثورية . واذا لم يتحرك الجيش الأحمر بعيدا فاننا نستطيع ، بالاستناد الى الأساس الراهن ، أن نتوسع تدريجيا الى المناطق المجاورة ، ولنا أمل كبير فى مستقبلنا . واذا أردنا توسيع الجيش الأحمر فالطريق الوحيد هو أن نشتبك مع العدو فى نضال طويل فى المحافظات الواقعة حول جبال جينغقانغ والتى توجد فيها قاعدة جماهيرية ، أعنى بالتحديد المحافظات الأربع نينغقانغ ويونغشين ولينغشيان وسويتشوان ، مستفيدين من تصادم المصالح بين صفوف العدو فى كل من خونان وجيانغشى ، ومن حاجته الى حماية نفسه من جميع الاتجاهات مما يعجزه عن تركيز قواته . ينبغى لنا أن نتبنى تكتيكات صحيحة بحيث لا نخوض معركة الا ربحناها وأسرنا فيها رجال العدو وكسبنا المغانم ، وعن هذا الطريق وحده نستطيع أن نوسع الجيش الأحمر تدريجيا . ومما لا ريب فيه أنه كان فى مقدور الجيش الأحمر أن يتوسع فى أغسطس (آب) على أساس الاستعدادات التى

قمنا بها بين الجماهير فى منطقة الحدود خلال فترة ما بين ابريل (نيسان) ويوليو (تموز) ، لو لم تتحرك القوة الرئيسية للجيش الأحمر نحو جنوبى خونان . وبالرغم من هذا الخطأ فما زال لنا أمل ليس بضئيل فى مستقبلنا بعد أن عاد الجيش الأحمر الى منطقة الحدود حيث طوبوغرافية الأرض ملائمة والجماهير واقفة الى جانبنا . ولا يستطيع الجيش الأحمر أن يزيد من أسلحته ويدرب مقاتلين جيدين الا اذا صمم على القتال وثابر عليه فى أماكن مثل منطقة الحدود هذه . لقد ظل العلم الأحمر يرفرف فى سماء منطقة الحدود طوال سنة كاملة ، وقد أثار ذلك ، من ناحية ، حقد طبقة العتاة المحليين والوجهاء الأشرار فى مقاطعات خونان وخوبى وجيانغشى بل فى كل البلاد ، لكنه من ناحية أخرى بعث تدريجيا الأمل فى نفوس جماهير العمال والفلاحين والجنود فى المقاطعات المجاورة . وأما فيما يتعلق بالمورد البشرى للجيش فانه بسبب أن أمراء الحرب يعلقون أهمية كبرى على « حملات ابادة قطاع الطرق » فى منطقة الحدود وبسبب ما جاء على ألسنتهم من أقوال مثل : « انقضت سنة كاملة على ابادة قطاع الطرق وصرفنا فيها مليون يوان » (من أقوال لو دى بينغ) و« يتألف » الجيش الأحمر « من عشرين ألف جندى ويتسلح بخمسة آلاف بندقية » (من أقوال وانغ جيون) ، بهذا السبب أخذت أنظار جنود العدو وأنظار صغار ضباطه الذين خاب أملهم فى مستقبل باهر لهم تتجه نحونا ، وسيزداد عدد من ينشقون عن صفوف العدو وينضمون الى صفوفنا يوما بعد آخر ، وهذا مصدر آخر للجيش الأحمر لتوسيع صفوفه . وبالاضافة الى ذلك ، فان بقاء العلم الأحمر مرفرفا فى سماء منطقة الحدود لا يدل على قوة الحزب الشيوعى فحسب ، بل على افلاس الطبقات الحاكمة أيضا ، وهذا أمر ذو مغزى سياسى عظيم على نطاق كل البلاد . لذلك كنا و لا نزال نعتقد أن بناء السلطة السياسية

الحمراء فى القطاع الأوسط من سلسلة لوشياو الجبلية وتوسيعها هو أمر ضرورى تماما وعمل صحيح كل الصحة .

ملاحظات

(١) وقعت هذه الحرب فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٧ .

(٢) وقعت هذه الحرب فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٧ واستمرت الى ديسمبر (كانون الأول) من نفس العام .

(٣) ألغى نظام مجلس ممثلى الجنود ولجان الجنود فى الجيش الأحمر فيما بعد . ثم طبق جيش التحرير الشعبى عام ١٩٤٧ نظام مؤتمرات رجال الجيش ولجان الجنود تحت قيادة الكوادر .

(٤) فى سبتمبر (أيلول) ١٩٢٧ ، قامت قوات الشعب المسلحة فى محافظات شيوشوى وبينغشيانغ وبينغجيانغ وليويانغ الواقعة فى منطقة حدود خونان – جيانغشى بانتفاضة حصاد الخريف الشهيرة بقيادة الرفيق ماو تسى تونغ ، وأنشأت الفرقة الأولى من الفيلق الأول من جيش العمال والفلاحين الثورى . وقد قاد الرفيق ماو تسى تونغ هذه القوة الى جبال جينغقانغ حيث أنشأ قاعدة منطقة حدود خونان – جيانغشى الثورية .

(٥) يساوى « لى » الصينى نصف كيلومتر – المعرب .

(٦) كانت هذه الوحدة تابعة للقوات التى تحت قيادة الرفيقين يه تينغ وخه لونغ والتى قامت بانتفاضة نانتشانغ فى أول أغسطس (آب) ١٩٢٧ (وبشأن قوات يه تينغ ، انظر الملاحظة ١٦ من هذه المقالة) . وبعد أن منيت هذه القوات بالفشل فى زحفها نحو تشاوتشو وشانتو من مقاطعة قوانغدونغ ، انسحب قسم منها من قوانغدونغ ، بقيادة الرفاق تشو ده ولين بياو وتشن يى ، وانتقل الى جنوبى خونان عبر جيانغشى حيث قام بعمليات حرب العصابات . وفى ابريل (نيسان) ١٩٢٨ ، وصل هذا القسم الى جبال جينغقانغ حيث توحد مع قوات الرفيق ماو تسى تونغ .

(٧) فوج الحرس التابع لحكومة ووتشانغ الوطنية فى أيام الثورة عام

١٩٢٧ كان معظم كوادره شيوعيين . وفى نهاية شهر يوليو (تموز) ، بعد أن خان الثورة وانغ جينغ وى وشركاؤه ، غادر هذا الفوج وتشانغ قاصدا نانتشانغ كى ينضم الى صفوف قوات الانتفاضة فيها . وفى طريق زحفه بلغه أن قوات الانتفاضة قد غادرت نانتشانغ متوجهة نحو الجنوب ، فبدل اتجاهه وذهب الى شيوشوى فى غربى جيانغشى حيث توحد مع قوات مسلحة فلاحية من محافظتى بينغجيانغ وليويانغ .

(٨) فى ربيع ١٩٢٧ ، تشكلت فى منطقة بينغجيانغ وليويانغ من مقاطعة خونان وحدات مسلحة فلاحية على جانب عظيم من القوة . وفى ٢١ مايو (أيار) ، شن شيو كه شيانغ حملة معادية للثورة (أى حادثة ٢١ مايو - أيار) فى تشانغشا وسفك فيها دماء الجماهير الثورية . وبدأت هذه القوات المسلحة الفلاحية مسيرتها نحو تشانغشا فى ٣١ مايو (أيار) لترد على ضربات المعادين للثورة ، ولكنها أوقفت من قبل الانتهازى تشن دو شيو وتراجعت . وعلى اثر ذلك أعيد تنظيم قسم منها فى فوج مستقل للقيام بحرب العصابات . وبعد وقوع انتفاضة نانتشانغ فى أول أغسطس (آب) ، توحدت هذه القوات المسلحة الفلاحية مع فوج الحرس التابع لحكومة وتشانغ الوطنية السابقة فى شيوشوى وتونغقو من مقاطعة جيانغشى وفى بينغجيانغ وليويانغ من مقاطعة خونان ، وقامت بانتفاضة حصاد الخريف متعاونة مع قوات عمال مناجم الفحم فى بينغشيانغ من مقاطعة جيانغشى . وفى أكتوبر (تشرين الأول) ، قاد الرفيق ماو تسى تونغ قوات الانتفاضة هذه الى جبال جينغقانغ .

(٩) فى أوائل ١٩٢٨ ، عندما كان الرفيق تشو ده يدير حرب العصابات الثورية فى جنوبى خونان ، كانت قوات من الفلاحين قد تشكلت فى محافظات ييتشانغ وتشنتشو ولييانغ ويونغشينغ وتسيشينغ حيث كان قد وضع أساس للحركة الفلاحية . وقاد الرفيق تشو ده هذه الجيوش فيما بعد الى جبال جينغقانغ حيث توحدت مع قوات الرفيق ماو تسى تونغ .

(١٠) ان جبل شويكو الواقع فى محافظة تشانغنينغ من مقاطعة خونان شهير بمعدن الرصاص . وفى عام ١٩٢٢ ، نظم عمال المناجم هناك نقابة تحت قيادة الحزب الشيوعى وشنوا طوال سنوات عديدة نضالات ضد المعادين للثورة . وانضم كثير منهم الى الجيش الأحمر بعد انتفاضة حصاد الخريف عام ١٩٢٧ .

(١١) كانت مناجم فحم آنيوان فى محافظة بينغشيانغ من مقاطعة جيانغشى ، التى يبلغ عدد عمالها اثنى عشر ألفا يومذاك ، ملكا لشركة هان - يه - بينغ للحديد والفولاذ . وابتداء من عام ١٩٢١ ، أخذت لجنة الحزب الشيوعى الصينى لمقاطعة خونان ترسل

رفاقا للعمل هناك ، فتم تأسيس منظمات حزبية و نقابة للعمال فى هذه المناجم .

(١٢) أعيدت تسمية ممثل الحزب فى الجيش الأحمر بالقومسار السياسى عام ١٩٢٩ ، وأعيدت تسمية القومسار السياسى فى السرية بالمرشد السياسى عام ١٩٣١ .

(١٣) توجيه الضربات للعتاة المحليين بفرض الغرامات عليهم كان مجرد تدبير موقت لتغطية قسم من نفقات الجيش . ومع نمو الجيش وتوسع منطقة القواعد ، أصبح من الضرورى بل من الممكن جمع الضرائب لتغطية نفقات الجيش .

(١٤) استمر تنفيذ هذا التدبير الذى كانت تقتضيه الظروف السائدة وقتذاك ، فترة طويلة من الزمن فى الجيش الأحمر ، بيد أن الضباط والجنود أصبحوا يتقاضون فيما بعد رواتب مختلفة قليلا وفقا لرتبهم .

(١٥) يشدد هنا الرفيق ماو تسى تونغ بصورة خاصة على ضرورة ادخال مقدار من الحياة الديمقراطية الى الجيش الثورى ، ذلك لأنه بدون التشديد على الديمقراطية فى الأيام الأولى من تأسيس الجيش الأحمر ، لا يمكن اثارة الحماسة الثورية لدى الجنود الجدد من الفلاحين و الجنود الأسرى من القوات البيضاء الذين انضموا الى صفوفنا ، ولا يمكن استئصال سلوك أمراء الحرب الذى انتقلت عدواه من الجيوش الرجعية الى كوادرنا . وطبيعى أن الحياة الديمقراطية فى الجيش يجب ألا تتعدى حدود الانضباط العسكرى وينبغى أن تستهدف تقوية الانضباط لا اضعافه ، ولذلك يجب علينا ، عندما ندعو الى ادخال ما يلزم من الديمقراطية الى القوات ، أن نعارض سلوك عدم التقيد بالنظام ، الذى يتمثل فى المطالبة بالديمقراطية المتطرفة . وكان هذا السلوك سائدا بصورة خطيرة فى الأيام الأولى من تأسيس الجيش الأحمر . وبصدد النضال الذى قام به الرفيق ماو تسى تونغ ضد نزعة الديمقراطية المتطرفة فى الجيش ، انظر مقالة « حول تصحيح الأفكار الخاطئة فى الحزب » .

(١٦) كانت قوات الرفيق يه تينغ خلال الحملة الشمالية عام ١٩٢٦ فوجا مستقلا ، اشتهر بصفته قوة مقاتلة ممتازة ، نظرا لأن الشيوعيين كانوا يشكلون دعامة لهذا الفوج . ثم توسع وسمى الفرقة الـ ٢٤ بعد أن استولى الجيش الثورى على ووتشانغ ، ثم توسعت الفرقة وسميت الفيلق الـ ١١ بعد انتفاضة نانتشانغ .

(١٧) أثبتت الحقائق الواقعة أنه من الملائم أن يعد أعضاء الحزب فى الجيش الأحمر حوالى ثلث تعداد كل الرجال ، وحوفظ عموما فيما بعد على هذه النسبة فى الجيش الأحمر ثم فى جيش التحرير الشعبى .

(١٨) فى ٢١ مايو (أيار) ١٩٢٧ وتحريضا من قبل تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى ، عمد قواد جيش الكومينتانغ المعادون للثورة فى مقاطعة خونان ، وفى عدادهم شيو كه شيانغ وخه جيان ، الى اصدار أوامرهم بشن غارات فى تشانغشا على مقر اتحاد نقابات العمال واتحاد جمعيات الفلاحين على مستوى المقاطعة ، وعلى المنظمات الثورية الأخرى، واعتقال وتذبيح الشيوعيين وجماهير العمال والفلاحين الثوريين. فأطلق على ذلك اسم « حادثة ٢١ مايو (أيار) » . وكانت هذه الحادثة دلالة على التعاون العلنى بين العصابتين المعاديتين للثورة من الكومينتانغ ، عصابة ووهان التى يتزعمها وانغ جينغ وى وعصابة نانكين التى يتزعمها تشيانغ كاى شيك .

(١٩) كان ذلك مادة فى نص القانون الزراعى الصادر فى منطقة حدود خونان — جيانغشى عام ١٩٢٨ . وأشار الرفيق ماو تسى تونغ فيما بعد الى أن مصادرة جميع الأراضى، بدلا من مصادرة الأراضى التى يملكها ملاك الأراضى فقط، هو خطأ يعود سببه الى نقص التجربة فى النضالات الزراعية وقتذاك . وفى القانون الزراعى لمحافظة شينغقوه من مقاطعة جيانغشى، الصادر فى ابريل (نيسان) ١٩٢٩ ، بدلت عبارة « مصادرة جميع الأراضى » بعبارة « مصادرة الأراضى العامة وأراضى طبقة ملاك الأراضى » .

(٢٠) اعتبارا لأهمية كسب الطبقة الوسطى فى الريف ، سرعان ما صحح الرفيق ماو تسى تونغ السياسة الخاطئة القاضية بكيل ضربات قاسية لهذه الطبقة . أما آراء الرفيق ماو تسى تونغ بشأن السياسة تجاه الطبقة الوسطى فنستطيع، عدا ما جاء فى هذه المقالة ، أن نجدها كذلك فى المشروعات المقدمة الى مؤتمر الحزب السادس للفيلق الرابع من الجيش الأحمر المنعقد فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٨ ، التى تتضمن « حظر أعمال الحرق والقتل الطائشة » و« حماية مصالح التجار الصغار والمتوسطين » ، وفى اعلان الفيلق الرابع من الجيش الأحمر الصادر فى يناير (كانون الثانى) ١٩٢٩ ، الذى يقول « ان التجار فى المدن والذين جمعوا ثرواتهم بعناء ينبغى تركهم وشأنهم ماداموا يخضعون للحكومة » ، وفى القانون الزراعى لمحافظة شينغقوه الصادر فى ابريل (نيسان) ١٩٢٩ (انظر الملاحظة ١٩ من هذه المقالة) . . الخ .

(٢١) كان يمكن تغيير هذا الوضع مع تطور الحرب الثورية وتوسع منطقة القواعد الثورية واتخاذ سياسة حماية الصناعة والتجارة من قبل الحكومة الثورية ، وقد حدث هذا التغيير بالفعل فيما بعد . والشيء الأساسى هنا هو حماية الصناعة والتجارة الوطنيتين بحزم ومعارضة السياسات اليسارية المتطرفة ازاءهما .

(٢٢) انه من غير المناسب اتخاذ القدرة على العمل مقياسا لتوزيع الأرض . ولقد

ظل توزيع الأرض يجرى بالفعل خلال مدة طويلة ، فى المناطق الحمراء ، وفقا لمبدأ التوزيع المتساوى لجميع أفراد العائلة .

(٢٣) كان حرس التأديب قوة من القوات المسلحة المحلية المعادية للثورة .

حول تصحيح الأفكار الخاطئة فى الحزب

(ديسمبر — كانون الأول — ١٩٢٩)

ان فى منظمة الحزب الشيوعى فى الفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر أفكارا مختلفة غير بروليتارية تعوق الى أبعد الحدود تطبيق خط الحزب الصحيح . فاذا لم تصحح هذه الأفكار تصحيحا تاما ، فمن المحتم أن الفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر لن يتمكن من الاضطلاع بالمهمات التى يفرضها عليه النضال الثورى العظيم فى الصين . ان منشأ مختلف الأفكار غير الصحيحة فى منظمة الحزب فى الفيلق الرابع يعود طبعا الى أن قاعدة المنظمة الحزبية تتشكل بصورة أساسية من عناصر هى من أصل فلاحين وغيرهم من البرجوازية الصغيرة ؛ الا أن قصور أجهزة الحزب القيادية عن شن نضال منسق وحازم ضد هذه الأفكار غير الصحيحة ، وعن تثقيف الأعضاء بخط الحزب الصحيح ، هو أيضا سبب

هذا قرار صاغه الرفيق ماو تسى تونغ للمؤتمر الحزبى التاسع للفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر . لقد اجتاز بناء القوات المسلحة الشعبية الصينية طريقا شاقة وصعبة . وكان الجيش الأحمر الصينى (الذى أصبح الجيش الثامن والجيش الرابع الجديد أثناء حرب المقاومة ضد اليابان ، وهو حاليا جيش التحرير الشعبى) الذى أسس فى أول أغسطس (آب) ١٩٢٧ زمن انتفاضة نانتشانغ ، قد مضى على انشائه بعد حلول ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٩ ما يزيد على سنتين . وخلال هذه المدة تعلم الحزب

هام فى بقاء هذه الأفكار غير الصحيحة ونموها . ووفقا لروح رسالة اللجنة المركزية بتاريخ سبتمبر (أيلول) ، يوضح المؤتمر هنا مظاهر الأفكار المختلفة غير البروليتارية فى المنظمة الحزبية فى الفيلق الرابع ومصادرها وأساليب تصحيحها ، كما أنه يدعو رفاقنا الى العمل على تصفيتها بصورة تامة .

حول وجهة النظر العسكرية المحضة

ان وجهة النظر العسكرية المحضة منتشرة جدا بين عدد من الرفاق فى الجيش الأحمر . وفيما يلى مظاهرها :

١ — يعتبر هؤلاء الرفاق أن الشئون العسكرية والشئون السياسية تتعارضان ، ويرفضون الاعتراف بأن الشئون العسكرية ما هى سوى وسيلة من الوسائل لانجاز المهمات السياسية . وبعضهم يتمادى الى حد أن يعتبر أن الشئون للعسكرية تقود الشئون السياسية اذ يقول : « من الطبيعى أن يكون للمرء جيدا سياسيا اذا ما كان جيدا عسكريا ، واذا لم يكن جيدا عسكريا يستحيل أن يكون جيدا سياسيا . »

الشيوعى فى الجيش الأحمر أشياء كثيرة وكسب خبرات غنية جدا فى كفاحه ضد مختلف الأفكار الخاطئة . وهذا القرار الذى صاغه الرفيق ماو تسى تونغ هو على وجه التحديد ملخص لهذه الخبرات . ولقد جعل هذا القرار الجيش الأحمر يبنى كليا على أساس ماركسى لينينى ، ويطهر من كل تأثيرات الجيوش القديمة الطراز . وقد طبق هذا القرار فى الفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر كما طبقته فيما بعد سائر الوحدات من الجيش الأحمر على التوالى ، وبهذا أصبح الجيش الأحمر برمته جيشا شعبيا حقيقيا . وقد حصلت تطورات وابتكارات عظيمة فى الأعمال الحزبية والسياسية الخاصة بالقوات المسلحة الشعبية الصينية خلال أكثر من عشرين عاما مضت بحيث أصبحت ملامح هذه الأعمال اليوم تختلف عنها فى الماضى اختلافا بينا ، ولكن الخط الأساسى المتبع فيها ما زال نفس الخط المرسوم فى هذا القرار .

٢ ــ يعتقدون أن مهمة الجيش الأحمر تشابه مهمة الجيش الأبيض ، وهى القتال فقط . وهم لا يدركون أن الجيش الأحمر الصينى هو جماعة مسلحة تؤدى المهمات السياسية للثورة . وخصوصا فى الوقت الراهن ، لا يمكن بأى حال من الأحوال قصر مهمة هذا الجيش على القتال وحده ، اذ تقع على عاتقه ، عدا مهمة القتال من أجل سحق قوة العدو العسكرية ، مهمات أخرى عظيمة الشأن ، هى القيام بالدعاية وسط الجماهير وتنظيمها وتسليحها ومساعدتها على اقامة سلطة الحكم الثورى وحتى تأسيس منظمات للحزب الشيوعى . ان الجيش الأحمر يخوض غمار الحرب لا لمجرد القتال بل للقيام كذلك بالدعاية وسط الجماهير وتنظيمها وتسليحها ومساعدتها على اقامة سلطة الحكم الثورى ، وبدون هذه الأهداف يفقد القتال معناه ، ويفقد الجيش الأحمر مبرر وجوده .

٣ ــ وعليه ، جعلوا أجهزة العمل السياسى فى الجيش الأحمر خاضعة فى الناحية التنظيمية لأجهزة العمل العسكرى ، ووضعوا شعار « القيادة تتصرف فى الشئون التى خارج نطاق الجيش » . واذا تطورت هذه النظرة باستمرار فسوف يترتب على ذلك خطر انعزال الجيش عن الجماهير وسيطرته على سلطة الحكم وانفصاله عن القيادة البروليتارية ــ خطر السير فى طريق مثل طريق أمراء الحرب الذى سار عليه جيش الكومينتانغ .

٤ ــ وفى الوقت نفسه يهملون فى مجال العمل الدعائى أهمية فرق الدعاية. كما يهملون فى مجال التنظيم الجماهيرى انشاء لجان الجنود فى الجيش وتنظيم جماهير العمال والفلاحين المحليين ، لذلك صار كل من العمل الدعائى والعمل التنظيمى فى حكم الملغى .

٥ ــ يغتر هؤلاء الرفاق اذا كسبوا معركة ، وتهبط روحهم المعنوية اذا خسروها .

٦ ــ الأنانية الضيقة . لا يفكر أصحابها الا فى مصلحة الفيلق الرابع ، دون

أن يدركوا أن تسليح الجماهير المحلية هو احدى المهمات الهامة التى تقع على عاتق الجيش الأحمر. ان هذه الأنانية هى صورة مكبرة لنزعة التعصب للجماعة .

٧ — لما كان عدد ضئيل من الرفاق يعجزون عن رؤية ما وراء محيطهم المحدود فى الفيلق الرابع ، اعتقدوا أنه لا توجد أية قوى ثورية غير هذا الفيلق، ومن ثم بلغت لديهم فكرة المحافظة على القوة وتجنب القتال مبلغا خطيرا . وهذه الفكرة هى من بقايا الانتهازية .

٨ — يتغاضون عن الظروف الذاتية والموضوعية ، ويصيبهم داء التسرع فى الثورة ، فيأبون بذل جهود شاقة فى القيام بكل عمل صغير ودقيق بين الجماهير ، بل يرغبون مدفوعين بالأوهام فقط فى القيام بأعمال كبيرة . وهذا من بقايا نزعة التصرفات الطائشة(١) .

ان العوامل التى أدت الى ظهور وجهة النظر العسكرية المحضة هى :

١ — انخفاض المستوى السياسى . ومن هنا يظهر العجز عن ادراك دور القيادة السياسية فى الجيش وعن ادراك أن الجيش الأحمر يختلف عن الجيش الأبيض اختلافا جوهريا .

٢ — عقلية القوات المرتزقة . قد أسرنا أعدادا كبيرة من جنود العدو فى المعارك الماضية ، ولما انضمت هذه العناصر الى الجيش الأحمر حملت اليه كثيرا من عقلية القوات المرتزقة ، مما أوجد فى مراتب الجيش الدنيا أساسا لقيام وجهة النظر العسكرية المحضة .

٣ — ينشأ عن السببين المذكورين سبب ثالث ، وهو فرط الثقة فى القوة العسكرية وعدم الثقة فى قوة الجماهير الشعبية .

٤ — لم يوجه الحزب اهتماما بالغا الى العمل العسكرى ولم يناقش هذا الموضوع مناقشة جدية ، وهذا أيضا سبب فى ظهور وجهة النظر العسكرية

المحضة بين عدد من الرفاق .

ان أساليب التصحيح هى :

١- رفع المستوى السياسى بين أعضاء الحزب بواسطة التثقيف ، واجتثاث الجذور النظرية لوجهة النظر العسكرية المحضة ، وادراك الفارق الجوهرى بين الجيش الأحمر والجيش الأبيض . وفى الوقت نفسه تصفية بقايا الانتهازية ونزعة التصرفات الطائشة ، وتحطيم الأنانية الضيقة فى الفيلق الرابع .

٢ - تقوية التدريب السياسى للضباط والجنود ، وخصوصا تقوية أعمال التثقيف لأسرى الحرب الذين انضموا الى جيشنا . وفى الوقت نفسه ينبغى اتاحة كل فرصة ممكنة لأجهزة السلطة السياسية المحلية لكى تختار عناصر عمالية وفلاحية مجربة فى النضال وترسلها الى الجيش الأحمر ، وذلك لاضعاف وجهة النظر العسكرية المحضة تنظيميا حتى اجتثاث جذورها .

٣ - استنهاض المنظمات الحزبية المحلية لتوجيه النقد الى المنظمات الحزبية فى الجيش الأحمر ، وكذلك استنهاض هيئات السلطة السياسية الجماهيرية لتوجيه النقد الى الجيش الأحمر ، بغية التأثير على المنظمات الحزبية فى الجيش الأحمر وعلى ضباطه وجنوده .

٤ - على الحزب أن يوجه اهتمامه البالغ الى العمل العسكرى ويناقشه مناقشة جدية . وكل عمل من الأعمال ينبغى لمنظمة الحزب أن تناقشه وتتخذ قرارات بشأنه قبل أن تضعه موضع التنفيذ بواسطة الجماهير .

٥ - وضع قوانين وأنظمة للجيش الأحمر تحدد بوضوح مهماته والعلاقة بين جهاز عمله العسكرى وجهاز عمله السياسى ، والعلاقة بين الجيش الأحمر والجماهير الشعبية ، واختصاصات لجان الجنود وعلاقتها بالأجهزة العسكرية والسياسية .

حول نزعة الديمقراطية المتطرفة

منذ اتبع الفيلق الرابع التابع للجيش الأحمر توجيهات اللجنة المركزية، تناقصت مظاهر نزعة الديمقراطية المتطرفة كثيرا . نذكر على سبيل المثال أن تنفيذ قرارات الحزب أصبح ممكنا أكثر من ذى قبل ، وأن أحدا لم يعد يثير مثل تلك الآراء الخاطئة التى تطالب أن يطبق فى الجيش الأحمر ما يسمى بـ « المركزية الديمقراطية من القاعدة الى القيادة » أو « ترك جميع القضايا تناقش فى القاعدة أولا ، ثم تتخذ القيادة القرارات بشأنها بعد ذلك » . . الخ . ولكن هذا التناقص ، فى الحقيقة ، هو ظاهرة موقتة وسطحية لا تعنى أنه قد صفيت نزعة الديمقراطية المتطرفة . أو بعبارة أخرى ، ان جذور نزعة الديمقراطية المتطرفة ما زالت متأصلة فى أذهان كثير من الرفاق ، والدليل على ذلك ، مثلا ، اتخاذ مواقف النفور والتكلف عند تنفيذ القرارات .

ان أساليب التصحيح هى :

١ — علينا أن نستأصل ، من الناحية النظرية ، شأفة نزعة الديمقراطية المتطرفة . ولهذا الغرض ينبغى لنا أولا أن ننبه الى أن خطر هذه النزعة يكمن فى أنها تضر بكيان المنظمات الحزبية ، وقد تؤدى حتى الى انهيار هذه المنظمات نهائيا ، وفى أنها تضعف قدرة الحزب على الكفاح ، بل قد تقضى على هذه القدرة قضاء تاما ، وبالتالى يعجز الحزب عن النهوض بمسئولياته الكفاحية ويترتب على ذلك فشل الثورة . ثم ينبغى لنا أن نشير الى أن مصدر هذه النزعة هو طبيعة الاستخفاف بالنظام والانسياق وراء المزاج الشخصى ، التى تتصف بها البرجوازية الصغيرة . ومتى تسربت هذه الطبيعة الى الحزب تبلورت فى صورة نزعة الديمقراطية المتطرفة فى الناحيتين السياسية والتنظيمية ، وهى نزعة متنافرة كل التنافر مع المهمات الكفاحية للبروليتاريا .

٢ - يجب أن يطبق بحزم ، فى محيط التنظيم ، مبدأ الحياة الديمقراطية الموجهة فى ظل المركزية ، على أن يجرى على الخط الآتى :

ا) ينبغى لأجهزة الحزب القيادية أن تضع خطا صحيحا فى التوجيه ، وتكون قادرة على ايجاد الحلول لكل مشكلة تواجهها ، حتى تؤهل نفسها لتكون مراكز للقيادة .

ب) ينبغى للأجهزة العليا أن تلم بالوضع فى الأجهزة الدنيا ، وأن تلم كذلك بحياة الجماهير ، لتجعل من هذا الالمام أساسا موضوعيا للتوجيه الصحيح .

ج) ينبغى للمنظمات الحزبية من سائر المستويات حين تعمد الى حل المشاكل ألا تتخذ القرارات اعتباطا وبدون ترو . فاذا اتخذت قرارا من القرارات ينبغى لها أن تنفذه بحزم .

د) كل قرار على جانب من الأهمية تتخذه أجهزة الحزب العليا يجب أن ينقل على وجه السرعة الى الأجهزة الدنيا والى جمهور أعضاء الحزب . وطريقة ذلك عقد اجتماعات للعناصر النشيطة أو عقد الاجتماعات العامة لأعضاء الحزب فى الفروع وحتى فى الطوابير (٢) (على حسب الظروف) ، وارسال بعض الرفاق ليقدم فيها تقارير بشأن القرارات .

ه) على الأجهزة الدنيا للحزب وجمهور الأعضاء أن يناقشوا توجيهات الأجهزة العليا بصورة مستفيضة ، حتى يتفهموا معناها تماما ، ويقرروا الأسلوب الذى يتبعونه فى تنفيذها .

حول وجهة النظر غير التنظيمية

ان وجهة النظر غير التنظيمية التى نجدها فى منظمة الحزب فى الفيلق الرابع تتخذ الأشكال التالية :

١ ــ عدم خضوع الأقلية للأغلبية . ومثال ذلك أن الأقلية لا تنفذ قرارات منظمة الحزب بنية خالصة اذا رفضت مقترحات الأقلية .

ان أساليب التصحيح هى :

ا) يجب ، حين تعقد الاجتماعات ، أن تتاح للحاضرين الفرص ليبدوا آراءهم وملاحظاتهم بصورة مستفيضة . واذا كانت هناك مسائل مختلف عليها ، يجب مناقشتها حتى تظهر وجوه الصواب والخطأ فيها ، ولا يجوز اللجوء الى طريقة التوسط والمداورة . وان لم تتم تسويتها خلال اجتماع واحد يمكن اعادة مناقشتها فى اجتماع آخر (بشرط ألا يتأثر العمل بذلك) ، وذلك بغية الوصول الى نتيجة واضحة كل الوضوح .

ب) ان احدى قواعد النظام الحزبى هى خضوع الأقلية للأغلبية . فيجب على الأقلية ، اذا ما رفضت آراؤها ، أن تؤيد القرار المتخذ من قبل الأغلبية . ولا يجوز لها أن تأتى بأى عمل يدل على المعارضة ، واذا كانت ثمة ضرورة ، يمكن للأقلية أن تطرح القضية مجددا على بساط البحث فى اجتماع آخر .

٢ ــ النقد غير التنظيمى :

ا) ان النقد داخل الحزب هو سلاح لتقوية منظمات الحزب ورفع قدرته الكفاحية . الا أن النقد فى المنظمات الحزبية بالجيش الأحمر لا يتحلى بهذه الصفة فى بعض الأحيان ، بل ينقلب الى تهجمات على الشخص مما يسبب تحطيم الأفراد والمنظمات الحزبية معا . وذلك أحد مظاهر فردية البرجوازية الصغيرة . أما الوسيلة الى تصحيح ذلك فهى : أن نوضح لأعضاء الحزب أن النقد يرمى الى رفع قدرة الحزب الكفاحية فى سبيل تحقيق النصر فى الصراع الطبقى ، وأنه لا يجوز استخدامه وسيلة للتهجم على الشخص .

ب) ان عددا كبيرا من أعضاء الحزب يمارسون النقد فى خارج الحزب لا فى داخله . والسبب فى ذلك يعود الى أن العضوية العامة لم تفهم بعد أهمية

المنظمة الحزبية (من اجتماعات ونحوها) ، فتظن أنه لا فرق بين ممارسة النقد داخل المنظمة أو خارجها . وأسلوب التصحيح هو تثقيف أعضاء الحزب بحيث يفهمون أهمية المنظمة الحزبية ويدركون أنه اذا لزم توجيه النقد الى اللجان الحزبية أو الرفاق يجب توجيهه فى الاجتماعات الحزبية .

حول نزعة المساواة المطلقة

ان نزعة المساواة المطلقة فى الجيش الأحمر قد تفاقمت الى درجة خطيرة خلال فترة من الزمن . ومن أمثلة ذلك ، الاعتراض على منح علاوات متفاوتة للجنود الجرحى حسب اختلاف حالات الاصابات ، والمناداة بالعلاوات المتساوية ؛ واعتبار ركوب الضباط الخيل ليس مما يتطلبه أداء واجباتهم ، بل ظاهرة من ظواهر نظام عدم المساواة ؛ والمطالبة بالمساواة المطلقة فى توزيع الحاجيات ، والاعتراض على منح حصص أكبر لمن يكون فى حالة خاصة ؛ والمطالبة فيما يتعلق بحمل الأرز بأن يحمل كل شخص مقدارا مساويا لما يحمله الآخر ، دون أى اعتبار للسن والحالة الصحية ؛ والمطالبة بالمساواة فى تخصيص السكن ، حتى ان بعضهم يقذفون القيادة بالشتائم اذا شغلت منزلا أوسع ليكون مقرا لها ؛ والمطالبة بالمساواة فى توزيع الخدمات ورفض القيام بقسط أكبر بقليل مما يقوم به الآخرون . بل وصل الأمر الى حد أنه اذا كان هناك جنديان جريحان وكانت هنالك نقالة واحدة فقط فضل الجميع تركهما فى مكانهما على أن ينقل أحدهما قبل الآخر . وهذا كله يثبت أن نزعة المساواة المطلقة ما زالت موجودة بصورة خطيرة بين ضباط الجيش الأحمر وجنوده .

ان نزعة المساواة المطلقة ، شأنها شأن نزعة الديمقراطية المتطرفة فى السياسة ، هى نتاج اقتصاد الحرفيين والاقتصاد الضيق للفلاحين ، والفارق الوحيد بينهما هو

أن احداهما تظهر فى الحياة السياسية ، والأخرى فى للحياة المادية .

أساليب التصحيح : ينبغي الاشارة الى أن نزعة المساواة المطلقة هى ، فى المرحلة السابقة للقضاء على الرأسمالية ، مجرد وهم يداعب عقول الفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة ، وحتى فى مرحلة الاشتراكية أيضا ، لن يكون هناك أبدا ما يسمى بالمساواة المطلقة ، اذ أن الأشياء المادية توزع حينئذ وفقا لمبدأ : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله » ووفقا لضروريات العمل . أما توزيع الأشياء المادية بين أفراد الجيش الأحمر ، مثل رواتب الضباط والجنود ، فيجب أن تتحقق فيه المساواة على وجه التقريب ، لأن ظروف النضال الحاضر تتطلب ذلك . ولكن من الضرورى مكافحة المساواة المطلقة التى لا تدخل فى حسابها أى اعتبارات ، ذلك لأنها لا تتفق مع حاجة النضال ، بل على نقيض ذلك تعوق النضال .

حول الذاتية

توجد الذاتية الى درجة خطيرة بين بعض أعضاء الحزب ، مما يضر كثيرا بتحليل الوضع السياسى وتوجيه العمل ، اذ أن كلا من التحليل الذاتى للوضع السياسى والتوجيه الذاتى للعمل سينتهى حتما اما الى الوقوع فى الانتهازية أو فى نزعة التصرفات الطائشة . أما النقد المتصف بالذاتية داخل الحزب ، ورمى الكلام على عواهنه دون استناد الى أدلة أو براهين ، والريبة وسوء الظن بين الأعضاء فهى كثيرا ما تؤدى الى خصومات غير مبدئية داخل الحزب ، وتخرب المنظمات الحزبية .

ينبغى الاشارة الى نقطة أخرى بخصوص مسألة النقد داخل الحزب وهى أن بعض الرفاق لا يعنون فى نقدهم بالمسائل الكبرى ، بل يحصرون كل اهتمامهم

فى المسائل البسيطة . وهم لا يفهمون أن الغاية الرئيسية من النقد هى التنبيه الى الأخطاء السياسية والتنظيمية . أما فيما يتعلق بالعيوب الشخصية فلا داعى الى توجيه اللوم كثيرا الى الرفاق بسببها ، ذلك اذا كانت هذه العيوب لا تمت بصلة الى الأخطاء السياسية والتنظيمية ، حتى لا يكونوا فى حيرة من أمرهم . ثم انـه اذا تفشى مثل هذا النقد فسيتركز كل الاهتمام داخل الحزب على النقائص الصغيرة ، وعندئذ سيصبح كل واحد هيابا شديد الحذر فى الشئون التافهة ، وينسى مهمات الحزب السياسية ، وهذا أمر شديد الخطر .

أساليب للتصحيح : أهمها تثقيف أعضاء الحزب حتى تسود الروح السياسية والعلمية تفكيرهم وحياتهم الحزبية . ويجب علينا فى سبيل تحقيق هذه الغاية : ١ — أن نعلم أعضاء الحزب أن يطبقوا الأسلوب الماركسى اللينينى ، بدلا من الأسلوب الذاتى ، فى تحليل الوضع السياسى وتقدير القوى الطبقية . ٢ — أن نجعل أعضاء الحزب يهتمون بمباشرة التحقيق والدراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ثم يضعون على ضوء ذلك تكتيكات النضال وأساليب العمل ، وأن نفهم الرفاق أنهم اذا امتنعوا عن بحث الظروف الواقعية فسيقعون فى هاوية التخيلات الوهمية ونزعة التصرفات الطائشة . ٣ — أن نحترس ، عند مباشرة النقد داخل الحزب ، من الحكم على الأشياء حكما مستندا الى التصورات الذاتية ، وأن نبعد النقد عن الابتذال . يجب على الناقد أن يبنى كلامه على الأدلة والبراهين ، وأن يركز نقده على الجانب السياسى .

حول الفردية

تظهر نزعة الفردية فى منظمات الحزب بالجيش الأحمر فى الأشكال الآتية :

١ — الانتقام . هو أن يتعرض المرء لانتقاد أحد الرفاق للجنود فى داخـل

الحزب فيتحين الفرص للانتقام منه خارج الحزب، فالضرب والشتم هما بالضبط أسلوب من أساليب هذا الانتقام . وتوجد ظاهرة السعى الى الانتقام فى داخل الحزب أيضا ، حيث أن المرء اذا تعرض لانتقاد أحد الرفاق فى اجتماع من الاجتماعات حاول أن يترقب فيه هفوة فى الاجتماع القادم لينتقم منه . ان مثل هذا الانتقام ينبثق تماما عن الاعتبارات الشخصية ، ويتجاهل صاحبه مصالح الطبقة والحزب كله . كما أن هدفه ليس الطبقة المعادية ، بل هدفه أفراد معينون فى صفوفنا نحن . فهو مادة قارضة تضعف المنظمة وقدرتها الكفاحية .

٢ ـ نزعة التعصب للجماعة . يحصر صاحب هذه النزعة عنايته فى مصالح جماعته دون مصالح الكل ، ويبدو فى الظاهر أن صاحبها لا يسعى وراء المصالح الشخصية ، لكنها تنطوى فى الحقيقة على الفردية فى أضيق حدودها ، وهى ذات فعل قوى كذلك فى النخر وتشتيت الشمل . وهذه النزعة ظلت رائجة فى الجيش الأحمر ، وقد كبح جماحها الآن الى حد بعيد نتيجة لنقدها ، بيد أن بقاياها لا تزال موجودة ويحتاج التغلب عليها الى مزيد من الجهد .

٣ ـ عقلية المرتزقة . لا يدرك بعض الرفاق أن الحزب والجيش الأحمر كلاهما أداة لأداء مهمات الثورة ، وأن كلا منهم فرد من أفراد الحزب والجيش. كما لا يدركون أنهم أنفسهم أسياد الثورة ، فيظنون أنهم مسئولون تجاه رؤسائهم وحدهم لا تجاه الثورة . فهذه العقلية السلبية عقلية المرتزقة ازاء الثورة هى الأخرى مظهر من مظاهر الفردية . كما أن عقلية المرتزقة هذه ازاء الثورة هى السبب فى عدم ظهور كثير من العناصر المبادرة النشيطة التى تعمل جاهدة من أجل الثورة بلا قيد ولا شرط . فطالما لم تتم تصفية عقلية المرتزقة هذه فان عدد العناصر المبادرة النشيطة لن يجد لازدياده سبيلا ، وبالتالى فان عبء الثورة الثقيل سوف يظل ملقى على كاهل عدد ضئيل من الناس ، وهذا يضر بنضالنا كثيرا .

٤ ـ السعى وراء الملذات . يوجد كذلك فى الجيش الأحمر عدد غير

قليل ممن تتمثل فرديتهم فى السعى وراء الملذات ، وهؤلاء يأملون على الدوام أن تنتقل وحدتهم الى المدن الكبرى ، وهم يأملون ذلك لا من أجل العمل هناك بل من أجل الاستمتاع ، وان أكثر ما يبغضونه هو العمل فى المناطق الحمراء حيث ظروف المعيشة شاقة .

٥ — التوانى والفتور فى العمل . هناك رفاق يصيبهم الفتور ويعرضون عن العمل كلما وجدوا شيئا يخالف رغباتهم أدنى مخالفة . والسبب فى ذلك يرجع أساسا الى النقص فى تثقيفهم ، كما أنه يرجع أحيانا الى نقائص المسئولين فى تصريف الأمور أو توزيع الأعمال أو تطبيق النظام .

٦ — الرغبة فى ترك الجيش . ان العاملين فى الجيش الأحمر الذين يطلبون نقلهم الى العمل المدنى يزداد عددهم مع مرور الأيام . وذلك لا يعود كله الى أسباب شخصية ، بل يعود أيضا الى الأسباب الآتية : ا) شظف العيش فى الجيش الأحمر ؛ ب) الشعور بالاعياء بعد خوض النضال الطويل ؛ ج) نقائص المسئولين فى تصريف الأمور أو توزيع الأعمال أو تطبيق النظام .

أساليب التصحيح : أهمها تقوية التثقيف بغية التغلب على الفردية ايديولوجيا . ويلى ذلك العمل بصورة سديدة فى تصريف الأمور وتوزيع الأعمال وتطبيق النظام ، واتخاذ التدابير لتحسين الحياة المادية للجيش الأحمر واغتنام كل فرصة ممكنة للراحة والتدريب لتحسين الظروف المادية . يجب علينا أن نوضح عند قيامنا بالعمل التثقيفى أن الفردية فى الحزب هى ، من حيث مصدرها الاجتماعى ، انعكاس لايديولوجية البرجوازية الصغيرة والبرجوازية .

حول نزعة العصابات المتنقلة

لقد نشأت فى الجيش الأحمر نزعة العصابات المتنقلة فى المجال السياسى نظرا لأن الجيش الأحمر يضم عددا كبيرا من العناصر التى أصلها متشردون

وأفاقون ، ولأنه فى كل البلاد وخصوصا فى المقاطعات الجنوبية توجد جماهير واسعة من المتشردين . وهذه للنزعة تظهر فى الأشكال الآتية : ١ ــ عدم الرغبة فى القيام بالأعمال الشاقة من أجل اقامة القواعد وللسلطة السياسية لجماهير الشعب ، ثم العمل على توسيع نفوذنا السياسى عن طريق ذلك ، بل الرغبة فقط فى توسيع نفوذنا للسياسى عن طريق القيام بعمليات العصابات للمتنقلة . ٢ ــ عدم السير ، فيما يتعلق بتوسيع الجيش الأحمر ، على خط يقضى بتوسيع فصائل الحرس الأحمر المحلى ثم القوات الحمراء المحلية ثم الجيش الأحمر للنظامى ، بل الرغبة فى اتباع خط « استئجار الرجال وشراء الجياد » ، و« قبول المرتدين وضم المتمردين »(٣) . ٣ ــ قلة الصبر على القيام مع الجماهير بالنضال الشاق ، والرغبة الوحيدة هى الذهاب الى المدن الكبرى للاستمتاع بالأكل والشرب . ان نزعة العصابات المتنقلة بأشكالها هذه تعوق الى أبعد الحدود للجيش الأحمر عن أداء المهمات الصحيحة ، ولهذا فان تصفية هذه النزعة قد أصبحت بالضبط هدفا هاما للنضال الايديولوجى داخل منظمة الحزب فى للجيش الأحمر . يجب أن يفهم الرفاق أن أساليب للعصابات للمتنقلة للتى سار عليها خوانغ تشاو(٤) ولى تشوانغ(٥) فى العصور الغابرة ، لم تعد مسموحا بها فى للظروف الحاضرة .

ان أساليب التصحيح هى :

١ ــ تقوية التثقيف ونقد الأفكار غير الصحيحة وتصفية نزعة العصابات المتنقلة .

٢ ــ تقوية التثقيف ضد الميول الى التشرد بين الأقسام الأساسية من الجيش الأحمر وبين جنوده الجدد من الأسرى .

٣ ــ العمل على ضم العناصر للنشيطة للمجربة فى النضال من العمال والفلاحين الى صفوف الجهش الأحمر لأجل تغيير نسبة عناصر الجيش .

٤ — انشاء وحدات جديدة للجيش الأحمر بين جماهير العمال والفلاحين المناضلين .

حول بقايا نزعة التصرفات الطائشة

لقد جرت داخل المنظمة الحزبية فى الجيش الأحمر عدة نضالات ضد نزعة التصرفات الطائشة ، غير أن هذه النضالات لم تكن كافية ، وعليه ، فان بقايا نزعة التصرفات الطائشة ما زالت موجودة داخل الجيش الأحمر . وهى تتخذ هذه الأشكال : ١ — العمل بصورة عمياء دون النظر الى الظروف الذاتية والموضوعية . ٢ — تطبيق سياسات الحزب الخاصة بالمدن تطبيقا غير كامل ولا حازم . ٣ — التراخى فى الانضباط للعسكرى ، وعلى الأخص اثر الهزائم . ٤ — ما زالت هناك وحدات معينة تحرق البيوت فى بعض الأحيان . ٥ — الحكم على الجنود الهاربين بالاعدام رميا بالرصاص وتطبيق العقوبات الجسدية ، وهما نظامان متصفان بنزعة التصرفات الطائشة . ان نزعة التصرفات الطائشة هى من حيث مصدرها الاجتماعى مزيج من ايديولوجية البروليتاريين المتشردين وايديولوجية البرجوازية الصغيرة .

وأساليب التصحيح هى :

١ — تصفية نزعة التصرفات الطائشة ايديولوجيا .

٢ — وضع حد للتصرفات الطائشة عن طريق النظم والسياسات .

ملاحظات

(١) نشأت فى الحزب الشيوعى خلال فترة وجيزة بعد هزيمة الثورة فى عام ١٩٢٧ ، نزعة التصرفات الطائشة « اليسارية » ، كان يرى أنصارها أن الثورة الصينية

هى ، من حيث طبيعتها ، « ثورة دائمة » ، وأن الوضع الثورى فى « مد متزايد » ، ولذا أبوا تنظيم تقهقر منتظم ، بل اتخذوا ، خطأ ، أساليب فرض الأوامر يحاولون أن ينظموا على نطاق البلاد انتفاضات محلية كثيرة لا أمل فى نجاحها ، معتمدين على عدد ضئيل من أعضاء الحزب والجماهير . كانت هذه النشاطات ذات نزعة التصرفات الطائشة قد راجت فى أواخر ١٩٢٧ ، ثم توقفت بالتدريج فى أوائل ١٩٢٨ . ولكن الميول نحو نزعة التصرفات الطائشة ما زالت موجودة عند بعض الرفاق . ان نزعة التصرفات الطائشة هى فى حد ذاتها نزعة المغامرة .

(٢) كان الطابور فى الجيش الأحمر وقتذاك هو بمنزلة فوج من المشاة — المعرب .

(٣) هو الاشارة الى تلك الطريقة المتبعة فى توسيع القوات ، التى تحصر كل اهتمامها فى عدد الرجال بدون اعتبار نوعيتهم ، وهى طريقة تجنيد مختلف العناصر وضم قوات العدو المستسلمة فى الجيش بدون أى تمييز بينهم — المعرب .

(٤) كان خوانغ تشاو قائد انتفاضة الفلاحين فى نهاية حكم أسرة تانغ ، وهو من أهالى مدينة ميان قو (هى حاليا محافظة خهتسه فى مقاطعة شاندونغ — المعرب) . فى عام ٨٧٥ جمع خوانغ حوله رجالا للتجاوب مع الانتفاضة التى كان يقودها وانغ شيان تشى . ثم لما قتل وانغ شيان تشى جمع خوانغ فلول قوات الأول وأطلق على نفسه لقب « الجنرال المعظم غازى السماء » . وقد خرجت قوات الانتفاضة التى يقودها خوانغ تشاو من مقاطعة شاندونغ مرتين وترحلت من منطقة الى أخرى وهى تحارب . ففى المرة الأولى خرجت من شاندونغ الى خنان ومنها الى آنخوى فخوبى ثم عادت من خوبى الى شاندونغ . وفى المرة الثانية خرجت من شاندونغ الى خنان ومنها الى جيانغشى ، ثم رحلت من جيانغشى الى شرقى تشجيانغ ومنها الى فوجيان فقوانغدونغ ، ثم تحولت منها الى قوانغشى فخونان ثم انتقلت منها الى خوبى ومنها زحفت شرقا الى آنخوى ثم الى تشجيانغ ، ثم عادت فعبرت نهر خوايخه ودخلت أرض خنان حيث فتحت مدينة لويانغ ، ثم واصلت التقدم واخترقت ممر تونغقوان ، واستولت أخيرا على تشانغآن . وعند ذلك أسس خوانغ تشاو مملكة تشى وتوج امبراطورا لها ، ثم ضاعت تشانغآن من يده بسبب الانقسام الداخلى (اذ استسلم تشو ون ، وهو قائد كبير لأسرة تانغ) ونتيجة الهجمات التى شنتها عليه قوات لى كه يونغ رئيس قبيلة شاتوه ، فاضطر الى التراجع الى خنان ومنها عاد الى شاندونغ ، وانهزم أخيرا وانتحر . وكانت الحرب التى قادها خوانغ تشاو واستمرت عشر سنوات تعتبر من أشهر الحروب الفلاحية

فى تاريخ الصين . وقد جاء فى كتب التاريخ التى وضعتها الطبقات الحاكمة فى العهود الماضية : « كان الرعية الذين يعانون من قسوة الضرائب الثقيلة والجبايات الباهظة يتسارعون اليه » . ولكن قواته كانت دائمة التنقل وهى تحارب دون أن تؤسس أية قواعد ثابتة وطيدة نسبيا ، لذلك سميت « العصابات المتنقلة » .

(٥) لى تشوانغ ، ويدعى أيضا لى تسى تشنغ ، من أهالى محافظة ميتشى بشمالى شنشى ، وكان زعيما لانتفاضة الفلاحين فى أواخرعهد أسرة مينغ . فى عام ١٦٢٨ حصلت حركة انتفاضات فلاحية بشمالى شنشى . انضم لى تسى تشنغ الى قوات الانتفاضة التى يقودها قاو ينغ شيانغ وحارب منتقلا من شنشى الى خنان وآنخوى ، ثم عاد مع القوات الى شنشى . ولما مات قاو ينغ شيانغ عام ١٦٣٦ بويع لى تسى تشنغ خلفا له ولقب « الملك المقدام » . وكان الشعار الرئيسى الذى ينشره وسط الجماهير هو : « من أيد الملك المقدام أعفى من ضريبة الحبوب » ، وكذلك رفع شعارا آخر لفرض الانضباط على قواته هو : « من قتل نفسا فكأنه قتل أبى ومن اعتدى على امرأة فكأنه اعتدى على أمى » . وهكذا استطاع أن يكسب مساندة الجماهير الغفيرة حتى أصبحت حركته تيارا رئيسيا لانتفاضات الفلاحين فى عصره . ولكنه كان أيضا دائم التنقل دون أن يؤسس قواعد ثابتة وطيدة نسبيا . وبعد أن بويع ملكا دخل بقواته مقاطعة سيتشوان ، ثم عاد منها الى جنوبى شنشى ومنه الى خوبى ثم خنان ، ثم عاد الى خوبى ثانية حيث فتح مدينة شيانغيانغ ، ثم قفل عائدا الى خنان ومنها دخل شنشى حيث استولى على شيآن ، ثم خرج منها وقصد بكين عن طريق شانشى فاحتلها عام ١٦٤٤ . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى انهزم أمام الهجمات المشتركة التى قامت بها قوات وو سان قوى أحد قواد أسرة مينغ وقوات تشينغ التى جلبها وو سان قوى خيانة وغدرا .

ربّ شرارة أحرقت سهلاً

(٥ يناير — كانون الثانى — ١٩٣٠)

ما زال بعض الرفاق فى حزبنا يفتقرون الى فهم صحيح لمسألة تقدير الوضع الراهن وتحديد عملياتنا على أساس ذلك للتقدير . وعلى الرغم من اقتناعهم بأن مدا عاليا للثورة سوف يظهر لامحالة، الا أنهم لا يؤمنون بأنه يمكن أن يظهر عاجلا . ولذلك لم يوافقوا على خطة الاستيلاء على جيانغشى وانما يستحسنون القيام بعمليات حرب عصابات متنقلة فى المناطق الثلاث الواقعة فى حدود المقاطعات المتجاورة فوجيان وقوانغدونغ وجيانغشى ، وكذلك لم يكن لديهم مفهوم عميق عن اقامة السلطة السياسية الحمراء فى المناطق التى تدور فيها حرب العصابات ، ومن ثم لم يكن لديهم مفهوم عميق عن التعجيل بمد الثورة العالى على نطاق البلاد ، عن طريق توطيد مثل هذه السلطة للسياسية الحمراء وتوسيعها . ويبدو أنهم يعتقدون أنه ما دام مد الثورة العالى بعيدا، فمن العبث القيام بالعمل الشاق من أجل بناء هذه السلطة السياسية ، وكل أملهم هو أن يوسعوا نفوذنا للسياسى بطريقة سهلة نسبيا وهى القيام بعمليات حرب عصابات متنقلة، حتى اذا ما تم كسب الجماهير فى جميع أرجاء البلاد ، أو تم كسبها الى درجة معينة ، عمدوا الى شن انتفاضة مسلحة عامة

هذه رسالة كتبها الرفيق ماوتسى تونغ فى نقد نظرة متشائمة كانت موجودة فى الحزب يومذاك .

ستتحول ، اذا أضيفت قوات الجيش الأحمر الى القوى المنتفضة ، الى ثورة كبرى على نطاق البلاد . ان نظريتهم هذه القائلة بوجوب كسب الجماهير على نطاق البلاد وفى جميع المناطق قبل اقامة السلطة السياسية ، هى نظرية لا تتفق مع الظروف الواقعية للثورة الصينية . وان مصدر نظريتهم هذه هو قصورهم عن ادراك حقيقة أن الصين بلد شبه مستعمر تتكالب عليه عدة دول امبريالية . واذا أدركوا هذه الحقيقة استطاعوا أولا أن يفهموا لماذا شهدت الصين وحدها دون سائر بلدان العالم هذه الظاهرة الغريبة ، ألا وهى تطاحن الطبقات الحاكمة فى حروب طويلة الأمد ؟ ولماذا تتأجج نيران هذه الحروب ويتسع نطاقها يوما بعد يوم ؟ ولماذا لا يمكن حتى الآن أن تقوم سلطة سياسية موحدة ؟ ثانيا ، أن يفهموا مدى أهمية قضية الفلاحين ، وأن يفهموا بالتالى لماذا تطورت الانتفاضات الريفية هذا التطور العظيم حتى شملت اليوم أنحاء البلاد كلها؟ ثالثا ، أن يفهموا صحة الشعار القائل باقامة السلطة السياسية الديمقراطية للعمال والفلاحين . رابعا ، أن يفهموا ظاهرة غريبة أخرى ناتجة عن الظاهرة الغريبة السابقة التى هى تطاحن الطبقات الحاكمة فى حروب طويلة الأمد والتى نجدها فى الصين وحدها دون سائر بلدان العالم ، ألا وهى وجود الجيش الأحمر وقوات العصابات ونموهما ، وبالتالى وجود ونمو مناطق حمراء صغيرة تنشأ وتترعرع وسط حصار السلطة البيضاء (ان هذه الظاهرة الغريبة لا توجد الا فى الصين) . خامسا ، أن يفهموا أن تأسيس الجيش الأحمر وقوات العصابات والمناطق الحمراء وتطويرها يمثلان الشكل الأعلى لنضال الفلاحين تحت قيادة البروليتاريا فى الصين شبه المستعمرة ، كما أنهما يعبران عن النتيجة الحتمية لتطور نضال الفلاحين فى بلد شبه مستعمر ؛ وهما — بلا شك — أهم العوامل فى تعجيل مد الثورة العالى فى جميع أنحاء البلاد . سادسا ، أن يفهموا أنه بالاعتماد على سياسة القيام بعمليات حرب العصابات المتنقلة وحدها لا يمكن أن تنجز مهمة تعجيل

مد الثورة العالى على نطاق البلاد ، ويفهموا أن السياسة التى تبناها تشو ده وماو تسى تونغ . والتى تبناها فانغ تشي مين(١) ، هى بلا شك سياسة صحيحة ، وهى تقضى باقامة القواعد الثورية ، وبناء السلطة السياسية بصورة مخططة ، وتعميق الثورة الزراعية ، وبتحقيق خط توسيع القوات المسلحة الشعبية بواسطة مجموعة متكاملة من التدابير أى عن طريق خلق فصائل الحرس الأحمر على مستوى الناحية ثم المركز ثم المحافظة ، ثم انشاء القوات الحمراء المحلية حتى الجيش الأحمر النظامى ، وبتوسيع السلطة السياسية على شكل التموج . .الخ. وهذه السياسة وحدها تمكننا من أن نكسب ثقة الجماهير الثورية فى البلاد كلها ، تماما كما كسبها الاتحاد السوفياتى فى العالم بأسره ، وتمكننا من أن نخلق مصاعب هائلة للطبقات الرجعية الحاكمة ونزعزع أركانها ونعجل بتفككها الداخلى ، كما أن هذه السياسة وحدها تمكننا من أن نخلق بالفعل جيشا أحمر يكون أداتنا الرئيسية فى الثورة الكبرى المقبلة . وجملة القول أننا لن نتمكن من تعجيل مد الثورة العالى الا باتباع هذه السياسة .

ان الرفاق الذين يصيبهم داء التسرع فى الثورة ، هم يقدرون القوى الثورية الذاتية(٢) والقوى المعادية للثورة تقديرا خاطئا بحيث يبالغون فى الأولى ويستخفون بالأخيرة ، ومثل هذا التقدير يبنى فى الغالب على النظرة الذاتية . ومما لا شك فيه أن هذا التقدير سيؤدى بهم فى نهاية الأمر الى طريق التصرف الطائش ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه اذا استخف المرء بقوى الثورة الذاتية وبالغ فى القوى المعادية للثورة فان تقديره هذا خاطئ أيضا ، وسيؤدى حتما الى عاقبة وخيمة أخرى . لذلك فمن الضرورى حين نحكم على الوضع السياسى فى الصين أن نتفهم النقاط المهمة الآتية :

١ — بالرغم من أن القوى الثورية الذاتية فى الصين ما زالت الآن ضعيفة ، الا أن الضعف ملازم أيضا لجميع أجهزة الطبقات الرجعية الحاكمة (وهى

السلطة السياسية والقوات المسلحة والأحزاب وغيرها) ، والتى ترتكز على بنية الاقتصاد الاجتماعى المتأخر الواهن فى الصين . وعلى هذا يمكن أن نفسر السبب فى عدم امكان انفجار الثورة فورا فى البلدان الأوربية الغربية فى الوقت الحاضر ، ذلك لأنه على الرغم من أن القوى الثورية الذاتية فى تلك البلدان قد تكون أقوى منها فى بلاد الصين ، الا أن قوى الطبقات الرجعية الحاكمة هناك أعظم بعدة مرات منها هنا . أما فى الصين فعلى الرغم من أن القوى الثورية الذاتية ما زالت الآن ضعيفة ، ولكن القوى المعادية للثورة فيها هى أيضا ضعيفة نسبيا . اذن فمن المحقق أن ظهور مد الثورة العالى فى الصين سيسبق ظهوره فى البلدان الأوربية الغربية .

٢ ــ ان القوى الثورية الذاتية قد أصيبت فعلا بضعف شديد منذ هزيمة الثورة عام ١٩٢٧ . فاذا نظرنا الى القوة الضئيلة التى تبقت منها من حيث المظاهر وحدها فمن الطبيعى أن ذلك سيشعر بعض الرفاق (الذين لا ينظرون الا الى المظاهر وحدها) بالتشاؤم ، أما اذا نظرنا اليها من حيث الجوهر فان الأمر سيكون مختلفا تماما . وهنا يفيدنا مثل صينى يقول : « رب شرارة أحرقت سهلا » . ومعنى ذلك أن هذه القوة برغم ضآلتها الآن سوف تنمو بسرعة عظيمة . ونموها فى ظروف الصين الراهنة ممكن ، بل هو حتمى فى الحقيقة ، وهذا ما أثبتته ، بصورة وافية ، حركة ٣٠ مايو (أيار) والحركة الثورية الكبرى التى أعقبتها . وعند ما ننظر الى شىء من الأشياء يجب علينا أن ننفذ الى جوهره ، ولا نعتبر مظاهره الا دليلا يقودنا الى عتبة الجوهر ، ومتى اجتزنا هذه العتبة فعلينا أن نمسك بالجوهر ، وهذه وحدها هى الطريقة العلمية المعتمد عليها فى التحليل .

٣ ــ وكذلك لا يجوز لنا أبدا ، عندما نقدر القوى المعادية للثورة أن نكتفى بالنظر الى مظاهرها وحدها ، بل علينا أن ننظر الى جوهرها . وفى الأيام الأولى التى تلت انشاء القواعد الثورية فى منطقة حدود خونان ــ جيانغشى ، كان بعض الرفاق يرون أن عدونا الطبقى قد أصبح لا يقوى على أى شىء ، ذلك لأنهم

آمنوا حقا بالتقدير الخاطئ الذى قامت به فى ذلك الحين ، اللجنة الحزبية فى مقاطعة خونان . ان الناس ما زللوا حتى اليوم يتندرون بهاتين العبارتين « متزعزع للغاية » و« فى ذعر مطبق » اللتين استعملتهما هذه اللجنة فى ذلك الحين (مايو - أيار ويونيو - حزيران - ١٩٢٨) فى تقييمها لحاكم المقاطعة لودى بينغ (٣) ، ومن الحتمى أن يؤدى مثل هذا التقدير الى التصرفات الطائشة سياسيا . ولكن بعض رفاقنا خلال الأشهر الأربعة من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٨ حتى فبراير (شباط) ١٩٢٩ (قبل نشوب الحرب بين تشيانغ كاى شيك وأمراء حرب قوانغشى (٤)) ، عندما واجهت جبال جينغقانغ « حملة الابادة المشتركة » الثالثة (٥) التى شنها العدو ، انقلبوا يتساءلون : « الى متى سيبقى العلم الأحمر مرفرفا ؟ » . والحقيقة أن الصراع الذى كانت تشهده أرض الصين يومذاك بين بريطانيا والولايات المتحدة واليابان قد أصبح سافرا تماما ، وأن تشابك تشيانغ كاى شيك وأمراء حرب قوانغشى وفنغ يو شيانغ فى حروب بين بعضهم البعض قد توفرت له الأسباب ، فواقع الأمر هو أن التيار المعادى للثورة آخذ فى الجزر والتيار الثورى آخذ فى المد . ولكن نزعة التشاؤم لم تنتشر آنذاك فى الجيش الأحمر ومنظمات الحزب المحلية فحسب ، بل عرفت طريقها الى اللجنة المركزية أيضا اذ انخدعت هى الأخرى بمظاهر الأحداث . ورسالة فبراير (شباط) الصادرة عن اللجنة المركزية (٦) ، هى خير دليل على ما كان موجودا فى الحزب حينذاك من نزعة التشاؤم فى تحليل للموقف .

٤ - ان الظروف الموضوعية الحالية يمكن كذلك أن تضلل بسهولة أولئك للرفاق الذين لا يلاحظون سوى مظهرها الخارجى دون أن يطلعوا على حقيقتها ، وخاصة هؤلاء العاملين فى الجيش الأحمر ، فانهم كلما انهزموا فى معركة أو طوقهم العدو تطويقا محكما ، أو طاردهم عدو قوى ، ظنوا فى الغالب وبدون وعى أن هذه الظروف الموقتة والخاصة والجزئية هى ظروف عامة

وكلية ، كما لو كان الوضع فى الصين وفى العالم بأسره لا يدعو للتفاؤل ، وكما لو كان انتصار الثورة أبعد ما يكون عن التحقيق . والسبب فى أنهم أخذوا بمظاهر الأمور واستغنوا عن جوهرها انما يعود الى عدم قيامهم بتحليل جوهر الوضع العام تحليلا علميا . واذا سئلنا عما اذا كان المد العالى للثورة الصينية سيظهر قريبا أم لا ، فاننا لا نستطيع أن نبت فى ذلك الا اذا درسنا بدقة ما اذا كانت مختلف التناقضات المؤدية الى ظهور مد الثورة العالى قد تطورت فعلا أم لا . فما دامت قد تطورت التناقضات بين البلدان الامبريالية على الصعيد الدولى ، والتناقضات بين البلدان الامبريالية ومستعمراتها ، والتناقضات بين الامبريالية والبروليتاريا فى البلدان الامبريالية ، فان الامبرياليين قد أصبحوا فى حاجة أكثر الحاحا الى التنافس من أجل السيطرة على الصين . ولما احتد هذا التنافس أخذت التناقضات بين الامبريالية والصين بأسرها ، والتناقضات بين الامبرياليين أنفسهم ، تتطور فى آن واحد فى أرض الصين ومن ثم تشابكت مختلف عصابات الحكام الرجعيين فى الصين فى حروب تتسع دائرتها وتشتد نيرانها يوما بعد يوم ، وبدأت التناقضات بين هذه العصابات تتفاقم مع مرور الأيام . ثم أفضت التناقضات بين مختلف عصابات الحكام الرجعيين ، أى الحروب بين أمراء الحرب ، الى زيادة الضرائب التى تؤدى بدورها الى زيادة التناقضات يوما بعد آخر بين الجماهير الغفيرة من دافعى الضرائب وبين الحكام الرجعيين . ثم انه قد ترتب على التناقضات بين الامبريالية والصناعة الوطنية الصينية أن الأخيرة لا تستطيع الحصول على تنازلات من قبل الامبريالية وهو أمر يزيد من حدة التناقضات بين البرجوازية الصينية والطبقة العاملة الصينية اذ أن الرأسماليين الصينيين يحاولون أن يجدوا منفذا لهم عن طريق الامعان فى استغلال العمال ، أما العمال فينهضون الى مقاومتهم . وتبعا لعدوان الامبريالية التجارى والاستغلال الذى يمارسه الرأسمال التجارى الصينى ، وزيادة الضرائب الحكومية تعمقت التناقضات بين طبقة ملاك الأراضى

وبين الفلاحين ، أى اشتدت وطأة الاستغلال فى شكل ايجارات الأراضى والربا ، فزاد الفلاحون بغضا لملاك الأراضى . ونتيجة لضغط السلع الأجنبية ، ونفاد القوة الشرائية للجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين وزيادة الضرائب الحكومية فان التجار الذين يتاجرون بالمنتجات الوطنية ، وأرباب الانتاج الفردى أخذوا ينحدرون يوما بعد يوم الى طريق الافلاس . ولما كانت الحكومة الرجعية بالرغم من افتقارها الى المؤن والأموال ، توسع جيوشها بلا حدود ، الأمر الذى ينتج عنه توسيع الحرب أكثر فأكثر ، فان جماهير الجنود تعيش فى حرمان دائم . ونظرا لأن الحكومة تزيد الضرائب وأن ملاك الأراضى يرفعون معدل ايجارات الأراضى وفوائد الديون ، وبسبب تعاظم ويلات الحروب كل يوم ، عمت أنحاء البلاد كوارث ومجاعات وانتشر فيها اللصوص وقطاع الطرق مما ساق الجماهير الغفيرة من الفلاحين وفقراء المدن الى طريق الشقاء والعذاب . ونظرا لأنه لم يكن هناك أموال لفتح أبواب المدارس ، فقد ساور القلق عددا كبيرا من الطلبة مخافة أن يحرموا من متابعة الدراسة ، وبسبب التخلف فى الانتاج حرم الكثيرون من الشبان الذين تخرجوا فى المدارس من الأمل فى العثور على عمل . اذا أدركنا كل هذه التناقضات السالفة الذكر ، استطعنا أن نفهم مبلغ ما يسود الصين من اضطراب دائم وفوضى مطبقة ، واستطعنا أن نفهم كذلك أن ظهور المد العالى للثورة ضد الامبريالية وأمراء الحرب وملاك الأراضى أمر لا مفر منه ، بل أمر سيحدث عاجلا . ان أرض الصين مفروشة كلها بالحطب اليابس الذى سرعان ما يشتعل ويصبح حريقا هائلا . فالمثل القائل « رب شرارة أحرقت سهلا » هو ترجمة صادقة لتطورات الوضع الراهن . ويكفينا أن نلقى نظرة على تطورات اضرابات العمال وانتفاضات الفلاحين وتمردات الجنود واضرابات الطلبة فى أماكن كثيرة ، حتى ندرك أنه لن يمضى وقت طويل حتى تنقلب هذه « الشرارة » الى « نار تحرق السهل كله » .

ان ملخص ما تقدم ، كنا قد ذكرناه فى للرسالة الموجهة من لجنة الجبهة الأمامية الى اللجنة المركزية بتاريخ ٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٩ . ولقد ورد فيها :

ان اللجنة المركزية فى رسالتها هذه (المؤرخة فى ٩ فبراير – شباط – ١٩٢٩) قد أعطت تقديرا غاية فى التشاؤم للوضع الموضوعى ولقوانا الذاتية . ان حملات « الابادة » الثلاث التى شنتها قوات الكومينتانغ على جبال جينغقانغ تمثل أوج المد المعادى للثورة . ولكن هذا المد لما بلغ ذلك الحد توقف وأخذ ينحسر تدريجيا على حين بدأ التيار الثورى يرتفع شيئا فشيئا . وعلى الرغم من أن قدرة حزبنا الكفاحية والتنظيمية قد ضعفت حتى الدرجة التى ذكرتها اللجنة المركزية فى رسالتها ، الا أنه فى أثناء انحسار هذا التيار المعادى للثورة تدريجيا ، ستعود تلك القدرة الكفاحية والتنظيمية بسرعة أكيدة الى ما كانت عليه ، وسيتلاشى سريعا ما نجده بين الكوادر الحزبيين من تراخى الهمة . كما أن الجماهير ستنحاز الى جانبنا بالتأكيد . فان سياسة سفك الدماء (٧) التى يسير عليها الكومينتانغ من شأنها أن « تطرد السمك الى حيث الماء أعمق » (٨) ، هذا أمر لا شك فيه ، وكذلك الدعوة الاصلاحية لم تعد اليوم تجذب الجماهير . فالآمال الكاذبة التى تعلقها الجماهير على حزب الكومينتانغ لا بد أن تخيب سريعا . وفى ظل الوضع المقبل لن يستطيع أى حزب من الأحزاب أن يبارى الحزب الشيوعى فى مضمار كسب الجماهير . ان الخط السياسى والخط التنظيمى اللذين وضعهما المؤتمر السادس للحزب(٩) كلاهما صحيح : ان الثورة فى المرحلة الحاضرة هى ثورة ديمقراطية وليست ثورة اشتراكية ، ومهمة الحزب الراهنة (ملاحظة : كان ينبغى أن تضاف هنا كلمات « فى المدن الكبرى ») هى كسب الجماهير لا القيام فورا بالانتفاضات . ولكن الثورة سوف تتطور بسرعة عظيمة فينبغى لنا أن نتخذ موقفا ايجابيا فى دعايتنا وتحضيراتنا للانتفاضات المسلحة . ونحن لا نستطيع فى ظل الوضع الراهن الذى تسوده الفوضى الكبرى أن ننهض بمهمة قيادة الجماهير الا باتخاذ شعارات ايجابية وموقف ايجابى . ولا يمكن للحزب أن يستعيد قدرته الكفاحية الا باتخاذ هذا الموقف الايجابى . . . . والقيادة البروليتارية هى المفتاح الوحيد لانتصار الثورة . فارساء الأساس البروليتارى للحزب وانشاء الفروع الحزبية فى المؤسسات الصناعية فى المناطق الرئيسية هما مهمتان تنظيميتان هامتان يواجههما الحزب فى الوقت الحاضر ؛ ولكن تطوير النضال فى الريف واقامة السلطة السياسية الحمراء فى مناطق صغيرة وانشاء قوات حمراء وتوسيع صفوفها فى الوقت نفسه هى

تعتبر ، على وجه الخصوص ، العوامل الرئيسية لمناصرة النضال فى المدن وتعجيل ارتفاع التيار الثورى . ولذا من الخطأ التخلى عن النضال فى المدن ؛ ولكن اذا كان بين أعضاء الحزب من يخاف من نمو قوى الفلاحين ظنا منه أنها بتفوقها على قوى العمال ستلحق الضرر بالثورة فاننا نعتبر أن نظرته هذه خاطئة أيضا . ذلك لأنه فى مجرى الثورة فى الصين شبه المستعمرة يمكن أن تفشل نضالات الفلاحين فقط فى حالة حرمانها من قيادة العمال ، أما أن تصاب الثورة بضرر بسبب نمو نضالات الفلاحين وتفوقها على قوى العمال فهو أمر مستحيل .

وتتضمن هذه الرسالة أيضا الجواب التالى على مسألة التكتيك بشأن عمليات الجيش الأحمر :

وقد طلبت منا اللجنة المركزية بغية المحافظة على الجيش الأحمر وتعبئة الجماهير ، أن نقسم قواتنا الى وحدات صغيرة جدا ونوزعها فى أرجاء الريف ، وأن يغادر تشو ده وماوتسى تونغ صفوف الجيش ، وذلك لاخفاء الأهداف الرئيسية عن العدو . وهذه فكرة غير واقعية . ففى شتاء ١٩٢٧ قد وضعنا خطة لتقسيم قواتنا الى سرايا أو كتائب توزع فى أرجاء الريف على أن تعمل كل سرية أو كتيبة بمفردها لتعبئة الجماهير واخفاء الهدف عن العدو بواسطة تكتيك حرب العصابات ، ونفذنا هذه الخطة مرارا وفشلنا مرارا . وذلك للأسباب الآتية : ١ – ان معظم الجنود فى الجيش الأحمر النظامى غرباء خلافا لرجال فصائل الحرس الأحمر المحلى . ٢ – ان تقسيم القوات الى وحدات صغيرة ، من شأنه أن يضعف قيادتها فتعجز عن مواجهة الظروف القاسية مما يؤدى بسهولة الى الهزيمة . ٣ – يسهل على العدو أن يسحق كل وحدة من الوحدات الصغيرة على حدة . ٤ – كلما اشتدت قسوة الظروف ، ازدادت الحاجة الى حشد القوات وتركيزها والى قيام القادة بنضال حازم وبهذه الطريقة وحدها نستطيع أن نحقق الوحدة الداخلية ، ونتصدى للعدو . وفى الظروف المؤاتية فقط يجوز لنا تقسيم قواتنا من أجل عمليات حرب العصابات ، كما يمكن للقادة ألا يلازموا قواتهم طوال الوقت بخلاف حالهم فى الظروف القاسية .

والعيب فيما ذكرناه فى هذه الفقرة من الرسالة هو أن كل الأسباب التى أوردناها ضد تقسيم القوات أسباب سلبية ، وهى بعيدة عن توضيح القضية . أما

الأسباب الايجابية التى تبرر حشد القوات وتركيزها فهى أن قواتنا لا تقدر على ابادة وحدات كبيرة نسبيا للعدو ، واحتلال المدن الصغيرة والمتوسطة الا اذا احتشدت وتركزت . كما أنه لا يمكن تعبئة الجماهير على نطاق واسع واقامة سلطة سياسية فوق أرض تشمل عدة محافظات متجاورة الا بواسطة ابادة وحدات كبيرة نسبيا للعدو واحتلال المدن الصغيرة والمتوسطة . وبذلك وحده يمكن أن نوصل أصواتنا الى مسامع الناس فى مختلف المناطق قريبها وبعيدها ونلفت أنظارهم الينا (أعنى توسع نفوذنا السياسى) ، وأن نسهم بصورة فعالة فى تعجيل مد الثورة العالى . نذكر هنا على سبيل المثال أن كلا من السلطة السياسية التى أقمناها فى منطقة حدود خونان – جيانغشى فى السنة قبل الماضية والسلطة السياسية التى أقمناها فى غربى مقاطعة فوجيان فى السنة الماضية(١٠) هى نتاج سياستنا القائمة على حشد القوات وتركيزها . وهذا هو مبدأ عام . أما اذا سأل سائل عما اذا كانت هناك أوقات ينبغى فيها تقسيم القوات فان الجواب سيكون بالايجاب . لقد تناولت الرسالة الموجهة من لجنة الجبهة الأمامية الى اللجنة المركزية موضوع تكتيك حرب العصابات الخاص بالجيش الأحمر ، بما فى ذلك تقسيم القوات وتوزيعها الى أماكن قريبة :

ان التكتيك الذى توصلنا اليه فى غمرة النضال خلال السنوات الثلاث الأخيرة يختلف حقا عن أى تكتيك متبع فى الماضى والحاضر ، فى الصين والبلدان الأخرى على حد سواء . وبواسطة تكتيكنا هذا ، يمكننا استنهاض الجماهير لخوض نضالات يتسع نطاقها يوما بعد آخر ، ولن يستطيع أى عدو ، مهما يكن قويا ، أن يمسنا بسوء . وهذا التكتيك هو تكتيك حرب العصابات ، وهو يتلخص فيما يلى : «تقسيم القوات وتوزيعها فى سبيل تعبئة الجماهير ، وحشد القوات وتركيزها فى سبيل صد العدو .» و «اذا تقدم العدو تراجعنا ، واذا عسكر أزعجناه ، واذا تعب هاجمناه ، واذا تقهقر طاردناه .» و« نطبق فى انشاء مناطق القواعد الثابتة (١١) سياسة التقدم على شكل موجات متتابعة ، ونتبع سياسة اللف والدوران عندما يطاردنا عدو قوى .» و« تعبئة أوسع

الجماهير فى أقصر وقت ممكن و بأفضل الطرق الممكنة . » ان هذا التكتيك أشبه ما يكون بعملية القاء شبكة ، وينبغى أن نكون قادرين على القائها أو سحبها فى أى لحظة من اللحظات، اننا نلقيها لكسب الجماهير و نسحبها لصد العدو . وهذا هو التكتيك الذى طبقناه طوال السنوات الثلاث الأخيرة .

ان « القاء الشبكة » هنا يعنى تقسيم قواتنا وتوزيعها الى أماكن قريبة . ومن أمثلة ذلك أننا قسمنا الفوجين الـ ٢٩ والـ ٣١ ووزعناهما داخل حدود محافظة يونغشين الواقعة فى منطقة حدود خونان ـ جيانغشى بعد أن استولينا عليها لأول مرة . ثم لما استولينا على هذه المحافظة للمرة الثالثة ، قسمنا قواتنا كذلك اذ أرسلنا الفوج الـ ٢٨ الى حدود محافظة آنفو ، والفوج الـ ٢٩ الى محافظة ليانخوا ، والفوج الـ ٣١ الى حدود محافظة جيآن . وأننا خلال شهرى ابريل ومايو (نيسان وأيار) من السنة الماضية قسمنا قواتنا ووزعناها فى محافظات جنوبى جيانغشى ، وفى يوليو (تموز) الماضى وزعنا قواتنا فى محافظات غربى فوجيان . أما تقسيم قواتنا وتوزيعها الى أماكن بعيدة فلا يمكن أن يتحقق الا بتوفر شرطين : أن تكون الظروف مؤاتية نسبيا ، وأن يكون الجهاز القيادى قويا نسبيا . ذلك أن غرضنا من تقسيم القوات هو أن نكون أقدر على كسب الجماهير وعلى تعميق الثورة الزراعية واقامة السلطة السياسية وعلى توسيع الجيش الأحمر والقوات المسلحة المحلية . فاذا كان تقسيم القوات لا يحقق تلك الأهداف ، أو اذا كان التقسيم سيتسبب فى هزيمة القوات واضعاف الجيش الأحمر كما حدث فى أغسطس (آب) من السنة قبل الماضية حين قسمنا قواتنا فى منطقة حدود خونان ـ جيانغشى من أجل الهجوم على تشنتشو ، فان عدم تقسيم القوات خير من تقسيمها . أما اذا توفر الشرطان المذكوران ، فيجب علينا دون ريب أن نقسم قواتنا اذ أن تقسيم القوات فى هذه الحالة يكون أنفع من حشدها وتركيزها .

ان الروح التى تحملها رسالة اللجنة المركزية بتاريخ فبراير (شباط) روح

غير طيبة ، فقد تركت أثرا سيئا فى نفوس عدد من الرفاق الحزبيين فى الفيلق الرابع . وفوق ذلك فان اللجنة المركزية أصدرت أيضا فى ذلك الوقت بلاغا أشارت فيه الى أنه ليس من للمؤكد أن تنشب حرب بين تشيانغ كاى شيك وأمراء حرب قوانغشى . بيد أن تقديرات اللجنة المركزية وتوجيهاتها التى أصدرتها بعد ذلك التاريخ كانت صحيحة على وجه العموم . أما التقدير غير الصحيح الذى تضمنه ذلك البلاغ فقد أصدرت اللجنة المركزية بلاغا آخر من أجل تصحيحه . ومع أن اللجنة المركزية لم تصدر أى تصحيح لما فى تلك الرسالة الموجهة الى الجيش الأحمر ، الا أن توجيهاتها اللاحقة لم تعد فيها تلك النغمات المتشائمة ، كما أن آراءها حول عمليات الجيش الأحمر قد أصبحت تتفق مع آرائنا . ولكن ذلك الأثر السيء الذى تركته تلك الرسالة فى نفوس بعض الرفاق ما زال باقيا . لهذا فانى أرى أن ايضاح هذه المسألة لا يزال الآن ضروريا .

ان خطة الاستيلاء على جيانغشى خلال سنة واحدة كانت أيضا مما عرضته لجنة الجبهة الأمامية على اللجنة المركزية فى ابريل (نيسان) من السنة الماضية ، واتخذت بعد ذلك قرارا حول هذه الخطة فى مدينة يودو . وقد عرضت لجنة الجبهة يومذاك حججا لتبرير الخطة ، وقد ورد منها ما يلى فى رسالتها الموجهة الى اللجنة للمركزية :

> ان قوات تشيانغ كاى شيك وقوات أمراء حرب قوانغشى تقترب احداهما من الأخرى قرب جيوجيانغ ، وستنشب بينهما حرب شعواء بين لحظة وأخرى . ان نهوض النضال الجماهيرى من جديد بالاضافة الى اشتداد حدة التناقضات داخل المعسكر الرجعى الحاكم قد جعل ظهور مد عال للثورة فى المستقبل القريب أمرا ممكنا . ونحن اذ نرسم خطة العمل على ضوء هذا الوضع ، نشعر بأن القوى العسكرية للكومبرادوريين وملاك الأراضى فى مقاطعتى قوانغدونغ وخونان هى قوية جدا بالنسبة الى قواهم فى المقاطعات الجنوبية الأخرى ، وخصوصا فى خونان ، حيث فقدنا كل جماهيرنا تقريبا داخل الحزب وخارجه بسبب الأخطاء التى

ارتكبها الحزب هناك بتصرفاته الطائشة . أما المقاطعات الثلاث فوجيان وجيانغشى وتشجيانغ فهى على حالة أخرى : أولا ، ان قوة العدو العسكرية هناك أضعف ما تكون ، ففى تشجيانغ لا يوجد سوى عدد ضئيل من حرس المقاطعة تحت قيادة تشيانغ بو تشنغ (١٢) . ويوجد فى فوجيان خمس وحدات من قوات العدو تتألف من ١٤ فوجا ، ولكن لواء قوه فنغ مينغ (١٣) قد تم سحقه ، وان كلا من وحدة تشن قوه خوى ووحدة لو شينغ بانغ (١٤) لا تملك سوى قدرة قتالية ضئيلة جدا لأنها مؤلفة من اللصوص وقطاع الطرق ، أما لواءا مشاة البحرية المرابطان على الساحل فلم يشتركا فى معركة قط ، فمن الطبيعى أن قدرتهما القتالية لا يمكن أن تكون كبيرة ، ثم بقيت وحدة تشانغ تشن (١٥) وهى تملك قسطا أكبر من القدرة القتالية ولكن تحليلات لجنة الحزب فى مقاطعة فوجيان تفيد أنه لا يوجد بين أفواج وحدة تشانغ غير فوجين قويين ، وفضلا عن ذلك فان الحالة فى مقاطعة فوجيان اليوم كلها فوضى وتفرقة . وفى جيانغشى يوجد ١٦ فوجا ينتمى بعضها الى وحدة تشو بى ده (١٦) والبعض الآخر الى وحدة شيونغ شى خوى (١٧) ، وهى أقوى من القوات المرابطة فى فوجيان وتشجيانغ ، لكنها أضعف بكثير من القوات المرابطة فى خونان . ثانيا ، ان أخطاء التصرفات الطائشة التى ارتكبت فى هذه المقاطعات الثلاث أقل مما ارتكب فى المقاطعات الأخرى . فباستثناء تشجيانغ التى لم نقف على أوضاعها جيدا ، نجد أن قواعدنا الحزبية والجماهيرية فى جيانغشى وفوجيان أقوى بقليل منها فى خونان . خذ مثلا بجيانغشى ، اننا ما زلنا نحتفظ بقواعد حزبية وجماهيرية لا بأس بها فى دآن وشيوشوى ، وتونغقو من شمالى جيانغشى ؛ ولا تزال قوى الحزب وفصائل الحرس الأحمر باقية فى نينغقانغ ويونغشين وليانخوا وسويتشوان من غربى جيانغشى ؛ أما الحالة فى جنوبى جيانغشى فهى تبعث على أمل أكبر ، لأن الفوج الثانى والفوج الرابع التابعين للجيش الأحمر فى محافظات جيآن ويونغفنغ وشينغقوه يتجهان نحو النمو المتزايد ؛ وان وحدات الجيش الأحمر التى يقودها فانغ تشى مين لم يقض عليها . وكل هذا جعلنا فى وضع يمكننا من محاصرة مدينة نانتشانغ . ولذا نقدم الى اللجنة المركزية اقتراحا هو أنه يجب علينا ، فى أثناء الحروب الطويلة الأمد بين أمراء الحرب الكومينتانغيين ، أن نتنافس مع تشيانغ كاى شيك وأمراء حرب قوانغشى من أجل الاستيلاء على جيانغشى ، وكذلك على غربى فوجيان وغربى تشجيانغ . وعلينا

أن نوسع صفوف الجيش الأحمر فى هذه المقاطعات الثلاث ، وننشىء فيها قواعد ثورية جماهيرية ، على أن تكون مهلة انجاز هذه الخطة سنة واحدة .

ان الخطأ فى الاقتراح الآنف الذكر بخصوص الاستيلاء على جيانغشى هو تحديد مدة الانجاز بسنة واحدة . وفيما يتعلق بالاستيلاء على جيانغشى كنا قد وضعنا فى الحسبان أن المد العالى للثورة سيظهر عاجلا على نطاق البلاد بالاضافة الى ظروف المقاطعة نفسها ، ذلك لأنه لو لم نؤمن بأن مد الثورة العالى سيظهر عاجلا ، لما توصلنا الى نتيجة امكانية الاستيلاء على جيانغشى خلال سنة واحدة . انما العيب فى ذلك الاقتراح هو تحديد مدة الانجاز بسنة واحدة ، مما أضفى على كلمة « عاجلا » الواردة فى عبارة « سيظهر مد الثورة العالى عاجلا » مسحة من طابع للتهور والاندفاع . أما ظروفنا الذاتية والظروف الموضوعية بخصوص جيانغشى فهى جديرة بأن نعيرها اهتماما بالغا . لقد أوضحنا ظروفنا الذاتية فى الرسالة الموجهة الى اللجنة المركزية . أما الظروف الموضوعية فيمكن أن نشير الآن بوضوح الى نقاط ثلاث منها : أولا ، ان الاقتصاد فى جيانغشى هو فى الأساس اقتصاد اقطاعى ، وان نفوذ طبقة التجار الرأسماليين فيها ضعيف نسبيا ، كما أن القوات المسلحة لملاك الأراضى فيها أضعف منها فى أية مقاطعة أخرى من المقاطعات الجنوبية . ثانيا ، ليس لمقاطعة جيانغشى قوات خاصة بها فحاميتها كانت وما زالت تتألف من قوات مقاطعات أخرى . وحين ترسل قوات غريبة الى هذه المقاطعة من أجل « ابادة الشيوعيين » أو « ابادة قطاع الطرق » فانها لا تلم بالظروف المحلية فيها ، ولا تتحمس للعمل فى أغلب الأحيان ، لأن ذلك لا يمس مصالحها مثلما يمس مصالح قوات المقاطعة المحلية ان كانت للمقاطعة قوات محلية . ثالثا ، ان جيانغشى بعيدة نسبيا عن النفوذ الامبريالى على خلاف قوانغدونغ القريبة من هونغ كونغ والتى تخضع للسيطرة البريطانية فى جميع النواحى تقريبا . اذا فهمنا هذه النقاط الثلاث اتضح لنا لماذا كانت الانتفاضات الريفية فى جيانغشى أشد

انتشارا منها فى أية مقاطعة أخرى ، ولماذا كانت وحدات الجيش الأحمر وفصائل العصابات فيها أكثر منهما فى المقاطعات الأخرى.

أما كيف تفسر كلمة « عاجلا » الواردة فى عبارة «سيظهر مد الثورة العالى عاجلا» فذلك سؤال مشترك لدى عدد كبير من الرفاق . ان الماركسيين ليسوا عرافين ، فينبغى لهم ، بل ويمكنهم فقط ، حين يتحدثون عما سيحدث فى المستقبل من تطورات وتغيرات ، أن يشيروا الى اتجاهها العام ، ولا يجوزلهم ولا يمكنهم أن يحددوا لحدوثها اليوم والساعة بصورة آلية . ولكن ظهور مد الثورة العالى عاجلا فى الصين ، الذى ذكرته ، ليس على الاطلاق شيئا وهميا بعيد المنال « محتمل الوقوع » كما يزعم بعض الناس ، شيئا لا يحمل أى معنى من المعانى العملية . بل هو باخرة تمخر عباب البحر قد تراءت ذروة صاريها عن بعد للناظر الواقف على الساحل ، وشمس على وشك الطلوع قد انبلجت أضواؤها الباهرة أمام من يسرح نظره من قمة الجبل الشامخ نحو الشرق ، وجنين يدب فى أحشاء أمه متطلعا للخروج وقد قربت الساعة التى يرى فيها النور .

ملاحظات

(١) كان الرفيق فانغ تشى مين ، وهو من أهالى يييانغ فى مقاطعة جيانغشى ، عضو اللجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى الصينى ، ومؤسس المنطقة الحمراء فى الشمال الشرقى من جيانغشى وكذلك مؤسس الفيلق العاشر التابع للجيش الأحمر . وفى عام ١٩٣٤ قاد فصائل الطليعة المقاومة ضد الغزاة اليابانيين والتابعة للجيش الأحمر زاحفا بها نحو شمال الصين . ثم وقع أسيرا فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥ خلال معركة ضد قوات الكومينتانغ المعادية للثورة . واستشهد ببطولة فى يوليو (تموز) من نفس العام فى نانتشانغ بجيانغشى .

(٢) يقصد الرفيق ماو تسى تونغ هنا بـ « القوى الثورية الذاتية » القوى الثورية المنظمة .

(٣) لودى بينغ أحد أمراء الحرب الكومينتانغيين ، وكان الحاكم الكومينتانغى فى مقاطعة خونان عام ١٩٢٨ .

(٤) يقصد بذلك الحرب التى دارت فى مارس – ابريل (آذار – نيسان) ١٩٢٩ بين تشيانغ كاى شيك أمير الحرب الكومينتانغى فى نانكين وبين لى تسونغ رن وباى تشونغ شى أميرى الحرب الكومينتانغيين فى قوانغشى .

(٥) يقصد بذلك الهجوم الثالث الذى شنه أمراء الحرب الكومينتانغيون فى خونان وجيانغشى على قاعدة الجيش الأحمر بجبال جينغقانغ بين أواخر ١٩٢٨ وأوائل ١٩٢٩ .

(٦) يقصد بـ « رسالة فبراير الصادرة عن اللجنة المركزية » الرسالة التى وجهتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى الى لجنة الجبهة الأمامية بتاريخ ٩ فبراير (شباط) ١٩٢٩ . وقد أوردت لجنة الجبهة الأمامية باختصار محتويات من الرسالة المذكورة ، وذلك فى رسالتها الى اللجنة المركزية بتاريخ ٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٩ التى جاءت مقتطفات منها فى هذا المقال ، وكانت المحتويات المقتطفة تدور أساسا حول تقديرات اللجنة المركزية للوضع القائم حينذاك وحول التكتيك الخاص بعمليات الجيش الأحمر . كانت الآراء التى أبدتها اللجنة المركزية فى رسالتها آراء غير مناسبة ، لذلك أبدت لجنة الجبهة الأمامية فى رسالتها الى اللجنة المركزية آراء مخالفة لها.

(٧) اشارة الى وسائل التقتيل الدموى التى لجأت اليها القوى المعادية للثورة ضد قوى الشعب الثورية .

(٨) هذه العبارة مأخوذة من كتاب « منسيوس » . فقد شبه منسيوس ملكا طاغية اضطر شعبه الى اللجوء الى ملك عادل ، شبهه بكلب ماء « يسوق السمك الى حيث الماء أعمق » – المعرب .

(٩) هو المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى الصينى المنعقد فى يوليو (تموز) ١٩٢٨ . وقد أشار هذا المؤتمر الى أن الثورة الصينية ، رغم الهزيمة التى منيت بها عام ١٩٢٧ ، ما برحت من حيث طبيعتها ثورة ديمقراطية برجوازية ضد الامبريالية والاقطاعية ، كما أوضح المؤتمر أن ظهور مد عال جديد للثورة أمر لا مفر منه ، ولكن هذا المد لم يظهر بعد ، لذلك كان خط الثورة العام هو كسب الجماهير . ولقد صفى المؤتمر الاستسلامية اليمينية التى طبقها تشن دو شيو فى عام

١٩٢٧ ، كما وجه النقد الى نزعة التصرفات الطائشة « اليسارية » التى ظهرت فى الحزب بين أواخر ١٩٢٧ وأوائل ١٩٢٨ بعد هزيمة الثورة عام ١٩٢٧ .

(١٠) زحف الجيش الأحمر عام ١٩٢٩ من جبال جينغقانغ شرقا الى مقاطعة فوجيان لاقامة قاعدة ثورية جديدة فيها ، فأنشأ السلطة الثورية الشعبية فى محافظات لونغيان ويونغدينغ وشانغهانغ فى غربى فوجيان .

(١١) يقصد بذلك انشاء الجيش الأحمر للعمال والفلاحين قواعد ثورية وطيدة نسبيا .

(١٢) هو قائد قوات الأمن الكومينتانغى لمقاطعة تشجيانغ فى ذلك الحين .

(١٣) كان لواء قوه فنغ مينغ من قوات الكومينتانغ المرابطة فى فوجيان .

(١٤) كان تشن قوه خوى ولو شينغ بانغ من زعماء قطاع الطرق المشهورين فى فوجيان ، ثم ضمت قواتهما الى جيش الكومينتانغ .

(١٥) هو قائد فرقة من قوات الكومينتانغ .

(١٦) هو أحد أمراء الحرب الكومينتانغيين ، وكان آنذاك حاكم مقاطعة جيانغشى من قبل حكومة الكومينتانغ .

(١٧) هو قائد فرقة من قوات الكومينتانغ التى كانت مرابطة فى مقاطعة جيانغشى .

يجب أن نعتني بالعمل الاقتصادى

(٢٠ أغسطس – آب – ١٩٣٣)

ان التطور الجارف للحرب الثورية يفرض علينا أن نعبىء الجماهير لشن حملة فى الجبهة الاقتصادية على الفور والقيام بمختلف الأعمال الضرورية والممكنة فى مجال البناء الاقتصادى . لماذا ؟ لأن جميع أعمالنا يجب أن تستهدف فى الوقت الحاضر تحقيق النصر فى الحرب الثورية وأن تستهدف أولا وقبل كل شىء احراز النصر النهائى فى قتالنا من أجل تحطيم حملة « التطويق والابادة » الخامسة التى يشنها العدو(١) ؛ وكذلك تستهدف تهيئة الظروف المادية لضمان المؤن والامدادات للجيش الأحمر ؛ وتحسين معيشة جماهير الشعب لكى نزيد من حماسهم فى المساهمة فى الحرب الثورية؛ وتنظيم جماهير الشعب الواسعة فى الجبهة الاقتصادية وتثقيفهم حتى نكسب للحرب قوة جماهيرية جديدة ؛ وتوطيد تحالف العمال والفلاحين والدكتاتورية الديمقراطية التى يباشرونها وتعزيز قيادة البروليتاريا عن طريق البناء الاقتصادى . من أجل هذا كله يلزمنا القيام بأعمال البناء فى الميدان الاقتصادى . وهذا ما يجب على كل العاملين الثوريين أن يفهموه بكل وضوح .

هذا خطاب ألقاه الرفيق ماوتسى تونغ فى المؤتمر الذى عقد فى شهر أغسطس (آب) ١٩٣٣ حول أعمال البناء الاقتصادى فى سبع عشرة محافظة من جنوبى جيانغشى .

لقد كان بعض الرفاق فيما مضى يعتقدون أنه ما دمنا فى شغل شاغل بالحرب الثورية ، فمن أين لنا وقت فراغ للقيام بالبناء الاقتصادى ؟ وهكذا يتهمون كل من يتحدث عن البناء الاقتصادى بأنه من « ذوى الميول اليمينية » . وهم يعتقدون أنه لا يمكن اجراء البناء الاقتصادى فى ظل ظروف الحرب الثورية ، بل يمكن اجراؤه فقط بعد النصر النهائى ، حين يخيم السلام والسكينة . أيها الرفاق ، ان هذه النظرات خاطئة . والرفاق الذين يحملون هذه النظرات لا يدركون أنه بدون القيام بالبناء الاقتصادى يستحيل تأمين الشروط المادية للحرب الثورية ، وسوف يشعر الشعب بالارهاق والنصب خلال حرب طويلة . انظروا ، ان العدو يطبق حصارا اقتصاديا على مناطقنا ، وان التجار الجشعين والرجعيين يخربون ماليتنا وتجارتنا ، ونتيجة لذلك واجهت التجارة الخارجية فى مناطقنا الحمراء عقبات عظيمة . واذا لم نتغلب على هذه المصاعب ، أ فلا يؤثر ذلك على الحرب الثورية بشكل خطير ؟ ان الملح باهظ الثمن ، وأحيانا لا يمكن الحصول عليه . والأرز رخيص فى الخريف والشتاء ، ولكن يصبح سعره عاليا بصورة رهيبة فى الربيع والصيف . وكل هذا يؤثر مباشرة على معيشة العمال والفلاحين ، ويجعل تحسينها أمرا مستحيلا . ألا يؤثر ذلك على خطنا الأساسى — التحالف بين العمال والفلاحين ؟ واذا لم ترض جماهير العمال والفلاحين بشروط معيشتهم ، أ فلا يؤثر ذلك على مهمتنا فى توسيع الجيش الأحمر وتعبئة الجماهير للمشاركة فى الحرب الثورية ؟ ولذلك فان الرأى القائل بعدم جواز القيام بالبناء الاقتصادى فى ظروف الحرب الثورية هو رأى خاطىء خطأ فادحا . وأولئك الذين يحملون هذه النظرات يقولون دائما مثل غيرهم ان جميع الأشياء يجب أن تخضع للجهد الحربى ، ولكنهم لا يعرفون أن الاستغناء عن البناء الاقتصادى لن يؤدى الى اخضاع كل شيء للجهد الحربى بل الى اضعافه . ان توسيع أعمالنا فى الجبهة الاقتصادية وتنمية الاقتصاد فى المناطق

الحمراء هو وحده الذى يمكننا من وضع الحرب الثورية على أساس مادى مناسب والتقدم الى الأمام بنجاح فى شن الهجمات العسكرية لتوجيه ضربات شديدة الى حملات « التطويق والابادة » التى يشنها العدو ؛ ويجعلنا نمتلك القدرة على توسيع الجيش الأحمر ومد خط الحرب الى مناطق تبعد عدة آلاف لى ، حتى يتمكن جيشنا الأحمر ، عندما تصبح الظروف مؤاتية له فى المستقبل ، من مهاجمة نانتشانغ وجيوجيانغ دون أن يساوره شيء من القلق والهم ، ذلك بأن يتخلص الى حد كبير من مهمة تموين نفسه ويركز جل اهتمامه على قتال العدو ؛ وكذلك يمكننا من تلبية حاجات الجماهير المادية الى حد معين حتى تنضم الى الجيش الأحمر أو تتحمل أعباء ثورية أخرى بمزيد من الحماس . هكذا يكون اخضاع كل شيء للجهد الحربى . ولا يزال عدد كبير من العاملين الثوريين فى مختلف الأماكن لا يفهمون حتى الآن أهمية البناء الاقتصادى فى ظروف الحرب الثورية ، كما أن عددا كبيرا من الحكومات المحلية لم يول بعد مناقشة قضية البناء الاقتصادى اهتماما بالغا . وادارات الاقتصاد الوطنى فى الحكومات المحلية فى مختلف الأماكن لم يكتمل تنظيمها بعد ، حتى ان بعضها لا يزال يفتقر الى مديرين ، أو يحضر أشخاصا غير أكفاء لشغل المناصب الشاغرة . ولا يزال تكوين التعاونيات فى المرحلة البدائية ، كما لم يبدأ تنظيم تبادل المؤن الغذائية الا بين بعض الأماكن . وفى مختلف الأماكن لم تجر دعاية واسعة وسط الجماهير الغفيرة حول مهمة البناء الاقتصادى (على الرغم من الضرورة القصوى للدعاية) ، ولم يخلق جو حماسى وسط الجماهير للنضال فى سبيل البناء الاقتصادى . ان ذلك كله يعود الى تجاهل أهمية البناء الاقتصادى . يجب علينا بعد مناقشة هذه القضايا فى هذا المؤتمر أن نخلق جوا حماسيا للبناء الاقتصادى وسط جميع العاملين فى الحكومة ووسط الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين ، ذلك عن طريق تبليغ قرارات المؤتمر للجماهير

بعد عودتكم الى مراكزكم . ويجب أن نوضح للجميع أهمية البناء الاقتصادى فى ظروف الحرب الثورية حتى يبذلوا جهودهم فى تشجيع الاكتتاب فى السندات الحكومية للبناء الاقتصادى ، وتطوير الحركة التعاونية ، واقامة مخازن الغلال ومخازن الغلال المخصصة لمواجهة المجاعة على نطاق واسع . وينبغى انشاء مكتب فرعى لتنظيم تبادل المؤن الغذائية فى كل محافظة ، مع مكاتب فرعية فى المراكز الهامة والمحلات التى تقام فيها الأسواق الدورية الهامة . ذلك لكى تنقل الحبوب داخل محيط المناطق الحمراء من الأماكن التى يوجد فيها فائض منها الى الأماكن التى تحتاج اليها ، بحيث لا تتكدس فى بعض الأماكن ويصعب الحصول عليها فى أماكن أخرى ، ولا تكون بخسة الأسعار فى منطقة بينما تكون باهظة الثمن فى منطقة أخرى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ينبغى ارسال الحبوب التى تفيض عن حاجة مناطقنا الى غيرها وفقا لخطة مرسومة (وليس من دون قيود) وجلب الحاجيات الضرورية من المناطق البيضاء دون وساطة التجار الجشعين والتعرض لاستغلالهم . ويجب أن نبذل جميعا جهودنا لتطوير انتاج الزراعة والصناعات اليدوية ، وصنع المزيد من الأدوات الزراعية ، وانتاج مقدار أكبر من الجير لكى نضمن حصادا أوفر فى السنة المقبلة ، واعادة حجم الانتاج الى ما كان عليه فى العهد السابق فى التنجستين والأخشاب والكافور والورق والتبغ والكتان والفطر المجفف وزيت النعناع وغيرها من المنتجات المحلية وتصديرها الى المناطق البيضاء بمقادير كبيرة .

واذا نظرنا الى تجارتنا الخارجية من حيث الكمية ، وجدنا الحبوب تأتى فى المرتبة الأولى بين المنتجات الرئيسية التى نصدرها الى خارج مناطقنا . ان حوالى ثلاثة ملايين دان من الأرز تصدر الى خارج مناطقنا سنويا بمعدل دان واحد من كل فرد من السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين ، ومقابل ذلك نستورد سلع الاستهلاك الضرورية ، ولا يمكن أن يكون أقل من ذلك فيما أعتقد . ولكن من الذى

يقوم بهذه التجارة ؟ ان التجار هم الذين يقومون بها وهم يستغلوننا بصورة رهيبة فى هذه العملية . وفى السنة الماضية ، قد اشتروا من الفلاحين فى محافظتى وانآن وتايخه الأرز دانا واحدا بنصف يوان ، وبعد أن شحنوه الى محافظة قانتشو باعوه بأربعة يوانات ، أى بربح مضاعف سبع مرات . ثم ان الثلاثة ملايين نسمة من السكان يستهلكون سنويا كمية من الملح تبلغ قيمتها حوالى تسعة ملايين يوان وكمية من الأقمشة تبلغ قيمتها حوالى ستة ملايين يوان . وكان التجار بطبيعة الحال هم الذين يقومون بصفقات استيراد الملح والأقمشة التى تبلغ قيمتها خمسة عشر مليون يوان سنويا ، دون أن نتدخل فى الأمر . وكان الاستغلال الذى يباشره التجار عن هذا الطريق استغلالا فظيعا جدا . ومثال ذلك أنهم يشترون الملح من محافظة ميشيان سبعة جينات(٢) بيوان واحد ويشحنونه الى مناطقنا كى يبيعوه بسعر يوان واحد لكل اثنى عشر ليانغا(٣). أ ليس هذا استغلالا مريعا ؟ انه لا يجوز أن نتجاهل مثل هذه الأمور أكثر من ذلك ، فعلينا من الآن فصاعدا أن نتدخل فيها . ويجب على مكاتب للتجارة الخارجية أن تبذل جهودا جبارة فى هذا الشأن .

كيف نستخدم قيمة السندات الحكومية للبناء الاقتصادى التى تبلغ ثلاثة ملايين يوان ؟ اننا ننوى أن نستخدم هذه الأموال بالطريقة التالية : سنخصص مليون يوان لمصروفات الجيش الأحمر الحربية ، ونقرض مليونى يوان كاعتمادات للتعاونيات ولمكاتب تنظيم تبادل المؤن الغذائية ومكاتب التجارة الخارجية . وسوف يخصص القسم الأكبر من المبلغ الأخير من أجل تطوير التجارة الخارجية ، والباقى من أجل تطوير الانتاج . وليس هدفنا تطوير الانتاج فحسب ، بل كذلك بيع منتجاتنا بأسعار ملائمة فى المناطق البيضاء ، وشراء الملح والأقمشة منها بأسعار رخيصة من أجل تَوزيعها بين جماهير شعبنا ، وعلى هذا النحو نحطم حصار العدو ونقاوم استغلال التجار . ويجب أن نسعى

فى سبيل تنمية الاقتصاد الشعبى باستمرار ، ونحسن معيشة الجماهير كثيرا ، ونزيد دخلنا المالى زيادة ملحوظة ، وهكذا نضع أساسا ماديا متينا للحرب الثورية والبناء الاقتصادى .

ان تلك لمهمة عظيمة ونضال طبقى خطير . ولكن لنتساءل : أيمكن تحقيق هذه المهمة فى ظروف حرب ضروس ؟ أظن أن ذلك ممكن . فلسنا نقصد بناء خط حديدى الى مدينة لونغيان ، أو تعبيد طريق سيارات الى مدينة قانتشو فى الوقت الراهن . ولا نقصد الاحتكار المطلق لبيع الحبوب ، أو وضع الحكومة يدها على جميع صفقات الملح والأقمشة المقدرة بخمسة عشر مليون يوان دون أن تسمح للتجار بالمشاركة فيها . ليس هذا ما نقصده أو ما نفعله . ان ما نقصده وما نحاول تحقيقه هو تطوير انتاج الزراعة والصناعات اليدوية وتصدير الحبوب والتنجستين واستيراد الملح والأقمشة مبتدئين موقتا باعتماد مليونى يوان بالاضافة الى قيمة أسهم الجماهير . فهل هذا أمر لا ينبغى أن نفعله ، أو لا يمكننا أن نفعله ونحققه ؟ لقد بدأنا هذا العمل وحققنا فيه بعض النتائج . فقد زاد محصول الخريف هذا العام ما بين ٢٠ ـ ٢٥ بالمائة بالنسبة الى ما كان فى العام الماضى ، وهى زيادة تجاوزت الزيادة المحددة سلفا والتى قدرناها بـ ٢٠ بالمائة . وفيما يتعلق بالصناعات اليدوية ، فقد بدأ ينتعش انتاج الأدوات الزراعية والجير ، كما استأنفنا استخراج التنجستين . وان انتاج التبغ والورق والأخشاب قد أخذ ينتعش هو الآخر . وقد حققنا هذا العام نجاحات غير قليلة فى مضمار تنظيم تبادل المؤن الغذائية . كما بدأ العمل فى استيراد الملح على نطاق ضيق . وعلى أساس هذه النجاحات نؤمن بامكانية تحقيق تطورات لاحقة فى المستقبل . أ فليس خطأ ظاهرا للعيان القول بأن البناء الاقتصادى يستحيل فى الوقت الراهن بل ينبغى الانتظار الى ما بعد انتهاء الحرب ؟

ولذلك أصبح من الواضح أيضا أن البناء الاقتصادى ينبغى أن يدور فى

المرحلة الحاضرة حول المهمة الرئيسية ــ الحرب الثورية . ان الحرب الثورية هى المهمة الرئيسية فى الوقت الراهن ، وقضية البناء الاقتصادى ينبغى أن تكون فى خدمتها وأن تدور حولها وتخضع لها . وهكذا فان من الخطأ أيضا القول بأن البناء الاقتصادى قد أصبح محورا لكل مهماتنا الحاضرة ، وبالتالى اهمال الحرب الثورية واجراء البناء الاقتصادى بمعزل عنها . وعندما تنتهى الحرب الأهلية فقط ، يمكننا بل يلزمنا أن نعتبر البناء الاقتصادى محورا لكل مهماتنا . وانه لمن الوهم المحض أن نحاول فى ظروف الحرب الأهلية القيام بأعمال فى البناء الاقتصادى السلمى ينبغى أن نقوم بها فى المستقبل وليس فى الوقت الحاضر ، وهى مما تسمح به الظروف المقبلة لكن لا تسمح به الظروف الحالية . ان المهمات الحالية هى تلك المهمات التى تتطلبها الحرب بالحاح . ويجب أن تكون جميعا مهمات فى خدمة الحرب وليست مهمات خاصة بوقت السلم ومنفصلة عن الحرب . واذا كان فى صفوفنا رفاق يحملون فكرة القيام بالبناء الاقتصادى بمعزل عن الحرب ، فان من واجبهم تصحيح تفكيرهم فى الحال .

ويستحيل علينا أن نوسع الحملة فى الجبهة الاقتصادية على وجه السرعة اذا لم نتبع أساليب صحيحة فى القيادة والعمل . وهذه أيضا مسألة مهمة ينبغى حلها فى هذا المؤتمر . وذلك أنه يجب عليكم بعد عودتكم مباشرة أن تبدأوا فى كثير من الأعمال ، بل ينبغى عليكم فى الوقت ذاته أن ترشدوا عددا كبيرا من العاملين لينجزوا معكم هذه الأعمال . وخاصة أولئك الرفاق الذين يعملون فى الادارات التى على مستوى النواحى والمدن ، وكذلك الرفاق العاملين فى التعاونيات ، ومكاتب تنظيم تبادل المؤن الغذائية ، ومكاتب التجارة الخارجية ، ومكاتب المشتروات ، وهم جميعا يباشرون بأنفسهم تعبئة الجماهير من أجل تنظيم التعاونيات ، وتنظيم تبادل المؤن الغذائية ونقلها ، والاشراف على تجارتنا الخارجية ، فاذا كان أسلوبهم فى القيادة خاطئا ، أو اذا لم يطبقوا أساليب

صحيحة وفعالة فى العمل ، فان ذلك سوف يؤثر فى الحال على نتائج عملنا ، وسوف يؤدى الى فشلنا فى كسب تأييد الجماهير الواسعة لأعمالنا المختلفة ، وفى تحقيق مشروعات الحكومة المركزية للبناء الاقتصادى بصورة تامة أثناء فصلى الخريف والشتاء من هذا العام ، والربيع والصيف من العام المقبل . ولذا فانى أحب أن ألفت أنظار الرفاق الى النقاط التالية :

أولا ، تعبئة الجماهير الشعبية بواسطة المنظمات المختلفة . يجب أولا على الرفاق فى ديوان الرئاسة فى الحكومات من مختلف المستويات وفى ادارات الاقتصاد الوطنى والادارات المالية فيها أن يضعوا فى جدول أعمالهم بصورة دائمة مهمات بيع السندات الحكومية ، وتطوير التعاونيات ، وتنظيم تبادل المؤن الغذائية ، وتنمية الانتاج والتجارة ، بأن يناقشوا هذه الأعمال ويشرفوا عليها ويقوموا بمراجعتها . ويجب عليهم ثانيا استنهاض المنظمات الجماهيرية ، وبصورة رئيسية نقابات العمال واتحادات الفلاحين الفقراء . ينبغى عليهم استنهاض نقابات العمال كى تعبىء جماهير أعضائها ليساهموا بجهودهم فى الجبهة الاقتصادية . وان اتحادات الفلاحين الفقراء تشكل أساسا متينا من أجل تعبئة الجماهير فى سبيل تطوير التعاونيات والاكتتاب فى السندات ، فيجب على حكومات المراكز والنواحى أن تبذل جهودا عظيمة فى قيادتها . وبالاضافة الى ذلك ، فانه يجب عليهم القيام بالدعاية حول البناء الاقتصادى عن طريق اجتماعات جماهيرية تعقد على أساس القرية أو المجموعة السكنية ، موضحين أتم التوضيح العلاقة التى تربط بين الحرب الثورية والبناء الاقتصادى ، وشارحين بصورة أكثر واقعية كيفية تحسين معيشة الجماهير وزيادة قدرتنا الكفاحية . ويجب عليهم أن يوجهوا نداءات الى الجماهير للاكتتاب فى السندات ، وتطوير الحركة التعاونية ، وتنظيم تبادل المؤن الغذائية ، وتدعيم الوضع المالى ، وتنمية التجارة ، وأن يدعوا الجماهير الى النضال فى سبيل تحقيق هذه الشعارات

لالهاب الحماس فى نفوسهم . أما اذا لم نعمد الى تعبئة الجماهير والقيام بالدعاية وسطها بواسطة مختلف المنظمات بالصورة التى ذكرناها ، أى اذا لم يعمل ديوان الرئاسة فى الحكومات على مختلف المستويات وادارات الاقتصاد الوطنى والادارات المالية فيها على تركيز اهتمامها فى مناقشة أعمال البناء الاقتصادى ومراجعتها ، ولم تهتم باستنهاض المنظمات الجماهيرية وعقد الاجتماعات الجماهيرية من أجل الدعاية ، فلا يمكن الوصول الى أهدافنا .

ثانيا ، يجب ألا تكون أساليبنا فى تعبئة الجماهير أساليب بيروقراطية . فانه لا يجوز اتخاذ أسلوب القيادة البيروقراطى فى أى عمل ثورى ، وينطبق ذلك أيضا على ميدان البناء الاقتصادى . وهذه القذارة التى هى البيروقراطية الممقوتة من قبل جميع الرفاق يجب أن يلقى بها فى مجارى القاذورات . ان الأساليب التى يجب أن يفضلها جميع الرفاق هى تلك الأساليب الجماهيرية أى الأساليب التى يرحب بها كل عامل وفلاح . وان احدى ظواهر البيروقراطية هى التوانى فى العمل ، الناتج عن اللامبالاة أو التهاون . ويجب علينا القيام بنضال صارم ضد هذه الظاهرة . وان أسلوب فرض الأوامر هو ظاهرة أخرى للبيروقراطية . والذين يتخذون أسلوب فرض الأوامر يبدون كأنهم ليسوا بمتوانين فى أعمالهم ، وانما يعملون بجد واجتهاد . ولكنهم فى الواقع اذا حاولوا تطوير التعاونيات بطريقة فرض الأوامر فلن يستطيعوا تحقيق أى نجاح ؛ وحتى لو أنها تطورت موقتا فى الظاهر ، فانه لا يمكن توطيدها ؛ وعند ذلك تفقد الجماهير الثقة بها وينتج عن ذلك عرقلة تطورها . واذا حاولوا تشجيع الاكتتاب فى السندات الحكومية بطريقة فرض الأوامر بأن يفرضوا على الناس شراء حصص معينة من السندات حددوها بطريقة تعسفية دون أن ينظروا ما اذا كان الناس يفهمون أهمية السندات ودون اعتبار قدرتهم على الشراء ، فان محاولتهم هذه سوف تؤدى الى استياء الجماهير والى الفشل فى بيع السندات بصورة

مرضية . يجب علينا أن ننبذ أسلوب فرض الأوامر هذا . ان ما نحتاج اليه هو القيام بالدعاية النشيطة بين الجماهير واقناعها ، وتطوير التعاونيات وتشجيع الاكتتاب فى السندات والقيام بمختلف أنواع العمل من أجل التعبئة الاقتصادية وفقا للظروف الواقعية ومشاعر الجماهير الحقيقية .

ثالثا ، ان تطوير حملة البناء الاقتصادى قضية تتطلب عددا كبيرا من الكوادر . لا يكفيها عشرات أو مئات من الكوادر ، بل تتطلب الآلاف وعشرات الآلاف منهم ، يجب علينا أن ننظمهم وندربهم ونرسلهم الى جبهة البناء الاقتصادى . وسوف يصبحون قادة فى الجبهة الاقتصادية وتكون الجماهير الغفيرة مناضلة فى هذه الجبهة . وبعض الناس كثيرا ما يشتكون من قلة الكوادر . لكن أيها الرفاق ، هل يعوزنا الكوادر حقا ؟ ان عددا لا يحصى من الكوادر قد برز من صفوف الجماهير التى عركتها النضالات الزراعية والاقتصادية والحرب الثورية ، فكيف يمكننا القول بأننا نعانى نقصانا فى الكوادر ؟ انبذوا الآراء الخاطئة وسوف تجدون الكوادر بين أيديكم .

رابعا ، لا يجوز فصل البناء الاقتصادى فى الوقت الحاضر لا عن مهمة الحرب العامة ولا عن المهمات الأخرى . فان اجراء حملة فحص نتائج توزيع الأرض(٤) بصورة عميقة هو السبيل الوحيد للقضاء تماما على الملكية الاقطاعية وشبه الاقطاعية للأرض ، ولالهاب حماس الفلاحين فى الانتاج ، وحمل جماهير الفلاحين الغفيرة على الانضمام بسرعة الى جبهة البناء الاقتصادى. وان تنفيذ قانون العمل بحزم هو وحده الذى يمكننا من تحسين معيشة جماهير العمال وجعلهم يسهمون اسهاما فعالا وعاجلا فى قضية البناء الاقتصادى ، وبالتالى يوطدون دورهم القيادى حيال طبقة الفلاحين . واننا لا نستطيع تدعيم أجهزة حكومتنا حتى تتمكن من أن تقود الحرب الثورية وقطاعات العمل الأخرى بعزم أكبر ، بما فيها العمل الاقتصادي الا اذا قمنا على نحو صحيح

بقيادة الحملة الانتخابية وحملة الشكاوى الشعبية(٥) التى تصاحب حملة فحص نتائج توزيع الأرض . وكذلك يعد رفع المستوى السياسى والثقافى للجماهير عن طريق العمل الثقافى والتعليمى أمرا فى غاية الأهمية فى تطوير الاقتصاد الوطنى . وغنى عن البيان أن توسيع الجيش الأحمر أمر ينبغى ألا نهمله ولو يوما واحدا . اذ أن الجميع يدركون أن الحصار الاقتصادى سوف يشتد أكثر اذا لم يحرز الجيش الأحمر انتصارات مستمرة . هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، فان تنمية الاقتصاد الوطنى وتحسين معيشة الجماهير سيقدمان بالتأكيد مساعدة كبيرة لتوسيع الجيش الأحمر ويجعلان الجماهير الغفيرة تنطلق بحماسة الى الجبهة . وباختصار ، فاذا استطعنا كسب جميع الشروط الآنفة الذكر ، وفى ضمنها هذا الشرط الجديد ذو الأهمية العظمى أى البناء الاقتصادى ، ووضعناها جميعا فى خدمة الحرب الثورية ، فمما لا ريب فيه أن النصر فى الحرب الثورية سيكون حليفنا .

ملاحظات

(١) شنت قوات تشيانغ كاى شيك ، من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٤ ، خمس هجمات واسعة النطاق على المنطقة الحمراء التى كانت مدينة رويجين فى مقاطعة جيانغشى مركزا لها ، وتسمى هذه الهجمات بحملات « التطويق والابادة » الخمس . وقد بدأت حملة « التطويق والابادة » الخامسة فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٣ ، الا أن تشيانغ كاى شيك قد شرع فى تدبير هذه الحملة بنشاط فى صيف ذلك العام .

(٢) « جين » ، وحدة للوزن . كان الجين الواحد حينذاك ينقسم الى ١٦ « ليانغا » ويساوى ٥٩،٦٨ بالمائة من الكيلوغرام . وبعد تبديل مقاييس الوزن ، أصبح الجين الواحد الحالى منقسما الى ١٠ ليانغات ويساوى نصف كيلوغرام — المعرب .

(٣) « ليانغ » ، راجع الملاحظة (٢) فى هذه المقالة – المعرب .

(٤) كانت حملة فحص نتائج توزيع الأرض هى حملة تجرى فى المناطق الحمراء بعد توزيع الأرض والهدف منها التأكد مما اذا كان التوزيع قد تم بصورة صحيحة أم لا .

(٥) هى حملة ديمقراطية كانت تشجع فيها الجماهير على تبليغ القيادة عن التصرفات الخاطئة التى يرتكبها موظفو الحكومة الديمقراطية .

كيف نحلل الطبقات فى الريف

(أكتوبر ــ تشرين الأول ــ ١٩٣٣)

١ ــ مالك الأرض

ان مالك الأرض هو الشخص الذى يملك أرضا ، ويعيش على استغلال الفلاحين ، ولا يشترك فى الأعمال الجسمانية ، أو يسهم فقط الى حدود ضيقة فى أعمال غير رئيسية . ان جمع ايجارات الأراضى هو الشكل الرئيسى للاستغلال الذى يباشره ملاك الأراضى . والى جانب ذلك قد يزاولون الربا ، أو يستأجرون الأيدى العاملة ، أو يزاولون الصناعة أوالتجارة . ولكن جمع ايجار الأرض من الفلاحين هو الشكل الرئيسى للاستغلال الذى يمارسونه . وان ادارة الملكيات العامة وجمع ايجارات أراضى المدارس(١) تعتبر أيضا نوعا من الاستغلال بواسطة ايجار الأرض .

وهناك ملاك أراض قد أفلسوا ، الا أن هؤلاء ظلوا لا يمارسون العمل

كتب الرفيق ماو تسى تونغ هذه الوثيقة فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٣ لتصحيح الانحرافات التى وقعت فى عمل الاصلاح الزراعى ولحل مشكلة الأرض حلا صحيحا ، وقد أقرتها حكومة العمال والفلاحين الديمقراطية المركزية يومذاك بوصفها مقياسا فى تحديد المراتب الطبقية فى الريف .

الجسماني بعد افلاسهم ، بل يعيشون على الاحتيال والسلب ، أو على اعانات أقربائهم وأصدقائهم ، وهم أفضل حالا من فئة الفلاحين المتوسطين ذات المستوى المتوسط فى المعيشة ، وهؤلاء ينبغى اعتبارهم ملاك أراض أيضا .

وان أمراء الحرب والاداريين الكبار والعتاة المحليين والوجهاء الأشرار يمثلون سياسيا طبقة الملاك وهم أشد أعضائها شراسة . وغالبا ما يوجد بين الفلاحين الأغنياء أيضا أفراد من صغار العتاة المحليين والوجهاء الأشرار .

وان أولئك الذين يساعدون الملاك فى جمع ايجارات الأرض وادارة مشاريعهم ويعتمدون على استغلال الملاك للفلاحين كمصدر رئيسى لرزقهم ، وهم أفضل حالا من فئة الفلاحين المتوسطين ذات المستوى المتوسط فى المعيشة ، ينبغى أن يعاملوا بمثل معاملة الملاك .

وأولئك الذين يعتمدون على الاستغلال بواسطة الربا الفاحش ويجعلون منه مصدرا رئيسيا لرزقهم ، وهم أحسن حالا من فئة الفلاحين المتوسطين ذات المستوى المتوسط فى المعيشة ، يدعون مرابين وينبغى معاملتهم بمثل معاملة الملاك .

٢ ـ الفلاح الغنى

ان الفلاح الغنى بصورة عامة يملك أرضا . لكن بعضهم يملكون قسما من الأرض ويستأجرون قسما آخر . وثمة آخرون لا يملكون أرضا على الاطلاق ، بل يستأجرون كل الأرض التى يستثمرونها . والفلاح الغنى يملك على العموم قدرا وافرا نسبيا من أدوات الانتاج الجيدة والرأسمال النقدى ، ويقوم بالعمل الجسمانى بنفسه ، لكنه يعتمد بصورة دائمة على الاستغلال ويجعل منه مصدرا لقسم من دخله أو لمعظمه . وان الاستغلال الذى يمارسه الفلاح الغنى يتخذ

بصورة رئيسية شكل استغلال الأيدى العاملة (أى استخدام الفلاحين الأجراء لفترة طويلة) . وبالاضافة الى ذلك ، فقد يؤجر قسما من أرضه من أجل استغلال غيره عن طريق جمع الايجار ، أو يمارس المراباة ، أو يزاول الصناعة أو التجارة . وان معظم الفلاحين الأغنياء يديرون كذلك الملكيات العامة . وهناك أشخاص يملكون مساحة كبيرة من الأرض الخصبة ويقومون بزراعة جزء منها بأنفسهم دون أن يستخدموا فلاحين أجراء ، لكنهم يستغلون غيرهم من الفلاحين عن طريق جمع ايجار الأرض أو الربا أو غير ذلك ، هؤلاء الأشخاص يجب أن يعاملوا كذلك معاملة الفلاحين الأغنياء. فالفلاحون الأغنياء هم الذين يزاولون الاستغلال بصورة دائمة ، كما أن الدخل من الاستغلال يشكل القسم الرئيسى من دخل كثير منهم .

٣ ـ الفلاح المتوسط

يملك كثير من الفلاحين المتوسطين أرضا . وبعضهم لا يملك سوى جزء من الأرض ، ويستأجر الجزء الآخر . وثمة آخرون لا يملكون الأرض على الاطلاق فهم يستأجرون كل الأرض التى يزرعونها . وجميع الفلاحين المتوسطين يملكون قدرا مناسبا من أدوات الانتاج الزراعى . ويعتمد الفلاح المتوسط كليا أو بصورة رئيسية على عمله الخاص كمصدر لرزقه . والفلاحون المتوسطون على العموم لا يستغلون غيرهم ، بل ان كثيرا منهم يتعرضون لاستغلال غيرهم عن طريق دفع مقدار صغير من ايجار الأرض أو الربا . لكن الفلاح المتوسط ، على العموم ، لا يبيع قوة عمله . وان قسما من الفلاحين المتوسطين (الفلاحين المتوسطين الميسورى الحال) يستغلون غيرهم على نطاق ضيق ، بيد أن هذا الاستغلال ليس مصدرا ثابتا ولا رئيسيا لدخلهم .

٤ ـ الفلاح الفقير

يملك بعض الفلاحين الفقراء قسما من الأرض التى يزرعونها وأدوات زراعية غير كافية ؛ والبعض الآخر لا يملك أرضا بتاتا ، بل يملك فقط أدوات زراعية غير كافية . وعلى العموم ، لا بد للفلاح الفقير أن يستأجر أرضا ليزرعها ، وهو يتعرض لاستغلال غيره عن طريق دفع ايجار الأرض والربا ، وبيع جزء صغير من قوة عمله .

ان الفلاح المتوسط على العموم لا يحتاج لبيع قوة عمله ، فى حين أنه لا بد للفلاح الفقير أن يبيع جزءا صغيرا من قوة عمله ـ هذا هو المقياس الرئيسى للتمييز بين الفلاح المتوسط والفلاح الفقير.

٥ ـ العامل

العمال (ومن ضمنهم الفلاحون الأجراء) على العموم لا يملكون أرضا ولا أدوات زراعية على الاطلاق ، وبعض العمال يملكون مساحة صغيرة جدا من الأرض وقطعا قليلة جدا من الأدوات الزراعية . فالعمال يعيشون بصورة كلية ، أو بصورة رئيسية على بيع قوة عملهم .

ملاحظات

(١) كان فى الريف الصينى أشكال مختلفة من الملكيات العامة للأرض . منها ملكيات ذات صفة سياسية ، مثل الأراضي التي تملكها بعض الحكومات المحلية فى المراكز

أو النواحى . ومنها ما هو خاص لعشيرة من العشائر كالأراضى التى تملكها معابد الأسلاف لمختلف العشائر . وهناك أراض عامة مخصصة للأغراض الدينية كالتى تملكها المعابد البوذية والتاوية والكنائس الكاثوليكية والمساجد . ومنها أراض مخصصة لأغراض المواساة والاغاثة الاجتماعية أو الخدمة العامة كالأراضى المخصصة لغرض اغاثة منكوبى المجاعة أو بناء الجسور واصلاح الطرق . كما أن هناك أراضى مخصصة لأغراض التعليم كأراضى المدارس . وان معظم هذه الأراضى تخضع لاشراف الملاك والفلاحين الأغنياء ، وان قسما صغيرا منها فقط يحق للفلاحين التدخل فى أمره .

سياستنا الاقتصادية

(٢٣ يناير – كانون الثانى – ١٩٣٤)

ان أمراء الحرب الكومينتانغيين الأكثر وقاحة هم وحدهم يجيدون اختلاق الشائعات كل يوم عن مبلغ ما أصاب المناطق الحمراء من دمار مطلق فى حين أنهم قد أذاقوا الشعب الفقر المدقع فى المناطق الخاضعة لحكمهم وكادوا يستنفدون مواردها . ان هدف الامبريالية والكومينتانغ هو تقويض المناطق الحمراء، ونسف البناء الاقتصادى الذى يتقدم حاليا فيها ، وتدمير رفاهية الملايين وعشرات الملايين من العمال والفلاحين المتحررين . ولذا نظموا قواهم المسلحة وقاموا بحملاتهم العسكرية « للتطويق والابادة » ، وليس هذا فحسب ، بل طبقوا كذلك سياسة الحصار الاقتصادى القاسى . لكننا قدنا الجماهير الغفيرة والجيش الأحمر وحطمنا مرة تلو الأخرى حملات « التطويق والابادة » التى شنها العدو ، بل قمنا أيضا بكل ما هو ممكن وضرورى فى ميدان البناء الاقتصادى ، وذلك لكى نحبط الخطة الشريرة التى دبرها العدو لمحاصرتنا اقتصاديا . وقد حققنا الى الآن انتصارات متعاقبة فى هذا المجال الأخير .

هذا تقرير قدمه الرفيق ماو تسى تونغ الى المؤتمر الوطنى الثانى لمندوبى العمال والفلاحين المنعقد فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٤ فى رويجين من مقاطعة جيانغشى .

ان المبادىء التى توجه سياستنا الاقتصادية هى القيام بكل ما هو ممكن وضرورى فى مجال البناء الاقتصادى ، وتركيز قوانا الاقتصادية على تموين الجبهة ، وبذل قصارى جهودنا فى الوقت نفسه فى سبيل تحسين معيشة الشعب ، وتقوية الاتحاد الاقتصادى بين العمال والفلاحين ، وتأمين قيادة البروليتاريا للفلاحين ، والعمل على تحقيق الدور القيادى لقطاع الدولة بالنسبة الى القطاع الخاص ، حتى نستطيع خلق شروط لازمة للانتقال الى الاشتراكية فى المستقبل .

ان مهمتنا الرئيسية فى البناء الاقتصادى هى تطوير الانتاج الزراعى والصناعى وتنمية تجارتنا الخارجية وتطوير التعاونيات .

ومن الواضح أن الزراعة تتقدم الآن فى المناطق الحمراء . ففى منطقة جنوبى جيانغشى وغربى فوجيان ، زاد الانتاج الزراعى فى عام ١٩٣٣ بنسبة ١٥ بالمائة عما كان عليه فى عام ١٩٣٢ ، وبلغت هذه الزيادة ٢٠ بالمائة فى منطقة حدود فوجيان – تشجيانغ – جيانغشى . كما كان الموسم جيدا فى منطقة حدود سيتشوان – شنشى . ولقد كان الانتاج الزراعى فى المناطق الحمراء غالبا ما يهبط خلال السنة الأولى أو السنتين الأوليين بعد تأسيسها(١) . ولكن بدأ الانتاج ينتعش لما تحددت ملكية الأرض بعد توزيعها وقمنا بتشجيع الانتاج وزادت حماسة جماهير الفلاحين للعمل . وقد عاد الانتاج الآن فى بعض الأماكن الى المستوى الذى كان عليه قبل الثورة ، بل تجاوزه أيضا . وفى أماكن أخرى ، أحيا الناس الأراضى الزراعية التى أهملت أثناء الانتفاضات الثورية ، وبالاضافة الى ذلك استصلحوا أراضى جديدة . وفى أماكن كثيرة نظمت جمعيات لتبادل المعونة فى العمل وفرق للحرث(٢) ، وذلك بغية تنسيق قوة العمل فى الريف ؛ كما نظمت تعاونيات ثيران الحراثة من أجل التغلب على المصاعب الناجمة عن نقص الماشية . وفى الوقت نفسه اشتركت

الجماهير الغفيرة من النساء فى العمل الانتاجى . ومن المؤكد أن كل هذا ما كان يمكن أن يتحقق قطعا فى عهد سيطرة الكومينتانغ . ففى تلك الأيام كانت الأرض فى أيدى ملاك الأراضى فكان الفلاحون لا يرغبون ولا يقدرون على تحسين التربة بجهودهم الخاصة . ولم تنطلق حماسة جماهير الفلاحين للعمل وتتحقق انتصارات عظمى فى الانتاج الا بعد أن وزعنا الأرض على الفلاحين وشجعناهم على الانتاج وكافأناهم . وينبغى أن نشير هنا الى أن الانتاج الزراعى يحتل فى الظروف الراهنة المحل الأول فى بنائنا الاقتصادى ، لأن من واجب الانتاج الزراعى أن يحل قضية الحبوب وهى أهم قضية ، بل يجب أن يحل كذلك قضية توفير المواد الخام كالقطن والقنب وقصب السكر والخيزران وغيرها مما يستخدم فى صناعة الحاجات اليومية الضرورية مثل الثياب والسكر والورق ونحوها . ثم ان التشجير والتكثير من المواشى يشكلان قسما مهما من الزراعة . ومن الممكن بل من الضرورى وضع خطط ملائمة لانتاج بعض المنتجات الزراعية المهمة على أساس الزراعة الفلاحية الصغيرة ، واستنهاض الفلاحين للسعى فى سبيل تحقيق هذه الخطط . ويجب علينا أن نعير هذا الأمر اهتماما أكبر ونكرس له جهودا أعظم . أما المشكلات المتعلقة بالشروط الضرورية للانتاج الزراعى ، مثل الأيدى العاملة وثيران الحراثة والأسمدة والبذور والرى فيجب أن نقود الفلاحين بهمة ونشاط للعمل على حلها . وبهذا الخصوص فان تنسيق قوة العمل بطريقة منظمة وتشجيع النساء على الاسهام فى الانتاج هما مهمتنا الأساسية الأولى فى مجال الانتاج الزراعى . أما تنظيم جمعيات تبادل المعونة فى العمل وفرق الحرث واستنهاض الجماهير فى كل الريف وحثهم على العمل خلال موسم حراثة الربيع وموسم حراثة الصيف وغيرهما من المواسم المهمة ، فهى التدابير اللازمة لحل مشكلة قوة العمل . وهناك مشكلة كبيرة أخرى هى أن عددا غير قليل من الفلاحين (حوالى ٢٥ بالمائة) يفتقرون الى ثيران الحراثة .

فينبغى لنا أن نعنى بتنظيم تعاونيات ثيران الحراثة بتشجيع العائلات التى لا تملك ثيرانا على الاسهام بملء ارادتها فى شراء الثيران للاستخدام الجماعى . والرى يشكل شريان حياة الزراعة ، وينبغى لنا أن نوليه أيضا اهتمامنا البالغ . وطبيعى أننا لا نستطيع حتى الآن المناداة بالزراعة الحكومية والزراعة الجماعية ، ولكن للاسراع بالتطور الزراعى ، تصبح الحاجة ماسة الى انشاء مزارع تجريبية صغيرة وتأسيس مدارس أبحاث زراعية واقامة معارض منتجات زراعية فى مختلف المناطق .

ولقد خلق حصار العدو مصاعب فى وجه تصدير بضائعنا ، وهكذا تدهور الانتاج فى كثير من الصناعات اليدوية فى المناطق الحمراء ، وفى مقدمة ذلك انتاج التبغ والورق . بيد أن مثل هذه الصعوبات فى التصدير ليست مما يستحيل التغلب عليه . فنظرا لمتطلبات الجماهير الضرورية نجد فى مناطقنا سوقا واسعة . ويجب علينا ، فى سبيل سد حاجاتنا الخاصة أولا وفى سبيل التصدير الى خارج مناطقنا ثانيا ، أن نجدد ونطور الصناعات اليدوية وبعض الصناعات الأخرى بصورة مخططة . ان كثيرا من الصناعات اليدوية وفروعا قليلة من الصناعات الأخرى بدأت تنتعش الآن لأننا بدأنا نوليها الاهتمام منذ سنتين وعلى الأخص منذ النصف الأول من عام ١٩٣٣ ، ولأن هناك تعاونيات انتاجية قد تطورت تدريجيا بين الجماهير خلال هذه الفترة . وأهم هذه الصناعات هى صناعات التبغ والورق والتنجستين والكافور والأدوات الزراعية والأسمدة (مثل الكلس) . وفضلا عن ذلك ، فانه يجب علينا فى الظروف الراهنة ألا نهمل نسج الأقمشة وصنع الأدوية والسكر بأنفسنا . والمدهش أنه قد ظهرت اليوم فى منطقة حدود فوجيان ـ تشجيانغ ـ جيانغشى صناعات كانت معدومة فيها فيما مضى ، مثل صناعة الورق ونسج الأقمشة وصناعة السكر ، وحققت نجاحات . ولكى يسد النقص فى ملح الطعام ، فقد بدأ الناس فى استخراجه من التراب القلوى . وان تسيير الانتاج

الصناعى يتطلب تخطيطا ملائما . وطبيعى أنه يستحيل أن نضع له خططا مفصلة شاملة على أساس الصناعات اليدوية المبعثرة . ومع ذلك فمن الضرورى تماما وضع خطط انتاجية على جانب عظيم من التفصيل لبعض المشاريع الرئيسية ، وبصورة أولية مشاريع الدولة والتعاونيات . فيجب أن نهتم منذ أول يوم نؤسس فيه كل صناعة حكومية أو تعاونية بوضع حسابات دقيقة عن انتاج المواد الخام اللازمة لها وتقدير امكانياتنا فى ايجاد سوق لها فى مناطق العدو وفى مناطقنا على حد سواء .

وقد أصبح من الضرورى بصورة مخصوصة فى الوقت الحاضر أن نعمد الى التنظيم المخطط للتجارة الخارجية التى يمارسها الشعب ، ونضع فى يد الدولة أمر الاشراف المباشر على تداول بعض البضائع الأساسية ، ومثال ذلك استيراد ملح الطعام والأقمشة ، وتصدير الحبوب والتنجستين ، وتنسيق العرض والطلب فى الحبوب داخل مناطقنا . وقد بدأت منطقة حدود فوجيان — تشجيانغ — جيانغشى هذا العمل قبل غيرها ، أما فى المنطقة المركزية فقد بدأ هذا العمل فى ربيع ١٩٣٣ . وقد تم تحقيق نجاحات أولية فى هذه الناحية بفضل انشاء مكاتب التجارة الخارجية والوكالات الأخرى المماثلة .

ويتشكل اقتصادنا الوطنى فى الوقت الحاضر من مشاريع ثلاثة قطاعات : مشاريع قطاع الدولة ومشاريع القطاع التعاونى ومشاريع القطاع الخاص .

وتقتصر مشاريع قطاع الدولة فى الوقت الحاضر على ما هو ممكن وضرورى من المشاريع الاقتصادية . وان مشاريع الدولة الصناعية والتجارية قد بدأت تنمو منذ الآن ولا حدود للآفاق المفتوحة أمامها .

أما بخصوص القطاع الخاص فنحن لن نعرقل أعماله ، بل سنساعده ونشجعه ، ما دام لا يتجاوز حدود القانون الموضوع من قبل الحكومة . ذلك لأن تطور القطاع الخاص هو ما تتطلبه مصالح الدولة والشعب فى الوقت الراهن . وبدهى أن

القطاع الخاص يحتل الآن مركزا متفوقا بصورة مطلقة ، ومن المحتم أنه سيبقى كذلك فى مركز متفوق فترة طويلة نسبيا من الزمن . والقطاع الخاص فى المناطق الحمراء يتخذ فى الوقت الحاضر شكل مشاريع صغيرة .

وتنمو مشاريع القطاع التعاونى بسرعة فائقة. وتشير احصائيات أجريت فى سبتمبر (أيلول) ١٩٣٣ فى سبع عشرة محافظة فى مقاطعتى جيانغشى وفوجيان ، أن فى هذه المحافظات ١٫٤٢٣ تعاونية من مختلف الأنواع برأسمال يزيد عن ٣٠٠٫٠٠٠ يوان . وأكثر هذه التعاونيات تطورا هى التعاونيات الاستهلاكية وتعاونيات الحبوب . وتأتى بعدها التعاونيات الانتاجية . أما حركة تأسيس تعاونيات التسليف فلم تبدأ الا حديثا . ان القطاع التعاونى وقطاع الدولة ، بالتعاون بينهما وبعد فترة طويلة من التطور ، سيصبحان قوة هائلة فى المجال الاقتصادى ويتفوقان تدريجيا على القطاع الخاص ويحتلان المركز القيادى بالنسبة اليه . ولذلك يجب تنمية قطاع الدولة بقدر المستطاع وتنمية القطاع التعاونى على نطاق واسع جنبا الى جنب مع تشجيع نمو القطاع الخاص .

ولأجل تطوير قطاع الدولة ومد يد المعونة الى القطاع التعاونى ، أصدرنا بمساندة الجماهير سندات حكومية للبناء الاقتصادى قيمتها ثلاثة ملايين يوان. وان الاعتماد على قوة الجماهير بهذه الطريقة من أجل حل مشكلة التمويل اللازم للبناء الاقتصادى هو الوسيلة الوحيدة الممكنة فى اللحظة الراهنة .

وان زيادة دخلنا بتنمية الاقتصاد الوطنى هو المبدأ الأساسى فى سياستنا المالية ، وقد ظهرت نتائجه بصورة واضحة فى منطقة حدود فوجيان ـ تشجيانغ ـ جيانغشى ، كما بدأت نفس النتائج تظهر فى المنطقة المركزية . وان تطبيق هذا المبدأ بصورة حازمة هو واجب دوائرنا المالية والاقتصادية . وان ما يتطلب منا كل الانتباه هنا هو أنه يجب على بنك الحكومة حين يصدر أوراقا نقدية أن ينطلق بصورة أساسية من متطلبات تنمية الاقتصاد الوطنى ، أما الحاجات المالية المحضة

فيجب ألا تعطى سوى الاعتبار الثانوى .

يجب أن نخضع المصروفات المالية لمبدأ الاقتصاد والتوفير . وينبغى أن نوضح لجميع موظفى الحكومة أن اختلاس أموال الحكومة وتبذيرها هما من أفدح الجرائم . وقد حققنا فى الماضى بعض النتائج فى مكافحة الاختلاس والتبذير ، وعلينا أن نبذل بعد اليوم جهودا أخرى . وان المبدأ الذى يهيمن على نظامنا فى المحاسبة هو أن كل فلس يجب توفيره من أجل الحرب والقضية الثورية ، ومن أجل بنائنا الاقتصادى . وان أساليبنا فى صرف ايرادات الدولة يجب أن تختلف كل الاختلاف عن أساليب الكومينتانغ .

وفى هذا الوقت الذى تقع فيه الصين كلها فى أزمة اقتصادية طاحنة ويعانى فيه مئات الملايين من أبناء الشعب مصاعب حادة ويشكون من الجوع والبرد ، فى هذا الوقت بالذات تقوم حكومتنا الشعبية بجدية ودون اعتبار لجميع المصاعب ، بالبناء الاقتصادى من أجل الحرب الثورية وفى سبيل مصالح الأمة . فالقضية واضحة تماما وهى أننا لا نستطيع أن ننقذ شعب البلاد كلها من هذه الأزمة التى لم يسبق لها مثيل الا اذا انتصرنا على الامبريالية والكومينتانغ ، وقمنا بالبناء الاقتصادى المخطط والمنظم .

ملاحظات

(١) ان الانتاج الزراعى فى المناطق الحمراء غالبا ما كان يهبط بعض الشيء خلال السنة الأولى أو السنتين الأوليين بعد تأسيسها ، والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن ملكية الأراضى لم تتحدد بعد فى الفترة التى يجرى فيها توزيع الأرض ، وأن النظام الاقتصادى الجديد لم يجر بعد فى مجراه الطبيعى ، ونتيجة لذلك لم يكن الفلاحون مرتاحين بصورة كاملة الى الانتاج .

(٢) كانت جمعيات تبادل المعونة فى العمل وفرق الحرث هى تنظيمات لتبادل المعونة فى العمل أنشأها الفلاحون فى المناطق الحمراء فى تلك الأيام على أساس الزراعة الفردية لأجل تنسيق قوة العمل فى الانتاج . وكانت هذه التنظيمات تقوم على أساس الاشتراك الاختيارى وعلى أساس النفع المتبادل بحيث أن الأعضاء يقومون بمقدار متساو من العمل المتبادل بينهم ، فاذا قام أحدهم بعمل أقل دفع للذى عمل أكثر أجرا مناسبا . وبالاضافة الى ذلك ، كان أعضاء جمعيات تبادل المعونة فى العمل يوجهون عنايتهم الخاصة الى عائلات جنود الجيش الأحمر . وكذلك كانوا يعملون لمصلحة الشيوخ العاجزين أو اليتامى دون مقابل سوى ما يتناولونه من طعام أثناء قيامهم بهذا العمل . ولما كانت تنظيمات تبادل المعونة هذه ذات فائدة عظيمة للانتاج ، وكانت تدابيرها معقولة ، فقد اكتسبت تأييد الجماهير الحار . وقد ذكر الرفيق ماو تسى تونغ ذلك فى مقالتى « تحقيق فى ناحية تشانغقانغ » و« تحقيق فى ناحية تسايشى » .

العناية بحياة الجماهير والانتباه لأسلوب العمل

(٢٧ يناير – كانون الثانى – ١٩٣٤)

ثمة قضيتان لم يولهما الرفاق اهتماما كافيا أثناء المناقشات ، وأنا أرى أنه يجب العودة اليهما لايضاحهما .

وتتعلق القضية الأولى بحياة الجماهير .

ان مهمتنا المركزية فى الوقت الراهن هى تعبئة الجماهير الغفيرة للمشاركة فى الحرب الثورية ، والاطاحة بالامبريالية والكومينتانغ عن طريق هذه الحرب ، ونشر الثورة فى أرجاء البلاد ، وطرد الامبريالية من الصين . وكل من يتهاون بهذه المهمة المركزية لا يعد من العاملين الثوريين الممتازين . واذا فهم رفاقنا هذه المهمة المركزية حق الفهم وأدركوا أنه يجب نشر الثورة فى أرجاء البلاد بأى ثمن ، فلا يجوز لهم أن يهملوا أو يستخفوا على الاطلاق بقضية المصالح المباشرة للجماهير الغفيرة ، قضية حياة هذه الجماهير . ولما كانت الحرب الثورية حربا جماهيرية ، فلا يمكن خوض غمارها الا بتعبئة الجماهير والاعتماد عليها .

هذا قسم من التقرير الختامى الذى قدمه الرفيق ماو تسى تونغ فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٤ فى المؤتمر الوطنى الثانى لمندوبى العمال والفلاحين ، المنعقد فى رويجين من مقاطعة جيانغشى .

واذا قصرنا اهتمامنا على تعبئة الشعب للقيام بالحرب دون أن نقوم بأى عمل آخر ، فهل نستطيع اذن تحقيق الهدف الذى هو هزيمة العدو ؟ طبعا لا . اذا كنا نريد أن ننتصر ، فلا بد لنا أن نقوم بأعمال أخرى كثيرة ، فيجب أن نقود الفلاحين فى النضالات الزراعية ونوزع الأراضى عليهم ؛ ونرفع حماستهم فى العمل بغية زيادة الانتاج الزراعى ؛ ونضمن مصالح العمال ؛ وننشىء التعاونيات ؛ ونطور التجارة الخارجية ؛ ونحل المشاكل التى تجابه الجماهير ، مشاكل الكساء ، والغذاء ، والمأوى ، والحطب ، والأرز ، والزيت ، والملح ، والمرض والعناية الصحية ، والزواج . وباختصار فان جميع مشاكل الحياة الواقعية التى تجابه الجماهير يجب أن تسترعى اهتمامنا . واذا عنينا بهذه المشاكل وحللناها وسددنا حاجات الجماهير ، فاننا سنصبح اذن ، بالفعل ، منظمين لحياة الجماهير ، ولسوف تلتف هذه الجماهير بالفعل حولنا وتدعمنا بحرارة . وهل يصبح فى مقدورنا عندئذ ، أيها الرفاق ، أن نعبىء الجماهير الى المشاركة فى الحرب الثورية ؟ أجل ، يمكننا ذلك بكل تأكيد .

ولقد وجدنا فيما مضى الحالة التالية بين كوادرنا . انهم لا يتحدثون سوى عن توسيع الجيش الأحمر ، وتوسيع فرق النقل ، وجمع ضرائب الأرض وتشجيع الاكتتاب فى السندات الحكومية ، أما بخصوص سائر القضايا ، فان هؤلاء الناس لا يتحدثون عنها ولا يعنون بها ، بل يتجاهلونها تماما . ومثال ذلك أن حكومة مدينة تينغتشو قد أعرضت تماما عن شؤون حياة الجماهير اليومية فترة من الزمن ، فكانت مهتمة فقط بأمر توسيع الجيش الأحمر وتجنيد فرق للنقل . وكانت المشاكل التى تجابه جماهير مدينة تينغتشو هى افتقارها الى الحطب ، وعدم وجود الملح فى السوق لأن الرأسماليين احتكروه ، وعدم وجود المأوى لبعض الناس ، ونقص الأرز وارتفاع أسعاره . هذه هى المشاكل الواقعية التى كانت تجابه جماهير الشعب فى مدينة تينغتشو ، الذين كانوا يتوقعون منا بلهفة أن نساعدهم على حلها .

بيد أن حكومة مدينة تينغتشو لم تناقش أية قضية من هذه القضايا مطلقا. لهذا ، فان أكثر من مائة مندوب تم اختيارهم فى انتخابات الدورة الجديدة للمجلس التمثيلى للعمال و الفلاحين فى مدينة تينغتشو لم تعد لهم رغبة فى حضور اجتماعات المجلس ، لأن المجلس عقد عدة اجتماعات لكنه لم يبحث فيها سوى موضوع توسيع الجيش الأحمر وتجنيد فرق للنقل دون أن يوجه أدنى اهتمام الى حياة الجماهير ، ونتيجة لذلك لم يستطع المجلس أن يواصل عقد جلساته . أما فيما يتعلق بتوسيع الجيش الأحمر وتجنيد فرق للنقل فلم يحقق الا نجاح ضئيل . و هذا يمثل وضعا من الأوضاع .

أيها الرفاق ، ربما قرأتم الكراسة التى وزعت عليكم بشأن الناحيتين النموذجيتين . ان الوضع هناك مختلف كل الاختلاف . فما أكبر عدد الذين انضموا الى الجيش الأحمر من أهالى ناحية تشانغقانغ (١) فى جيانغشى وناحية تسايشى (٢) فى فوجيان ! ان ثمانين من كل مائة رجل وامرأة من الشباب ومتوسطى الأعمار قد انضموا الى الجيش الأحمر فى ناحية تشانغقانغ ، أما فى ناحية تسايشى ، فقد بلغت هذه النسبة ثمانية وثمانين بالمائة . وقد بيعت السندات الحكومية بكمية كبيرة أيضا ، فقد بيع فى ناحية تشانغقانغ ، وعدد سكانها ١٫٥٠٠ نسمة ، ما قيمته ٤٫٥٠٠ يوان من السندات . كما حققت الناحيتان نجاحات كبرى فى مجالات أخرى من الأعمال . فما السبب فى ذلك ؟ ان بعض الأمثلة ستوضح لنا الأمر بصورة جلية . لقد التهمت النار فى ناحية تشانغقانغ غرفة ونصف غرفة لأحد الفلاحين الفقراء ، فدعت حكومة الناحية الجماهير الى التبرع بالمال لمساعدة ذلك الفلاح . وكان هناك ثلاثة أشخاص يعانون من الجوع ، فشرعت حكومة الناحية وجمعية تبادل المعونة ، على الفور ، فى امدادهم بالأرز . وفى مجاعة الصيف الماضى ، جلبت حكومة الناحية الأرز من محافظة قونغليويه (٣) ، وهى على بعد أكثر من مائتى لى ، لاغاثة الجماهير . ولقد أنجزت ناحية تسايشى أيضا مثل

هذه الأعمال بصورة رائعة . وان حكومة ناحية مثل هذه لنموذجية حقا فى نوعها ، وهى تختلف كل الاختلاف عن حكومة مدينة تينغتشو التى تتبع الأساليب البيروقراطية فى القيادة. فينبغى لنا أن نتعلم من ناحيتى تشانغقانغ وتسايشى ونعارض القادة البيروقراطيين من أمثال أولئك الذين فى مدينة تينغتشو .

وأقول جديا فى هذا المؤتمر انه علينا أن نعير اهتماما بالغا للمشاكل المتعلقة بحياة الجماهير ، من مشكلة الأرض والعمل الى مشكلة الحاجات اليومية كالحطب والأرز والزيت والملح . ان جماهير النساء يردن أن يتعلمن الحراثة وسلف الأرض ، فمن الذى نختاره ليعلمهن ؟ وان الأطفال يريدون أن يدرسوا ، فهل أقيمت لهم المدارس الابتدائية ؟ وان هناك جسرا خشبيا ضيقا جدا ومن المحتمل أن يقع الناس منه ، أ فلا يجب اصلاحه ؟ وثمة أناس كثيرون يشكون من دمامل وأمراض أخرى ، فما هى التدابير التى يجب علينا اتخاذها ؟ ان هذه المشاكل المتعلقة بحياة الجماهير كافة يجب ادراجها فى جدول أعمالنا . ويجب أن نناقشها ، ونتخذ القرارات بشأنها ، ونطبق هذه القرارات ونفحص نتائج التطبيق . وينبغى كذلك أن نفهم الجماهير الواسعة أننا نمثل مصالحها ، وأن حياتنا وحياتها متشابكتان بصورة وثيقة . وينبغى أن نفهمها ، على أساس هذه القضايا ، المهمات التى حددناها والتى هى أرفع شأنا ، ألا وهى مهمات الحرب الثورية ، حتى تدعم الثورة وتنشر لواءها فى أرجاء البلاد ، وتستجيب لنداءاتنا السياسية وتناضل حتى النهاية من أجل انتصار الثورة . ان الجماهير فى ناحية تشانغقانغ يقولون : « ان الحزب الشيوعى جيد حقا ، لقد فكر فى كل شىء من أجلنا . » وان العاملين فى ناحية تشانغقانغ لمثال يحتذى بالنسبة الينا جميعا . يا لهم من أناس محترمين ! لقد كسبوا الحب الخالص والتقدير الصادق من صميم قلوب الجماهير الغفيرة ، ولقى نداؤهم للتجند من أجل الاشتراك فى الحرب تأييد هذه الجماهير . أ نريد أن نكسب تأييد الجماهير ؟

أ نريد أن يكرس الجماهير كل جهودهم من أجل الجبهة الحربية ؟ اذا كنا نريد ذلك ، فانه يجب علينا أن نكون مع الجماهير ، ونحرك نشاطاتهم ، ونهتم بسرائهم وضرائهم ، ونعمل بصدق واخلاص فى سبيل مصالحهم ونحل مشاكلهم الخاصة بالانتاج والحياة ، مشاكل الملح والأرز والمأوى والكساء والولادة ، وغيرها من المشاكل . فاذا فعلنا ذلك ، فمن المحتم أن الجماهير الغفيرة سوف تؤيدنا وتنظر الى الثورة نظرتها الى حياتها وتعتبرها رايتها ، راية المجد الأعظم . واذا ما شن الكومينتانغ هجماته على المناطق الحمراء ، فان الجماهير الغفيرة ستبذل حياتها فى القتال ضده . ولا ريب فى هذا الأمر ؛ أ لم يكن حقيقة واضحة أننا قد سحقنا فعلا وعلى التوالى حملات « التطويق والابادة » الأولى والثانية والثالثة والرابعة التى شنها العدو ؟

ان الكومينتانغ ينفذ فى الوقت الحاضر سياسة بناء القلاع (٤) باقامة عدد كبير من « قوقعات السلحفاة » ، ظنا منه أنها حصون حديدية له . أيها الرفاق ، أ هى حقا حصون حديدية ؟ أبدا ! انظروا الى حصون الأباطرة الاقطاعيين وقصورهم خلال آلاف السنين ، أ لم تكن منيعة متينة ؟ بيد أنها تهاوت الواحد تلو الآخر عندما هبت الجماهير . ولقد كان قيصر روسيا واحدا من أقسى الحكام فى العالم ؛ فما الذى صار اليه أمره عندما اندلعت ثورة البروليتاريا والفلاحين ؟ لقد انتهى أمره . وماذا حدث لحصونه الحديدية ؟ لقد تهاوت جميعا . أيها الرفاق، ما هو الحصن الحديدى الحقيقى ؟ انه الجماهير ، ملايين الجماهير الذين يؤيدون الثورة بصدق واخلاص . هؤلاء هم الحصن الحديدى الحقيقى ، حصن لا يمكن لأية قوة أن تحطمه ، ولا يمكن أن تحطمه على الاطلاق . ان القوى المعادية للثورة لن تستطيع أن تهزمنا ، بل سنهزمها نحن . واذا جمعنا ملايين الجماهير حول الحكومة الثورية ووسعنا حربنا الثورية ، استطعنا أن نقضى على أعداء الثورة جميعا ، ونستولى على الصين بأسرها .

وتتعلق القضية الثانية بأساليب العمل .

اننا قادة ومنظمو الحرب الثورية كما أننا قادة ومنظمو حياة الجماهير . وان تنظيم الحرب الثورية وتحسين حياة الجماهير هما المهمتان الكبيرتان بالنسبة لنا . وهنا تجابهنا مشكلة أساليب العمل بكل خطورتها . ولا يكفى أن نحدد المهمات فحسب ، بل علينا أيضا أن نحل مشكلة الأساليب التى تمكننا من تحقيق هذه المهمات . ان مهمتنا هى كعبور نهر ، ولكننا لا نستطيع عبوره بدون جسر أو قارب . واذا لم نحل مشكلة الجسر أو القارب ، فكل حديث عن عبور النهر هو باطل . وكذلك الحديث عن انجاز المهمات بدون حل مشكلة أساليب العمل هو مجرد ثرثرة . ومن دون الاهتمام بكيفية قيادة العمل فى توسيع الجيش الأحمر ، والعناية بشكل خاص بأساليب توسيعه ، فاننا لن نستطيع تحقيق أى نجاح فى آخر الأمر ، حتى ولو صرخنا ألف مرة قائلين : « وسعوا الجيش الأحمر ! » كما أننا لن نستطيع أداء مهماتنا فى الميادين الأخرى مثل فحص نتائج توزيع الأرض ، والبناء الاقتصادى ، والأعمال الثقافية والتعليمية ، والأعمال الخاصة بالمناطق المحررة حديثا ومناطق الحدود ، اذا كان كل ما نفعله هو تحديد المهمات دون العناية بأساليب العمل لتحقيقها ، ودون معارضة الأساليب البيروقراطية فى العمل واتخاذ أساليب عملية ومحددة ، أو اذا لم نتخل عن أسلوب فرض الأوامر فى العمل ولم نتبن بدلا من ذلك أسلوب الاقناع المتسم بالصبر .

ولقد حقق الرفاق فى شينغقوه عملا ممتازا من الدرجة الأولى وهم يستحقون مديحنا بوصفهم عاملين نموذجيين . وكذلك قام الرفاق فى شمال شرقى جيانغشى بأعمال ممتازة وهم أيضا عاملون نموذجيون . وقد ربط الرفاق فى شينغقوه وفى شمال شرقى جيانغشى حياة الجماهير بالحرب الثورية كما حلوا قضية أساليب العمل الثورية وقضية المهمات الثورية على السواء . انهم يعملون جديا ويحلون المشاكل

بدقة ، ويتحملون حقا مسؤولياتهم حيال الثورة ، وانهم لمنظمون وقادة جيدون سواء للحرب الثورية أو لشؤون حياة الجماهير . وفيما عدا ذلك ، ففى بعض الأماكن فى محافظات شانغهانغ وتشانغتينغ ويونغدينغ من مقاطعة فوجيان ، وفى شيجيانغ وأماكن أخرى فى جنوبى جيانغشى ، وفى بعض الأماكن فى محافظات تشالينغ ويونغشين وجيآن من منطقة حدود خونان ـ جيانغشى ، وفى بعض الأماكن فى محافظة يانغشين من منطقة حدود خونان ـ خوبى ـ جيانغشى ، وفى مراكز ونواح فى محافظات كثيرة أخرى من جيانغشى ، وفى محافظة رويجين التابعة لادارة الحكومة المركزية ـ فى هذه الأماكن جميعا حقق الرفاق تقدما فى أعمالهم وهم يستحقون كذلك المديح من جانبنا .

ومما لا ريب فيه أن ثمة كوادر نشيطين كثيرين ، رفاقا ممتازين منبثقين من الجماهير ، فى جميع المناطق التابعة لقيادتنا . وان هؤلاء الرفاق ليحملون على كواهلهم مسؤولية هى مساعدة الأماكن التى لا ينجز فيها العمل جيدا والرفاق الذين لا يحسنون العمل . اننا نقف وجها لوجه أمام حرب ثورية عظمى ، وانه ليجب علينا أن نحطم عملية العدو الواسعة النطاق التى تستهدف « التطويق والابادة » ، ويجب علينا أن نعمم الثورة فى جميع أرجاء البلاد . وان جميع العاملين الثوريين ليحملون على كواهلهم مسؤولية هائلة . وينبغى لنا بعد هذا المؤتمر أن نطبق تدابير عملية لتحسين أعمالنا ، فالمناطق المتقدمة يجب أن تزداد تقدما ، والمناطق المتخلفة يجب أن تلحق بالمناطق المتقدمة . يجب أن نخلق آلافا من أمثال ناحية تشانغقانغ وعشرات من أمثال محافظة شينغقوه . وهذه يجب أن تكون مواقعنا المحصنة . واذا ما استطعنا أن نستولى على مثل هذه المواقع ، فسوف يكون فى مقدورنا عندئذ أن ننطلق من هذه المواقع لنسحق حملات « التطويق والابادة » التى يشنها العدو ونطيح بحكم الامبريالية والكومينتانغ فى البلاد بأسرها.

ملاحظات

(١) ناحية تشانغقانغ ، هى فى محافظة شينغقوه من مقاطعة جيانغشى .

(٢) ناحية تسايشى ، هى فى محافظة شانغهانغ من مقاطعة فوجيان .

(٣) محافظة قونغليويه ، هى فى منطقة جيانغشى الحمراء وقتذاك ، ومركزها فى بلدة دونغقو الواقعة فى الجنوب الشرقى من محافظة جيآن . ولقد سميت باسم الرفيق خوانغ قونغ ليويه ، قائد الفيلق الثالث التابع للجيش الأحمر ، الذى استشهد هناك فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣١ ، من أجل تخليد ذكراه .

(٤) قرر تشيانغ كاى شيك بناء القلاع حول المناطق الحمراء كتكتيك عسكرى جديد لحملته الخامسة « للتطويق والابادة » ، وذلك فى اجتماع عسكرى عقد فى جبل لوشان من مقاطعة جيانغشى فى يوليو (تموز) ١٩٣٣ . وحسب الاحصاءات ، فان ٢٫٩٠٠ قلعة بنيت فى جيانغشى حتى نهاية يناير (كانون الثانى) ١٩٣٤ . ولقد لجأ المعتدون اليابانيون فيما بعد فى الصين الى نفس التكتيك فى قتالهم ضد الجيش الثامن والجيش الرابع الجديد . وقد برهنت الوقائع التاريخية تماما أن هذا التكتيك المضاد للثورة والخاص ببناء القلاع يمكن تحطيمه ودحره كليا باتباع المبادىء الاستراتيجية للرفيق ماو تسى تونغ عن الحرب الشعبية .

حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية

(٢٧ ديسمبر — كانون الأول — ١٩٣٥)

خصائص الوضع السياسى الراهن

أيها الرفاق ، لقد طرأت تغيرات كبيرة على الوضع السياسى فى الوقت الراهن . وقد حدد حزبنا على ضوء هذه التغيرات مهماته .

فما هو الوضع الراهن اذن ؟

ان الميزة الرئيسية للوضع الراهن هى أن الامبريالية اليابانية تريد أن تجعل الصين مستعمرة لها .

ويعلم الجميع أن الصين ظلت ، طوال مئة عام تقريبا ، بلدا شبه مستعمر يخضع للسيطرة المشتركة لعدة دول امبريالية . وقد استطاعت الصين بسبب

هذا تقرير قدمه الرفيق ماو تسى تونغ فى اجتماع المبادرين الحزبيين الذى عقد فى واياوباو فى شمالى شنشى ، بعد اجتماع المكتب السياسى للجنة الحزب الشيوعى الصينى المركزية المنعقد فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥ فى نفس المكان . وقد انتقد اجتماع المكتب السياسى هذا ، وهو من أهم الاجتماعات التى عقدتها لجنة الحزب المركزية ، وجهة النظر الخاطئة فى الحزب والقائلة بأنه يستحيل على البرجوازية الوطنية الصينية أن تتحالف مع العمال والفلاحين الصينيين من أجل مقاومة اليابان ، وقرر تبنى تكتيك تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة . وعلى أساس

نضال شعبها ضد الامبريالية والنزاعات القائمة بين الدول الامبريالية أن تحافظ على وضعيتها كبلد شبه مستقل . وقد مكنت الحرب العالمية الأولى الامبريالية اليابانية من فرض سيطرتها وحدها على الصين لفترة من الزمن . ولكن لم يكن للمعاهدة ذات المطالب الواحد والعشرين(١) التى وقعها حينذاك الخائن رقم واحد يوان شى كاى(٢) والتى تجعل الصين تخضع وتستسلم لليابان ، لم يكن لها بد من أن تصبح لاغية باطلة نتيجة لنضال الشعب الصينى ضد الامبريالية اليابانية ولتدخل الدول الامبريالية الأخرى . وفى مؤتمر الدول التسع الذى دعت اليه الولايات المتحدة فى واشنطن عام ١٩٢٢ ، عقد ميثاق(٣) وضع الصين من جديد تحت السيطرة المشتركة لعدة دول امبريالية . ولكن لم يمض وقت طويل حتى تبدلت الأوضاع من جديد ، اذ بدأت مع حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١(٤) مرحلة تحويل الصين الى مستعمرة لليابان . بيد أن العدوان اليابانى كان يقتصر موقتا على المقاطعات الشمالية الشرقية الأربع(٥) ، الأمر الذى جعل بعض الناس يحسبون أنه ليس من المؤكد أن الامبرياليين اليابانيين سيتقدمون أكثر من ذلك . أما اليوم فان الأمور تختلف ، اذ ظهرت هناك

قرارات المكتب السياسى ، أوضح الرفيق ماو تسى تونغ بصورة مستفيضة فى هذا التقرير امكانية وأهمية تأسيس الجبهة المتحدة من جديد مع البرجوازية الوطنية فى ظروف مقاومة اليابان ، وشدد على الدور القيادى ذى الأهمية الحاسمة الذى يلعبه الحزب الشيوعى والجيش الأحمر فى هذه الجبهة المتحدة ، كما أشار الى أن الثورة الصينية ثورة طويلة الأمد ، فدحض نزعة الباب المغلق التى تدل على ضيق الأفق ، ومرض التسرع فى الثورة اللذين سادا فى الحزب زمنا طويلا وكانا السبب الأساسى فيما تعرض له الحزب والجيش الأحمر من نكسات خطيرة خلال الحرب الأهلية الثورية الثانية . وفى نفس الوقت أهاب الرفيق ماو تسى تونغ بالحزب الى الانتباه الى الدرس التاريخى المستمد من فشل الثورة فى عام ١٩٢٧ نتيجة لانتهازية تشن دو شيو اليمينية ، وبين أن تشيانغ كاى شيك سيسعى بكل تأكيد الى تفتيت قوى الثورة ، وهكذا مكن الحزب فيما بعد من أن يظل صافى الذهن فى الظروف الجديدة ،

دلائل على أن الامبرياليين اليابانيين يريدون أن يتقدموا نحو جنوب السور العظيم ويحتلوا الصين كلها . انهم يريدون الآن أن يحولوا الصين من شبه مستعمرة تتقاسمها عدة دول امبريالية الى مستعمرة تحتكرها اليابان . وان حادثة شرقى خبى الأخيرة(٦) والمفاوضات الدبلوماسية(٧) التى جرت مؤخرا هى دلائل واضحة على هذا الاتجاه ، وهو أمر يهدد وجود الشعب فى جميع أرجاء البلاد . وفى مثل هذه الظروف ، تجد جميع الطبقات وجميع الجماعات السياسية فى الصين نفسها أمام هذا السؤال : ما العمل ؟ المقاومة أم الاستسلام ؟ أو التردد بين هذين الاتجاهين ؟

ولننظر الآن كيف تجيب الطبقات المختلفة فى الصين على هذا السؤال .

ان العمال والفلاحين فى الصين يطالبون كلهم بالمقاومة . وان ثورة ١٩٢٤—١٩٢٧ ، والثورة الزراعية منذ عام ١٩٢٧ حتى الوقت الراهن ، وموجات النضال ضد اليابان منذ حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ ، تثبت كلها أن طبقتى العمال والفلاحين فى الصين هما أشد القوى حزما فى الثورة الصينية .

والبرجوازية الصغيرة الصينية تطالب بالمقاومة أيضا . ألا ترون أن الطلاب

ويجنب قوى الثورة الخسائر على الرغم من مكائد تشيانغ كاى شيك المتواصلة وهجماته المسلحة الكثيرة . وكانت لجنة الحزب المركزية قد عقدت فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥ اجتماعا موسعا لمكتبها السياسى فى تسونيى بمقاطعة قويتشو ، حيث تشكلت قيادة جديدة للجنة المركزية برئاسة الرفيق ماو تسى تونغ بدلا من القيادة الانتهازية « اليسارية » السابقة . ولكن الاجتماع السالف الذكر ، نظرا لأنه عقد أثناء مسيرة الجيش الأحمر الكبرى ، ما كان يمكنه أن يتخذ القرارات الا بصدد القضايا العسكرية التى كانت فى أمس الحاجة الى الحل ، وقضية تنظيم سكرتارية اللجنة المركزية واللجنة العسكرية الثورية التابعة للجنة المركزية . ولم تتمكن لجنة الحزب المركزية من أن توضح بصورة منهجية القضايا المختلفة حول التكتيك فى المجال السياسى الا بعد أن وصل الجيش الأحمر الى شمالى شنشى فى المسيرة الكبرى . وقد قدم الرفيق ماو تسى تونغ فى هذا التقرير أكمل تحليل لهذه القضايا .

الشباب والبرجوازية الصغيرة فى المدن قد بدأوا حركة واسعة لمناهضة اليابان(٨) ؟ ان هذه العناصر البرجوازية الصغيرة فى الصين قد ساهمت فى ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ . وهم يعيشون ، كما يعيش الفلاحون ، فى مركز صغار المنتجين من الناحية الاقتصادية وتتنافى مصالحهم مع مصالح الامبريالية . وقد ألحقت بهم الامبريالية والقوى المعادية للثورة فى الصين أضرارا فادحة ، مما جعل عددا كبيرا منهم متعطلين ودفعهم الى الافلاس أو شبه الافلاس . واذ يرون الآن أنهم على وشك أن يصبحوا عبيدا لدولة أجنبية ، فانهم لا يجدون سبيلا الى الخلاص الا فى المقاومة .

ولكن ما هى مواقف البرجوازية الوطنية وطبقتى الكومبرادوريين وملاك الأراضى ازاء هذه المسألة ؟ وما هو موقف الكومينتانغ منها ؟

ان كبار العتاة المحليين والوجهاء الأشرار ، وكبار أمراء الحرب ، وكبار البيروقراطيين والكومبرادوريين قد حددوا اتجاهاتهم منذ زمن طويل . فقد قالوا وما زالوا يقولون ان الثورة (من أى نوع كانت) هى أسوأ من الامبريالية فى أى حال من الأحوال . ولقد شكلوا معسكرا من الخونة ، وبالنسبة اليهم لا توجد بتاتا مسألة ما اذا كان يمكن أن يصبحوا عبيدا لدولة أجنبية أم لا ، اذ أنهم قد فقدوا كل شعور بالوطنية وأصبحت مصالحهم لا تنفصل عن مصالح الامبريالية ، وزعيم زعمائهم ليس سوى تشيانغ كاى شيك(٩) . ان معسكر الخونة هذا هو ألد أعداء الشعب الصينى . ولولا وجود هذه الحفنة من الخونة لما تمادت الامبريالية اليابانية فى العدوان الى هذه الدرجة . انهم عملاء للامبريالية .

ومسألة البرجوازية الوطنية هى مشكلة معقدة . فقد اشتركت هذه الطبقة فى ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ، بيد أنها وقفت فيما بعد ، وقد هالها لهيب هذه الثورة ، الى جانب أعداء الشعب ، أعنى طغمة تشيانغ كاى شيك . والسؤال

الآن هو هل هناك احتمال فى حصول تغيرات من جانب البرجوازية الوطنية فى الظروف الراهنة ؟ اننا نعتقد أن هناك احتمالا فى ذلك . والسبب فى ذلك أن البرجوازية الوطنية هى غير طبقة ملاك الأراضى ولا طبقة الكومبرادوريين ، بل هناك فارق بينها وبين هاتين الطبقتين . فالبرجوازية الوطنية لا تتصف من الصفة الاقطاعية بالقدر الذى تتصف به طبقة ملاك الأراضى ، ولا تتسم من الصفة الكومبرادورية بالقدر الذى تتسم به طبقة الكومبرادوريين . وبين البرجوازية الوطنية قسم من الناس لهم ارتباطات أكثر بالرأسمال الأجنبى وبملكية الأراضى فى الصين ، وهم يشكلون الجناح اليمينى من هذه الطبقة ، ونحن لن نقدر فى الوقت الحاضر ما اذا كان من المحتمل أن يتغير موقف هؤلاء أم لا . والمشكلة هنا تتعلق بتلك الأقسام من هذه البرجوازية الوطنية ، التى ليست لها ارتباطات من هذا القبيل ، أو لها ارتباطات أقل . ونحن نعتقد أن من المحتمل أن يتغير موقف هذه الأقسام من البرجوازية الوطنية فى الوضع الجديد الذى تتعرض فيه الصين لخطر التحول الى مستعمرة . وخاصية هذا التغير هى تذبذبهم . انهم يكرهون الامبريالية من جهة ويخشون أن تصل الثورة الى نهايتها من جهة أخرى ، وهكذا يتذبذبون بين هذا وذاك . وهذا ما يعلل اشتراكهم فى الثورة فى مرحلة ما بين ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ، كما يعلل تحولهم فى نهاية هذه المرحلة الى جانب تشيانغ كاى شيك . ما هو الفارق بين الوضع الراهن والوضع عام ١٩٢٧ حين خان تشيانغ كاى شيك الثورة ؟ كانت الصين فى ذلك الحين لا تزال شبه مستعمرة ، لكنها تسير الآن فى طريق التحول الى مستعمرة . وفى السنوات التسع الماضية ، تخلت البرجوازية الوطنية عن حليفتها الطبقة العاملة ، وارتبطت بأواصر الصداقة مع طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين . لكن هل ربحت شيئا ؟ لا ، انها لم تربح شيئا على الاطلاق ، ان كل ما ربحته هو الافلاس التام أو

شبه الافلاس لمشاريعها الصناعية والتجارية . وبناء على هذا فاننا نعتقد أن موقف البرجوازية الوطنية يمكن أن يتغير فى الوضع الراهن . ولكن الى أى مدى سيكون التغير ؟ ان التذبذب سيكون الخاصية العامة لتغيرها . لكن قسما منها (الجناح اليسارى) يمكن أن يشترك فى النضال فى مراحل معينة من نضالنا ، أما القسم الآخر منها فيمكن أن ينتقل من التذبذب الى الحياد .

مصالح أى من الطبقات تلك التى يمثلها الجيش التاسع عشر الذى يقوده تساى تينغ كاى(١٠) وغيره ؟ انه يمثل مصالح البرجوازية الوطنية ، والفئة العليا من البرجوازية الصغيرة ، والفلاحين الأغنياء وملاك الأراضى الصغار فى الريف . أفلم يستمت تساى تينغ كاى وشركاؤه فى القتال ضد الجيش الأحمر ؟ بلى ، لكنهم عقدوا فيما بعد مع هذا الجيش تحالفا مناهضا لليابان ولتشيانغ كاى شيك على السواء . لقد هاجموا الجيش الأحمر لما كانوا فى جيانغشى ، لكنهم قاوموا الامبريالية اليابانية بعد انتقالهم الى شانغهاى ، ثم لما ذهبوا الى فوجيان اتفقوا مع الجيش الأحمر وفتحوا النار على تشيانغ كاى شيك . ومهما تكن الطريق التى سيسلكها تساى تينغ كاى وشركاؤه فى المستقبل ، ورغم أن حكومة فوجيان الشعبية كانت تتشبث وقتذاك بأساليبها القديمة فى الانصراف عن تعبئة الشعب من أجل النضال ، فيجب أن نعتبر أنه كان من الأعمال المفيدة للثورة أن يوجهوا النار التى كانوا يطلقونها فى الأصل على الجيش الأحمر ، نحو الامبريالية اليابانية وتشيانغ كاى شيك . وان هذا ليشكل انقساما داخل معسكر الكومينتانغ . وطالما أدت الظروف التى أعقبت حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ الى انفصال هذه الجماعة عن الكومينتانغ ، فلماذا لا يمكن أن تؤدى ظروف اليوم الى انقسام آخر داخل الكومينتانغ ؟ ويخطئ أولئك الناس فى حزبنا الذين يتمسكون بالنظرة القائلة بأن كل معسكر طبقتى ملاك الأراضى والبرجوازيين موحد وثابت ، وأنه لا يمكن فى أى

حال من الأحوال أن يطرأ عليه أي تبدل . هؤلاء يعجزون عن ادراك خطورة الحالة الراهنة ، وهم فوق ذلك قد نسوا التاريخ أيضا .

اسمحوا لى أن أعود فأتحدث قليلا عن الماضى. حدث فى عام ١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ ، حين تقدم الجيش الثورى نحو ووهان حتى استولى عليها ووصل الى خنان، أن انضم تانغ شنغ تشى وفنغ يو شيانغ(١١) الى صفوف الثورة . وكذلك تعاون فنغ يو شيانغ مع الشيوعيين فى مقاطعة تشاهار(١٢) لفترة من الزمن فى عام ١٩٣٣ من أجل تشكيل الجيش المتحالف ضد اليابان .

ولنأخذ مثلا بارزا آخر : ألم يقم الجيش السادس والعشرون الذى شارك الجيش التاسع عشر فى الهجوم على الجيش الأحمر فى جيانغشى ، بانتفاضة نينغدو(١٣) فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١ ، فتحول الى جزء من الجيش الأحمر ؟ ولقد أصبح قادة انتفاضة نينغدو ، وهم تشاو بوه شنغ ودونغ تشن تانغ وآخرون ، رفاقا راسخين فى الثورة .

ان الأعمال المناهضة للغزاة اليابانيين التى قام بها ما تشان شان(١٤) فى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث لتشكل انقساما آخر فى معسكر الحكام .

هذه الأمثلة جميعا تشير الى أنه عندما تصبح الصين كلها داخل محيط فعالية القنابل اليابانية ، وعندما يبدل الصراع سيره الطبيعى وينطلق فجأة الى الأمام بقوة جارفة ، سوف يحدث انقسام فى معسكر الأعداء .

والآن أيها الرفاق ، فلنلتفت الى مظهر آخر من المشكلة .

اذا اعترض بعضهم على آرائنا بحجة أن البرجوازية الوطنية الصينية ضعيفة سياسيا واقتصاديا معتقدين أنها لا يمكن أن تغير موقفها رغم أنها تعيش فى ظروف جديدة فهل رأيهم هذا صحيح ؟ أعتقد أن هذا الرأى غير صحيح أيضا . واذا قيل ان البرجوازية الوطنية لا يمكن أن تغير موقفها بسبب ضعفها ، فلماذا غيرت اذن موقفها الطبيعى فى فترة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ، اذ لم تتذبذب

فى موقفها فحسب بل انضمت فعلا الى صفوف الثورة ؟ أيمكن القول بأن ضعف البرجوازية الوطنية ليس مرضا حملته معها من رحم أمها بل هو مرض أصيبت به فيما بعد ؟ أ يمكن أن تكون هذه الطبقة ضعيفة اليوم ، لكنها لم تكن كذلك خلال تلك الفترة ؟ ان احدى الخصائص الرئيسية لسياسة البلد شبه المستعمر واقتصاده هى بالتحديد ضعف برجوازيته الوطنية . وهذا هو بالضبط السبب فى أن الامبريالية تجرؤ على اضطهاد هذه الطبقة ، الأمر الذى قرر احدى خصائص هذه الطبقة وهى كراهيتها للامبريالية . ومن الطبيعى أننا لا ننكر بل نعترف تماما بأن هذا الضعف هو أيضا السبب فى أن الامبرياليين وملاك الأراضى والكومبرادوريين يستطيعون بسهولة اجتذاب هذه الطبقة الى جانبهم بتقديم رشوة موقتة اليها كطعم لها ، وهذا ما قرر عدم مثابرتها على الثورة . ولكن لا يجوز لنا ، رغم ذلك كله ، أن نقول انه ليس فى الظروف الراهنة أى فارق بين البرجوازية الوطنية وبين طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين .

ولذا فقد أشرنا بصورة خاصة الى أن الانقسام سوف يحدث داخل معسكر الكومينتانغ عندما تبلغ أزمة الأمة مرحلتها الحرجة . وقد تجسد مثل هذا الانقسام فى تذبذب البرجوازية الوطنية وفى بروز شخصيات اشتهرت فترة من الزمن بمناهضتها لليابان أمثال فنغ يو شيانغ وتساى تينغ كاى وما تشان شان . هذه الحالة هى فى الأساس غير ملائمة للجانب المعادى للثورة بل هى ملائمة للثورة . وقد زاد من امكانية هذا الانقسام عدم التوازن فى تطورات الصين السياسية والاقتصادية ، وعدم التوازن الناتج عن ذلك فى تطورات الثورة .

أيها الرفاق ، هذا كل ما أردت التحدث عنه بخصوص الجوانب الأمامية الظاهرة من المسألة . فاسمحوا لى أن أتحدث الآن قليلا عن جوانبها الخلفية المستترة ، وهى أن بعض عناصر البرجوازية الوطنية هم فى كثير

من الأحيان محنكون فى خداع الجماهير الشعبية . لماذا ؟ لأن هذه الطبقة تضم الى جانب أولئك الذين يؤيدون باخلاص قضية الشعب الثورية ، عددا كبيرا من الذين يمكنهم أن يظهروا فى فترة من الزمن فى هيئة ثوريين أو أشباه ثوريين ، فيكتسبون من ذلك صفة تمكنهم من خداع الجماهير الشعبية بحيث يصعب عليها أن تدرك عدم مثابرتهم على الثورة وأن تدرك مظاهرهم الكاذبة ، الأمر الذى زاد من واجب الحزب الشيوعى فى نقد حلفائه وفضح الثوريين المزيفين وفى كسب القيادة . ان انكار احتمال تذبذب البرجوازية الوطنية وانضمامها الى صفوف الثورة خلال فترة الجيشان الشديد هو يعنى امكان الغاء مهمة حزبنا فى كسب القيادة أو تضييق نطاق هذه المهمة على الأقل . ذلك لأنه اذا ظهرت البرجوازية الوطنية فى سحنة الخونة البشعة ، تماما كما يفعل ملاك الأراضى والكومبرادوريون ، لأمكن لحزبنا أن يلغى تماما مهمته فى كسب القيادة أو يضيق من نطاق هذه المهمة على الأقل .

وعندما نقوم بتحليل عام لموقف طبقة ملاك الأراضى الصينيين والبرجوازية الصينية أثناء الجيشان الشديد ، ينبغى لنا أن نشير الى مظهر آخر أيضا ، ألا وهو انعدام الوحدة التامة حتى فى داخل معسكر طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين . والسبب فى ذلك يعود الى ظروف الصين كشبه مستعمرة ، الظروف التى تتنازع فيها دول امبريالية عديدة من أجل السيطرة على الصين . وعندما يكون نضالنا موجها ضد الامبريالية اليابانية ، فان كلاب الولايات المتحدة أو حتى كلاب بريطانيا قد يناضلون سرا أو حتى علنا ضد الامبرياليين اليابانيين وكلابهم ، وذلك حسب لهجة سادتهم . وفى الماضى أمثلة كثيرة عن مثل هذه الخصومات بين الكلاب ولا مجال لذكرها هنا . ولكنى سأذكر فقط أن خو هان مين(١٥) ، أحد ساسة الكومينتانغ الذى قام تشيانغ كاى شيك باعتقاله مرة ، قد وقع هو الآخر قبل زمن غير بعيد على وثيقة البرنامج ذى

النقاط الست من أجل مقاومة اليابان وانقاذ الوطن(١٦) ، الذى اقترحناه نحن . كما أن أمراء الحرب فى قوانغدونغ وقوانغشى(١٧) الذين يعتمد عليهم خو هان مين قاموا يعارضون بدورهم تشيانغ كاى شيك تحت هذين الشعارين المضللين : « استرداد الأراضى المفقودة» و « مقاومة اليابان وابادة قطاع الطرق(١٨) فى آن واحد » (أما شعار تشيانغ كاى شيك فهو « ابادة قطاع الطرق قبل مقاومة اليابان ») . أفلا يبدو لكم ذلك غريبا بعض الشىء ؟ أبدا ، لا غرابة فى ذلك اطلاقا ، اذ أنه ليس سوى مشهد ممتع للنزاع بين كلاب كبيرة وكلاب صغيرة ، وبين كلاب شباع وكلاب جائعة ، انه صدع لا كبير ولا صغير ، انه تناقض مزعج ومؤلم . ولكن هذا النزاع وهذا الصدع وهذا التناقض يعود بالنفع على الشعب الثورى . فيجب علينا أن نجمع فى يدنا جميع النزاعات والصدوع والتناقضات فى معسكر العدو ونستخدمها فى النضال ضد عدونا الرئيسى فى الوقت الراهن .

واذا لخصنا مسألة العلاقات الطبقية ، فيمكننا أن نقول ان التبدل الأساسى فى الوضع ، الناتج عن غزو الامبريالية اليابانية لأراضى الصين الواقعة فى جنوب السور العظيم ، قد أدى الى حدوث تبدلات فى العلاقات بين الطبقات المختلفة فى الصين ، والى تعزيز قوى المعسكر الوطنى الثورى واضعاف قوى المعسكر القومى المعادى للثورة .

فلنناقش الآن أوضاع المعسكر الوطنى الثورى فى الصين .

أولا ، وضع الجيش الأحمر . كما تعرفون أيها الرفاق أنه خلال سنة ونصف تقريبا قامت كل من القوات الثلاث للجيش الأحمر النظامى الصينى بتحركات كبيرة من مواقعها . وقد بدأت هذه التحركات من قبل الفيلق السادس بقيادة الرفيق رن بى شى(١٩) وآخرين ، اذ اتجه نحو المكان الذى تعسكر فيه قوات الرفيق خه لونغ فى أغسطس (آب) من السنة الماضية(٢٠) ،

وعلى اثر ذلك بدأنا نحن فى أكتوبر (تشرين الأول) تحركاتنا(٢١) . وفى مارس (آذار) من هذا العام ، شرعت قوات الجيش الأحمر المرابطة فى منطقة حدود سيتشوان — شنشى تحركاتها كذلك(٢٢) . ان هذه القوات الثلاث من الجيش الأحمر قد غادرت جميعا مواقعها الأصلية وانتقلت الى مناطق جديدة . وبسبب هذا الانتقال الجبار تحولت المناطق القديمة الى مناطق لحرب العصابات . كما أن الجيش الأحمر قد ضعف الى حد كبير فى مجرى الانتقال . واذا نظرنا الى هذا الجانب من الوضع العام وجدنا أن العدو قد أحرز انتصارا موقتا وجزئيا ، بينما تكبدنا نحن هزيمة موقتة وجزئية . هل هذا الاستنتاج صحيح ؟ أعتقد ذلك ، لأنه تعبير عن الحقيقة الواقعة . بيد أن بعض الناس (تشانغ قوه تاو(٢٣) مثلا) يقولون ان الجيش الأحمر المركزى(٢٤) قد منى بالهزيمة . هل هذا القول صحيح ؟ كلا ، لأن ذلك ليس الحقيقة الواقعة . فحين ينظر الماركسيون الى مسألة من المسائل يجب عليهم ألا ينظروا الى بعض جوانبها فحسب ، بل عليهم أن ينظروا اليها من جميع جوانبها. فاذا فرض أن ضفدعا قال وهو فى قعر بئر : « ما السماء الا بحجم فوهة البئر .» فهو مخطئ ، لأن حجم السماء أكبر من أن يعادله حجم فوهة البئر . أما اذا قال الضفدع : « ان جزءا معينا من السماء هو بحجم فوهة البئر » ، فهو على حق ، لأن ذلك يتفق مع الواقع . وهكذا فاننا نقول ان الجيش الأحمر قد فشل من جهة (أى فى المحافظة على مراكزه القديمة) ، لكنه قد انتصر من جهة أخرى (أى فى انجاز خطة المسيرة الكبرى) . أما بالنسبة الى العدو فانه قد انتصر فى جانب (أى فى احتلال مراكزنا القديمة) ، بيد أنه فشل فى جانب آخر (أى فى انجاز خطته الرامية الى « التطويق والابادة » و « المطاردة والابادة ») . فهذا هو القول الصحيح ، لأننا أنجزنا المسيرة الكبرى .

وما دام الحديث يدور عن المسيرة الكبرى فربما تساءل بعضكم : ما

هى أهمية هذه المسيرة ؟ اننا نجيب على ذلك بأن مسيرتنا الكبرى هى أول مسيرة من نوعها سجلها التاريخ ، وبأنها بيان وفرقة للدعاية وآلة بذارة . هل شهد التاريخ ، منذ أن فصل « بان قو » السماء عن الأرض وقامت سلطة الملوك الثلاثة والأباطرة الخمسة(٢٥) حتى يومنا هذا ، مسيرة كبرى مثل مسيرتنا هذه ؟ فطوال اثنى عشر شهرا كانت عشرات من طائرات العدو تحلق فوق رؤوسنا يوميا وتقوم بالاستكشافات وتلقى علينا القنابل ، وكانت فى الأرض مئات ألوف من قوات العدو تطاردنا وتحاول أن تحاصرنا وتعترض سبيلنا وتقطع علينا الطريق ، ولقد لاقينا فى طريقنا مصاعب ومخاطر لا توصف، لكننا قطعنا سيرا على الأقدام مسافة تزيد عن ٢٠٫٠٠٠ لى عبر احدى عشرة مقاطعة . ونود أن نتساءل ، هل عرف التاريخ مسيرة كبرى مثل مسيرتنا هذه ؟ كلا ، أبدا . ان المسيرة الكبرى بيان ، اذ أنها أعلنت للعالم أجمع أن رجال الجيش الأحمر هم أبطال بواسل ، وأن الامبرياليين وعملاءهم — تشيانغ كاى شيك وأمثاله — هم ضعفاء عاجزون ، كما أعلنت افلاس جميع المحاولات التى قام بها الامبرياليون وتشيانغ كاى شيك من أجل مطاردتنا ومحاصرتنا واعتراض سبيلنا . ان المسيرة الكبرى فرقة للدعاية أيضا ، اذ أنها قد أوضحت لحوالى مئتى مليون من أبناء الشعب فى الاحدى عشرة مقاطعة أن طريق الجيش الأحمر هو الطريق الوحيد الذى يؤدى الى تحررهم . كيف كان يمكن لهذه الجماهير الغفيرة ، لولا المسيرة الكبرى ، أن تعرف بمثل هذه السرعة وجود تلك الحقيقة العظمى فى الدنيا ، التى تتجسد فى الجيش الأحمر ؟ ان المسيرة الكبرى آلة بذارة أيضا ، اذ أنها قد بذرت بذورا كثيرة فى الاحدى عشرة مقاطعة ، وهى بذور سوف تنبت وتورق وتزهر وتثمر ، وتعطى حصادا فى المستقبل . وباختصار فقد انتهت المسيرة الكبرى بانتصارنا وهزيمة العدو . ومن الذى قاد هذه المسيرة الى النصر ؟ انه الحزب الشيوعى . فلو لا الحزب

الشيوعى لما كان من الممكن تصور القيام بمثل هذه المسيرة الكبرى . ان الحزب الشيوعى الصينى بأجهزته القيادية وكوادره وأعضائه لا يخاف من المصاعب أو المشقات . وان كل من يشك فى قدرتنا على قيادة الحرب الثورية سيقع فى مستنقع الانتهازية . وما ان انتهت المسيرة الكبرى حتى ظهر وضع جديد . ففى معركة تشيلوتشن ، حطم الجيش الأحمر المركزى بتضامن أخوى مع الجيش الأحمر فى منطقة الشمال الغربى حملة « التطويق والابادة »(٢٦) التى شنها الخائن تشيانغ كاى شيك ضد منطقة حدود شنشى — قانسو ، الأمر الذى وضع حجر الزاوية لمهمة لجنة الحزب المركزية فى انشاء مركز القيادة الوطنية للثورة فى شمال غربى الصين .

هذا هو الوضع فيما يتعلق بقوات الجيش الأحمر النظامى . فما هو الحال بالنسبة لحرب العصابات فى المقاطعات الجنوبية المختلفة ؟ لقد تعرضت قوات حرب العصابات فى الجنوب لبعض النكسات ، لكنها لم تسحق . وانها قد أخذت تنتعش من جديد فى كثير من الأماكن ، وتنمو وتتوسع(٢٧) .

وفى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ ، بدأ نضال العمال ينطلق من داخل المصانع الى خارجها ويتحول من المجال الاقتصادى الى مجال سياسى . ان النضال البطولى ضد اليابان والخونة ليختمر بشدة فى الوقت الحاضر داخل الطبقة العاملة ، وانه فيما يبدو ، سوف ينفجر فى المستقبل القريب .

أما نضال الفلاحين فلم يتوقف على الاطلاق . ان الفلاحين الذين يعيشون تحت وطأة العدوان الأجنبى والاضطرابات الداخلية والكوارث الطبيعية ، قد بدأوا نضالات واسعة النطاق تتخذ أشكال حرب العصابات والانتفاضات الجماهيرية والاضطرابات وقت المجاعات والأشكال الأخرى . ان حرب العصابات المناهضة للغزاة اليابانيين التى تدور رحاها فى المقاطعات الشمالية الشرقية وفى شرقى خبى(٢٨) ، ترد حاليا على هجمات الامبريالية اليابانية .

لقد شهدت الحركة الطلابية تطورات عظيمة ، ومن المؤكد أنها ستشهد مزيدا من التطورات فى المستقبل . ولكن هذه الحركة لا يمكن أن تدوم ولا أن تتخطى سياج الأحكام العرفية التى فرضها الخونة وتحبط سياسة التخريب والتقتيل التى يطبقها الشرطة ورجال المخابرات والمسئولون العديمو الشرف فى ميدان التعليم والفاشيون ، الا اذا تناسقت مع نضالات العمال والفلاحين والجنود .

أما قضية تذبذب البرجوازية الوطنية والفلاحين الأغنياء وملاك الأراضى الصغار فى الريف ، وحتى امكانية انضمامهم الى النضال المعادى لليابان ، فقد بحثناها آنفا .

ان الأقليات القومية ، وقومية منغوليا الداخلية على الأخص ، التى تتعرض مباشرة لتهديد الامبريالية اليابانية ، قد هبت الآن للنضال . ولسوف يلتقى نضالهم فى المستقبل مع نضال الشعب فى شمالى الصين ومع نشاطات الجيش الأحمر فى الشمال الغربى .

ان كل ما ذكرناه يبرهن على أن الثورة تسير فى اتجاه التحول من نطاق اقليمى الى نطاق وطنى ، وفى اتجاه التحول التدريجى من عدم التوازن فى تطوراتها الى درجة معينة من التوازن . واننا نعيش اليوم فى عشية تبدلات عظيمة ، فان مهمة الحزب هى تشكيل جبهة وطنية ثورية متحدة وذلك عن طريق ربط نشاطات الجيش الأحمر بسائر نشاطات العمال والفلاحين والطلاب والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية فى مختلف أرجاء البلاد .

الجبهة الوطنية المتحدة

بعد أن أمعنا النظر فى الأوضاع المتعلقة بكل من الجانب المعادى للثورة

والجانب الثورى ، أصبح من السهل علينا أن نوضح مهمات الحزب التكتيكية .

ما هى مهمة الحزب التكتيكية الأساسية ؟ انها ليست سوى تأسيس جبهة وطنية ثورية متحدة واسعة .

عندما تحدث تبدلات فى الوضع الثورى ، ينبغى أن تقابلها تبدلات فى التكتيك الثورى وفى أساليب القيادة الثورية . ان مهمة الامبرياليين اليابانيين وعملائهم والخونة هى تحويل الصين الى مستعمرة ، بينما مهمتنا نحن هى تحويل الصين الى قطر مستقل حر محافظ على وحدة أراضيه .

وان تحقيق استقلال الصين وحريتها لمهمة عظيمة . وهو يتطلب منا أن نحارب الامبريالية الأجنبية والقوى المحلية المعادية للثورة . لقد صممت الامبريالية اليابانية على غزو الصين بشراسة . وان القوى المحلية المعادية للثورة ، قوى طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين ، ما زالت اليوم متفوقة على قوى الشعب الثورية . ولذلك لا يمكن أن ننجز مهمة الاطاحة بالامبريالية اليابانية والقوى المعادية للثورة فى الصين خلال يوم أو يومين ، بل يجب أن نستعد لخوض نضال طويل الأمد فى سبيل ذلك . وكذلك لا يمكن أن نحقق هذه المهمة معتمدين على قوى صغيرة ، بل يجب أن نجمع وندخر قوى جبارة . ان القوى المعادية للثورة فى الصين وفى كل العالم قد ازدادت ضعفا ، بينما القوى الثورية فى الصين وفى كل العالم قد ازدادت قوة وبأسا بالنسبة لما كانت عليه . هذا تقدير صحيح وهو يعبر عن جانب واحد من المسألة . ولكن ينبغى لنا فى الوقت نفسه أن نشير الى أن القوى المعادية للثورة فى الصين وفى كل العالم ما زالت فى الوقت الحاضر متفوقة على القوى الثورية تفوقا موقتا . وهذا تقدير صحيح أيضا ، وهو يمثل جانبا آخر من المسألة . وان عدم التوازن فى تطورات الصين السياسية والاقتصادية أدى الى تطورات الثورة غير المتوازنة . فدائما ما تبدأ الثورة وتتطور وتنتصر أولا فى الأماكن

التى تكون القوى المعادية للثورة فيها ضعيفة نسبيا ، بينما هى لم تحدث بعد أوهى تتطور ببطء شديد فى الأماكن التى تكون تلك القوى فيها شديدة البأس . وهذا هو الوضع الذى واجهته الثورة الصينية خلال فترة طويلة فى الماضى . فيمكننا أن نتنبأ بأن الوضع الثورى العام سوف يتطور تطورا أكثر فى مراحل معينة فى المستقبل ، ولكن عدم التوازن هذا سيظل موجودا . وان تحويل عدم التوازن الى توازن عام يتطلب زمنا طويلا وجهودا كبيرة ، كما يتوقف على تطبيق الحزب خطا تكتيكيا صحيحا . واذا كانت الحرب الثورية التى قادها الحزب الشيوعى السوفياتى (٢٩) قد انتهت فى ثلاث سنوات ، فان الحرب الثورية التى يقودها الحزب الشيوعى الصينى ، رغم أنها قد استغرقت منا فيما مضى وقتا طويلا جدا ، فلا بد أن نخصص لها فترة معينة أخرى من الزمن لكى نستطيع التخلص من القوى المحلية والأجنبية المعادية للثورة بصورة نهائية تامة . أما التسرع المفرط الذى حصل منا فى الماضى ، فلن يعود علينا بالنفع أبدا . وبالاضافة الى ذلك ينبغى أن نضع تكتيكا ثوريا سليما ، اذ أننا لن ننجز مطلقا أعمالا عظيمة اذا قيدنا أنفسنا فى دائرة ضيقة لا نخرج منها كما فعلنا فى الماضى . وأنا لا أقول ان الأمور فى الصين لا يمكن انجازها الا على مهل ؛ انه يجب علينا أن ننجزها بسرعة وجرأة ، ذلك لأن خطر الاستعباد الذى يهدد الوطن لا يسمح لنا بالتهاون والتراخى ولو لحظة واحدة . ومن المؤكد أن الثورة ستتطور ، من الآن فصاعدا ، تطورا أسرع بكثير مما كانت عليه ، لأن كلا من الصين والعالم على وشك الدخول فى مرحلة جديدة — مرحلة حرب وثورة . ومع كل ذلك ، ستظل الحرب الثورية فى الصين حربا طويلة الأمد ، وهو أمر قد حددته قوة الامبريالية وتطورات الثورة غير المتوازنة . وقد قلنا ان الميزة الخاصة للوضع الراهن هى أن مدا عاليا جديدا من الثورة الوطنية على وشك الحدوث ، وأن الصين تعيش فى عشية ثورة عظيمة

جديدة تشمل الوطن كله ، وهذه هي احدى الميزات الخاصة للوضع الثورى الحاضر . وهذه حقيقة واقعة ، وهي تعبر عن جانب واحد من المسألة . ولكنا قلنا في الوقت نفسه ان الامبريالية لا تزال قوة لا يستهان بها ، وان عدم التوازن في تطور القوى الثورية لا يزال يشكل نقطة ضعف خطيرة ، فيجب علينا كي نهزم أعداءنا أن نكون على استعداد لخوض حرب طويلة الأمد ، وتلك هي الميزة الخاصة الأخرى للوضع الثورى الحاضر . هذه أيضا حقيقة واقعة ، وهي تعبر عن جانب آخر من المسألة . وان كلتا الميزتين ، كلتا الحقيقتين الواقعتين تعلمنا وتتطلب منا أن نتكيف مع الظروف الراهنة ، وأن نبدل تكتيكنا وأساليب تنظيم قواتنا لخوض القتال . ان الوضع الراهن يتطلب منا أن نتخلى بجرأة عن نزعة الباب المغلق ونشكل جبهة متحدة واسعة ونحذر من نزعة المغامرة . فلا ينبغي أن نخوض غمار المعارك الحاسمة بتهور واندفاع قبل أن يحين أوانها وقبل أن نملك القوى الضرورية لذلك .

لا أناقش هنا العلاقة بين نزعة الباب المغلق ونزعة المغامرة ، ولا الأخطار التي يحتمل أن تجلبها نزعة المغامرة عندما تحدث تطورات خطيرة الشأن في المستقبل ، بل يمكنني أن أترك ذلك الى مناقشات مقبلة . وأكتفي هنا بالاشارة الى أن تكتيك الجبهة المتحدة وتكتيك الباب المغلق هما تكتيكان مختلفان يقفان على طرفي نقيض .

فالتكتيك الأول يرمي الى حشد قوى كبيرة بهدف محاصرة العدو وابادته .

أما التكتيك الثاني فهو يعني أن نخوض بمفردنا معركة يائسة ضد عدو جبار .

يقول أنصار تكتيك الجبهة المتحدة انه بدون تقدير كامل للتبدلات التي ستطرأ على المعسكر الثورى والمعسكر المعادى للثورة في الصين نتيجة لمحاولات الامبريالية اليابانية الرامية الى تحويل الصين الى مستعمرة لها ، فلا يمكن أن نضع تقديرا كاملا لامكانية تشكيل جبهة وطنية ثورية متحدة واسعة ؛

وبدون تقدير كامل لنقاط القوة والضعف لدى القوى المعادية للثورة فى اليابان والصين على السواء ولدى القوى الثورية فى الصين ، فلا يمكن أن نضع تقديرا كاملا لضرورة تشكيل جبهة وطنية ثورية متحدة واسعة ولا أن نتخذ اجراءات حازمة لتحطيم نزعة الباب المغلق ولا أن نستخدم هذه الجبهة كسلاح لتنظيم وتوحيد الملايين والملايين من الجماهير الشعبية وجميع القوى التى يمكن أن تصبح صديقة للثورة ، لتتقدم فى مهاجمة هدفنا الرئيسى — الامبريالية اليابانية وأتباعها من الخونة الصينيين ، ولا يمكن كذلك أن نصوب هذا السلاح التكتيكى نحو الهدف الرئيسى الذى يجابهنا حاليا ، بل سوف نصوبه نحو أهداف متعددة ، وبالتالى فلن نستطيع اصابة العدو الرئيسى برصاصنا بل سنصيب به أعداء أقل شأنا وحتى حلفاءنا . هذا يعنى الفشل فى تحديد العدو الرئيسى وتبديد الذخيرة . وبهذه الطريقة يستحيل علينا أن نسوق الأعداء الى مواقع منعزلة ضيقة ، كما يستحيل علينا أن نجتذب الى صفوفنا ، من معسكر العدو ومن جبهته ، جميع أولئك الذين انضموا اليه مجبرين ، والذين كانوا فى الماضى أعداءنا لكنهم قد يصبحون اليوم أصدقاء لنا . واذا فعلنا ذلك فاننا قد ساعدنا العدو فى واقع الأمر ، مما يؤدى الى ايقاف عجلة الثورة وعزل قواها وتضييق نطاقها ودفعها نحو الجزر وحتى السير بها الى طريق الهزيمة .

أما دعاة تكتيك الباب المغلق فيقولون ان هذه الأقوال السالفة الذكر كلها خاطئة ، فلا بد أن تكون القوى الثورية نقية كاملة النقاوة ، كما أن طريق الثورة يجب أن تكون مستقيمة غاية الاستقامة . ولا يوجد قط قول صحيح سوى ما تتضمنه الكتب المقدسة . فالبرجوازية الوطنية بأسرها ستظل معادية للثورة الى أبد الدهر . ولا يجوز لنا أن نقدم أى تنازل للفلاحين الأغنياء ، كما يجب أن نستميت فى نضالنا ضد نقابات العمال الصفراء . واذا صافحنا

تساى تينغ كاى فلا بد لنا ، فى اللحظة التى نصافحه فيها ، أن ندعوه : يا عدوالثورة . وهل وجدت فى يوم من الأيام قطة لا تحب السمك ، أوأمير حرب لا يعادى الثورة ؟ لا يمكن للمثقفين أن يظلوا ثوريين لأكثر من ثلاثة أيام ، فمن الخطر تجنيدهم فى صفوفنا . ومن هنا يبرز هذا الاستنتاج : ان نزعة الباب المغلق هى المفتاح السحرى الوحيد ، أما الجبهة المتحدة فهى تكتيك انتهازى .

أيها الرفاق ، أيهما صحيحة ، نظرة الجبهة المتحدة أم نظرة الباب المغلق ؟ وأى نظرة منهما توافق عليها الماركسية اللينينية يا ترى ؟ أنا أجيب دون أدنى تردد : انها توافق على الجبهة المتحدة وتعارض نزعة الباب المغلق . ان بين أبناء البشرية أطفالا فى الثالثة من العمر ، وهم قد يحملون كثيرا من النظرات والآراء الصحيحة ، ولكن لا يمكن تكليفهم بشؤون الدولة الخطيرة أو بقضايا العالم الخطيرة ، لأنهم لا يفهمونها . ان الماركسية اللينينية تعارض « مرض الطفولة » فى الصفوف الثورية . والآراء التى يدعو اليها أولئك الذين يتشبثون بتكتيك الباب المغلق ، هى على وجه التحديد آراء المصابين بهذا المرض . وان الثورة ، شأنها شأن سائر الأشياء والنشاطات فى العالم ، لا تسير فى طريق مستقيم ، بل تسير دائما فى طريق ملتو . وقد تطرأ تبدلات على جبهة الثورة والجبهة المعادية للثورة كما هى حال سائر الأشياء فى العالم . وان التكتيك الجديد الذى يتبناه الحزب ، وهو تشكيل جبهة متحدة واسعة ، لينطلق من الحقيقتين الأساسيتين التاليتين : ان الامبريالية اليابانية تصر على تحويل كل الصين الى مستعمرة لها ، وان القوى الثورية الصينية الحالية ما زالت تعانى ضعفا خطيرا . وان ما تحتاج اليه القوى الثورية اليوم فى سبيل شن الهجوم على القوى المعادية للثورة هو تنظيم الملايين والملايين من الجماهير الشعبية وتعبئة الجيش الثورى الجرار . وان مثل هذه القوة وحدها تستطيع أن تسحق الامبريالية اليابانية وعملاءها والخونة ، وهذه هى حقيقة جلية أمام أعين جميع

الناس . ولذلك فان تكتيك الجبهة المتحدة هو وحده تكتيك ماركسى لينينى . أما تكتيك الباب المغلق فهو على النقيض من ذلك تكتيك انعزالى ، اذ أنه سيؤدى الى طرد « الملايين والملايين من الجماهير الشعبية » و « الجيش الجرار » الى جانب العدو ، تماما كما جاء فى المثل : « طرد الأسماك الى حيث الماء أعمق ، والعصافير الى حيث الأدغال » ، وهو أمر لن ينال الا تهليل العدو واستحسانه . ففى الواقع أن دعاة نزعة الباب المغلق هم العبيد الأوفياء للامبرياليين اليابانيين وعملائهم والخونة ، وعليه فان ما يسمونه بـ « نقى » و « مستقيم » هو بالضبط ما تصفعه الماركسية اللينينية وما تمتدحه الامبريالية اليابانية . يجب علينا أن نرفض نزعة الباب المغلق ، ان ما نريده هو الجبهة الوطنية الثورية المتحدة التى تسحق الامبريالية اليابانية وعملاءها والخونة سحقا تاما .

الجمهورية الشعبية(٣٠)

اذا كانت حكومتنا فى الماضى تقوم على أساس التحالف بين العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن ، فينبغى لنا من الآن فصاعدا أن نجعلها تضم ، فضلا عن العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن ، العناصر التى تريد أن تشارك فى الثورة الوطنية والتى تنتمى الى سائر الطبقات الأخرى .

ان المهمة الأساسية لمثل هذه الحكومة هى فى الوقت الراهن مناهضة مساعى الامبريالية اليابانية الرامية الى ابتلاع الصين . وسوف تتوسع دائرة تركيب هذه الحكومة بحيث يمكن أن ينضم اليها أولئك الذين يميلون فقط الى تأييد الثورة الوطنية دون الثورة الزراعية ، وحتى أولئك الذين لا يعارضون الامبريالية الأوربية والأمريكية لما لهم بها من علاقات لكنهم يستطيعون معارضة الامبريالية

اليابانية وعملائها ، يمكنهم أيضا الانضمام الى هذه الحكومة اذا شاؤوا . ولذلك يجب أن يكون برنامج مثل هذه الحكومة قائما على أساس مبدئي وهو أن يتفق مع المهمة الأساسية - مقاومة الامبريالية اليابانية وعملائها ، وعلى هذا الأساس نعدل سياستنا الماضية تعديلا ملائما .

ان خاصية الجانب الثورى فى الوقت الراهن هى وجود حزب شيوعى متمرس وجيش أحمر مجرب فى آن واحد . وهذه هى قضية ذات أهمية عظمى . ولولا وجود هذا الحزب وذلك الجيش فى الوقت الراهن فستظهر مصاعب كبرى . لماذا ؟ لأن العملاء والخونة فى الصين كثيرون وأقوياء أيضا ، ومن المؤكد أنهم سيبتكرون كل وسيلة ممكنة لتقويض هذه الجبهة المتحدة ويلجأون الى وسائل الارهاب والاغراء ، والمراوغة والمناورة لبذر بذور الشقاق بين صفوف الجبهة كما أنهم سيستخدمون قواتهم المسلحة لمضايقة تلك القوى التى هى أضعف منهم والتى تريد أن تنفصل عن الخونة وتشاركنا فى محاربة اليابان ، ولسحقها واحدة بعد أخرى . ومن الصعوبة أن نتفادى حدوث ذلك اذا كانت الحكومة المعادية لليابان والجيش المعادى لليابان يفتقران الى هذا العامل الحيوى - الحزب الشيوعى والجيش الأحمر . وان السبب الرئيسى الذى أدى الى فشل الثورة عام ١٩٢٧ يعود الى أن أصحاب الخط الانتهازى الذى كان يسود الحزب الشيوعى لم يبذلوا جهودا فى توسيع صفوفنا (أى توسيع حركات العمال والفلاحين ، وتوسيع صفوف القوات المسلحة التى يقودها الحزب الشيوعى) ، بل كانوا يعتمدون فقط على الكومينتانغ الحليف الموقت . وكانت النتيجة أن الامبريالية أصدرت أوامرها الى أتباعها - ملاك الأراضى والكومبرادوريين بالعمل ، فمد هؤلاء آلاف الأيدى واستطاعوا اجتذاب تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى على التوالى الى جانبهم ، الأمر الذى انتهى بالثورة الى الفشل . وفى ذلك الوقت لم تكن للجبهة الثورية المتحدة

ركيزة أساسية تستند اليها ، ولم تكن لها قوات مسلحة ثورية قوية ، فلذلك اضطر الحزب الشيوعى ، عندما وقعت التمردات على الثورة من كل حدب وصوب ، الى أن يقاتل وحده ، فلم يقدر على احباط تكتيك الامبريالية والقوى المعادية للثورة فى الصين ، ذلك التكتيك الذى كان يهدف الى تحطيم خصومها واحدا بعد آخر . وبالرغم من أنه كانت عندنا قوة مسلحة بقيادة خه لونغ ويه تينغ ، الا أنها لم تكن قوة متوطدة سياسيا ، وفضلا عن ذلك فان الحزب لم يحسن قيادتها ، بحيث انتهت هى الأخرى بالهزيمة . وكان ذلك درسا دفعنا ثمنه من دمائنا ، درسا يوضح لنا أن افتقار القوى الثورية الى نواة صلبة سوف يؤدى الى فشل الثورة . أما اليوم فقد اختلفت الأمور ، اذ أصبح لدينا حزب شيوعى قوى وجيش أحمر قوى ، كما أصبحت لدينا قواعد لهذا الجيش . وان الحزب الشيوعى والجيش الأحمر لا يقومان فى الوقت الراهن بدور المبادر فى الدعوة الى تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان فحسب ،بل لا بد أن يصبحا فى المستقبل السند المنيع للحكومة المعادية لليابان والجيش المعادى لليابان ، فيمنعان بذلك الامبرياليين اليابانيين وتشيانغ كاى شيك من تحقيق غايتهم فى تنفيذ سياستهم الرامية الى تقويض الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . ولا شك أنهم سوف يستخدمون بالتأكيد كل وسيلة ممكنة للارهاب والاغراء ، والمراوغة والمناورة بهدف التفرقة وتأليب البعض على البعض الآخر ، ولذلك ينبغى أن نكون فى غاية اليقظة تجاههم .

وفيما يتعلق بالقطاعات المتعددة المنضمة الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، لا يمكننا طبعا أن نتوقع أن يتصف كل قطاع منها بمثل هذا الثبات الذى يتصف به الحزب الشيوعى والجيش الأحمر ، اذ أنه من المحتمل أن يحدث ، فى سياق النشاطات التى تباشرها هذه القطاعات ، انسحاب عناصر سيئة من هذه الجبهة بتأثير العدو ، بيد أننا لا نخشى من انسحاب

مثل هذه العناصر . فان عناصر أخرى جيدة ستنضم الى الجبهة بتأثيرنا حين تنسحب تلك العناصر السيئة بتأثير العدو . ومن المؤكد أنه ما دام الحزب الشيوعى والجيش الأحمر موجودين ونامبين ، فان الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ستظل هى الأخرى موجودة ونامية . وهنا يتجلى الدور القيادى الذى يلعبه الحزب الشيوعى والجيش الأحمر فى الجبهة الوطنية المتحدة . ان الشيوعيين اليوم لم يعودوا أطفالا صغارا ، فقد أصبحوا يحسنون التصرف فى شؤونهم وكذلك يحسنون معالجة علاقاتهم مع حلفائهم . واذا كان فى استطاعة الامبرياليين اليابانيين وتشيانغ كاى شيك اللجوء الى المراوغة والمناورة لتفرقة القوى الثورية وتأليب بعضها على بعض ، فان فى استطاعة الحزب الشيوعى أن يعمل لتفرقة القوى المعادية للثورة وتفكيك وحدتها . واذا كانوا يستطيعون أن يجتذبوا العناصر السيئة من صفوفنا ، ففى استطاعتنا طبعا أن نجتذب بدورنا « العناصر السيئة » (العناصر الجيدة بالنسبة الينا) من صفوفهم . واذا استطعنا أن نجتذب من معسكر العدو عددا أكبر من الناس ، فان صفوفه ستتقلص وصفوفنا ستتوسع . وباختصار فان الوضع الراهن هو أن قوتين أساسيتين تتنازعان ، ومن البدهى أن سائر القوى الوسطية ستنحاز اما الى هذا الطرف واما الى ذاك . وان للسياسة التى يتبناها الامبرياليون اليابانيون لاستعباد الصين وسياسة خيانة الوطن التى ينتهجها تشيانغ كاى شيك ، لا يمكن الا أن تدفعا قوى عديدة الى جانبنا ، فهى اما أن تنضم مباشرة الى صفوف الحزب الشيوعى والجيش الأحمر ، واما أن تتحالف معهما فى جبهة متحدة ، وسوف تتحقق هذه الغاية ما دمنا لا ننتهج تكتيك الباب المغلق .

لماذا يجب تحويل جمهورية العمال والفلاحين الى جمهورية شعبية ؟

ان حكومتنا لا تمثل العمال والفلاحين فحسب ، بل تمثل الأمة بأسرها . لقد كان ذلك مفهوما بالأصل من شعار الجمهورية الديمقراطية للعمال والفلاحين ،

لأن العمال والفلاحين يشكلون ٨٠ الى ٩٠ بالمئة من السكان . وان البرنامج ذا النقاط العشر(٣١) الذى أقره المؤتمر الوطنى السادس لحزبنا ، لا يمثل مصالح العمال والفلاحين فحسب ، بل يمثل مصالح الأمة بأسرها ، بيد أن الظروف الراهنة تحملنا على تبديل هذا الشعار وتحويله الى شعار جمهورية شعبية ، والسبب فى ذلك يعود الى أن العدوان اليابانى قد غير العلاقات الطبقية فى الصين بحيث أصبح لا فى امكان البرجوازية الصغيرة فحسب بل فى امكان للبرجوازية الوطنية أيضا أن تنضم الى النضال ضد اليابان .

ومما لا شك فيه أن الجمهورية الشعبية لا تمثل مصالح الطبقات المعادية ، بل انها على النقيض من ذلك ، تتخذ موقف العداء التام من كلاب الامبريالية — ملاك الأراضى والكومبرادوريين ، ولا تعتبرهم فى عداد الشعب . وبالمثل فان « الحكومة الوطنية لجمهورية الصين » التابعة لتشيانغ كاى شيك ، تمثل كبار الأثرياء فقط من دون عامة الشعب الذين لا تعتبرهم فى عداد « المواطنين » . ونظرا لأن ما بين ٨٠ و٩٠ بالمئة من سكان الصين يتألف من العمال والفلاحين فانه يجب على الجمهورية الشعبية أولا وقبل كل شيء أن تمثل مصالحهم . ولكن اذا أزاحت هذه الجمهورية اضطهاد الامبريالية وحققت بذلك للصين الحرية والاستقلال ، وأزاحت الاضطهاد الذى يباشره ملاك الأراضى وخلصت الصين بذلك من النظام شبه الاقطاعى ، فان ذلك سوف لا يعود بالنفع على العمال والفلاحين فحسب ، بل على سائر الفئات من أبناء الشعب أيضا . ان مجموع مصالح العمال والفلاحين وسائر أبناء الشعب يشكل مصالح الأمة الصينية . وان طبقة الكومبرادوريين وطبقة ملاك الأراضى ، لا تكترثان بمصالح الأمة على الرغم من أنهما تعيشان على التربة الصينية أيضا ، وذلك لأن مصالحهما تتعارض مع مصالح غالبية الشعب . ولما كنا لا ننبذ الا هذه الحفنة الصغيرة ولا نتعارض الا معها ، فان لنا الحق فى أن ندعو أنفسنا ممثلين للأمة جمعاء .

وهناك تعارض فى المصالح أيضا بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية . ولن نتمكن من توسيع الثورة الوطنية بنجاح اذا لم نمنح الطبقة العاملة — طليعة الثورة الوطنية حقوقا سياسية واقتصادية ولم نمكنها من اظهار قوتها فى النضال ضد الامبريالية وعملائها من الخونة . ولكن اذا انضمت البرجوازية الوطنية الى الجبهة المتحدة ضد الامبريالية ، فقد ارتبطت الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية بمصالح مشتركة . وان الجمهورية الشعبية لن تعمد فى عهد الثورة الديمقراطية البرجوازية الى نزع الأملاك الخاصة باستثناء أملاك الامبريالية والاقطاعية ، ولا الى مصادرة المشاريع الصناعية والتجارية التابعة للبرجوازية الوطنية بل ستشجع نموها . واننا سنحمى كل رأسمالى وطنى ما دام لا يساند الامبرياليين والخونة الصينيين . وان الصراع بين العمال والرأسماليين محدود فى مرحلة الثورة الديمقراطية . وان قانون العمل فى الجمهورية الشعبية يحمى مصالح العمال ، الا أنه لا يعارض فى اثراء الرأسماليين الوطنيين أو فى تطور مشاريعهم الصناعية والتجارية ، لأن هذا التطور ليس فى صالح الامبريالية بل فى صالح الشعب الصينى . وهكذا فانه من الواضح أن الجمهورية الشعبية سوف تمثل مصالح الفئات المختلفة من أبناء الشعب التى تناهض الامبريالية والقوى الاقطاعية . وان حكومة هذه الجمهورية تتخذ العمال والفلاحين دعامة رئيسية لها ، ولكنها ستشمل أيضا ممثلى سائر الطبقات التى تناهض الامبريالية والقوى الاقطاعية .

ولكن ، أ ليس من الخطورة أن ندع هؤلاء الممثلين يشتركون فى حكومة الجمهورية الشعبية ؟ كلا . ان العمال والفلاحين هم الجماهير الأساسية فى هذه الجمهورية . وحينما نعطى البرجوازية الصغيرة فى المدن والمثقفين وسائر العناصر التى تؤيد البرنامج المعادى للامبريالية والاقطاعية حق الكلام والعمل فى حكومة الجمهورية الشعبية وحق التصويت والترشيح ، يجب ألا

نخالف مصالح الجماهير الأساسية أى العمال والفلاحين . ويجب أن يركز الجزء الأساسى لبرنامجنا على حماية مصالح هذه الجماهير الأساسية . وبما أن ممثليهم يشكلون الأكثرية فى هذه الحكومة وأن الحزب الشيوعى يباشر قيادته ونشاطاته فيها ، فسيكون هناك ضمان بأن اشتراك ممثلى تلك العناصر فيها لا يشكل خطرا من الأخطار . ومن الواضح كل الوضوح أن الثورة الصينية فى المرحلة الراهنة ما زالت ثورة ديمقراطية برجوازية وليست ثورة اشتراكية بروليتارية . ان التروتسكيين(٣٢) المعادين للثورة هم وحدهم الذين يتشدقون بأن الثورة الديمقراطية البرجوازية قد أنجزت فى الصين ، وأنه اذا كانت هناك ثورة لاحقة فلا يمكن الا أن تكون ثورة اشتراكية . كانت ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ثورة ديمقراطية برجوازية ، الا أنها لم تنجز ، بل باءت بالفشل . وان الثورة الزراعية التى نقودها منذ عام ١٩٢٧ حتى اليوم هى ثورة ديمقراطية برجوازية أيضا ، اذ أن مهمة هذه الثورة هى مناهضة الامبريالية والاقطاعية وليست مناهضة الرأسمالية . وسوف تبقى الثورة كذلك لفترة لاحقة طويلة .

ان القوى المحركة للثورة لا تزال فى الأساس العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن ، بيد أنه يمكن الآن أن تضم اليها البرجوازية الوطنية .

ان التحول فى الثورة هو من المهمات المقبلة . فمن المؤكد أن الثورة الديمقراطية سوف تتحول فى المستقبل الى ثورة اشتراكية . أما متى سيتحقق هذا التحول فذلك أمر يتوقف على توفر الشروط اللازمة ، وهو سوف يتطلب زمنا طويلا . وينبغى ألا نعلن التحول بطيش ، قبل أن تتوفر جميع الشروط الضرورية فى المجال السياسى والاقتصادى ، وقبل أن يصبح هذا التحول مفيدا وليس مضرا بالأغلبية الساحقة من أبناء الشعب فى جميع أرجاء البلاد . وانه لمن الخطأ أن تساورنا الشكوك حول هذا وأن نتوقع حدوث هذا التحول خلال زمن قصير ، كما فعل بعض الرفاق فى الماضى اذ كانوا يزعمون أن

التحول فى الثورة سيبدأ منذ اللحظة الأولى لانتصار الثورة الديمقراطية فى بعض المقاطعات الرئيسية . وذلك لأنهم أخفقوا فى ادراك أى نوع من البلدان هى الصين من حيث الأوضاع السياسية والاقتصادية ، فكانوا لا يعرفون أن الصين ، اذا قورنت بروسيا ، ستقابل صعوبات أكثر وتحتاج الى زمن أطول وجهود أعظم ، فى سبيل انجاز الثورة الديمقراطية سياسيا واقتصاديا .

التأييد الأممى

وأخيرا ، فمن الضرورى أن أتحدث قليلا عن العلاقة بين الثورة الصينية والثورة العالمية .

فمنذ أن ظهر ذلك الشيطان أى الامبريالية الى الوجود ، أصبحت الأمور فى العالم مترابطة ترابطا وثيقا بحيث يستحيل الفصل بينها . ونحن الأمة الصينية نملك تلك الروح البطولية التى تدفعنا الى خوض غمار الحروب الدامية ضد أعدائنا حتى النهاية ، واننا لعازمون على استرداد أرضنا المفقودة وأمجاد أمتنا بجهودنا الخاصة ، ولنا القدرة على الوقوف على أقدامنا بين مجموعة أمم العالم . ولكن هذا لا يعنى أنه يمكننا أن نستغنى عن التأييد الأممى . كلا ، فالتأييد الأممى ضرورى بالنسبة الى النضال الثورى لكل بلد وكل أمة فى العصر الحاضر . وقال القدماء : « لم تكن ثمة حروب عادلة فى عصر الربيع والخريف . »(٣٣) أما فيما يتعلق بالامبريالية اليوم ، فهذا أكثر صوابا ، وان الأمم المضطهدة (بفتح الهاء) والطبقات المضطهدة (بفتح الهاء) وحدها تخوض غمار حروب عادلة . ان سائر تلك الحروب فى العالم التى هبت الشعوب فيها ضد مضطهديها هى حروب عادلة . لقد كانت ثورتا فبراير (شباط) وأكتوبر (تشرين الأول) فى روسيا هما من الحروب العادلة .

وكانت الثورات الشعبية التى اندلعت فى بلدان أوربية مختلفة بعد الحرب العالمية الأولى حروبا عادلة. أما فى الصين، فان حرب الأفيون(٣٤)، وحرب مملكة التايبينغ السماوية(٣٥)، وحرب يى خه توان(٣٦)، والحرب الثورية عام ١٩١١(٣٧)، والحملة الشمالية عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧، وحرب الثورة الزراعية منذ عام ١٩٢٧ حتى يومنا هذا، والحرب الراهنة لمقاومة اليابان ومعاقبة الخونة، كل هذه حروب عادلة. وفى المد العالى للنضال الراهن ضد اليابان على نطاق البلاد بأسرها والنضال ضد الفاشية فى العالم أجمع، ستعم الحروب العادلة كل الصين وكل العالم. ان جميع الحروب العادلة يؤيد بعضها بعضا ويجب تحويل جميع الحروب غير العادلة الى حروب عادلة — هذا هو الخط اللينينى(٣٨). ان الحرب التى نخوضها ضد اليابان تحتاج الى تأييد شعوب العالم، وقبل كل شيء تأييد الشعب السوفياتى، ومن المؤكد أن هذه الشعوب ستساعدنا، لأننا نشاركها فى السراء والضراء. لقد عزل تشيانغ كاى شيك القوى الثورية الصينية عن القوى الثورية العالمية خلال المرحلة الماضية، وبهذا المعنى كنا معزولين، ولكن الوضع قد تغير الآن وصار ملائما لنا. وسوف يتغير باستمرار من الآن فصاعدا فى اتجاه مصلحتنا. ولن نكون بعد الآن معزولين. وذلك شرط ضرورى لتحقيق النصر فى حرب الصين لمقاومة اليابان وفى الثورة الصينية.

ملاحظات

(١) قدم الامبرياليون اليابانيون واحدا وعشرين مطلبا الى حكومة يوان شى كاى الصينية فى ١٨ يناير (كانون الثانى) ١٩١٥. وفى ٧ مايو (أيار) أرسلوا اليها انذارا نهائيا يطالبونها فيه بالرد خلال ثمان وأربعين ساعة. وكانت هذه المطالب مقسمة الى خمسة أقسام، فالأقسام الأربعة الأولى تتضمن ما يلى: تحويل الحقوق

التى اغتصبتها ألمانيا فى مقاطعة شاندونغ الى اليابان ؛ ومنح اليابان حقوقا اضافية فى هذه المقاطعة ؛ ومنح اليابانيين حق استئجار الأرض أو امتلاكها فى منشوريا الجنوبية ومنغوليا الشرقية ، وحق الاقامة والاشتغال بالصناعة والتجارة ، واحتكار حق بناء السكك الحديدية واستخراج المعادن هناك ؛ وتحويل شركة هان - يه - بينغ للحديد والفولاذ الى مؤسسة صينية يابانية مشتركة ؛ وامتناع الصين عن ايجار أو تسليم أى مرفأ أو جزيرة على سواحل الصين الى أية دولة ثالثة . وكان القسم الخامس يشتمل على مطالب ترمى الى اغتصاب حق السيطرة على شؤون الصين السياسية والمالية والعسكرية وعلى شرطتها ، واغتصاب حق بناء سكك حديدية رئيسية تربط بين مقاطعات خوبى وجيانغشى وقوانغدونغ . ولقد قبل يوان شى كاى كل المطالب باستثناء القسم الخامس الذى صرح بأنه « سوف يترك شأنه لمشاورات لاحقة » . ولكن مطالب اليابان هذه لم تنفذ بسبب المعارضة الاجماعية التى أبداها الشعب الصينى .

(٢) كان يوان شى كاى زعيم أمراء الحرب الشماليين فى أواخر أيام حكم أسرة تشينغ . وبعد أن أطاحت ثورة ١٩١١ بحكم هذه الأسرة ، اغتصب يوان رئاسة الجمهورية وشكل أول حكومة لأمراء الحرب الشماليين وهى حكومة تمثل طبقتى كبار ملاك الأراضى وكبار الكومبرادوريين ، وقد قام بذلك معتمدا على القوات المسلحة المعادية للثورة وعلى تأييد الامبرياليين ، ومستفيدا كذلك من صفة المصالحة لدى البرجوازية التى كانت تقود الثورة آنذاك . وفى عام ١٩١٥ أراد أن يصبح امبراطورا ، وفى سبيل الحصول على تأييد الامبرياليين اليابانيين ، قبل المطالب الواحد والعشرين التى كانت اليابان ترمى من ورائها الى السيطرة بمفردها على كل الصين . وفى ديسمبر (كانون الأول) من نفس العام ، انفجرت فى مقاطعة يوننان انتفاضة موجهة ضد نصب يوان شى كاى نفسه امبراطورا ، وسرعان ما نالت الاستجابة والتأييد من مختلف أنحاء البلاد . ومات يوان شى كاى ببكين فى يونيو (حزيران) ١٩١٦ .

(٣) فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢١ ، دعت حكومة الولايات المتحدة مندوبى الصين وبريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا والبرتغال واليابان ، بالاضافة الى مندوب الولايات المتحدة ، الى مؤتمر الدول التسع فى واشنطن . ولم يكن ذلك المؤتمر فى الحقيقة سوى صراع بين الولايات المتحدة واليابان من أجل السيطرة على الشرق الأقصى . وفى ٦ فبراير (شباط) ١٩٢٢ ، عقد ميثاق بين الدول التسع على أساس المبدأ الذى تقدمت به الولايات المتحدة - مبدأ « تكافؤ الفرص أمام

جميع الأمم فى الصين » و « الباب المفتوح » . وكان الهدف من هذا الميثاق هو خلق وضع تستطيع فيه القوى الامبريالية أن تسيطر سيطرة مشتركة على الصين ، وأن تمهد فى الواقع الطريق أمام الامبريالية الأمريكية للانفراد بالسيطرة على الصين وذلك لاحباط خطط اليابان للانفراد بالسيطرة على الصين .

(٤) فى ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ ، هاجم « جيش قواندونغ » اليابانى ، المرابط فى شمال شرقى الصين ، مدينة شنيانغ واستولى عليها . وبناء على أوامر تشيانغ كاى شيك بـ « عدم المقاومة على الاطلاق » ، انسحبت القوات الصينية المرابطة فى شنيانغ والمناطق الأخرى من الشمال الشرقى (جيش الشمال الشرقى) الى جنوب شانهايقوان ومن ثم احتلت القوات اليابانية على وجه السرعة مقاطعات لياونينغ ، وجيلين ، وخيلونغجيانغ . والشعب الصينى يسمى عادة عدوان الغزاة اليابانيين هذا « حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) » .

(٥) المقاطعات الشمالية الشرقية الأربع كانت وقتذاك هى مقاطعات لياونينغ وجيلين وخيلونغجيانغ ورهخه الواقعة بشمال الصين الشرقى (وتضم هذه المنطقة اليوم مقاطعات لياونينغ وجيلين وخيلونغجيانغ ، والجزء الشمالى الشرقى من مقاطعة خبى الواقع شمال السور العظيم ، والجزء الشرقى من منطقة منغوليا الداخلية ذات الحكم الذاتى – المعرب) ، وبعد وقوع حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ ، استولت القوات اليابانية المعتدية على لياونينغ وجيلين وخيلونغجيانغ ، ثم استولت على رهخه عام ١٩٣٣ .

(٦) فى ٢٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٥ ، أسس الخائن ين رو قنغ من رجال الكومينتانغ ، بايعاز من اليابانيين ، سلطة عميلة تسمى بـ « ادارة الحكم الذاتى المعادية للشيوعيين فى شرقى خبى » وهى تشمل ٢٢ محافظة فى شرقى مقاطعة خبى . وصار ذلك معروفا بـ « حادثة شرقى خبى » .

(٧) تقصد بها المفاوضات التى جرت بين حكومة تشيانغ كاى شيك والحكومة اليابانية بخصوص ما يسمى بـ « مبادئ هيروتا الثلاثة » ، أى « المبادئ الثلاثة للتعامل مع الصين » التى تقدم بها هيروتا وزير خارجية اليابان وقتذاك ، وهى بالتحديد : ١ – أن تحرم الصين كل الحركات المعادية لليابانيين ؛ ٢ – اقامة تعاون اقتصادى بين الصين واليابان و« منشوريا » ؛ ٣ – الدفاع المشترك بين الصين واليابان ضد الشيوعية . وفى ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٦ ، قال هيروتا فى خطابه الذى ألقاه فى البرلمان اليابانى ، ان « الحكومة الصينية قد قبلت المبادئ الثلاثة التى اقترحتها الامبراطورية . »

(٨) شهد عام ١٩٣٥ نهوضا جديدا فى الحركة الوطنية الشعبية على نطاق البلاد . ففى يوم ٩ ديسمبر (كانون الأول) ، بادر الطلاب فى بكين الى القيام بمظاهرة وطنية تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، هاتفين بشعارات مثل « أوقفوا الحرب الأهلية واتحدوا لمقاومة العدوان الأجنبى » ، و«لتسقط الامبريالية اليابانية » . وقد تخطت هذه الحركة سياج حكم الارهاب الذى باشرته حكومة الكومينتانغ منذ زمن طويل بالتحالف مع الغزاة اليابانيين ، وسرعان ما نالت المساندة والتأييد من الجماهير الشعبية فى جميع أرجاء البلاد . وقد عرفت فيما بعد بـ « حركة ٩ ديسمبر (كانون الأول) » . ونتيجة لذلك ، طرأت تغيرات جديدة واضحة على العلاقات بين الطبقات المختلفة فى البلاد بأسرها ، وأصبحت سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، التى اقترحها الحزب الشيوعى الصينى ، سياسة يدعو اليها جميع الوطنيين بصورة علنية ، وبذلك انعزلت حكومة تشيانغ كاى شيك الى أبعد الحدود بسبب سياسة الخيانة التى تنتهجها .

(٩) فى الوقت الذى قدم فيه الرفيق ماو تسى تونغ هذا التقرير ، كان تشيانغ كاى شيك يقوم ببيع شمالى الصين لليابان بعد أن باع لها الشمال الشرقى ، وكان فى الوقت نفسه يواصل الحرب بنشاط ضد الجيش الأحمر . لذلك كان يجب على الحزب الشيوعى الصينى أن يبذل قصارى جهده كى يفضح وجهه الحقيقى كخائن للوطن . ولهذا السبب أيضا لم يدرج اسم تشيانغ كاى شيك وقتذاك فى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التى اقترحها الحزب الشيوعى الصينى ، الا أن الرفيق ماو تسى تونغ قد أشار فى هذا التقرير الى الانقسام الذى يحتمل أن يحدث فى معسكر طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين فى الصين نتيجة للتناقضات بين الدول الامبريالية . وقد وقع فيما بعد تصادم خطير بين مصالح الامبرياليين اليابانيين ومصالح الامبرياليين الانجلوأمريكيين نتيجة لهجوم اليابان على شمالى الصين ، فاستنتج الحزب الشيوعى الصينى من ذلك أن طغمة تشيانغ كاى شيك الوثيقة الارتباط بمصالح الامبرياليين الانجلوأمريكيين قد تغير موقفها حيال اليابان تنفيذا لأوامر أسيادها ، ولذلك تبنى الحزب سياسة اجبار تشيانغ كاى شيك على التحول الى مقاومة اليابان . وفى مايو (أيار) ١٩٣٦ ، توجه الجيش الأحمر مباشرة ، لدى عودته من شانشى الى شمالى شنشى ، بنداء يطالب فيه حكومة الكومينتانغ فى نانكين بوقف الحرب الأهلية وتحقيق الوحدة ضد اليابان . وفى أغسطس (آب) من نفس العام ، أرسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى رسالة الى اللجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ تطالبها بتشكيل

جبهة متحدة ثنائية ضد اليابان واجراء مفاوضات بين ممثلى الحزبين . لكن تشيانغ كاى شيك رفض هذه الاقتراحات . ولم يضطر الى قبول طلب الحزب الشيوعى لوقف الحرب الأهلية ومقاومة اليابان الا فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ عندما اعتقل فى شيآن من قبل ضباط جيش الكومينتانغ الذين كانوا يدعون الى الاتحاد مع الحزب الشيوعى لمقاومة اليابان .

(١٠) كان تساى تينغ كاى نائب قائد الجيش التاسع عشر للكومينتانغ وقائدا لأحد فيالقه ، وكان هو وتشن مينغ شو وجيانغ قوانغ ناى مسئولين عن هذا الجيش . وكان هذا الجيش يقاتل الجيش الأحمر فى جيانغشى ، ثم نقل الى شانغهاى بعد حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) . وقد ترك المد العالى لمقاومة الغزاة اليابانيين الذى أثاره الشعب يومذاك فى شانغهاى وفى جميع أرجاء البلاد أثرا بليغا فى الجيش التاسع عشر . فعندما هاجم مشاة البحرية اليابانية شانغهاى فى ليلة ٢٨ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٢ ، هب هذا الجيش لمقاومة الغزاة جنبا الى جنب مع شعب شانغهاى ، الا أن مقاومتهم هذه فشلت بسبب خيانة تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى . ثم أرسل الجيش مرة أخرى ، بأمر من تشيانغ كاى شيك ، الى فوجيان لقتال الجيش الأحمر . ولكن قادة هذا الجيش بدأوا يدركون تدريجيا عدم جدوى مثل هذا القتال . ففى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٣ ، تعاونوا مع قوة من رجال الكومينتانغ تابعة لى جى شن وغيره ، وأعلنوا جهارا انفصالهم عن تشيانغ كاى شيك . وأقاموا فى فوجيان « الحكومة الثورية الشعبية لجمهورية الصين » ، وعقدوا مع الجيش الأحمر اتفاقية خاصة بمقاومة اليابان ومعارضة تشيانغ كاى شيك . وقد انهزم الجيش التاسع عشر وانهارت حكومة فوجيان الشعبية تحت ضغط قوات تشيانغ كاى شيك . ومنذ ذلك الحين تحول تساى تينغ كاى وغيره تدريجيا الى اتخاذ موقف التعاون مع الحزب الشيوعى .

(١١) عندما وصل جيش الحملة الشمالية الثورى الى ووهان فى سبتمبر (أيلول) ١٩٢٦ ، أعلن فنغ يو شيانغ فى مقاطعة سوييوان (قد ألغيت هذه المقاطعة عام ١٩٥٤ فضمت أرضها الى منطقة منغوليا الداخلية ذات الحكم الذاتى — المعرب) على رأس القـوات التى تحت قيادته ، انفصاله عن فريق أمراء الحرب الشماليين وانضمامه الى الثورة . وفى أوائل ١٩٢٧ تحركت قواته من شنشى لمهاجمة مقاطعة خنان بالتعاون مع جيش الحملة الشمالية . وقد ساهم فنغ يو شيانغ فى النشاطات المعادية للحزب الشيوعى بعد خيانة تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى للثورة عام ١٩٢٧ ، الا أن مصالحه ظلت مع ذلك تتعارض مع مصالح طغمة تشيانغ كاى شيك . وبعد

حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ، صار يؤيد المقاومة ضد اليابان ، وفى مايو (أيار) ١٩٣٣ ، تعاون مع الحزب الشيوعى فى تشكيل الجيش الشعبى المتحالف المناهض للغزاة اليابانيين فى تشانغجياكو . وباءت هذه الانتفاضة بالفشل فى أغسطس (آب) تحت ضغط قوات تشيانغ كاى شيك والقوات اليابانية المعتدية . وواصل تعاونه مع الحزب الشيوعى فى السنوات الأخيرة من حياته .

(١٢) ألغيت هذه المقاطعة عام ١٩٥٢ فضمت أرضها الى مقاطعتى خبى وشانشى — المعرب .

(١٣) أرسل تشيانغ كاى شيك الجيش السادس والعشرين للكومينتانغ الى مقاطعة جيانغشى لمهاجمة الجيش الأحمر . وفى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١ ، قام أكثر من عشرة آلاف ضابط وجندى من ذلك الجيش ، بقيادة تشاوبوه شنغ ودونغ تشن تانغ وغيرهما من الرفاق ، بانتفاضة فى نينغدو بمقاطعة جيانغشى وانضموا الى الجيش الأحمر ، وذلك تلبية لنداء الحزب الشيوعى الصينى الى مقاومة اليابان .

(١٤) كان ما تشان شان ضابطا فى جيش الشمال الشرقى للكومينتانغ ، وكانت قواته مرابطة فى مقاطعة خيلونغجيانغ . وبعد حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ، قاتلت قواته الغزاة اليابانيين الذين كانوا يزحفون نحو خيلونغجيانغ عن طريق لياونينغ .

(١٥) خو هان مين سياسى كومينتانغى شهير ، عارض سياسة الدكتور صون يات صن الداعية الى التعاون مع الحزب الشيوعى الصينى ، وكان شريكا لتشيانغ كاى شيك فى انقلابه المعادى للثورة فى ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ . ولكنه اعتقل فيما بعد على يد تشيانغ كاى شيك ، لأنه كان ينازعه السلطة . وأطلق سراحه بعد حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) فذهب من نانكين الى قوانغتشو حيث حرض أمراء حرب قوانغدونغ وقوانغشى على معارضة حكومة تشيانغ كاى شيك فى نانكين ، ونتيجة لذلك عارضوها لمدة طويلة .

(١٦) « البرنامج ذو النقاط الست من أجل مقاومة اليابان وانقاذ الوطن » يقصد به « البرنامج الأساسى للشعب الصينى فى مقاومة اليابان » الذى اقترحه الحزب الشيوعى الصينى عام ١٩٣٤ ، ونشر بتوقيع سونغ تشينغ لينغ (عقيلة صون يات صن) وآخرين . ويتضمن هذا البرنامج النقاط التالية : ١ — تعبئة كافة القوات البرية والبحرية والجوية لمقاتلة الغزاة اليابانيين ؛ ٢ — تعبئة الشعب بأسره ؛ ٣ — تسليح كل الشعب ؛ ٤ — مصادرة أملاك الامبرياليين اليابانيين فى الصين وأملاك الخونة لسد نفقات حرب المقاومة ؛ ٥ — تشكيل لجنة لعموم الصين من

أجل الدفاع الوطنى المسلح تنتخب من قبل ممثلى العمال والفلاحين والجنود والطلاب والتجار ؛ ٦ – التحالف مع كل القوى المعادية للامبرياليين اليابانيين ، واقامة علاقات صداقة مع جميع البلدان التى تحافظ على الحياد عن حسن نية .

(١٧) أمراء الحرب هؤلاء هم تشن جى تانغ فى قوانغدونغ ، ولى تسونغ رن وباى تشونغ شى فى قوانغشى .

(١٨) كانت عصابة تشيانغ كاى شيك تسمى الشعب الثورى بـ « قطاع الطرق » وتسمى هجماتها المسلحة على الشعب الثورى ومذابحها بـ « ابادة قطاع الطرق » .

(١٩) كان الرفيق رن بى شى أحد الأعضاء والمنظمين الأوائل فى الحزب الشيوعى الصينى . وقد انتخب عضوا فى اللجنة المركزية فى المؤتمر الوطنى الخامس للحزب عام ١٩٢٧ وفى كل من المؤتمرين اللذين عقدا بعده . وفى الدورة العامة الرابعة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السادس للحزب المنعقدة فى عام ١٩٣١ ، انتخب عضوا فى المكتب السياسى للجنة المركزية . وفى عام ١٩٣٣ عين الرفيق رن بى شى أمينا للجنة المقاطعة فى منطقة حدود خونان – جيانغشى وقومسارا سياسيا فى الفيلق السادس التابع للجيش الأحمر . وعندما توحد الفيلق السادس والثانى وتشكل منهما جيش الجبهة الثانية ، عين قومسارا سياسيا لهذا الجيش . وفى السنوات الأولى من حرب المقاومة ضد اليابان كان يتولى منصب مدير الدائرة السياسية العامة للجيش الثامن . وبدأ عام ١٩٤٠ يعمل فى أمانة لجنة الحزب المركزية . وفى الدورة العامة الأولى للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السابع للحزب المنعقدة عام ١٩٤٥ ، انتخب مرة أخرى عضوا فى المكتب السياسى وعضوا فى الأمانة . وتوفى فى بكين فى ٢٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٠ .

(٢٠) كان الفيلق السادس التابع للجيش الأحمر الصينى للعمال والفلاحين يرابط فى منطقة قاعدة حدود خونان – جيانغشى . وفى أغسطس (آب) ١٩٣٤ بدأ ، بأمر من لجنة الحزب المركزية ، يخترق حصار العدو للانتقال الى مراكز أخرى . وفى أكتوبر (تشرين الأول) من نفس العام التقى فى شرقى مقاطعة قويتشو مع الفيلق الثانى الذى يقوده الرفيق خه لونغ ، فتشكل من هذين الفيلقين جيش الجبهة الثانية التابع للجيش الأحمر ، فقام هذا الجيش بانشاء القاعدة الثورية فى حدود خونان – خوبى – سيتشوان – قويتشو .

(٢١) فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٤ ، انطلق كل من الفيلق الأول والثالث والخامس التابعة للجيش الأحمر الصينى للعمال والفلاحين (يتكون منها

جميعا جيش الجبهة الأولى التابع للجيش الأحمر والمعروف أيضا باسم الجيش الأحمر المركزى) من تشانغتينغ ونينغخوا فى غربى فوجيان ورويجين ويودو وأماكن أخرى فى جنوبى جيانغشى فبدأت تنقلات استراتيجية عظيمة . لقد اجتاز الجيش الأحمر الصينى احدى عشرة مقاطعة هى : فوجيان وجيانغشى وقوانغدونغ وخونان وقوانغشى وقويتشو وسيتشوان ويوننان وشيكانغ (كانت شيكانغ مقاطعة من مقاطعات الصين ، ثم ألغيت عام ١٩٥٥ ، فضمت بعض مناطقها الى مقاطعة سيتشوان وبعضها الآخر الى منطقة التبت ذات الحكم الذاتى - المعرب) وقانسو وشنشى ، وتسلق جبالا عالية تتوجها الثلوج طول العام ، وعبر مستنقعات يندر أن تطأها قدم انسان ، وتكبد مصاعب بالغة لا توصف ، وحطم محاولات العدو المتكررة من حصار ومطاردة وعرقلة واعتراض لطريقه ، وقطع فى مسيرته المتواصلة هذه مسافة ٢٥٠٠٠ لى (١٢٥٠٠ كيلومتر) ، حتى وصل ظافرا الى منطقة القاعدة الثورية فى شمالى شنشى فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٥ .

(٢٢) المقصود من الجيش الأحمر فى منطقة حدود سيتشوان - شنشى هو جيش الجبهة الرابعة التابع للجيش الأحمر الصينى للعمال والفلاحين . فى مارس (آذار) ١٩٣٥ ، غادر هذا الجيش قاعدته فى منطقة حدود سيتشوان - شنشى منتقلا الى حدود مقاطعتى سيتشوان وشيكانغ . وفى يونيو (حزيران) من نفس العام ، التقى هذا الجيش مع جيش الجبهة الأولى فى ماوقونغ فى غربى سيتشوان وتوحد معه ، ثم تقدما شمالا فى قسمين : جيش الجناح الأيسر وجيش الجناح الأيمن . ولكن عندما بلغ الجيشان منطقة ماورقاى القريبة من سونغبان فى سبتمبر (أيلول) ، قاد تشانغ قوه تاو الذى كان يعمل فى جيش الجبهة الرابعة ، جيش الجناح الأيسر واتجه به نحو الجنوب مخالفا بذلك أوامر اللجنة المركزية ومحاولا خلق انقسام داخل الجيش الأحمر . وفى يونيو (حزيران) ١٩٣٦ ، تقابل فى قانتسى بمقاطعة شيكانغ جيش الجبهة الرابعة وجيش الجبهة الثانية الذى وصل اليها بعد أن اخترق حصار العدو وغادر منطقة حدود خونان - خوبى - سيتشوان - قويتشو ، ومر فى طريقه بمقاطعات خونان وقويتشو ويوننان . وعندئذ بدأ الرفاق فى جيش الجبهة الرابعة يتحركون شمالا مع جيش الجبهة الثانية مخالفين رغبة تشانغ قوه تاو . ففى أكتوبر (تشرين الأول) ، وصل جيش الجبهة الثانية كله وقسم من جيش الجبهة الرابعة الى شمالى شنشى حيث التقيا بجيش الجبهة الأولى بنجاح .

(٢٣) تشانغ قوه تاو أحد المرتدين عن الثورة الصينية . انضم فى شبابه الى الحزب الشيوعى الصينى من أجل استغلال الثورة كفرصة لتحقيق أغراضه الشخصية .

وارتكب فى حق الحزب جرائم جسيمة من جراء أخطائه الكثيرة . ومن أكثرها خطورة أنه نشر الروح الانهزامية وروح التصفية بأن عارض عام ١٩٣٥ مسيرة الجيش الأحمر نحو الشمال ، ودعا الى انسحاب الجيش الأحمر الى مناطق الأقليات القومية فى حدود سيتشوان وشيكانغ ، وفضلا عن ذلك قام بخيانات علنية ضد الحزب واللجنة المركزية ، فشكل لجنة مركزية صورية وعمل على تقويض وحدة الحزب والجيش الأحمر وسبب خسائر فادحة لجيش الجبهة الرابعة التابع للجيش الأحمر . ولكن بفضل الأعمال التثقيفية الصبورة التى قام بها الرفيق ماو تسى تونغ ولجنة الحزب المركزية ، سرعان ما عاد جيش الجبهة الرابعة وكوادره العديدون ووقفوا من جديد تحت قيادة اللجنة المركزية الصحيحة ، ولعبوا دورا مشرفا فى النضالات التى تلت ذلك . أما تشانغ قوه تاو فقد ظل غير قابل للاصلاح ، وفى ربيع ١٩٣٨ هرب بمفرده من منطقة حدود شنشى – قانسو – نينغشيا وانضم الى طغمة جواسيس الكومينتانغ .

(٢٤) يقصد بالجيش الأحمر المركزى جيش الجبهة الأولى التابع للجيش الأحمر الذى نظم ونما فى منطقة جيانغشى – فوجيان والذى كان تحت القيادة المباشرة للجنة الحزب الشيوعى الصينى المركزية .

(٢٥) قيل فى الأساطير الصينية ان « بان قو » هو خالق العالم وأول حاكم للجنس البشرى . كما قيل ان الملوك الثلاثة والأباطرة الخمسة هم حكام الصين فى أقدم العصور – المعرب .

(٢٦) فى يوليو (تموز) ١٩٣٥ بدأت قوات الكومينتانغ حملة « التطويق والابادة » الثالثة ضد القاعدة الثورية فى منطقة شنشى – قانسو . وقد هزم الفيلق الـ ٢٦ من الجيش الأحمر ، المرابط بشمالى شنشى ، لواءين من قوات الأعداء فى الجبهة الشرقية وطرد جميع الأعداء فى تلك الجبهة الى شرق النهر الأصفر . وفى سبتمبر (أيلول) من نفس العام ، وصلت قوات الفيلق الـ ٢٥ التابع للجيش الأحمر ، الذى كان مرابطا فى منطقة خوبى – خنان – آنخوى القاعدية الى شمالى شنشى عبر جنوبى شنشى وشرقى قانسو ، فالتقت هذه القوات مع قوات الجيش الأحمر بشمالى شنشى وتشكل منهما الفيلق الـ ١٥ . وفى حملة جبل لاوشان قرب محافظة قانتشيوان أباد هذا الفيلق معظم رجال فرقة العدو الـ ١١٠ وقتل قائد الفرقة ، وعلى اثر ذلك أباد أربع كتائب من قوات فرقة العدو الـ ١٠٧ فى يولينتشياو بمحافظة قانتشيوان . ثم نظم العدو هجوما جديدا ، فزحفت خمس فرق بقيادة دونغ يينغ بين (قائد فيلق فى جيش الشمال الشرقى) من جهتين : ففى الشرق زحفت فرقة منها نحو الشمال على

الطريق الممتد بين لوتشوان وفوشيان ، وفى الغرب تحركت الفرق الأربع الأخرى من محافظتى تشينغيانغ وخشوى فى قانسو وزحفت بمحاذاة نهر خولو نحو محافظة فوشيان بشمالى شنشى . وفى أكتوبر (تشرين الأول) ، وصل الجيش الأحمر المركزى الى شمالى شنشى . وفى الشهر التالى أباد الجيش الأحمر المركزى ، متعاونا مع الفيلق الـ ١٥ ، فرقة العدو الـ ١٠٩ فى تشيلوتشن جنوب غربى فوشيان ، وسحق فوجا من فرقة العدو الـ ١٠٦ فى خيشويسى أثناء المطاردة . وهكذا تحطمت تماما حملة « التطويق والابادة » الثالثة التى شنها العدو ضد منطقة قاعدة شنشى — قانسو .

(٢٧) عندما تحركت القوات الرئيسية للجيش الأحمر فى جنوبى الصين نحو الشمال فى ١٩٣٤ — ١٩٣٥ ، خلفت وراءها بعض الوحدات لتباشر حرب العصابات . وقد ثابرت هذه الوحدات على حرب العصابات فى المناطق الأربع عشرة التالية فى ثمانى مقاطعات : جنوبى تشجيانغ ، شمالى فوجيان ، شرقى فوجيان ، جنوبى فوجيان ، غربى فوجيان ، شمال شرقى جيانغشى ، حدود فوجيان — جيانغشى ، حدود قوانغدونغ — جيانغشى ، جنوبى خونان ، حدود خونان — جيانغشى ، حدود خونان — خوبى — جيانغشى ، حدود خوبى — خنان — آنخوى ، جبال تونغبو فى جنوبى خنان وجزيرة هاينان من مقاطعة قوانغدونغ .

(٢٨) بعد أن استولت الامبريالية اليابانية على شمال شرقى الصين فى عام ١٩٣١ ، وجه الحزب الشيوعى الصينى نداء يدعو فيه الشعب الى المقاومة المسلحة . ولقد نظم فصائل من رجال حرب العصابات المناهضين للغزاة اليابانيين ، وأسس الجيش الثورى الشعبى للشمال الشرقى ، وقدم المساعدة الى قوات المتطوعين المناهضين لليابان على اختلاف أشكالها . وبعد عام ١٩٣٤ ، أعيد تنظيم جميع القوات المناهضة لليابان فى الشمال الشرقى ، تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، فى جيش واحد باسم جيش الشمال الشرقى المتحالف ضد اليابان ، وأصبح الشيوعى الشهير يانغ جينغ يو قائدا عاما له . وقد ثابر هذا الجيش على حرب العصابات ضد اليابان فى الشمال الشرقى لفترة طويلة . أما حرب العصابات ضد اليابان فى شرقى خبى فالمقصود منها هو الانتفاضة الفلاحية المناهضة لليابان التى انفجرت هناك فى مايو (أيار) ١٩٣٥ .

(٢٩) المقصود بالحرب الثورية التى قادها الحزب الشيوعى السوفياتى تلك الحرب التى خاضها الشعب السوفياتى من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٢٠ لمقاومة التدخل المسلح الذى كانت تقوم به بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان وبولندا والبلدان الامبريالية الأخرى ، وأيضا لقمع تمرد الحرس الأبيض .

(٣٠) ان سلطة الجمهورية الشعبية بطبيعتها التى وضحها هنا الرفيق ماو تسى تونغ وكذلك سياساتها التى قد وضحها هى الأخرى ، قد أصبحت حقيقة واقعة تماما خلال حرب المقاومة ضد اليابان فى المناطق الشعبية المحررة الخاضعة لقيادة الحزب الشيوعى . وهذا هو السبب الذى مكن الحزب الشيوعى من قيادة الشعب وراء خطوط العدو الى خوض قتال ظافر ضد الغزاة اليابانيين . وفى مجرى الحرب الأهلية الثورية الثالثة التى اندلعت بعد استسلام اليابان ، توسعت المناطق الشعبية المحررة تدريجيا مع تطور الحرب حتى شملت جميع أنحاء البلاد ، وعلى هذا النحو ولدت جمهورية الصين الشعبية الموحدة . وهكذا فان فكرة الرفيق ماو تسى تونغ الخاصة بجمهورية شعبية قد أصبحت حقيقة واقعة على نطاق البلاد بأسرها .

(٣١) ان المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى الصينى المنعقد فى يوليو (تموز) ١٩٢٨ ، قد أجاز البرنامج ذا النقاط العشر التالية : ١ — الاطاحة بحكم الامبريالية ؛ ٢ — مصادرة مؤسسات وبنوك الرأسمال الأجنبى ؛ ٣ — توحيد الصين والاعتراف بحق القوميات فى تقرير مصيرها ؛ ٤ — الاطاحة بحكومة أمراء الحرب الكومينتانغية ؛ ٥ — اقامة حكومة مبنية على أساس مجالس ممثلى العمال والفلاحين والجنود ؛ ٦ — تحديد يوم العمل بثمانى ساعات ، وزيادة الأجور ، واعانة المتعطلين وتحقيق التأمين الاجتماعى ؛ ٧ — مصادرة الأراضى التى يملكها جميع ملاك الأراضى واعادتها الى الفلاحين ؛ ٨ — تحسين ظروف المعيشة للجنود واعطاء الأرض وتوفير العمل لهم ؛ ٩ — الغاء كل الضرائب الفاحشة والأتاوات المتنوعة وفرض ضريبة تصاعدية موحدة ؛ ١٠ — الاتحاد مع البروليتاريا العالمية ومع الاتحاد السوفياتى .

(٣٢) كانت جماعة التروتسكيين فى الأصل جناحا معاديا للينينية فى الحركة العمالية الروسية ثم تفسخت فيما بعد حتى أصبحت عصابة معادية للثورة بصورة علنية. وقد تكلم الرفيق ستالين فى تقريره الى الدورة الكاملة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفياتى المنعقدة فى عام ١٩٣٧ ، عن هذه الجماعة فقال : « كانت التروتسكية فى الماضى أى قبل سبع أو ثمانى سنوات أحد هذه الاتجاهات السياسية وسط الطبقة العاملة ، وفى الحقيقة أنها اتجاه معاد للينينية ، وهى بذلك اتجاه خاطىء كل الخطأ ، الا أنها كانت مع ذلك اتجاها سياسيا . . . . أما التروتسكية الحالية فهى ليست اتجاها سياسيا وسط الطبقة العاملة ، بل هى عبارة عن عصابة تفتقر الى المبدأ والأفكار ، تتشكل من المغتالين والمخربين وعملاء الاستخبارات والجواسيس والقتلة ، عصابة من ألد أعداء الطبقة العاملة ترتزق من قبل وكالات الاستخبارات التابعة للدول الأجنبية . »

وبعد فشل الثورة الصينية فى عام ١٩٢٧ ، ظهرت فئة ضئيلة من التروتسكيين فى الصين أيضا ، وتواطأوا مع تشن دو شيو وغيره من المرتدين فشكلوا جميعا زمرة صغيرة معادية للثورة فى عام ١٩٢٩ ، وبثوا دعايات معادية للثورة منها أن الكومينتانغ قد أنجز الثورة الديمقراطية البرجوازية . وبذلك أصبحت هذه الزمرة أداة قذرة ، بكل معنى الكلمة ، تستخدمها الامبريالية والكومينتانغ ضد الشعب . وقد انضم التروتسكيون الصينيون علنا الى دوائر استخبارات الكومينتانغ . وبعد حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) بدأوا ، تنفيذا لأمر المرتد المجرم تروتسكي بـ « عدم عرقلة احتلال الامبراطورية اليابانية للصين » ، يتواطأون مع دوائر الاستخبارات اليابانية ، ويتسلمون منها المعونات المالية ويباشرون مختلف أنواع النشاطات لصالح الغزاة اليابانيين .

(٣٣) مأخوذ من كتاب « منسيوس » . لقد قال منسيوس ذلك لأن الحروب بين الأمراء الاقطاعيين فى الصين من أجل السلطة لم تنقطع فى المرحلة التى تعرف بعصر الربيع والخريف (٧٢٢ – ٤٨١ ق . م) .

(٣٤) نظرا لمقاومة الشعب الصينى لتجارة الأفيون ، أرسلت بريطانيا قواتها بين عام ١٨٤٠ – ١٨٤٢ لغزو الصين ، بحجة حماية التجارة البريطانية . وقد شنت قوات الصين بقيادة لين تسه شيو حرب المقاومة ضد الغزاة . وان « فصائل قمع البريطانيين » التى نظمها وقتذاك أهالى قوانغتشو تلقائيا قد أنزلت ضربات قاسية أيضا بالغزاة البريطانيين .

(٣٥) كانت حرب مملكة التايبينغ السماوية حربا ثورية قام بها الفلاحون فى أواسط القرن التاسع عشر لمناهضة الحكم الاقطاعى لأسرة تشينغ والاضطهاد القومى . ففى يناير (كانون الثانى) ١٨٥١ ، قام خونغ شيو تشيوان ويانغ شيو تشينغ وغيرهما من قادة هذه الثورة بانتفاضة قرية جينتيان فى محافظة قويبينغ بمقاطعة قوانغشى ، وأعلنوا تأسيس « مملكة التايبينغ السماوية » . وفى عام ١٨٥٢ ، انطلق جيشهم من قوانغشى واجتاز خونان وخوبى وجيانغشى وآنخوى ، وفى عام ١٨٥٣ استولى على نانكين . ثم زحف قسم من الجيش شمالا حتى وصل قرب مدينة تيانجين . ولكن نظرا لأن جيش التايبينغ لم يؤسس قواعد متينة فى المناطق التى احتلها ، وأن كتلته القيادية ارتكبت بعد اتخاذ نانكين عاصمة للمملكة كثيرا من الأخطاء السياسية والعسكرية ، لم يستطع صد الهجوم المشترك الذى شنته القوات المعادية للثورة والتابعة لحكومة أسرة تشينغ والغزاة البريطانيون والأمريكيون والفرنسيون ، مما أدى الى اخفاق الحركة عام ١٨٦٤ .

(٣٦) كانت حرب يـى خه توان حركة عفوية واسعة النطاق قامت بها جماهير الفلاحين والحرفيين بشمالى الصين فى عام ١٩٠٠ ، وكافحوا فيها الامبريالية بقوة السلاح ، منظمين أنفسهم فى جمعيات سرية يحيطها الكتمان والسرية . ولكنها تعرضت للقمع المتناهى الوحشية من قبل القوات المسلحة المشتركة المؤلفة من قوات ثمانى دول امبريالية بعد احتلالها لبكين وتيانجين .

(٣٧) راجع الملاحظة (٤) فى مقالة « تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان » .

(٣٨) انظر لينين : « برنامج الثورة البروليتارية العسكرى » وراجع أيضا « موجز تاريخ الحزب الشيوعى (البلشفيك) فى الاتحاد السوفياتى » ، الفصل السادس ، المبحث الثالث .

قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية

(ديسمبر – كانون الأول – ١٩٣٦)

الفصل الأول
كيف ندرس الحرب

المبحث الأول – قوانين الحرب تطورية

قوانين الحرب هى مسألة لا بد لكل من يدير الحرب من دراستها وحلها .

وقوانين الحرب الثورية هى مسألة لا بد لكل من يدير الحرب الثورية من دراستها وحلها .

وقوانين الحرب الثورية الصينية هى مسألة لا بد لكل من يدير الحرب الثورية الصينية من دراستها وحلها .

ان هذا الكتاب قد وضعه الرفيق ماو تسى تونغ لتلخيص الخبرة فى الحرب الأهلية الثورية الثانية ، وقد استخدم مواد هذا الكتاب فى محاضرات ألقاها فى كلية الجيش الأحمر فى شمالى شنشى . وقال المؤلف انه لم يتم من هذا الكتاب الا خمسة فصول ، وهناك فصول أخرى خاصة بالهجوم الاستراتيجى والعمل السياسى والقضايا الأخرى لم يتمكن من كتابتها بسبب كثرة مشاغله بعد حادثة شيآن . هذا الكتاب هو حصيلة

واننا نخوض الحرب الآن ، وحربنا هى حرب ثورية تدور رحاها فى الصين ــ هذا البلد شبه المستعمر وشبه الاقطاعى . ولهذا يجب ألا نكتفى بدراسة قوانين الحرب ذات الصفة العامة ، بل يجب أن ندرس أيضا قوانين الحرب الثورية ذات الصفة الخاصة ، وكذلك قوانين الحرب الثورية الصينية التى هى أكثر خصوصية .

من المعلوم أنه اذا أراد المرء القيام بعمل ما ، وهو يجهل الظروف المحيطة بذلك العمل وطبيعته وعلاقاته بالأمور الأخرى ، فلن يستطيع معرفة القوانين الخاصة بذلك العمل ، ولا كيفية القيام به ، وأخيرا يعجز عن اتقانه .

ان الحرب التى ظهرت مع ظهور الملكية الخاصة والطبقات ، هى أعلى أشكال الصراع لحل التناقضات التى تكون قد تطورت الى مرحلة معينة ، بين الطبقات ، والأمم ، والدول ، والجماعات السياسية . واذا لم يفهم المرء الظروف المحيطة بالحرب ، وطبيعتها وعلاقاتها بالأمور الأخرى ، فلن يستطيع أن يعرف قوانين الحرب وبالتالى لن يعرف كيفية ادارتها وأخيرا لن يستطيع أن يكسب النصر .

ان الحرب الثورية ، سواء كانت حربا طبقية ثورية أو حربا وطنية ثورية ،

مناظرة كبرى حول القضايا العسكرية جرت داخل الحزب أثناء الحرب الأهلية الثورية الثانية ، وهو يعبر عن آراء خط ضد آراء خط آخر . والاجتماع الذى عقده المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب فى تسونييى فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥ قد حسم الجدال فى هذه المناظرة حول الخط العسكرى ، فأكد الاجتماع صحة آراء الرفيق ماو تسى تونغ ودحض الخط الخاطىء . وبعد أن انتقلت اللجنة المركزية الى شمالى شنشى فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٥ ،قدم الرفيق ماو تسى تونغ فى ديسمبر (كانون الأول) تقريرا بعنوان « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » ، حل فيه ، بصورة منتظمة ، القضايا المتعلقة بالخط السياسى للحزب فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية . ثم وضع هذا الكتاب فى العام التالى ؛ أى عام ١٩٣٦ ، ليوضح بصورة منتظمة قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية .

لها ظروفها المحددة وطبيعتها الخاصة ، الى جانب ظروف وطبيعة الحرب ذات الصفة العامة . ولهذا ، فلها قوانينها الخاصة الى جانب القوانين العامة للحرب . واذا لم يعرف المرء ظروفها المحددة وطبيعتها الخاصة ، واذا لم يعرف قوانينها الخاصة ، فلن يستطيع أن يدير حربا ثورية ولا أن ينتصر فيها .

وان الحرب الثورية الصينية ، سواء كانت حربا أهلية أو حربا وطنية ، تدور فى ظروف الصين المحددة ، فاذا قورنت بالحرب ذات الصفة العامة أو بالحرب الثورية ذات الصفة العامة ، وجدنا لها ظروفها المحددة وطبيعتها الخاصة . وبالتالى تكون لها قوانينها الخاصة الى جانب قوانين الحرب ذات الصفة العامة والحرب الثورية ذات الصفة العامة ، واذا لم يعرف المرء هذه القوانين فلن يستطيع أن يحرز النصر فى الحرب الثورية الصينية .

لهذا ، علينا أن ندرس قوانين الحرب ذات الصفة العامة ، وعلينا أيضا أن ندرس قوانين الحرب الثورية ، وأخيرا علينا أن ندرس قوانين الحرب الثورية الصينية .

هناك فريق من الناس ينادون برأى خاطئ قد دحضناه منذ زمان . انهم يقولون : يكفى أن ندرس فقط قوانين الحرب ذات الصفة العامة ، أو بعبارة صريحة يكفى أن نتبع القواعد العسكرية التى نشرتها الحكومة الصينية الرجعية أو الكليات الحربية الرجعية فى الصين . انهم لا يدركون أن هذه القواعد ليست سوى قوانين للحرب ذات الصفة العامة وأنها فوق ذلك منقولة كلها من البلدان الأجنبية . فاذا نقلناها حرفيا وطبقناها كما هى دون أن ندخل أدنى تغيير على شكلها ومحتواها ، فسوف نكون أشبه بمن يبرى قدميه لتلائما الحذاء ، ولا بد أن ننتهى الى الهزيمة . ان حجة هؤلاء هى : لماذا نرفض هذه الأشياء التى اكتسبها السابقون ودفعوا دماءهم ثمنا لها ؟ انهم لا يدركون : مع أنه يجب أن نقدر خبرات السابقين التى أراقوا دماءهم فى كسبها ، لكن يجب علينا

أيضا أن نقدر الخبرات التى دفعنا نحن دماءنا ثمنا لها .

وهناك فريق آخر من الناس ينادون برأى خاطئ آخر قد دحضناه كذلك منذ زمان . انهم يقولون : يكفى أن ندرس خبرة الحرب الثورية الروسية ، أو بعبارة صريحة يكفى أن نتبع القوانين التى كانت موجهة للحرب الأهلية فى الاتحاد السوفياتى وما أصدرته الأجهزة العسكرية هناك من قواعد عسكرية . انهم لا يدركون أن هذه القوانين والقواعد الخاصة بالاتحاد السوفياتى تتضمن الخصائص التى تتميز بها الحرب الأهلية والجيش الأحمر فى الاتحاد السوفياتى ، فاذا نقلناها حرفيا وطبقناها كما هى دون أن نسمح بأى تغيير لها ، فاننا سنكون أيضا أشبه بمن يبرى قدميه لتلائما الحذاء ، وننتهى الى الهزيمة . ان حجة هؤلاء الناس هى : طالما كانت حرب الاتحاد السوفياتى حربا ثورية ، وحربنا هى الأخرى حرب ثورية ، وفضلا عن ذلك قد كسب الاتحاد السوفياتى النصر فى حربه ، فهل من بديل آخر سوى أن نقتدى بالاتحاد السوفياتى ؟ انهم لا يدركون: مع أنه يجب أن نقدر بصورة خاصة تجارب الحرب السوفياتية لأنها تجارب أحدث حرب ثورية وتجارب تم اكتسابها بتوجيه لينين وستالين ، لكن يجب علينا أيضا أن نقدر تجارب الحرب الثورية الصينية ، لأن هناك ظروفا كثيرة تتميز بها الثورة الصينية والجيش الأحمر الصينى .

وهناك فريق آخر من الناس ينادون برأى خاطئ ثالث قد دحضناه كذلك منذ زمان . انهم يقولون : ان تجارب الحملة الشمالية عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ هى خير التجارب ويجب أن ندرسها ، أو بعبارة صريحة يجب أن نقلد الحملة الشمالية فى الانطلاق على خط مستقيم والاستيلاء على المدن الكبرى . انهم لا يدركون : مع أنه يجب دراسة تجارب الحملة الشمالية ، ولكن لا يجوز أن ننقلها و نطبقها بصورة حرفية وآلية ، ذلك لأن ظروف حربنا الراهنة تختلف عن ظروف الحملة الشمالية . فعلينا أن نأخذ من الحملة الشمالية فقط ما لا يزال

صالحا للتطبيق فى ظل الظروف الحاضرة ، وأن نرسم خطط عملنا على ضوء هذه الظروف .

وهكذا يتضح لنا أن اختلاف ظروف الحروب يقرر اختلاف القوانين الموجهة للحروب ، من حيث زمان الحروب ومكانها وطبيعتها . لننظر فى عامل الزمان ، فان الحرب وقوانينها الموجهة متطورة مع تقدم الزمن ، ولما كان لكل مرحلة تاريخية خصائصها وجدنا أن لقوانين الحرب فى كل مرحلة تاريخية خصائصها أيضا ، فلا يصح نقل قوانين مرحلة من المراحل وتطبيقها بصورة حرفية وآلية فى مرحلة أخرى . ولننظر فى طبيعة الحرب ، لما كان لكل من الحرب الثورية والحرب المعادية للثورة خصائصها ، وجدنا أن لقوانين كل منهما خصائصها أيضا ، والقوانين التى تنطبق على هذا النوع من الحرب لا يصح نقلها وتطبيقها بصورة حرفية وآلية على النوع الآخر . ثم لننظر فى عامل المكان ، لما كان لكل بلد أو أمة خصائصها ولا سيما اذا كان بلدا كبيرا أو أمة كبيرة ، وجدنا أن لقوانين الحرب فى كل بلد أو أمة خصائصها ، وهنا أيضا لا يصح نقل وتطبيق قوانين الحرب الخاصة بهذا البلد أو هذه الأمة على بلد آخر أو أمة أخرى بصورة حرفية وآلية . وعندما ندرس القوانين الموجهة للحروب الواقعة فى مراحل تاريخية مختلفة ، والتى تختلف فى طبيعتها وتشن فى أماكن مختلفة وبواسطة أمم مختلفة ، ينبغى أن نركز انتباهنا على خصائصها وتطوراتها ، وأن نعارض النظرة الميكانيكية الى الحرب .

ليس هذا كل ما فى الأمر . فانه اذا كان قائد من القواد يستطيع قيادة تشكيلة صغيرة فى بداية الأمر ثم تمكن من قيادة تشكيلة كبيرة فمعنى ذلك أنه قد تقدم وتطور . وهناك فرق أيضا بين توجيه العمليات الحربية فى مكان واحد وتوجيهها فى أماكن شتى . فاذا كان هذا القائد يستطيع فى بداية الأمر توجيه العمليات الحربية فى مكان واحد مألوف لديه ثم أصبح يستطيع ذلك

فى أماكن شتى فقد حقق تقدما وتطورا جديدين . ثم ان ظروف الحرب تختلف من مرحلة لأخرى ، بسبب التطورات التكنيكية والتكتيكية والاستراتيجية لدى جانب العدو وجانبنا . فاذا كان هذا القائد يستطيع مباشرة القيادة فى مراحل دنيا من حرب معينة ثم صار يستطيع مباشرة القيادة فى مراحل عليا فقد حقق تقدما وتطورا أعظم . أما اذا لم يستطع هذا القائد سوى قيادة تشكيلة معينة فى مكان معين وفى مرحلة معينة من تطور الحرب ، فان ذلك يدل على أنه لم يحقق تقدما أو تطورا . هناك أناس لا يحرزون أى تقدم جديد بسبب قناعتهم بفن يتقنونه ونظرة ضيقة ينظرونها ، فهم وان كانوا يستطيعون أن يلعبوا دورا ما فى الثورة فى مكان معين ووقت معين ، لا يستطيعون أن يلعبوا فيها دورا هاما . نحن بحاجة الى قواد فى مقدورهم أن يلعبوا دورا هاما فى توجيه الحرب . ان جميع القوانين الموجهة للحرب تتطور مع تطور التاريخ وتطور الحرب ؛ وما من شىء يبقى بلا تغير .

المبحث الثانى – هدف الحرب هو القضاء على الحرب

ان الحرب ، هذا الوحش الذى يؤدى الى المذابح الرهيبة بين أبناء البشرية ، سوف يقضى عليها حتما فى النهاية ، بل وفى مستقبل غير بعيد ، بحكم تقدم المجتمع البشرى . ولكن ليس هناك الا طريقة واحدة للقضاء عليها ، ألا وهى مناهضة الحرب بالحرب ، مناهضة الحرب المعادية للثورة بالحرب الثورية ، ومناهضة الحرب القومية المعادية للثورة بالحرب الوطنية الثورية ، ومناهضة الحرب الطبقية المعادية للثورة بالحرب الطبقية الثورية . لم يشهد التاريخ الا نوعين من الحرب هما : حرب عادلة وحرب غير عادلة . ونحن نؤيد الحرب العادلة ونعارض الحرب غير العادلة . وكل الحروب المعادية للثورة هى غير

عادلة ، وكل الحروب الثورية هى عادلة . ولسوف نضع حدا بأيدينا لعهد الحروب الذى تعيشه البشرية ، ولا شك أن الحرب التى نخوض غمارها الآن هى جزء من الحرب النهائية . ولكن مما لا يتطرق اليه الشك أيضا أن الحرب التى نجابهها هى فى الوقت ذاته جزء من أعظم الحروب اتساعا وأشدها قسوة . ان أكبر وأقسى الحروب غير العادلة المعادية للثورة تواجهنا الآن ، فاذا لم نرفع راية الحرب العادلة فان الأغلبية الساحقة من البشرية سوف تتعرض للدمار . ان راية الحرب العادلة للبشرية هى راية انقاذ البشرية ، كما أن راية الحرب العادلة الصينية هى راية انقاذ الصين . وان حربا يخوض غمارها أغلبية البشرية وأغلبية أهل الصين هى ، من دون أدنى ريب ، حرب عادلة ، وهى أسمى القضايا وأمجدها لانقاذ البشرية والصين ، وجسر يوصل تاريخ العالم الى عهد جديد . ومتى وصل المجتمع البشرى فى مجرى تطوره ، الى المرحلة التى تزول فيها الطبقات والدولة ، زالت الحرب بجميع أنواعها ، زالت الحرب المعادية للثورة والحرب الثورية ، الحرب غير العادلة والحرب العادلة ، وعندئذ سوف يدخل الجنس البشرى عصر سلم أبدى . ونحن حين ندرس قوانين الحرب الثورية تدفعنا الرغبة فى القضاء على الحرب بجميع أنواعها ، هذا هو الخط الفاصل بيننا نحن الشيوعيين وبين جميع الطبقات المستغلة (بكسر الغين) .

المبحث الثالث ــ الاستراتيجية هى دراسة قوانين الوضع الكلى للحرب

حيثما كانت حرب ، يوجد وضع كلى للحرب . وقد يشمل الوضع الكلى للحرب العالم بأسره أو قطرا بأكمله ، أو منطقة مستقلة لحرب العصابات ، أو جبهة مستقلة كبرى للعمليات العسكرية . وكل وضع حربى يجب أن

تؤخذ فيه بعين الاعتبار مختلف الجوانب والمراحل يعتبر وضعا كليا للحرب .

ان دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتحكم فى وضع الحرب الكلى ، هى مهمة علم الاستراتيجية ، أما دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتعلق بأوضاع الحرب الجزئية فهى مهمة علم الحملات وعلم التكتيك .

لماذا يجب على القائد المشرف على حملة أو عملية عسكرية تكتيكية أن يفهم قوانين الاستراتيجية الى حد ما ؟ لأن فهم الكل يمكن المرء من معالجة الجزء على وجه أكمل ، ولأن الجزء خاضع للكل . أما الرأى القائل بأن النصر الاستراتيجى رهين بالنجاحات التكتيكية فهو رأى خاطئ ، لأن صاحبه لا يدرك أن الشيء الرئيسى والأول الذى يقرر مصير الحرب هو البراعة أو عدمها فى أخذ وضع الحرب الكلى ومراحلها المختلفة والعلاقة بينها بعين الاعتبار . واذا وقعت تقصيرات أو أخطاء خطيرة فى أخذ وضع الحرب الكلى ومراحلها المختلفة والعلاقة بينها بعين الاعتبار ، فان الحرب ستكون خاسرة لا محالة . والمقصود من « الحركة » المذكورة فى المثل القائل « ان حركة طائشة واحدة تتسبب فى خسارة المباراة كلها » ، هو الحركة التى تؤثر على الوضع الكلى لمباراة الشطرنج أى الحركة ذات الأهمية الحاسمة بالنسبة الى الوضع الكلى ، لا حركة تؤثر فى الوضع الجزئى وحده وليست ذات أهمية حاسمة بالنسبة الى الوضع الكلى . ان ما ينطبق على لعبة الشطرنج ينطبق كذلك على الحرب .

على أن الوضع الكلى لا يمكن أن ينفصل عن الأوضاع الجزئية ويستقل عنها ، لأن الكل يتكون من جميع أجزائه . وقد تتعطل بعض الأجزاء أحيانا أو تتعرض للهزيمة ، ولكن ذلك لا يؤثر فى الوضع الكلى تأثيرا خطيرا ، لأن تلك الأجزاء ليست ذات أهمية حاسمة بالمنسبة اليه . وان الهزائم أو النكسات التى تتكبدها بعض العمليات العسكرية التكتيكية أو بعض الحملات فى حرب من الحروب ، لا تؤدى فى أحيان كثيرة الى تدهور وضع الحرب الكلى ، وذلك

يعود بالضبط الى أن هذه الهزائم ليس لها أهمية حاسمة . ولكن اذا منيت بالهزيمة معظم الحملات التى يتشكل منها وضع الحرب الكلى أو منيت بالهزيمة حملة حاسمة أو حملتان حاسمتان ، تغير ذلك الوضع الكلى على الفور . ذلك أن « معظم الحملات » أو « الحملة » أو « الحملتين » التى أشرنا اليها هنا كلها ذات أهمية حاسمة . وفى تاريخ الحرب أمثلة عن قواد أدت هزيمتهم فى معركة واحدة ، بعد كسب سلسلة من المعارك ، الى ضياع جميع انتصاراتهم السابقة ، وأمثلة أخرى عن قواد أدى نصرهم فى معركة واحدة ، بعد تكبد هزائم عديدة ، الى ظهور وضع جديد أمامهم . ان « كسب سلسلة من المعارك » و « تكبد هزائم عديدة » المذكورين كان كلاهما شيئا جزئيا لا يلعب أى دور حاسم فى الوضع الكلى ، بينما « الهزيمة فى معركة واحدة » و « النصر فى معركة واحدة » كان كلاهما عاملا حاسما . كل هذا يوضح لنا أهمية أخذ الوضع الكلى بعين الاعتبار . ان أهم شيء بالنسبة الى من يشرف على الوضع الكلى هو أن يوجه عنايته الى وضع الحرب الكلى . فمهمته الرئيسية هى أن يأخذ بعين الاعتبار ، على ضوء الظروف القائمة ، مسألة تنظيم وحداته وتشكيلاته العسكرية ، ومسألة معالجة العلاقة بين حملتين متتابعتين والعلاقة بين المراحل المختلفة من العمليات العسكرية ، والعلاقة بين كل عملياتنا وعمليات العدو ، اذ أن جميع هذه المسائل تتطلب منه أعظم الجهود ، فاذا تجاهلها وشغل نفسه بمسائل ثانوية فسوف يصعب عليه أن يتفادى الاخفاق .

ان ما تناولناه عن العلاقة بين الكل والجزء لا ينطبق على العلاقة بين الاستراتيجية والحملة فحسب ، بل ينطبق كذلك على العلاقة بين الحملة والتكتيك . وتعتبر أمثلة لذلك العلاقة بين عمليات الفرقة وعمليات أفواجها وكتائبها والعلاقة بين عمليات السرية وعمليات الفصائل والجماعات . ينبغى لكل مسئول على أى مستوى كان أن يركز اهتمامه على أهم المسائل أو العمليات وأكثرها أهمية

حاسمة بالنسبة للوضع الكلى الذى يعالجه هو ، لا على غيرها من المسائل أو العمليات .

لا يجوز أن نحكم على أمر من الأمور بأنه أمر هام أو حاسم بناء على اعتبارات عامة أو مجردة ، بل يجب الحكم عليه حسب الظروف المحددة القائمة . فان اختيار اتجاه الهجوم ونقطة الهجوم أثناء القتال يجب أن يتم على ضوء الوضع الفعلى للعدو ، وموقع الأرض ، ومقدرة قواتنا نحن فى تلك اللحظة . وعلينا أن نضع فى حسباننا ألا يسرف المقاتلون فى الأكل وهم فى مكان تتوفر فيه المؤن ، وألا يتعرضوا للجوع وهم فى مكان تنقصه المؤن . وفى المناطق البيضاء قد يكون مجرد تسرب بعض المعلومات سببا فى الهزيمة فى معركة لاحقة ، لكن تسرب المعلومات فى المناطق الحمراء لا يعد فى الغالب أخطر الأمور . وتتطلب بعض الحملات أن يساهم فيها كبار القواد بأنفسهم ، أما الحملات الأخرى فلا تتطلب ذلك . ان أهم الأشياء بالنسبة الى المدرسة العسكرية هو اختيار المدير والمدرسين ووضع سياسة تعليمية . والشىء الأساسى عند عقد اجتماع جماهيرى هو الاهتمام بتعبئة الجماهير لحضوره ووضع شعارات ملائمة له ، وهلم جرا . كل ذلك يتلخص فى مبدأ واحد ، هو تركيز اهتمامنا على الحلقات الهامة التى لها أثر فى الوضع الكلى .

لا نستطيع استيعاب القوانين المتحكمة فى وضع الحرب الكلى الا بالامعان فى التفكير . لأن ما يتعلق بالوضع الكلى شىء غير مرئى ، والسبيل الوحيد الى فهمه هو الامعان فى التفكير ، فاذا لم نمعن فى التفكير فلن نستطيع فهمه . ولكن نظرا لأن الوضع الكلى يتكون من الأوضاع الجزئية يمكن لذوى الخبرة بالأوضاع الجزئية ، بالحملات والتكتيكات أن يفهموا أشياء أرقى وأعمق بشرط أن تكون لديهم الرغبة فى التفكير العميق . ان قضايا الاستراتيجية كمعالجة العلاقة بين العدو وبيننا ، والعلاقة بين مختلف الحملات أو بين المراحل

المختلفة من العمليات العسكرية ، والاهتمام بالجزئيات التى لها أثر (حاسم) على الوضع الكلى ، والاهتمام بالخصائص المميزة فى وضع الحرب ككل ، ومعالجة العلاقة بين الجبهة والمؤخرة ، والاهتمام بالفوارق والروابط القائمة بين الخسائر والامداد ، وبين القتال والراحة ، وبين تركيز القوات وتقسيمها ، وبين الهجوم والدفاع ، وبين التقدم والتقهقر ، وبين اخفاء الهدف وكشفه ، وبين الهجوم الرئيسى والهجمات المساعدة ، وبين عمليات الهجوم والعمليات الهادفة الى تقييد تحركات العدو ، وبين القيادة المركزية والقيادة اللامركزية ، وبين الحرب الطويلة الأمد والحرب الخاطفة ، وبين الحرب الموقعية والحرب المتحركة ، وبين قواتنا والقوات الصديقة ، وبين سلاح من الجيش والأسلحة الأخرى ، وبين القيادات العليا والقيادات الدنيا ، وبين الكوادر والجنود ، وبين الجنود القدامى والجنود الجدد ، وبين الكوادر فى المراتب العليا والكوادر فى المراتب الدنيا ، وبين الكوادر القدامى والكوادر الجدد ، وبين المناطق الحمراء والمناطق البيضاء ، وبين المناطق الحمراء القديمة والمناطق الحمراء الجديدة ، وبين المناطق الحمراء المركزية والمناطق الحمراء التخومية ، وبين الجو الحار والجو البارد ، وبين النصر والهزيمة ، وبين التشكيلات العسكرية الكبيرة والتشكيلات الصغيرة ، وبين الجيش النظامى وفصائل العصابات ، وبين ابادة العدو وكسب الجماهير ، وبين توسيع الجيش الأحمر وتدعيمه ، وبين العمل العسكرى والعمل السياسى ، وبين المهمات الماضية والمهمات الحاضرة ، وبين المهمات الحاضرة والمهمات المقبلة ، وبين المهمات التى تمليها تلك الظروف والمهمات التى تمليها هذه الظروف ، وبين الجبهات الثابتة والجبهات غير الثابتة ، وبين الحرب الأهلية والحرب الوطنية ، وبين مرحلة تاريخية وأخرى . . الخ ، كل هذه الأشياء غير مرئية ، ومع ذلك يمكننا ، اذا تعمقنا فى التفكير ، أن نفهمها جميعا ونمسك زمامها ونستوعبها . ومعنى ذلك أنه يمكننا أن نرفع جميع القضايا

الهامة حول الحرب أو العمليات العسكرية الى مستوى أعلى – مستوى المبدأ ثم نحلها . ان مهمتنا فى دراسة قضايا الاستراتيجية هى بلوغ هذا الهدف .

المبحث الرابع – الشيء المهم هو اجادة التعلم

لماذا نظمنا الجيش الأحمر ؟ لنستخدمه فى قهر العدو . ولماذا ندرس قوانين الحرب ؟ لنطبقها فى الحرب .

ان التعلم والتطبيق كلاهما ليس بالأمر السهل ، ولكن الأخير أصعب . هناك كثير من الناس فى مقدورهم أن يتحدثوا فى العلوم العسكرية ، على وجه منطقى جدا ، فى قاعات المحاضرات أو فى مؤلفاتهم ، الا أنهم اذا ما خاضوا المعارك فعلا كسبها بعضهم وخسرها البعض الآخر . ولقد أثبت ذلك تاريخ الحرب وتجربتنا الحربية الخاصة .

ما هو مفتاح القضية اذن ؟

لا يمكننا أن نطالب فى الحياة الواقعية بوجود قواد لا يعرفون الهزيمة أبدا ، لأن العالم لم يعرف منذ القدم سوى عدد ضئيل من مثل هؤلاء القواد ، ولكن ما نطلبه هو وجود قواد يجمعون بين الحكمة والشجاعة ، ويكسبون غالبا معاركهم فى مجرى الحرب . وعلى المرء ، اذا أراد أن يجمع بين الحكمة والشجاعة ، أن يكتسب أسلوبا لا يستغنى عنه فى التعلم وفى التطبيق على حد سواء .

ما هذا الأسلوب ؟ هو أن نلم بكل أوجه وضع العدو ووضعنا نحن ، حتى نكتشف بذلك القوانين المتحكمة فى أعمال كل من الجانبين ونقرر أعمالنا الخاصة وفقا لهذه القوانين .

ان كتب القواعد العسكرية التى صدرت فى بلدان كثيرة تشير كلها الى

ضرورة « المرونة فى تطبيق المبادئ وفقا للظروف الواقعية » ، وكذلك الى الاجراءات التى يجب اتخاذها فى حال الهزيمة . والاشارة الأولى هى لتحذير القائد حتى لا يرتكب الأخطاء الذاتية بسبب التطبيق الآلى للمبادئ ، أما الاشارة الثانية فهى تعلم القائد كيف يتصرف بعد ارتكاب مثل هذه الأخطاء الذاتية ، أو عند حدوث تغيرات غير متوقعة أو تغيرات قاهرة فى الظروف الموضوعية .

ما هو السبب فى ارتكاب الأخطاء الذاتية ؟ ذلك لأن التخطيط والتوجيه فى حرب أو معركة لا يتفقان مع الظروف السائدة فى الزمان والمكان المحددين ، لأن التوجيه الذاتى لا يطابق الوقائع الموضوعية أو يخالفها ، أو بمعنى آخر لأن التناقض بين الذاتى والموضوعى لم يجد حلا . ومن العسير أن يتجنب الناس هذا عند معالجة أى أمر من الأمور ، والفرق الوحيد بينهم هو أن بعضهم أكثر كفاءة من البعض الآخر . وكما نطلب من المرء انجاز العمل بمزيد من الكفاءة ، كذلك نطلب منه فى الناحية العسكرية كسب انتصارات أكثر ، أو بمعنى آخر نطلب قلة الهزائم . ومفتاح المسألة هنا هو جعل الذاتى يتفق مع الموضوعى اتفاقا جيدا .

لنأخذ مثلا على ذلك فى مجال التكتيك . اذا وقع اختيار نقطة الهجوم على أحد جناحى جبهة العدو ، وهذا الجناح هو ، على وجه التحديد ، موضع ضعف العدو ، فنجح الهجوم بذلك ، فان هذا يعنى أن الذاتى كان متفقا مع الموضوعى ، أى أن استطلاعات القائد والاحكام التى توصل اليها وتصميمه كلها مطابقة لوضع العدو الواقعى وتنظيماته الخاصة بالقتال . أما اذا وقع اختيار نقطة الهجوم على جناح آخر من جبهة العدو أو على وسطها ، حيث موضع قوته بالضبط ، ولم ينجح الهجوم لذلك ، فان هذا يعنى أن الذاتى كان غير متفق مع الموضوعى . والتطابق التام بين التوجيه الذاتى وبين الظروف الموضوعية فى معركة ما ، هو

يتمثل فى أن الهجوم يشن فى وقت ملائم ، وأن الاحتياطى يستخدم فى أنسب لحظة ، وأن كل ما يتخذ أثناء المعركة من الاجراءات والعمليات العسكرية هو فى صالحنا نحن وليس فى صالح العدو . ولكن مثل هذا التطابق التام نادر للغاية فى الحروب أو المعارك ، ذلك لأن الخصمين فى الحرب أو المعركة جماعات من البشر الأحياء والمسلحين ويخبئون أسرارهم عن البعض . وهذا يختلف كثيرا عن معالجة الأشياء الجامدة التى لا حياة فيها أو الشؤون اليومية . ولكن اذا كان توجيه القائد يطابق الوضع الفعلى على وجه الاجمال ، أى يطابق النواحى ذات الأهمية الحاسمة منه ، يكون هناك أساس للنصر .

ان صحة تخطيطات القائد العسكرى أساسها صحة تصميمه ، وان صحة تصميمه منشأها صحة أحكامه ، وصحة أحكامه مبنية على أساس الاستطلاع الدقيق اللازم وعلى أساس التفكير فى مختلف المعلومات التى يحصل عليها أثناء الاستطلاع وامعان النظر فيها بربط بعضها ببعض . فالقائد العسكرى يستخدم جميع الوسائل الممكنة واللازمة فى الاستطلاع ، ويمعن النظر فى مختلف المعلومات المتعلقة بجانب العدو التى يحصل عليها أثناء الاستطلاع ، فيطرح منها ما هو قليل الأهمية ويستخلص ما هو عظيم النفع ، وينبذ الكاذب منها ويبقى الصحيح المعتمد عليه ، ثم يربط بين هذه المعلومات وينفذ من ظواهر الأشياء الى دخائلها وخفاياها ، ثم يأخذ بعين الاعتبار الأحوال المتعلقة بوضعه هو ، ويقارن بين أوضاع الجانبين ويدرس ما بينها من روابط ، فيستنتج من كل ذلك حكما ، ويصمم على أمر ، ويصوغ خططه . هذه هى العملية الكاملة لمعرفة الأوضاع ، التى يمر بها الخبير العسكرى قبل أن يصوغ أى خطة استراتيجية أو أى خطة خاصة بحملة أو معركة . ولكن الخبير العسكرى المهمل بدلا من أن يفعل هذا ، يضع خططه العسكرية على أساس تصوراته وأمانيه الذاتية ، وهى لذلك خطط وهمية وغير متفقة مع الواقع . ان الخبير

العسكرى المتهور الذى يحدوه الحماس وحده ، لا مفر له من أن ينخدع بأحابيل العدو ، أو ينخدع بما عرفه حول وضع العدو بصورة سطحية أو جزئية ، أو يندفع بمقترحات مرؤوسيه التى لا يكلفون أنفسهم تحمل المسئولية عنها ولا يستندون فيها الى معرفة حقيقية أو نظرة ثاقبة ، وبالتالى لا ينجو هو من التعثر . وسبب ذلك أنه لا يعرف أو لا يريد أن يعرف أن كل خطة عسكرية يجب أن توضع على أساس الاستطلاع اللازم والتأمل الدقيق فى وضع العدو ووضعه هو وفى الروابط بين الاثنين .

هناك حاجة الى عملية معرفة الأوضاع قبل رسم الخطة العسكرية ، وكذلك بعده . فعندما ننفذ خطة عسكرية ما ، تكون هناك عملية جديدة لمعرفة الأوضاع تستمر منذ بداية تنفيذ الخطة حتى نهاية المعركة ، وهى عملية التطبيق . ومن الضرورى فى أثناء هذه العملية أن نعيد النظر فى الخطة المقررة فى العملية السابقة ، لاختبار ما اذا كانت الخطة تطابق الواقع أم لا . فاذا كانت لا تطابق الواقع أو لا تطابقه تماما ، يجب أن نشكل أحكاما جديدة على ضوء معرفتنا الجديدة فنصمم على أمر جديد ، ونغير الخطة المقررة حتى تتفق مع الوضع الجديد . ان تغيير الخطة جزئيا يحدث فى كل معركة تقريبا . وقد يتطلب الأمر فى بعض الأحيان تبديل الخطة كليا . أما الخبير العسكرى المتهور فلا يعرف ضرورة تعديل خطته أو لا يرغب فى ذلك ، بل يخبط خبط عشواء ، وبالتالى لا ينجو مرة أخرى من التعثر .

ان ما تقدم ذكره ينطبق على العملية الاستراتيجية ، وعلى عمليات حملة أو معركة . والعسكرى المجرب اذا كان متواضعا فى التعلم ، واستطاع أن يطلع على طبائع قواته (القواد والمقاتلين والأسلحة والمؤن . . الخ ، ومجموع هذه العناصر) ، وعلى طبائع قوات العدو (القواد والمقاتلين والأسلحة والمؤن . . الخ ، ومجموع هذه العناصر بالمثل) ، وعلى الظروف الأخرى المتعلقة

بالحرب ، كالسياسة والاقتصاد والجغرافيا والمناخ . . الخ ، فانه سوف يتمكن ، أكثر من غيره ، من ادارة حرب أو توجيه عملية عسكرية ومن كسب النصر فيها . وهذه نتيجة يحرزها بعد أن يعرف وضع العدو ووضع جانبه هو خلال مدة طويلة ، ويكتشف بذلك القوانين المتحكمة فى أعمال كل من الجانبين ، وبالتالى يحل التناقض القائم بين الذاتى والموضوعى . ان عملية المعرفة هذه عملية بالغة الأهمية ، فبدون هذه التجارب المكتسبة خلال مدة طويلة ، سوف يتعذر فهم قوانين حرب بأكملها والتمكن من هذه القوانين . وعلى ذلك فان الشخص الذى ينزل الى الميدان لأول مرة أو الذى يحسن القتال على صفحات الورق فقط ، لا يمكنه أن يصبح قائدا فى مرتبة عالية وذا كفاءة حقيقية ، بل يجب على المرء لكى يصبح كذلك أن يتعلم فى سياق الحرب .

ان جميع القوانين أو النظريات العسكرية ذات الصفة المبدئية ، هى التجارب التى لخصها السابقون أو المعاصرون من الحروب الماضية . وينبغى لنا أن نولى أهمية خاصة لدراسة هذه الدروس الدامية التى خلفتها لنا الحروب الماضية . هذه نقطة أولى . ولكن هناك نقطة أخرى ، وهى أن نختبر هذه الاستنتاجات عن طريق تجربتنا الخاصة ، فنأخذ منها ما هو مفيد ، ونرفض ما لا فائدة منه ، ونضيف اليها تجاربنا الخاصة . وهذه النقطة الأخيرة مهمة جدا ، وبدونها لا يمكننا أن ندير حربا .

ان القراءة وتطبيق ما نقرأه كلاهما نوع من التعلم ، ولكن الأخير أهم من الأول . وتعلم القتال فى سياق الحرب نفسها هو طريقتنا الرئيسية . فالمرء الذى لم تسنح له الفرصة لدخول المدارس يمكنه أن يتعلم القتال أيضا وطريقته هى أن يتعلم فى سياق الحرب . ولما كانت الحرب الثورية من شأن جماهير الشعب فانهم غالبا ما يخوضون غمارها دون أى تعلم مسبق ، لكنهم يتعلمون فى أثناء ممارسة القتال . ان الممارسة هى بحد ذاتها تعلم . هناك شوط يفصل بين

المدنى والجندى ، الا أنه ليس بطول سور الصين العظيم بل يمكن للمدنى أن يقطعه بسرعة ، والسبيل الى ذلك هو المساهمة فى الثورة ، هو خوض غمار الحرب . وحين نقول ان التعلم والتطبيق ليسا بالأمر السهل فانما نعنى أنه ليس من السهل على المرء أن يتعلم باتقان ويطبق ما يتعلمه بكل براعة . وحين نقول ان المدنيين يمكن أن يصبحوا جنودا على وجه السرعة فانما نعنى أنه ليس من العسير اجتياز عتبة الجندية . ويمكننا أن نلخص هاتين النقطتين بمثل صينى يقول : « لا صعوبة فى الدنيا أمام قوة الارادة . » فاجتياز العتبة ليس صعبا ، والنبوغ ممكن كذلك ، ما دام المرء قد قوى ارادته وأجاد التعلم .

ان قوانين الحرب شأنها شأن القوانين المتحكمة فى جميع الأشياء الأخرى ، هى انعكاسات فى عقولنا لحقائق(١) موضوعية ، وجميع الأشياء باستثناء عقولنا هى حقائق موضوعية . وعلى ذلك فان ما يجب أن ندرسه ونعرفه يشمل وضع العدو ووضع أنفسنا ، يجب أن يكون وضع كلا هذين الطرفين موضع الدراسة والبحث . والعقل (طاقة التفكير) وحده هو الذات التى تقوم بالدراسة . هناك نوع من الناس يحسنون معرفة أنفسهم ولا يحسنون معرفة أعدائهم ، وهناك نوع آخر من الناس يحسنون معرفة أعدائهم ولا يحسنون معرفة أنفسهم ، وكلا الفريقين لا يستطيع اجادة دراسة قوانين الحرب وتطبيقها . وقد قال سون وو تسى(٢) العلامة العسكرى الصينى فى الزمن القديم فى مؤلفه : « ان كنت على بينة من أمر عدوك وأمر نفسك فلن تنهزم فى أى معركة تخوضها » ، وهو يقصد بقوله هذا مرحلتى التعلم والتطبيق — معرفة المرء لقوانين التطور للحقائق الموضوعية ووضع خطط العمل بناء على هذه القوانين من أجل التغلب على العدو الذى يواجهه . وعلينا ألا نستهين بهذا القول .

الحرب هى أعلى أشكال النضال بين الأمم ، أو الدول ، أو الطبقات ،

أو الجماعات السياسية ، وجميع قوانين الحرب انما تطبقها الأمم أو الدول أو الطبقات أو الجماعات السياسية المتقاتلة فى سبيل كسب نصرها . لا جدال فى أن النصر أو الهزيمة فى الحرب يتوقف بصورة رئيسية على الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية والطبيعية لكلا الجانبين المتقاتلين . ولكن لا يتوقف على هذه الظروف وحدها ، فالنصر أو الهزيمة يتوقف كذلك على المهارة الذاتية لكل من الطرفين فى ادارة الحرب . والخبير العسكرى لا يمكنه فى سعيه للنصر أن يتعدى حدود الظروف المادية . لكن يمكنه ، بل يجب عليه أن يسعى لكسب النصر فى نطاق هذه الحدود بالذات . ان مسرح العمليات للخبير العسكرى يقوم على أساس الظروف المادية الموضوعية ، ولكنه على خشبة هذا المسرح يمكنه أن يدير تمثيل مسرحيات متعددة نابضة بالحياة مليئة بمواقف البطولة والتضحية . اذن يجب على قواد جيشنا الأحمر أن يظهروا — على أساس الظروف المادية الموضوعية القائمة مثل الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية والطبيعية — قوة بأسنا ويقودوا كل قواتنا لسحق أعداء أمتنا وطبقتنا، ولتغيير هذا العالم الفاسد . وهنا ستنفعنا مقدرتنا الذاتية فى ادارة الحرب بل يجب أن نستعين بهذه المقدرة . ولن نسمح لأى قائد من قواد جيشنا الأحمر بأن يصبح متهورا يخبط خبط عشواء . بل من الضرورى أن ندعو الى أن يصبح كل منهم بطلا يجمع بين الشجاعة والحكمة ، ولا يملك الشجاعة على قهر كل ما يقف فى طريقه فحسب ، بل يملك القدرة على التحكم فى كل ما يطرأ على الحرب من تغيرات وتطورات . على القائد وهو يسبح فى محيط الحرب ألا يغرق فيه ، بل عليه أن يحاول الوصول الى الساحل المقابل بصورة أكيدة ومخططة . فان قوانين ادارة الحرب هى بمثابة فن السباحة فى محيط الحرب .

ان ما سلف هو طريقتنا .

الفصل الثانى

الحزب الشيوعى الصينى والحرب الثورية الصينية

ان الحرب الثورية الصينية التى بدأت فى عام ١٩٢٤ ، قد مرت بمرحلتين : الأولى من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٢٧ والثانية من عام ١٩٢٧ الى عام ١٩٣٦ ، والمرحلة التالية هى مرحلة الحرب الوطنية الثورية ضد اليابان . وهذه الحرب الثورية بمراحلها الثلاث قد جرت وتجرى تحت قيادة البروليتاريا الصينية وحزبها – الحزب الشيوعى الصينى . ان أعداءنا الرئيسيين فى الحرب الثورية الصينية هم الامبريالية والقوى الاقطاعية . أما البرجوازية الصينية فرغم أنه يمكن أن تسهم فى الحرب الثورية فى مناسبات تاريخية معينة ، الا أنها لا تريد بل لا تستطيع ، بحكم أنانيتها وافتقارها الى الاستقلال السياسى والاقتصادى ، قيادة الحرب الثورية الصينية والسير بها الى النصر التام . وأما جماهير الفلاحين الصينيين والبرجوازية الصغيرة الصينية فى المدن فيرغبون فى أن يسهموا بنشاط فى الحرب الثورية وأن يواصلوها حتى النصر النهائى . وهم يشكلون القوى الرئيسية فى الحرب الثورية ، الا أن الانتاج الصغير الذى يتميزون به يضيق نظراتهم السياسية (وبعض الجماهير العاطلة تحمل أفكارا فوضوية) ، ولذا يعجزون عن قيادة الحرب قيادة صحيحة . وهكذا ، فلا مفر ، فى هذا العصر الذى ظهرت فيه البروليتاريا على المسرح السياسى ، من أن تقع مسؤولية قيادة الحرب الثورية على كاهل الحزب الشيوعى الصينى . ولا بد لأية حرب ثورية فى هذا العصر أن تنتهى الى الهزيمة ، اذا لم تجد قيادة البروليتاريا والحزب الشيوعى أو خالفتها ، ذلك لأن البروليتاريا والحزب الشيوعى هما وحدهما أبعد الفئات الاجتماعية والجماعات السياسية فى الصين شبه المستعمرة عن ضيق الأفق

والأنانية ، وأبعدها نظرة سياسية وأقواها تنظيما وأكثرها استعدادا للتعلم بتواضع من خبرة البروليتاريا المتقدمة وأحزابها السياسية فى العالم من أجل الافادة من هذه الخبرة لخدمة قضيتهما الخاصة . ولذا فان البروليتاريا والحزب الشيوعى وحدهما يستطيعان قيادة الفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والبرجوازية ، والتغلب على ضيق الأفق الذى يتميز به الفلاحون والبرجوازية الصغيرة ، وعلى روح الهدم لدى جمهور العاطلين ، وكذلك على ذبذبة البرجوازية وعدم مثابرتها على المضى الى نهاية المطاف (بشرط ألا يخطئ الحزب الشيوعى فى سياسته) ، وبالتالى يقودان الثورة والحرب فى طريق النصر .

لقد دارت الحرب الثورية ١٩٢٤ ــ ١٩٢٧ ، بصورة أساسية ، فى ظروف كانت البروليتاريا العالمية ، والبروليتاريا الصينية وحزبها تفرض فيها نفوذها السياسى على البرجوازية الوطنية الصينية وأحزابها وتتعاون معها سياسيا . ولكن هذه الحرب الثورية فشلت فى اللحظة الحاسمة التى واجهت الثورة والحرب ، وذلك يرجع أولا وقبل كل شيء الى خيانة البرجوازية الكبيرة وكذلك الى تخلى الانتهازيين داخل صفوف الثورة عن قيادة الثورة من تلقاء أنفسهم .

أما حرب الثورة الزراعية التى بدأت منذ عام ١٩٢٧ واستمرت حتى الآن فقد دارت فى ظروف جديدة . اذ أن عدونا فى هذه الحرب ليس الامبريالية وحدها بل هو أيضا التحالف بين البرجوازية الكبيرة وكبار ملاك الأراضى . أما البرجوازية الوطنية فقد أصبحت ذيلا للبرجوازية الكبيرة . وان الحزب الشيوعى هو الذى يقود وحده هذه الحرب الثورية ، وقد استطاع أن يحقق قيادته المطلقة للحرب الثورية . وقيادته المطلقة هذه هى أهم شرط يمكننا من المثابرة على الحرب الثورية حتى النهاية . وبدون هذه القيادة لا يمكن تصور مثابرتنا هذه على الحرب الثورية .

لقد قاد الحزب الشيوعى الصينى الحرب الثورية الصينية بكل شجاعة

وعزم ، وقد برهن ، طوال خمسة عشر عاما(٣) ، للشعب الصينى بأسره على أنه صديق للشعب يقف على الدوام فى مقدمة الجبهة الأمامية للحرب الثورية دفاعا عن مصالح الشعب و سعيا لحريته وتحرره .

ولعب الحزب الشيوعى الصينى بنضاله المرير واستشهاد مئات الآلاف من أعضائه الباسلين وعشرات الآلاف من كوادره الأبطال ، لعب دورا تعليميا عظيما بين مئات الملايين من أبناء الأمة بأسرها . ان المنجزات التاريخية العظيمة التى أحرزها الحزب الشيوعى الصينى فى نضالاته الثورية قد قدمت ضمانا لانقاذ الصين التى تواجه اليوم ساعة حرجة اذ يغزو أراضيها عدو الأمة الصينية ، وهذا الضمان هو وجود هذا القائد السياسى الذى يتمتع بثقة الأغلبية الساحقة من الشعب والذى وقع اختيار الشعب عليه بعد أن امتحنه طوال سنوات عديدة . ان آراء الحزب الشيوعى قد أصبحت اليوم تلقى أذنا صاغية من الشعب أكثر مما تلقاه آراء أى حزب آخر . وبدون الكفاح المرير الذى خاضه الحزب الشيوعى الصينى طوال الخمسة عشر عاما الماضية ، يستحيل انقاذ الصين من الخطر الجديد الذى يهددها بالهلاك .

ارتكب الحزب الشيوعى الصينى أثناء الحرب الثورية الى جانب خطأ الانتهازية اليمينية التى كان يمثلها تشن دو شيو(٤) ، وخطأ الانتهازية « اليسارية » التى كان يمثلها لى لى سان(٥) ، خطأين آخرين ، كان الخطأ الأول هو الانتهازية « اليسارية » فى الفترة ما بين عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٤(٦) ، التى كبدت حرب الثورة الزراعية خسائر خطيرة للغاية بحيث لم نستطع الانتصار على العدو فى مقاومة حملته الخامسة « للتطويق والابادة » ، بل ضاعت منا مناطق القواعد ، وضعف الجيش الأحمر . وقد تم اصلاح هذا الخطأ فى الاجتماع الموسع الذى عقده المكتب السياسى للجنة الحزب المركزية فى تسونيى فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥ . وكان الخطأ الثانى هو الانتهازية

اليمينية فى الفترة ما بين عام ١٩٣٥ وعام ١٩٣٦ ، التى ارتكبها تشانغ قوه تاو (٧) وقد استفحل هذا الخطأ الى حد أنه أخل بالانضباط فى الحزب والجيش الأحمر ، وألحق خسائر فادحة بقسم من القوات الرئيسية للجيش الأحمر ؛ الا أن هذا الخطأ قد أصلح أيضا فى نهاية الأمر بفضل القيادة الصحيحة للجنة المركزية والوعى السياسى لدى أعضاء الحزب والقواد والمقاتلين فى الجيش الأحمر . ان جميع هذه الأخطاء قد أضرت بطبيعة الحال بحزبنا وثورتنا وحربنا ، ولكننا تغلبنا عليها فى نهاية الأمر ، فانصقل كل من حزبنا وجيشنا الأحمر من جراء ذلك ، وازداد قوة وصلابة .

قاد الحزب الشيوعى الصينى ولا يزال يقود الحرب الثورية الهدارة المجيدة الظافرة . وان هذه الحرب هى راية تحرير الصين ، وكذلك لها مغزى ثورى عالمى . فان أنظار الشعوب الثورية فى العالم تتجه نحونا . وفى المرحلة الجديدة مرحلة الحرب الوطنية الثورية ضد اليابان ، سوف نقود الثورة الصينية الى غايتها ، وسوف نؤثر تأثيرا عميقا فى ثورات الشرق والعالم . لقد برهنت حروبنا الثورية الماضية على أننا لا نحتاج الى خط سياسى ماركسى صحيح فحسب ، بل الى خط عسكرى ماركسى صحيح أيضا . قد تشكل لدينا مثل هذين الخطين السياسى والعسكرى بعد أن صقلتهما الثورة والحرب طوال خمسة عشر عاما . ونحن على يقين من أن الحرب فى مرحلتها الجديدة سوف تزيد هذين الخطين تطورا واكتمالا وغنى فى ظل الظروف الجديدة حتى يصلا بنا الى غاية هزيمة عدو الأمة . ويدلنا التاريخ على أن الخط السياسى أو العسكرى السليم لا ينشأ ولا يتطور بصورة عفوية أو فى جو هادئ ، بل ينشأ ويتطور فى غمرة النضال . اذ يجب عليه أن يناضل ضد الانتهازية «اليسارية» من جهة ، وضد الانتهازية اليمينية من جهة أخرى . ومن المستحيل أن نبنى الخط الصحيح ونحقق النصر فى الحرب الثورية اذا لم نكافح هذه الاتجاهات الضارة التى

تهدد الثورة والحرب الثورية بالخطر ولم نتغلب عليها بصورة نهائية . ولهذا الغرض بالضبط كثيرا ما أشير فى هذا الكتيب الى تلك الآراء الخاطئة .

الفصل الثالث

خصائص الحرب الثورية الصينية

المبحث الأول – أهمية هذا الموضوع

ان الذين لا يعترفون أو لا يعرفون أو لا يريدون أن يعرفوا أن الحرب الثورية الصينية لها خصائصها ، ينظرون الى الحرب التى خاضها الجيش الأحمر ضد قوات الكومينتانغ نظرتهم الى الحروب ذات الصفة العامة أو الحرب الأهلية فى الاتحاد السوفياتى . ان خبرة الحرب الأهلية السوفياتية التى قادها لينين وستالين لها مغزى عالمى . فجميع الأحزاب الشيوعية بما فيها الحزب الشيوعى الصينى تعتبر تلك الخبرة وخلاصتها النظرية التى قدمها لينين وستالين مرشدا لها . غير أن هذا لا يعنى أنه يجب أن نطبقها على ظروفنا بصورة آلية . فان الحرب الثورية الصينية لها خصائص فى كثير من الأوجه تميزها عن الحرب الأهلية السوفياتية . ومن الطبيعى أن عدم وضع هذه الخصائص فى الاعتبار أو انكارها هو أمر خاطئ . وقد ثبت هذا بصورة تامة خلال الحرب التى خضناها فى العشرة أعوام الأخيرة .

وقد ارتكب عدونا أخطاء مماثلة . اذ كان لا يعترف بأن مقاتلة الجيش الأحمر تتطلب استراتيجية وتكتيكات مختلفة عن الاستراتيجية والتكتيكات التى تستخدم فى مقاتلة القوات الأخرى . وكان يستخف بشأننا مستندا الى

تفوقه علينا فى مجالات مختلفة ، ويتشبث بتكتيكاته القديمة . كان هذا هو حال العدو أيام حملته الرابعة « للتطويق والابادة » عام ١٩٣٣ وما قبلها مما أوقعه فى سلسلة من الهزائم . وكان أول من قدم وجهة نظر جديدة بصدد هذا الموضوع من بين رجال جيش الكومينتانغ هو الجنرال الرجعى ليو وى يوان ، وداى يويه من بعده . وأخيرا قبل تشيانغ كاى شيك رأيهما . وهكذا أنشأ تشيانغ كاى شيك فصول تدريب الضباط فى جبل لوشان(٨) وطبق المبادئ العسكرية الرجعية الجديدة(٩) فى حملته الخامسة « للتطويق والابادة » .

ولكن عندما غير العدو مبادئه العسكرية كى تتكيف مع ظروف القتال ضد الجيش الأحمر ، ظهر فى صفوفنا جماعة من الناس لجأت الى « الأساليب القديمة » . كانوا ينادون بالعودة الى المبادئ التى تمليها الظروف العامة ، ويرفضون التعرف على أى ظروف خاصة والاستفادة من الخبرات التاريخية التى دفع رجال الجيش الأحمر دماءهم ثمنا لها ، ويستصغرون قوة الامبريالية والكومينتانغ ويستخفون بقوة جيش الكومينتانغ ، ويتجاهلون المبادئ الرجعية الجديدة التى سار عليها العدو . ونتيجة لذلك فقدنا جميع القواعد الثورية ما عدا منطقة حدود شنشى — قانسو ، وتقلص الجيش الأحمر من ثلاثمائة ألف شخص الى بضعة عشرات الآلاف ، ونقص عدد أعضاء الحزب الشيوعى الصينى من ثلاثمائة ألف شخص الى بضعة عشرات الآلاف ، وتحطمت جميع المنظمات الحزبية تقريبا فى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ . وجملة القول أن التاريخ قد أنزل بهذه الجماعة عقابا بالغ الشدة . كان هؤلاء يدعون بأنهم ماركسيون لينينيون ، ولكنهم فى الحقيقة لم يتعلموا ذرة من الماركسية اللينينية . قال لينين : ان التحليل المحدد للظروف المحددة هو الشيء الجوهرى الأول فى الماركسية وهو روحها الحية(١٠) . ولكن هؤلاء الرفاق قد نسوا هذه النقطة بالضبط .

وهكذا يتبين لنا أنه بدون فهم خصائص الحرب الثورية الصينية تستحيل ادارتها وتوجيهها الى سبيل النصر .

المبحث الثانى – ما هى خصائص الحرب الثورية الصينية

اذن ما هى خصائص الحرب الثورية الصينية ؟

أرى أن أهم خصائصها أربع .

الخاصية الأولى هى أن الصين بلد شبه مستعمر مترامى الأطراف ذو تطورات متفاوتة فى المجال السياسى والاقتصادى ، وأنها بلد قد شهد ثورة ١٩٢٤ – ١٩٢٧ .

وهذه الخاصية تبين أنه يمكن للحرب الثورية الصينية أن تتطور وتنتصر . ولقد أشرنا الى هذا الامكان (فى المؤتمر الأول للمنظمة الحزبية فى منطقة حدود خونان – جيانغشى(١١)) ، عندما طرح بعض الرفاق فى منطقة حدود خونان – جيانغشى أى فى جبال جينغقانغ ، فى الفترة ما بين شتاء ١٩٢٧ وربيع ١٩٢٨ ، بعد اندلاع حرب العصابات الصينية بوقت قصير ، هذا السؤال : « الى متى سيبقى العلم الأحمر مرفرفا ؟ » ذلك لأن هذه المسألة هى أهم مسألة أساسية فاذا لم نجب على السؤال التالى : هل يمكن للقواعد الثورية الصينية والجيش الأحمر الصينى أن يبقيا ويتطورا ، فلن نستطيع أن نتقدم ولو خطوة واحدة . ثم رد المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى الصينى المنعقد عام ١٩٢٨ ، على هذا السؤال مرة أخرى . ومنذ ذلك الوقت وجدت الحركة الثورية الصينية أساسا نظريا صحيحا .

فلنتناول الآن هذه المسألة بالتفصيل :

تفاوت التطور السياسى والاقتصادى فى الصين – ويتمثل ذلك فى وجود اقتصاد رأسمالى هزيل الى جانب الاقتصاد شبه الاقطاعى السائد ، ووجود

عدد من المدن الصناعية والتجارية الحديثة الى جانب المناطق الريفية الشاسعة الراكدة ، ووجود عدة ملايين من العمال الصناعيين الى جانب مئات الملايين من الفلاحين والحرفيين الذين يرزحون تحت النظام القديم ، ووجود كبار أمراء الحرب الذين يتولون أمر الحكومة المركزية الى جانب صغار أمراء الحرب الذين يتولون حكم المقاطعات ، ووجود نوع من القوات الرجعية تابع لتشيانغ كاى شيك ، ويسمى بالجيش المركزى الى جانب نوع آخر منها تابع لمختلف أمراء الحرب فى مختلف المقاطعات ، ويسمى بالقوات المتنوعة ، ووجود عدد من خطوط السكك الحديدية وخطوط الملاحة وطرق السيارات مع انتشار طرق العربات ذات العجلة الواحدة والدروب التى تصلح للمشى فقط والتى يصعب حتى المشى فيها .

الصين بلد شبه مستعمر — ان عدم الوحدة بين الدول الامبريالية أدى الى عدم الوحدة بين الكتل الحاكمة الصينية . فهناك فرق بين بلد شبه مستعمر تسيطر عليه عدة دول وبين بلد مستعمر تسيطر عليه دولة واحدة .

الصين بلد مترامى الأطراف — « اذا أظلم شرقيها بقى غربيها منيرا ، واذا حل الليل فى جنوبيها أصبح الصباح فى شماليها » ، فلا داعى اذن للقلق من عدم وجود مناطق نستطيع أن نتحرك فيها بحرية .

الصين بلد قد شهد ثورة كبرى — لقد أعدت الثورة للجيش الأحمر بذوره وقائده الحزب الشيوعى ، كما أعدت جماهير شعبية متمرسة فى ثورة .

لذا قلنا ان الصين بلد شبه مستعمر مترامى الأطراف ذو تطورات متفاوتة فى المجال السياسى والاقتصادى قد شهد ثورة من الثورات ، وهذه هى الخاصية الأولى للحرب الثورية الصينية . وهذه الخاصية لم تقرر ، بصورة أساسية ، استراتيجيتنا وتكتيكنا فى المجال السياسى فحسب ، بل قررت ، بصورة أساسية ، استراتيجيتنا وتكتيكنا فى المجال العسكرى أيضا .

الخاصية الثانية هى أن العدو قوى .

ما هى أوضاع الكومينتانغ عدو الجيش الأحمر ؟ انه حزب قد استولى على السلطة السياسية وجعلها فى حالة استقرار نسبى . ولقى المساندة من قبل البلدان الرئيسية المعادية للثورة فى العالم كله . وأصلح جيشه حتى صار جيشا مختلفا عن أى جيش صينى فى أى عصر من العصور السالفة ، لكنه مشابه على وجه الاجمال لجيوش الدول الحديثة فى العالم ، جيش مزود بأسلحة وذخائر تفوق ما للجيش الأحمر الى حد بعيد ، ومتفوق من حيث العدد على أى جيش صينى فى أى عصر من العصور السالفة ، بل على الجيش النظامى لأى دولة من دول العالم . لذا فان الفرق بين جيش الكومينتانغ والجيش الأحمر كالفرق بين الثرى والثريا . ثم ان الكومينتانغ حزب يسيطر على جميع مراكز أو شرايين السياسة والاقتصاد والمواصلات والثقافة فى الصين ، وان سلطته السياسية هى سلطة على نطاق كل البلاد .

ان الجيش الأحمر الصينى يجابه هذا العدو القوى . وهذه هى الخاصية الثانية للحرب الثورية الصينية . وهى خاصية تجعل من المحتم أن تختلف الحرب التى يخوضها الجيش الأحمر فى كثير من الأوجه عن الحروب ذات الصفة العامة وعن الحرب الأهلية السوفياتية وعن الحملة الشمالية .

والخاصية الثالثة هى أن الجيش الأحمر ضعيف .

ولد الجيش الأحمر الصينى بعد فشل الثورة الكبرى الأولى على صورة فصائل العصابات ، وهو يعيش فى عهد الحكم الرجعى فى الصين ، بل فى عهد تتمتع فيه الدول الرأسمالية الرجعية فى العالم باستقرار نسبى سياسى واقتصادى .

ان سلطتنا السياسية توجد ، فى مناطق جبلية أو نائية ، مبعثرة ومعزولة ومحرومة من أى عون خارجى . وان القواعد الثورية متخلفة اقتصاديا وثقافيا عن المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ ، اذ هى لا تضم سوى قرى ومدن

صغيرة . وكانت هذه القواعد ضيقة الرقعة فى بداية الأمر ، وكذلك لم تصبح واسعة جدا فيما بعد . وأكثر من ذلك فان هذه القواعد متنقلة ، لذلك لا يملك الجيش الأحمر قواعد موطدة ثابتة بمعنى الكلمة .

ان الجيش الأحمر قليل العدد ردىء التسليح ، ويصعب عليه كثيرا أن يحصل على المواد الغذائية والملابس والأغطية والمؤن الأخرى .

وهذه الخاصية على طرفى نقيض مع الخاصية السابقة . وان استراتيجية الجيش الأحمر وتكتيكه يقومان على أساس هذا التناقض الحاد .

والخاصية الرابعة هى قيادة الحزب الشيوعى والثورة الزراعية .

وهذه الخاصية هى نتيجة حتمية للخاصية الأولى . وقد نتج عن هذه الخاصية وضعان اثنان . الوضع الأول هو أن الحرب الثورية الصينية يمكن أن تنتصر على الرغم من قيامها فى فترة الحكم الرجعى فى الصين والعالم الرأسمالى ، لأن الحزب الشيوعى يقودها والفلاحين يساندونها . والقواعد الثورية تملك مع ضيق رقعتها قوة سياسية كبرى تستطيع معها أن تقف بكل ثبات فى وجه سلطة الكومينتانغ السياسية الضخمة ، وأن تخلق فى الناحية العسكرية صعوبات شديدة فى وجه هجمات جيش الكومينتانغ ، لأن الفلاحين يساندوننا . وكذلك شأن الجيش الأحمر ، فانه يملك مع قلة عدده قدرة قتالية جبارة ، لأن رجال الجيش الأحمر الذى يقوده الحزب الشيوعى قد انبثقوا من الثورة الزراعية ، وهم يقاتلون من أجل مصالحهم ، وفوق ذلك فان القواد والمقاتلين متحدون سياسيا .

ومن جهة أخرى ، فان وضعنا على طرفى نقيض مع وضع الكومينتانغ . فالكومينتانغ لا يجد أية مساندة من قبل الفلاحين ، لأنه يعارض الثورة الزراعية . وهو لا يستطيع مع ضخامة جيشه أن يدفع جماهير الجنود وعددا كبيرا من صغار الضباط الذين ينحدرون من أصل صغار المنتجين الى الاستماتة فى سبيل

الكومينتانغ عن طيب نفس . كما أن الضباط والجنود فى جيش الكومينتانغ منقسمون سياسيا ، مما يضعف من مقدرته القتالية .

المبحث الثالث – من هنا تولدت استراتيجيتنا وتكتيكنا

بلد شبه مستعمر مترامى الأطراف ذو تطورات متفاوتة فى المجال السياسى والاقتصادى قد شهد ثورة كبرى ، وعدو قوى ، وجيش أحمر ضعيف ، والثورة الزراعية ، هذه هى الخصائص الرئيسية الأربع للحرب الثورية الصينية ، الخصائص التى حددت الخط الموجه للحرب الثورية الصينية وجملة من المبادئ الاستراتيجية والتكتيكية الخاصة بهذه الحرب . وان الخاصية الأولى والرابعة حددتا امكان نمو الجيش الأحمر وانتصاره على العدو ، بينما الخاصية الثانية والثالثة حددتا استحالة نمو الجيش الأحمر نموا سريعا واستحالة انتصاره على العدو عاجلا ، أى حددتا طول أمد هذه الحرب ، واحتمال انهزامنا فيها اذا لم نحسن معالجتها .

هذان جانبان للحرب الثورية الصينية . وانهما لمتواجدان ، أى توجد هناك ظروف مؤاتية وظروف صعبة فى آن واحد . وهذا هو القانون الأساسى للحرب الثورية الصينية ، الذى تشتق منه قوانين كثيرة أخرى . وقد أثبت صحته تاريخ الحرب التى خضناها منذ عشر سنوات . ومن لا يبصر هذه القوانين ذات الصفة الأساسية ، لا يمكنه أن يدير الحرب الثورية الصينية ، ولا أن يقود الجيش الأحمر الى النصر .

وبديهى أنه من الضرورى أن نحل بصورة صحيحة المسائل المبدئية التالية : تحديد اتجاهنا الاستراتيجى بصورة صحيحة ، ومكافحة نزعة المغامرة عند الهجوم ، ومكافحة نزعة التحفظ عند الدفاع ، ومكافحة نزعة الفرار عند

انتقال القوات من مواقعها ؛ ومكافحة نزعة حرب العصابات المحضة فى الجيش الأحمر ، مع الاعتراف بصفة حرب العصابات فى عملياته العسكرية ؛ ومعارضة أسلوب الحرب الطويلة الأمد فى الحملات والحرب الخاطفة استراتيجيا ، مع الاعتراف بضرورة الحرب الطويلة الأمد استراتيجيا ، والحرب الخاطفة فى الحملات ؛ ومعارضة فتح جبهات القتال الثابتة وشن الحرب الموقعية ، مع الاعتراف بضرورة فتح جبهات القتال غير الثابتة وشن الحرب المتحركة ؛ ومعارضة حرب تشتيت قوى العدو ، مع الاعتراف بحرب الابادة ؛ ومعارضة مبدأ الضرب بالقبضتين معا فى الاتجاه الاستراتيجى ، مع الاعتراف بمبدأ الضرب بقبضة واحدة ؛ ومعارضة نظام الأجهزة الادارية الضخمة فى المؤخرة ، مع الاعتراف بنظام الأجهزة الادارية المبسطة فيها(١٢) ؛ ومعارضة القيادة المركزية المطلقة ، مع الاعتراف بالقيادة المركزية النسبية ؛ ومعارضة وجهة النظر العسكرية المحضة ونزعة العصابات المتنقلة(١٣) ، مع الاعتراف بأن الجيش الأحمر هو الداعى والمنظم للثورة الصينية ؛ ومكافحة سلوك قطاع الطرق(١٤) ، مع الاعتراف بضرورة الانضباط السياسى الجاد ؛ ومكافحة سلوك أمراء الحرب ، مع الاعتراف بضرورة الحياة الديمقراطية فى حدود معينة والانضباط العسكرى النافذ ؛ ومعارضة السياسة الانعزالية الخاطئة بشأن الكوادر ، مع الاعتراف بالسياسة السليمة فى هذا المضمار ؛ ومعارضة سياسة العزلة ، مع الاعتراف بضرورة كسب جميع الحلفاء الذين يمكن كسبهم ؛ وأخيرا معارضة ابقاء الجيش الأحمر على المرحلة القديمة ، والنضال فى سبيل تطوير الجيش الأحمر الى مرحلة جديدة . ونحن حين نتعرض الآن للمسائل الاستراتيجية ، فانما نرمى الى ايضاح هذه المسائل المذكورة بكل جلاء على أساس التجارب المستقاة من تاريخ الحرب الثورية الصينية ، الحرب الدامية التى خضناها منذ عشر سنوات .

الفصل الرابع

حملات « التطويق والابادة » والحملات المضادة « للتطويق والابادة » هى الشكل الرئيسى للحرب الأهلية الصينية

لقد ظلت كل فصيلة مستقلة من فصائل العصابات الحمراء وكل وحدة مستقلة من الجيش الأحمر ، وكل قاعدة ثورية تتعرض منذ عشر سنوات ، أى منذ اليوم الذى اندلعت فيه حرب العصابات ، لحملات « التطويق والابادة » التى يشنها العدو . ان العدو ينظر الى الجيش الأحمر كأنه وحش غريب ما ان يظهر حتى يحاول العدو اصطياده . وظل هذا العدو يلاحق الجيش الأحمر ، ويضرب عليه الحصار . ولم يتبدل هذا الشكل طوال السنوات العشر الماضية ، واذا لم تحل حرب وطنية محل الحرب الأهلية فانه سيبقى على حاله دون تغيير قبل أن يصبح العدو ضعيفا والجيش الأحمر قويا .

وتتخذ عمليات الجيش الأحمر شكل حملات مضادة « للتطويق والابادة » . ونحن حين نتحدث عن النصر فانما نعنى أساسا نصرنا فى الحملات المضادة « للتطويق والابادة » ، نصرنا فى الاستراتيجية والحملات . ان كل حملة مضادة « للتطويق والابادة » تتألف فى الغالب ، من بضع أو عشرات المعارك الكبرى والصغرى . وطالما كانت حملة من حملات « التطويق والابادة » لم تسحق بصورة أساسية ، لا يمكن القول بأننا قد حققنا النصر الاستراتيجي أو النصر فى الحملة بكاملها ، حتى ولو كسبنا معارك عديدة .

ان تاريخ الحرب التى خاضها الجيش الأحمر لعشر سنوات هو تاريخ مقاومة حملات « التطويق والابادة » .

ويستخدم كل من العدو فى حملات « التطويق والابادة » ، والجيش الأحمر فى حملاته المضادة شكلين من القتال : الهجوم والدفاع ، وهذا لا يختلف عما فى سائر الحروب القديمة والحديثة ، الدائرة فى الصين أو البلدان الأخرى . الا أن الحرب الأهلية الصينية تتميز بتناوب هذين الشكلين بصورة متكررة خلال مدة طويلة . ففى كل حملة من حملات « التطويق والابادة » يعمد العدو الى الهجوم ضد دفاع الجيش الأحمر على حين يعمد الجيش الأحمر الى الدفاع ضد هجوم العدو ، وهذه هى المرحلة الأولى من حملة مقاومة « التطويق والابادة » . ثم يلجأ العدو الى الدفاع ضد هجوم الجيش الأحمر على حين يعمد الجيش الأحمر الى الهجوم ضد دفاع العدو ، وهذه هى المرحلة الثانية من حملة المقاومة . وكل حملة من حملات « التطويق والابادة » لا بد أن تضم هاتين المرحلتين اللتين تتكرران خلال مدة طويلة .

نعنى بالتكرار خلال فترة طويلة تكرار شكلى الحرب وشكلى القتال . وهذه حقيقة واضحة لكل انسان . فان حملات « التطويق والابادة » والحملات المضادة تمثلان تكرار شكلى الحرب . أما لجوء العدو الى الهجوم ضد دفاعنا ولجوئنا الى الدفاع ضد هجومه فى المرحلة الأولى ولجوؤه الى الدفاع ضد هجومنا ولجوؤنا الى الهجوم ضد دفاعه فى المرحلة الثانية فهما يمثلان تكرار شكلى القتال فى كل حملة من حملات « التطويق والابادة » .

أما محتوى الحرب والقتال فلا يتكرر بصورة آلية بل يتغير فى كل مرة . وهذه حقيقة واضحة لكل انسان أيضا . والقانون هنا هو أن نطاق حملات « التطويق والابادة » والحملات المضادة يتسع فى كل مرة ، وأن الحال تزداد تعقيدا والقتال يشتد عنفا مرة بعد أخرى .

على أن هذا لا يعنى أنه ليس هناك أية تقلبات . فلما أصيب الجيش الأحمر بضعف شديد وفقد جميع القواعد الثورية فى الجنوب بعد حملة « التطويق والابادة » الخامسة ، وانتقل الى الشمال الغربى ولم يعد يحتل مثل ذلك المركز الأهم الذى كان يحتله فى الجنوب ويهدد منه العدو داخل البلاد ، ضاق نطاق « التطويق والابادة » نوعا ما ، وأصبحت الحالة أقل تعقيدا والقتال أقل عنفا .

ما هى هزيمة الجيش الأحمر ؟ انها تعنى ، من وجهة النظر الاستراتيجية ، الفشل التام فى الحملة المضادة « للتطويق والابادة » ، وحتى هذه الهزيمة لا يمكن اعتبارها الا هزيمة جزئية وموقتة ، اذ أن هزيمة الجيش الأحمر التامة فى الحرب الأهلية تعنى أنه قد قضى عليه كليا ، ولكن هذا الأمر لم يحدث قط . وان فقدان مناطق القواعد الثورية الواسعة وانتقال الجيش الأحمر يعتبران هزيمة موقتة وجزئية لا هزيمة نهائية وكلية ، مع أن هذه الهزيمة الجزئية تسببت فى فقدان ٩٠ بالمائة من منظمات الحزب والقوات المسلحة والقواعد الثورية . ونسمى هذه الحالة باستمرار دفاعنا ، بينما نسمى المطاردة التى يقوم بها العدو باستمرار هجومه . ومعنى ذلك أننا لم نستطع التحول من الدفاع الى الهجوم فى النضال ضد حملة « التطويق والابادة » ، بل استطاع العدو أن يحطم دفاعنا بهجومه ، فتحول دفاعنا الى التراجع بينما تحول هجوم العدو الى المطاردة . ولكن عندما وصل الجيش الأحمر الى منطقة جديدة ، مثلا عندما انتقلنا من مقاطعة جيانغشى الى مقاطعة شنشى ، تكررت حملة « التطويق والابادة » مرة أخرى . وعلى ذلك نقول ان تراجع الجيش الأحمر الاستراتيجى (المسيرة الكبرى) كان استمرارا لدفاعه الاستراتيجى كما أن المطاردة الاستراتيجية التى قام بها العدو كانت استمرارا لهجومه الاستراتيجى .

ان الحرب الأهلية الصينية مثلها كمثل الحروب القديمة أو الحديثة ، الصينية أو الأجنبية لا تتخذ الا هذين الشكلين الأساسيين للقتال : الهجوم

والدفاع . وخاصية الحرب الأهلية الصينية تتجلى فى تكرار حملات « التطويق والابادة » والحملات المضادة وتكرار شكلى القتال ــ الهجوم والدفاع خلال مدة طويلة ، بل تتضمن هذه الحرب أيضا ذلك الانتقال الاستراتيجى العظيم (المسيرة الكبرى)(١٥) على مسافة تزيد على عشرة آلاف من الكيلومترات .

ونفس الشيء يقال عن هزيمة العدو . فان هزيمته الاستراتيجية تعنى أننا حطمنا حملته « للتطويق والابادة » ، وأن دفاعنا تحول ، نتيجة لذلك ، الى الهجوم بينما تحول العدو الى موقف الدفاع حيث لا يستطيع شن حملة جديدة « للتطويق والابادة » الا بعد اعادة تنظيم قواته . ولم يقم العدو بانتقال استراتيجى مثل انتقالنا الاستراتيجى على مسافة تزيد على عشرة آلاف من الكيلومترات ، ذلك لأنه حاكم للبلاد كلها ، ولأنه أقوى منا بكثير . لكن حدث أن لجأت بعض قواته الى الانتقال. فقد سبق أن عمدت قوات العدو المعتصمة بالمراكز البيضاء الواقعة داخل بعض القواعد الثورية ، والمحاصرة من قبل الجيش الأحمر ، الى اختراق حصارنا ، وانسحبت الى المناطق البيضاء لتنظم هجوما جديدا . ومثل هذا الانتقال سوف يكثر اذا استمرت الحرب الأهلية واتسع نطاق انتصارات الجيش الأحمر . ولكن العدو لا يمكن أن يحرز فى انتقاله تلك النتائج التى أحرزها الجيش الأحمر فى انتقاله ، لأنه لا يحظى بمساندة الشعب ، ولأن ضباطه وجنوده يفتقرون الى الوحدة . فلو حذا حذو الجيش الأحمر وانتقل عبر مسافة بعيدة ، لقضى عليه لا محالة .

وفى فترة خط لى سان المطبق عام ١٩٣٠ ، كان الرفيق لى لى سان لا يفهم أن الحرب الأهلية الصينية هى حرب طويلة الأمد ، فلم يهتد الى قانون هذه الحرب ــ تكرار حملات « التطويق والابادة » وتكرار سحق هذه الحملات ، واستمرار ذلك مدة طويلة (كانت قد جرت حتى ذلك الحين ثلاث حملات « للتطويق والابادة » فى منطقة حدود خونان ــ جيانغشى ، وحملتان فى فوجيان) ،

ولذلك أمر الجيش الأحمر الذى كان لا يزال فى طور الطفولة بالهجوم على مدينة ووهان ، كما أمر بتنظيم انتفاضة مسلحة على نطاق البلاد كلها ، فى محاولة لتعجيل نصر الثورة على النطاق الوطنى . وهكذا ارتكب خطأ الانتهازية « اليسارية » .

وكذلك لم يؤمن الانتهازيون « اليساريون » فى الفترة ما بين عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٤ بقانون تكرار حملات « التطويق والابادة » . فقد ظهرت فى القاعدة الثورية فى منطقة حدود خوبى ــ خنان ــ آنخوى نظرية « قوات غير رئيسية » ، حيث كان بعض الرفاق المسؤولين هناك يعتقدون أن قوات الكومينتانغ بعد هزيمتها فى حملة « التطويق والابادة » الثالثة ، قد أصبحت مجرد قوات غير رئيسية ، وأنه لأجل شن هجوم جديد على الجيش الأحمر لا بد للامبرياليين أن ينزلوا بأنفسهم الى ميدان الحرب بوصفهم قوات رئيسية . فعلى أساس هذا التقدير كان الاتجاه الاستراتيجى الذى حدده هؤلاء الرفاق هو هجوم الجيش الأحمر على مدينة ووهان . وكان هذا الاتجاه يتفق مبدئيا مع آراء بعض الرفاق فى جيانغشى الذين كانوا ينادون بضرورة هجوم الجيش الأحمر على مدينة نانتشانغ ، ويعارضون وصل القواعد الثورية المختلفة بعضها ببعض ، ومحاربة العدو عن طريق استدراجه ليتغلغل فى أراضينا ، ويرون أن تحقيق النصر فى مقاطعتهم يتركز على أساس الاستيلاء على عاصمتها وسائر مدنها الرئيسية ، كما يعتقدون أن « مقاومة حملة "التطويق والابادة" الخامسة هى معركة فاصلة يتقرر فيها سير الصين فى طريق الثورة أو سيرها فى طريق المستعمرات » . . الخ . لقد بذرت هذه الانتهازية « اليسارية » بذور الخط الخاطئ الذى سارت عليه منطقة حدود خوبى ــ خنان ــ آنخوى فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الرابعة ، كما سارت عليه المنطقة المركزية فى جيانغشى فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الخامسة ، مما أدى الى عجز الجيش الأحمر أمام حملات « التطويق

والابادة » الشديدة التى شنها العدو ، والى تكبد الثورة الصينية خسائر جسيمة .

وهناك رأى آخر يمت بصلة مباشرة الى الانتهازية « اليسارية » التى تنكر تكرار حملات « التطويق والابادة » وهو يزعم أنه لا يجوز للجيش الأحمر فى أى حال من الأحوال أن يلجأ الى الدفاع ، وهذا الرأى أيضا خاطئ كل الخطأ .

الثورة والحرب الثورية على حد سواء عبارة عن عمل هجومى — من المؤكد أن لهذا الرأى نصيبا من الصحة . اذ أنه لا بد للثورة أو الحرب الثورية من الهجوم ، سواء فى انتقالها من مرحلة النشوء الى مرحلة النمو ، أو فى تحولها من قوة صغيرة الى قوة كبيرة ، أو من عدم تولى السلطة السياسية الى الاستيلاء عليها ، أو من عدم وجود الجيش الأحمر الى خلقه ، أو من عدم وجود مناطق القواعد الثورية الى انشائها ، ولا يجوز لها التحفظ ، بل علينا أن نكافح التحفظ .

الثورة والحرب الثورية هما عبارة عن عمل هجومى ولكنهما تستلزمان الدفاع والتراجع أيضا — هذا الرأى هو الصحيح كل الصحة . ان اللجوء الى الدفاع من أجل هجوم جديد ، والتراجع من أجل التقدم ، والالتفاف من الجوانب لبلوغ الجهة المقصودة ، والسير فى طريق ملتوية بغية استطاعة السير فى طريق مستقيمة — هذه ظواهر محتومة فى مجرى تطور الكثير من الأشياء ، فما بالك بالعمليات العسكرية .

ان أول الرأيين المذكورين قد يكون صحيحا فى المجال السياسى ، ولكنه غير صحيح فى المجال العسكرى . وحتى فى المجال السياسى ، فان هذا الرأى لا يكون صحيحا الا فى ظروف معينة (عندما تكون الثورة فى تقدم) ، أما فى ظروف أخرى (عندما تكون الثورة فى حالة تراجع : تراجع شامل كما حدث فى روسيا عام ١٩٠٦(١٦) ، وفى الصين عام ١٩٢٧ ؛ وتراجع جزئى كما حدث فى روسيا زمن معاهدة بريست ليتوفسك عام ١٩١٨(١٧)) فهو غير

صحيح . وأما الرأى الثانى فهو وحده الرأى الحق الصحيح . وعلى هذا فان الانتهازية «اليسارية» فى الفترة ما بين عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٤ ، التى كانت تعارض بصورة آلية اتخاذ التدابير العسكرية الدفاعية ، لا تمثل سوى فكر ساذج غاية السذاجة .

متى ينتهى تكرار حملات « التطويق والابادة » والحملات المضادة ؟ فى رأيى أنه اذا استمرت الحرب الأهلية طويلا ، فسوف ينتهى هذا التكرار حين يطرأ تبدل جذرى على نسبة القوة بين العدو وبيننا . سوف ينتهى اذا ما قوى الجيش الأحمر فأصبح أشد بأسا من عدوه . وعندئذ سنشن نحن على العدو حملات « التطويق والابادة » ، بينما يحاول العدو شن حملات مضادة ، الا أن الظروف السياسية والعسكرية لن تسمح له أن يظفر بالمركز الذى كان يتمتع به الجيش الأحمر فى حملاته المضادة . فيمكن أن نجزم بأن هذا التكرار سوف ينتهى يومئذ بصورة أساسية ، ان لم ينته بصورة تامة .

الفصل الخامس

الدفاع الاستراتيجى

سأوضح تحت هذا العنوان المسائل التالية : ١ — الدفاع الايجابى والدفاع السلبى ، ٢ — التحضير لمقاومة حملات « التطويق والابادة » ، ٣ — التراجع الاستراتيجى ، ٤ — الهجوم المضاد الاستراتيجى ، ٥ — مسألة بدء الهجوم المضاد ، ٦ — مسألة حشد القوات وتركيزها ، ٧ — الحرب المتحركة ، ٨ — الحرب الخاطفة ، ٩ — حرب الابادة .

المبحث الأول ـ الدفاع الايجابى والدفاع السلبى

لم أبدأ بمناقشة الدفاع ؟ ذلك أنه بعد انحلال الجبهة الوطنية المتحدة الأولى فى الصين التى كانت قائمة فى الفترة ما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٧ ، أصبحت الثورة تجرى بشكل حرب طبقية متناهية العمق والقسوة . وكان عدونا هو حاكم البلاد كلها ، بينما نحن لم نكن نملك سوى قوات مسلحة قليلة ، لذا لم يكن أمامنا الا أن نناضل ، منذ اللحظة الأولى ، ضد حملات « التطويق والابادة » التى يشنها العدو علينا . فكانت امكانية قيامنا بالهجوم ترتبط ارتباطا وثيقا بامكانية سحقنا لهذه الحملات ، كما كانت امكانية تطورنا تتوقف كليا على سحقها . وبما أن عملية السحق تسير غالبا فى طريق وعرة ملتوية لا فى طريق معبدة مستقيمة ، كانت المشكلة الأولى والبالغة الخطورة هى كيف نحتفظ بقوتنا ونتحين الفرص لنهزم العدو . وهكذا كانت مسألة الدفاع الاستراتيجى أهم مسألة وأشدها تعقيدا بالنسبة الى عمليات الجيش الأحمر .

وكثيرا ما حدث انحرافان حول مسألة الدفاع الاستراتيجى فى مجرى العشر سنوات من الحرب التى خضناها ، أحدهما هو استصغار شأن العدو ، والآخر هو انخلاع القلوب فزعا من قوة العدو .

ونتيجة لاستصغار شأن العدو انهزمت كثير من فصائل العصابات ، وفشل الجيش الأحمر فى تحطيم عدة حملات « للتطويق والابادة » .

كان قادة فصائل العصابات الثورية فى الأيام الأولى من انشائها لا يستطيعون ، فى الغالب ، تقدير وضع العدو ووضع أنفسهم تقديرا صحيحا . لقد كانوا غالبا ما يستصغرون شأن العدو ، اذ أنهم بعد أن أحرزوا النصر عن طريق شن انتفاضة مسلحة مباغتة فى مكان ما ، أو نجحوا فى التمرد والانفصال عن القوات

البيضاء ، وجدوا أن الظروف مؤاتية فى تلك اللحظة أو لم يبصروا الظروف القاسية رغم وجودها . ثم ان هؤلاء القادة كانوا لا يفطنون أيضا الى مواضع ضعفهم (افتقارهم الى الخبرة وضآلة قواتهم) . كانت الحقيقة الموضوعية هى قوة العدو وضعفنا ، ولكن هؤلاء الناس كانوا يأبون التأمل فى هذه الحقيقة ، بل كان كل ما يهمهم هو الهجوم دون أن يفكروا فى الدفاع والتراجع ، وهكذا جردوا أنفسهم معنويا من ذلك السلاح الذى هو الدفاع ، ووجهوا أعمالهم فى الاتجاه الخاطئ ، الأمر الذى تسبب فى هزيمة عدد كبير من فصائل العصابات .

ومن أمثلة فشل الجيش الأحمر فى تحطيم حملات « التطويق والابادة » لنفس السبب المذكور ، هزيمته عام ١٩٢٨ فى منطقة هايفنغ ولوفنغ من مقاطعة قوانغدونغ(١٨) ، وفقدان قدرته على حرية التصرف فى الأمور فى منطقة حدود خوبى ــ خنان ــ آنخوى أثناء مقاومة حملة « التطويق والابادة » الرابعة عام ١٩٣٢ ، لأنه اتبع تلك النظرية القائلة بأن قوات الكومينتانغ أصبحت مجرد قوات غير رئيسية .

وثمة أمثلة كثيرة عن نكساتنا المسببة عن الخوف من العدو .

وعلى خلاف أولئك الذين يستصغرون شأن العدو فقد بالغ بعض الناس فى قوة العدو ، واستصغروا شأن أنفسهم ، فاتخذوا سياسة التراجع فى حين أن الحال لا يقتضى ذلك ، فهم أيضا قد جردوا أنفسهم معنويا من ذلك السلاح الذى هو الدفاع . وكانت النتيجة اما هزيمة فصائل العصابات أو هزيمة الجيش الأحمر فى بعض الحملات أو فقدان بعض القواعد الثورية .

وأبرز مثال عن فقدان القواعد الثورية هو سقوط القاعدة المركزية فى جيانغشى أثناء مقاومة حملة « التطويق والابادة » الخامسة . وكانت وجهة النظر اليمينية هى مبعث هذا الخطأ . فان القادة كانوا يخشون العدو كأنه نمر ، فأقاموا

خطوط الدفاع فى كل مكان ، ثم راحوا يقاومون على خط بعد آخر ، ولم يجرؤوا على شن هجوم على مؤخرة العدو رغم أن الظروف كانت مؤاتية لشن مثل هذا الهجوم . وكذلك لم يجرؤوا على اطلاق أيديهم فى استدراج العدو ليتغلغل فى أراضينا حيث يبيدونه دفعة واحدة . ونتيجة لذلك سقطت القاعدة كلها فى يد العدو ، واضطر الجيش الأحمر الى المسيرة الكبرى لمسافة تزيد عن اثنى عشر ألف كيلومتر . الا أن مثل هذا الخطأ يسبقه ، عادة ، خطأ «يسارى» ناتج عن الاستهانة بالعدو . فان نزعة المغامرة العسكرية التى تدعو الى الهجوم على المدن الرئيسية عام ١٩٣٢ كانت هى ، على وجه التحديد ، الأصل الذى نشأ عنه خط الدفاع السلبى الذى اتخذ فيما بعد لمجابهة حملة « التطويق والابادة » الخامسة .

وأبرز مثال عن الفزع الشديد من العدو هو (خط تشانغ قوه تاو) الداعى الى التراجع . وكانت هزيمة قوات الجبهة الغربية من جيش الجبهة الرابعة من الجيش الأحمر غرب النهر الأصفر (١٩) اعلانا عن افلاس هذا الخط بصورة نهائية .

ان الدفاع الايجابى يسمى أيضا بالدفاع من أجل الهجوم ، أو الدفاع من أجل المعركة الفاصلة ، كما أن الدفاع السلبى يسمى بالدفاع المطلق أو الدفاع المحض . والدفاع السلبى هو دفاع كاذب فى الحقيقة ، أما الدفاع الايجابى فهو وحده الدفاع الحقيقى ، الدفاع فى سبيل الهجوم المضاد أو الهجوم . وليس هناك ، فيما أعلم ، مؤلف عسكرى قيم ، أو خبير عسكرى فطن ، فى الماضى أو الحاضر ، فى الصين أو البلدان الأخرى ، الا ويعارض الدفاع السلبى الاستراتيجى أو التكتيكى على السواء . ولا يحرص على الدفاع السلبى كسلاح سحرى الا أشد الناس غباوة أو غرورا . ولكن يوجد فى العالم رغم ذلك أناس من هذا النوع يرتكبون هذه الحماقة . ان الدفاع السلبى هو خطأ فى الحرب ،

وتعبير عن روح التحفظ فى المجال العسكرى ، فيجب أن نعارضه بعزم .

وان الخبراء العسكريين فى الدولتين الامبرياليتين ألمانيا واليابان اللتين نهضتا متأخرا ولكن تطورتا سريعا جدا ، يشيدون فى حماس بمنافع الهجوم الاستراتيجى ، ويعارضون الدفاع الاستراتيجى . وفكرتهم هذه لا تناسب الحرب الثورية الصينية على الاطلاق . ويقول هؤلاء الخبراء العسكريون ان نقطة الضعف الكبرى فى الدفاع هى أنه لا يمكن أن يرفع معنويات الناس بل يثبطها . ولكن رأيهم هذا لا ينطبق الا على تلك البلدان التى تحتد فيها التناقضات الطبقية ولا تفيد الحرب الا الفئات الحاكمة الرجعية فيها أو الجماعات السياسية الرجعية القابضة على زمام الحكم . أما أوضاعنا فتختلف عن ذلك . اذ أننا نستطيع ، تحت شعار الدفاع عن مناطق القواعد الثورية وعن الصين ، أن نوحد الأغلبية العظمى من الشعب فى سبيل القتال بارادة واحدة ، لأننا ضحايا الاضطهاد والعدوان . وقد هزم الجيش الأحمر السوفياتى أعداءه أيضا عن طريق الدفاع أثناء الحرب الأهلية . وكما خاضوا ، تحت شعار الدفاع عن السلطة السوفياتية ، غمار الحرب ضد هجوم الجيش الأبيض الذى نظمته الدول الامبريالية ، كذلك قاموا بتعبئة عسكرية تحت شعار الدفاع عن العاصمة خلال فترة التحضير لانتفاضة أكتوبر (تشرين الأول) . ان المعارك الدفاعية فى جميع الحروب العادلة ليس من شأنها أن تخدر العناصر الغريبة سياسيا فتفقدها اليقظة فحسب ، بل من شأنها أيضا أن تعبئ الفئات المتخلفة من جماهير الشعب لتساهم فى الحرب .

عندما قال ماركس انه اذا قامت انتفاضة مسلحة ، لا يجوز ايقاف الهجوم ولو لحظة واحدة(٢٠) ، كان يعنى أنه يجب على الجماهير التى قامت بانتفاضة فى غفلة من العدو ألا تدع للحكام الرجعيين فرصة للاحتفاظ بسلطتهم السياسية أو استردادها ، بل ينبغى أن تنتهز هذه اللحظة لتشن هجوما مباغتا على القوى الحاكمة الرجعية المحلية حتى لا تجد سبيلا الى المقاومة ، ولا يجوز لها بدلا

من ذلك أن تقنع بالانتصار الذى تم انتزاعه ، وتستهين بشأن العدو فتتوانى فى الهجوم عليه ، أو تحجم عن مواصلة التقدم فتفوتها فرصة القضاء على العدو ويترتب على ذلك فشل الثورة . ان هذا قول صحيح . ولكن ذلك لا يعنى أنه يجب علينا نحن الثوريين ألا نتخذ التدابير الدفاعية ، حتى ولو صرنا نجابه فى الميدان عدوا متفوقا علينا نعانى منه ضغطا شديدا . ومن يفكر على هذا الغرار ، فهو أغبى الأغبياء .

ان الحرب التى خضناها كانت فى مجموعها هجوما على الكومينتانغ ، ولكنها اتخذت فى المجال العسكرى شكل تحطيم حملات « التطويق والابادة » .

ان حربنا تقوم ، فى الناحية العسكرية ، على استخدام الدفاع والهجوم بتناوب . ولا فرق عندنا فى اعتبار الهجوم لاحقا للدفاع أو سابقا له ، اذ أن مفتاح المسألة هو تحطيم حملات « التطويق والابادة » . ان الدفاع سيستمر قبل تحطيم حملة « التطويق والابادة » ، ومتى تم تحطيم الحملة انقلب الدفاع الى الهجوم على الفور ، فليس الدفاع والهجوم سوى مرحلتين من العملية الواحدة ، وبالاضافة لذلك فان كل حملة « تطويق وابادة » يشنها العدو تعقبها حملة أخرى . ان المرحلة الدفاعية أكثر من المرحلة الهجومية تعقيدا وأهمية ، اذ تتضمن قضايا كثيرة تتعلق بكيفية تحطيم حملة « التطويق والابادة ». ان المبدأ الأساسى هو التسليم بالدفاع الايجابى ومعارضة الدفاع السلبى .

ومتى رجحت كفة الجيش الأحمر على كفة العدو من حيث القوة فى الحرب الأهلية ، فلن تعود بنا ، على وجه العموم ، حاجة الى الدفاع الاستراتيجى. وعندئذ ستكون سياستنا هى مجرد الهجوم الاستراتيجى . ومثل هذا التبدل سوف يحدث بحدوث تبدل عام فى نسبة القوة بين العدو وأنفسنا . وعندئذ ستكون التدابير الدفاعية الباقية مجرد شىء جزئى .

المبحث الثانى – التحضير لمقاومة حملات « التطويق والابادة »

اذا لم نقم باستعداد لازم وكامل لصد أى حملة من حملات « التطويق والابادة » التى يدبرها العدو ، فمن المؤكد أن زمام المبادرة سوف يفلت من يدنا . واذا نهضنا الى ملاقاة العدو فى عجلة وبدون استعداد فلن نستطيع أن نضمن لأنفسنا النصر . ولذا يكون من الضرورى تماما ، حين يأخذ العدو فى تحضير حملة « تطويق وابادة » ، أن نعد عدتنا لصدها . لقد سبق أن ظهر فى صفوفنا رأى يدعو الى معارضة التحضير ، وهو رأى ساذج مضحك .

وهنا مشكلة كثيرا ما تثير الجدال . وهذه المشكلة هى متى ننهى عمليات الهجوم ، وننتقل الى مرحلة التحضير لمقاومة حملة « تطويق وابادة » جديدة ؟ ذلك لأنه عندما نتقدم فى هجوم مظفر ويكون العدو فى وضع الدفاع ، يقوم هو سرا بتحضير حملة « تطويق وابادة » جديدة ، بحيث يصعب علينا أن نعرف متى سيبدأ هجومه . فاذا شرعنا فى تحضير حملة المقاومة فى وقت سابق لأوانها ، فسيقلل ذلك طبعا ما سنحققه فى هجومنا من مكاسب ، بل قد يترك فى بعض الأحيان آثارا سيئة بين الجيش الأحمر والشعب . ذلك أن الخطوات الرئيسية التى تتخذ فى المرحلة التحضيرية هى وضع الترتيبات العسكرية والقيام بالتعبئة السياسية من أجل التراجع . وقد يحصل فى بعض الأحيان أننا نبدأ بأعمال التحضير مبكرا جدا ، فنصبح فى حالة انتظار العدو ، وقد لا يأتى العدو بعد أن يطول انتظارنا ، فنضطر الى شن الهجوم من جديد . ويحصل فى أحيان أخرى أنه ما ان نستأنف هجومنا حتى نجد العدو يستأنف هجومه علينا ، فنقع فى مأزق حرج . وهكذا فان اختيار الساعة المناسبة لبدء التحضير يعتبر مسألة هامة . ولأجل تحديد هذه الساعة يجب أن ننظر الى أوضاع العدو وأوضاعنا

والعلاقات بين الاثنين . ولكى نطلع على أوضاع العدو ، يجب أن نجمع المعلومات عن ظروفه السياسية والعسكرية والمالية وعن حالة الرأى العام فى مناطق نفوذه . وينبغى لنا عند تحليل هذه المعلومات أن نقدر قوة العدو كلها حق التقدير فلا يجوز لنا أن نبالغ فى تقدير مدى هزائمه السابقة ، ولكن لا يجوز لنا على الاطلاق فى الوقت نفسه ألا نضع فى الاعتبار التناقضات القائمة داخل معسكر العدو ، ومصاعبه المالية وآثار هزائمه السابقة . . الخ . أما فيما يتعلق بأنفسنا فيجب ألا نبالغ فى تقدير مدى انتصاراتنا السابقة ، ولكن لا يجوز لنا أبدا فى الوقت نفسه ألا نقدر مدى تأثير هذه الانتصارات حق التقدير .

غير أن بدء التحضير فى وقت سابق للحظة المناسبة هو على وجه العموم خير من بدئه فى وقت متأخر عن تلك اللحظة . ذلك لأن الأول يسبب من الخسائر أقل مما يسببه الأخير ، أما فائدته فهى أن الاستعداد يمنعنا من الوقوع فى ورطة ويضعنا من حيث الأساس فى مركز لا نقهر معه .

والقضايا الرئيسية فى مرحلة التحضير هى الترتيبات من أجل تراجع الجيش الأحمر ، والتعبئة السياسية ، وتجنيد جنود جدد ، والتحضيرات المالية والغذائية ، ومعالجة أمر العناصر الغريبة سياسيا .

ونعنى بالترتيبات من أجل تراجع الجيش الأحمر أنه لا يجوز فى مرحلة التحضير جعل الجيش الأحمر يتقدم فى جهة يصعب عليه التراجع عنها ، ولا يجوز له أن يندفع بعيدا فى هجومه ، فيتعرض للاعياء الشديد . هذه هى الترتيبات التى يجب على قوات الجيش الأحمر النظامى أن تتخذها عشية هجوم العدو الواسع النطاق . وانما يجب على الجيش الأحمر فى هذا الوقت أن يركز اهتمامه على تخطيطات خلق ساحات للمعارك وتجميع المؤن وتوسيع صفوفه وتدريبها .

أما التعبئة السياسية فهى أول قضية هامة فى النضال ضد حملات « التطويق والابادة » . ونعنى بالتعبئة السياسية أنه يجب أن نبين لأفراد الجيش الأحمر

وأبناء الشعب فى القواعد الثورية ، بكل وضوح وجلاء وبلهجة قاطعة ، أن هجوم العدو علينا أمر محتوم قريب الوقوع ، وأن ننبههم الى مدى الخطر الذى سيهدد الشعب من جراء هذا الهجوم ، وكذلك يجب أن نبين لهم نقاط ضعف العدو ، والظروف الممتازة التى ينفرد بها الجيش الأحمر ، وعزيمتنا على انتزاع النصر ، واتجاه عملنا . . الخ . ويجب أن ندعو الجيش الأحمر وجميع أبناء الشعب فى القواعد الثورية الى النضال ضد حملة « التطويق والابادة » وفى سبيل الدفاع عن القواعد الثورية . ومن الضرورى أن تجرى التعبئة السياسية — باستثناء ما يتعلق بالأسرار العسكرية — بصورة علنية وعلى نطاق واسع بحيث تشمل كل من يمكن أن يؤيد مصالح الثورة . ان الحلقة الهامة فى التعبئة السياسية هى اقناع الكوادر .

وعلينا أن ننطلق فى تجنيد الجنود الجدد من ناحيتين : فمن ناحية يجب أن نضع فى الاعتبار مستوى الوعى السياسى لدى الشعب وعدد السكان ، ومن ناحية أخرى نأخذ بعين الاعتبار أوضاع الجيش الأحمر القائمة ، وتقدير الخسائر التى قد يتكبدها الجيش الأحمر فى مجرى الحملة المضادة « للتطويق والابادة » كلها .

وغنى عن البيان أن الأموال والمؤن الغذائية لها أهمية بالغة فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » . فعلينا أن نضع فى الحسبان أن أجل حملة « التطويق والابادة » قد يطول . وعلينا أن نضع حسابا للحد الأدنى من المتطلبات المادية للجيش الأحمر أولا ولأبناء الشعب فى القواعد الثورية ثانيا طوال أيام النضال ضد حملة « التطويق والابادة » .

ولا يجوز أن نفقد يقظتنا ازاء العناصر الغريبة سياسيا ، ومع ذلك لا ينبغى أن نكون فى خوف شديد من خيانتهم فنلجأ الى تدابير وقائية أكثر من اللازم . ويجب أن نعامل ملاك الأراضى والتجار والفلاحين الأغنياء معاملات مختلفة ،

وأهم ما فى الأمر هو أن نوضح لهم سياساتنا ، ونكسب حيادهم ، وننظم الجماهير الشعبية لكى تراقبهم . ولا يجوز لنا أن نتخذ التدابير الصارمة كالاعتقال ، الا حيال القلة القليلة من العناصر الأشد خطرا بينهم .

وان مدى النجاح فى النضال ضد حملة « التطويق والابادة » مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى انجاز المهمات فى المرحلة التحضيرية . والتراخى فى التحضير نتيجة الاستخفاف بشأن العدو ، والارتباك الناشئ عن الخوف من هجوم العدو كلاهما اتجاه سيئ يجب معارضته بحزم . ان ما نحتاج اليه هو الجمع بين الحماس ورباطة الجأش ، والعمل بصورة تجمع بين الجدية والانتظام .

المبحث الثالث – التراجع الاستراتيجى

ان التراجع الاستراتيجى خطوة استراتيجية مخططة يتخذها جيش ضعيف يدرك ، وهو أمام هجوم جيش متفوق عليه ، أنه عاجز عن سحق هذا الهجوم سريعا ، وذلك بغية المحافظة على قوته حتى يستطيع دحر العدو فى فرصة أخرى. بيد أن أنصار نزعة المغامرة العسكرية يعارضون مثل هذه الخطوة بعناد ، وينادون بما يسمى « صد العدو خارج بوابة البلاد » .

من المعروف أنه عندما يتلاكم ملاكمان ، يتراجع العاقل الذكى منهما عادة فى بداية الأمر ، بينما الأحمق يحمل على خصمه مرغيا ومزبدا ، ويظهر كل مهارته منذ اللحظة الأولى ، فتكون الغلبة للمتراجع فى أغلب الأحيان .

ونقرأ فى رواية « أبطال على شاطئ البحيرة » أن المدرب هونغ حين تحدى لين تشونغ فى بيت تشاى جين صاح فى نفس واحدة : « تعال ! تعال ! تعال ! » ، فلم يلبث أن كشف لين تشونغ الذى تراجع فى بداية الأمر نقطة الضعف فى المدرب هونغ ، فألقاه أرضا بركلة قوية(٢١) .

فى عصر الربيع والخريف من التاريخ الصينى دارت رحى الحرب بين مملكة لو ومملكة تشى(٢٢) . وكان الأمير تشوانغ ملك لو يريد أن يأمر بملاقاة قوات تشى قبل أن يصيبها التعب والاعياء ، ولكن تساو قوى استطاع أن يمنعه من ذلك ، فاتخذ الملك سياسة « اذا تعب العدو هاجمناه » ، وهزم بفضلها قوات تشى ، وأصبحت هذه الحملة مثالا مشهورا فى تاريخ الحروب الصينية عن انتصار الجيش الضعيف على الجيش القوى . وانظروا كيف كان المؤرخ تسوه تشيو مينغ(٢٣) يصف الحملة :

قامت قوات تشى بغزونا فى أيام الربيع ، فاستعد ملكنا للقتال . فطلب تساو قوى مقابلة الملك . ولكن قال له بعض أهل بلده : « ان الحرب من شأن الوزراء والأمراء فلم تحشر أنفك فى الأمر ؟ » قال تساو : « أولئك ضيقو التفكير لا يعرفون رسم خطط بعيدة المدى . » فدخل على الملك ، وسأله قائلا : « بم تحاربون ؟ » أجاب : « ان قلبى لا يطاوعنى على الاستئثار بنعم الحياة من مآكل وملابس ، بل أشرك الآخرين فيها دائما . » فرد عليه تساو : « عطاياك الزهيدة هذه لم تعم أبناء الشعب جميعا فهم لن يتبعوكم . » فقال الملك : « لا أكذب فى عدد ما أقدمه الى الآلهة من الذبائح والجواهر والحرير ، بل أنا صادق فى ذلك . » فرد عليه تساو : « ولكن هذا الصدق هين لا يكسبكم ثقة الآلهة ، فهى لن تبارككم . » فقال الملك : « وأنا أتوخى العدل والانصاف حين أفصل فى الدعاوى كبيرها وصغيرها حتى ولو لم أستطع الاطلاع على تفاصيلها . » فقال تساو : « هذا الذى يدل على اخلاصكم للشعب ، فيمكنكم أن تحاربوا بهذا . واذا حاربتم فاسمحوا لى بمرافقتكم . » اصطحبه الملك على عربته ، وخاض المعركة فى تشانغشاو . وعندما هم الملك أن يقرع الطبل لكى يهجم جيشه ، قال تساو : « لم يحن الأوان بعد . » حتى اذا ما قرعت الطبول من جانب قوات تشى ثلاث مرات ، قال : « لقد حان أن نقرع الطبل . » فمنيت قوات تشى بهزيمة نكراء . وحين هم الملك

أن يأمر بمطاردتها ، قال تساو مرة أخرى : « لم يحن الأوان بعد . » فنزل من العربة وتفحص آثار عجلات عربات العدو ، ثم صعد على مقدمة العربة ومد بصره ، ثم قال للملك : « حان الأوان . » فشرع الجيش فى مطاردة قوات تشى وانتصر . وعندئذ استفسر الملك تساو عن مبررات تصرفاته ، فأجابه قائلا : « ان القتال يعتمد على الروح المعنوية . فعند قرع الطبل للمرة الأولى ترتفع روح الجنود المعنوية الى ذروتها ، ثم تأخذ فى الهبوط فى المرة الثانية ، ثم تنهار فى المرة الثالثة . وهكذا انهارت روح العدو المعنوية ، بينما كانت روحنا المعنوية فى ذروتها ، فكسبنا النصر . ثم انه من الصعب على المرء أن يعرف قوة مملكة كبيرة حين يقاتلها ، وهكذا فقد كنت خائفا من أن يكون فى الأمر فخ ، وهذا هو السبب فى أنى لم أنصح بمطاردة العدو الا بعد أن وجدت آثار عجلات عرباته مضطربة وراياته متهاوية .

كان الوضع القائم هو أن مملكة ضعيفة تقاوم مملكة قوية . وقد أشار هذا الوصف الى التحضير السياسى قبل الدخول فى الحرب وهو كسب ثقة الشعب ، والى الموقع المؤاتى للانتقال الى الهجوم المضاد وهو تشانغشاو ، والى اللحظة المناسبة لبدء الهجوم المضاد وهى اللحظة التى هبطت فيها روح العدو المعنوية الى حضيضها ، وعلت روحنا المعنوية الى أوجها ، كما أشارت الى اللحظة المناسبة لبدء المطاردة وهى اللحظة التى اضطربت فيها آثار عجلات عربات العدو وتهاوت راياته . ورغم أن الحملة لم تكن كبيرة ، الا أن هذا الوصف قد بين لنا مبادئ الدفاع الاستراتيجى . وما أكثر الأمثلة فى تاريخ الحروب الصينية عن احراز النصر بفضل تطبيق هذه المبادئ ! ففى موقعة تشنغقاو بين مملكة تشو ومملكة هان(٢٤) ، أو موقعة كونيانغ بين مملكة شين ومملكة هان(٢٥) ، أو موقعة قواندو بين يوان شاو وتساو تساو(٢٦) ، أو موقعة تشيبى بين مملكة وو ومملكة وى(٢٧) ، أو موقعة ييلينغ بين مملكة

وو ومملكة شو(٢٨) ، أو موقعة فيشوى بين مملكة تشين ومملكة جين(٢٩) ، أو غيرها من المواقع الكبرى الشهيرة ، كان الخصمان متفاوتين فى القوة ، ولكن الضعيف منهما استطاع التغلب على خصمه القوى بأن تراجع أولا ثم كر عليه.

لقد بدأت حربنا فى خريف ١٩٢٧ ، وكنا فى ذلك الوقت نفتقر تماما الى التجربة . فقد فشلت كلتا الانتفاضتين فى نانتشانغ(٣٠) وفى قوانغتشو(٣١) ، كما منى الجيش الأحمر فى منطقة حدود خونان – خوبى – جيانغشى بعدة هزائم فى انتفاضة حصاد الخريف ، فانتقل مضطرا الى منطقة جبال جينغقانغ الواقعة على حدود خونان – جيانغشى . وكذلك انتقلت اليها الوحدات التى تبقت بعد فشل انتفاضة نانتشانغ ، عن طريق جنوبى خونان فى ابريل (نيسان) من السنة التالية . ولكن توصلنا منذ مايو (أيار) ١٩٢٨ الى مبدأ أساسى حول حرب العصابات ، وكان هذا المبدأ بسيطا فى طبيعته ، متفقا مع الظروف السائدة فى ذلك الحين ، وقد صيغ فى ستة عشر مقطعا هى : « اذا تقدم العدو تراجعنا ، واذا عسكر أزعجناه ، واذا تعب هاجمناه ، واذا تراجع طاردناه » . وهذا المبدأ العسكرى قد أقرته اللجنة المركزية قبل سيطرة خط لى سان عليها . ثم تطورت مبادئ القتال عندنا . فعند مقاومة حملة « التطويق والابادة » الأولى فى قواعدنا الثورية بجيانغشى ، طرحنا مبدأ « استدراج العدو ليتغلغل فى أراضينا » ، وطبقناه بنجاح . ثم تبلورت جميع مبادئ القتال الخاصة بالجيش الأحمر بعد ما انتصرنا على العدو فى حملته الثالثة « للتطويق والابادة » . وكانت هذه المرحلة مرحلة جديدة من تطور مبادئنا العسكرية ، غنيت فيها محتوياتها كثيرا ، وتغيرت أشكالها تغيرا عظيما ، وذلك يتجلى بصورة رئيسية فى أنها قد تخطت طور البساطة ، ومع ذلك فان المبدأ الأساسى ما زال يتمثل فى تلك الصيغة المؤلفة من ستة عشر مقطعا ، التى تضمنت جميع المبادئ الأساسية للحملات المضادة « للتطويق والابادة » ، وتضمنت كلتا مرحلتى الدفاع

الاستراتيجى والهجوم الاستراتيجى ، وكذلك تضمنت فيما يتعلق بالدفاع مرحلتى التراجع الاستراتيجى والهجوم المضاد الاستراتيجى . أما الأشياء التى ظهرت فيما بعد فلم تكن سوى تطورات لهذه المبادئ .

على أن الانتهازيين « اليساريين » بدأوا يهاجمون هذه المبادئ الصحيحة اعتبارا من يناير (كانون الثانى) ١٩٣٢ ، أى بعد أن أصدر الحزب قراره حول « السعى الى كسب النصر أولا فى مقاطعة واحدة أو فى عدة مقاطعات بعد سحق حملة "التطويق والابادة" الثالثة » ذلك القرار الذى ينطوى على أخطاء مبدئية خطيرة ، فاستطاعوا الغاء هذه المبادئ الصحيحة فى نهاية الأمر ، وأحلوا محلها مجموعة أخرى من المبادئ مناقضة لها أسموها « المبادئ الجديدة » أو « المبادئ المتفقة مع الأصول والقواعد » . ومنذ ذلك الحين لم يعد يسمح باعتبار المبادئ السابقة مبادئ متفقة مع الأصول والقواعد ، بل يجب نبذها باعتبارها وليدة « نزعة حرب العصابات المحضة » . وساد جو من معارضة « نزعة حرب العصابات المحضة » ثلاث سنوات كاملة . وظهرت فى المرحلة الأولى من هذه الفترة نزعة المغامرة العسكرية ، ثم انقلبت هذه النزعة الى نزعة التحفظ العسكرى فى المرحلة الثانية ، وأخيرا تحولت الى نزعة الفرار فى المرحلة الثالثة . وظل الأمر كذلك حتى عقدت اللجنة المركزية للحزب الاجتماع الموسع لمكتبها السياسى فى تسونيى من مقاطعة قويتشو فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥ ، فأعلن الاجتماع افلاس هذا الخط الخاطئ ، وأكد من جديد صحة الخط السابق . ولكن شدما كلفنا ذلك من ثمن باهظ !

وكان أولئك الرفاق الذين يعارضون بشدة « نزعة حرب العصابات المحضة » يقولون : كان من الخطأ استدراج العدو ليتغلغل فى أراضينا ، فقد اضطررنا بسبب ذلك الى التخلى عن قسم كبير من الأرض . ورغم أننا قد حققنا انتصارات فى الماضى بفضل تطبيق ذلك المبدأ ، ولكن أليست الحالة اليوم قد اختلفت

عنها فى الأمس ؟ وفوق ذلك ، أفليس من الأفضل أن نهزم العدو دون أن نتخلى عن أرض من أراضينا ؟ ثم أليس من الأفضل أن نهزم العدو فى مناطقه أو على الحدود بين مناطقه ومناطقنا ؟ ان ما طبق فى الماضى لا يتفق فى شىء مع الأصول والقواعد ، فهو ليس أكثر من أساليب صالحة لفصائل العصابات. أما الآن فقد أسسنا دولتنا الخاصة وأصبح جيشنا الأحمر قوة نظامية ، وبالتالى تحولت الحرب بيننا وبين تشيانغ كاى شيك الى حرب بين دولتين وبين جيشين جرارين . لا ينبغى أن يعيد التاريخ نفسه ، بل يجب أن ننبذ الآن كل ما يعزى الى « نزعة حرب العصابات المحضة » . وان المبادئ الجديدة هى مبادئ « ماركسية تماما » ، أما المبادئ القديمة فقد أنتجتها فصائل العصابات فى بطون الجبال حيث لا توجد الماركسية بتاتا . وخلافا للمبادئ القديمة فان المبادئ الجديدة هى : « كل واحد منا ضد عشرة وكل عشرة منا ضد مائة ، ولنقاتل بكل شجاعة وعزم ، ونكمل النصر بمطاردة العدو » ، و« يجب أن نشن الهجوم فى جميع الجبهات » ، و« يجب أن نستولى على المدن الرئيسية » و« لنضرب بالقبضتين معا » . أما التدابير المتخذة فى حالة هجوم العدو فهى : « صد العدو خارج بوابة البلاد » ، و« مبادأة العدو بالضربة » ، و« لن نترك العدو يأتى فيهشم ما فى بيوتنا من أوان وأوعية » ، و« لن نتخلى عن شبر من أرضنا » ، و« نقسم قواتنا لنزحف على العدو على ست جهات » ؛ هى « خوض معركة فاصلة يتقرر فيها سير الصين فى طريق الثورة أو سيرها فى طريق المستعمرات » ؛ وهى شن الهجمات الخاطفة ، وحرب القلاع وحرب انهاك قوى العدو ، و« الحرب الطويلة الأمد » ؛ وهى انشاء الأجهزة الادارية الضخمة فى المؤخرة ، وممارسة القيادة المركزية المطلقة ؛ وأخيرا هى هجرة كبرى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل كانوا ينزلون عقوبات بكل من يرفض مبادئهم هذه ، ويصفونه بالانتهازى ، وهلم جرا .

ومما لا شك فيه أن هذه النظريات والتطبيقات كلها خاطئة ، ومردها الى النزعة الذاتية . وهى من مظاهر الهوس الثورى والتسرع الثورى لدى البرجوازية الصغيرة فى الظروف المؤاتية ، ولكن حينما تصبح الظروف قاسية ، فانها ستتحول حسب تحولات الأحوال ، الى نزعة الاستماتة فنزعة التحفظ فنزعة الفرار . انها نظريات وتطبيقات المتهورين ومن ليسوا بأهل الفنون العسكرية ، وهى شىء لا نشم فيه رائحة الماركسية ، بل شىء ضد الماركسية .

سأتناول هنا موضوع التراجع الاستراتيجى وحده ، وهذا التراجع يسمى فى جيانغشى « استدراج العدو ليتغلغل فى أراضينا » ، ويسمى فى سيتشوان « تقليص الجبهة » . ولم نجد أحدا من السابقين المتخصصين فى النظريات العسكرية أو الذين يباشرون القيادة الحربية فى الماضى لا يعترف بأن هذا التدبير ضرورى بالنسبة الى جيش ضعيف فى بداية محاربته لجيش قوى . لقد قال بعض الخبراء العسكريين الأجانب فى هذا الصدد : « الغالب فى العمليات الدفاعية الاستراتيجية أن يتجنب الجيش خوض معركة فاصلة غير مؤاتية فى بادئ الأمر ، حتى اذا أصبحت الظروف مؤاتية له سعى اليها . » ان هذا الرأى صحيح تماما ، وليس لدينا ما نضيف اليه .

والغرض من التراجع الاستراتيجى هو المحافظة على القوة العسكرية ، والتحضير لشن الهجوم المضاد . والسبب فى أن التراجع ضرورى ، يرجع الى أنه ان لم نتراجع خطوة الى الوراء أمام هجوم عدو قوى فسوف يحيق الخطر ببقاء قوتنا العسكرية حتما . ولكن كان هناك كثير من الناس يعارضون التراجع بعناد ويعتبرونه « خطا انتهازيا للدفاع المحض » . ولكن تاريخنا قد برهن على أن معارضتهم هذه خطأ كل الخطأ .

ولا بد لنا فى أثناء التحضير للهجوم المضاد أن نختار ونخلق عدة شروط مؤاتية لنا دون العدو ، يتحقق معها تبدل فى نسبة القوة بين العدو وبيننا ، وعندئذ

ندخل فى مرحلة الهجوم المضاد .

وتشير تجربتنا الماضية الى أنه لا يمكن على العموم أن نعتبر أن الموقف قد أصبح مؤاتيا لنا دون العدو بحيث نستطيع أن ننتقل الى الهجوم المضاد ، الا اذا توفر لدينا خلال مرحلة التراجع شرطان على الأقل من الشروط الآتية :

١ ــ شعب يساند الجيش الأحمر بحماس ،

٢ ــ مواقع صالحة للقتال ،

٣ ــ حشد قوات الجيش الأحمر الرئيسية حشدا تاما ،

٤ ــ اكتشاف أقسام ضعيفة من العدو ،

٥ ــ ارهاق العدو وتثبيط معنوياته ،

٦ ــ ايقاع العدو فى هفوات .

ان الشرط الأول ــ مساندة الشعب ، هو أهم الشروط المذكورة بالنسبة الى الجيش الأحمر . وهو يعنى بالضبط وجود القواعد الثورية . وفوق ذلك فانه يتسنى لنا بتوفر هذا الشرط أن نخلق أو نكتشف الشرط الرابع والخامس والسادس. لذا كان الجيش الأحمر كلما شن عليه العدو حملة واسعة ، تراجع من المنطقة البيضاء الى القواعد الثورية ، لأن الشعب فيها أشد ما يكون حماسا ونشاطا فى مساندته ضد الجيش الأبيض . ثم نجد أيضا فى القواعد الثورية فارقا بين مناطقها التخومية ومناطقها المركزية ، فان الشعب فى المناطق المركزية أعظم كفاءة منه فى المناطق التخومية فى منع تسرب المعلومات ، والاستطلاع والنقل، والمشاركة فى القتال . . الخ . وعلى هذا فقد وقع الاختيار لـ « نقطة نهاية التراجع » ، عند مقاومتنا لحملات « التطويق والابادة » الأولى والثانية والثالثة فى جيانغشى ، على تلك المناطق التى كان تأييد الشعب فيها على أحسن ما يكون أو كان حسنا نسبيا . ان هذه الخاصية وأعنى بها وجود القواعد الثورية جعلت أساليب الجيش الأحمر فى القتال مغايرة ، الى حد بعيد ، لأساليب القتال العامة ، كما أنها

كانت سببا رئيسيا فى ارغام العدو على اتخاذ سياسة بناء القلاع فيما بعد .

ومن مزايا القتال فى الخط الداخلى أن الجيش المتراجع يستطيع اختيار المواقع الملائمة حسب رغبته ، وفرض ارادته على الجيش المهاجم . ولا بد للجيش الضعيف ، اذا أراد قهر الجيش القوى ، أن يعير اهتماما لشرط مواقع الحرب . ولكن توفر هذا الشرط وحده غير كاف ، اذ يحتاج هذا الشرط الى شروط أخرى تعضده . وأول هذه الشروط هو تأييد الشعب وثانيها هو وجود عدو يسهل هزيمته ، كأن يكون العدو قد أصبح منهوك القوى أو ارتكب أخطاء ، أو تكون احدى فصائله المتقدمة فى اتجاه معين ضعيفة نسبيا فى قدرتها القتالية . فاذا كانت هناك مواقع ممتازة ، ولكن لم تتوفر هذه الشروط ، فلن يسع الجيش الضعيف الا أن يتخلى عنها ويستمر فى التراجع الى حيث تتوفر له الشروط المطلوبة . وليست المناطق البيضاء خالية من مواقع ممتازة ، ولكن لا يتوفر لنا فيها وضع ممتاز من ناحية الشعب . فاذا لم نستطع خلق الشروط الأخرى أيضا أو لم نكتشفها ، فلا يسع الجيش الأحمر الا أن يتراجع الى القاعدة الثورية . ويوجد أيضا فرق مماثل على وجه الاجمال بين المناطق التخومية والمناطق المركزية فى القاعدة الثورية .

ان مبدأنا هو حشد جميع القوات الهجومية باستثناء القوات المحلية والوحدات التى تعمل لتقييد تحركات العدو . ان الجيش الأحمر غالبا ما يبعثر قواته حينما يهاجم عدوا يلجأ الى الدفاع الاستراتيجى . ومتى شن العدو علينا هجوما شاملا ، طبق الجيش الأحمر « التراجع نحو نقطة التمركز » . ويقع اختياره لنقطة نهاية التراجع على قلب القاعدة الثورية فى أغلب الأحيان ، ولكن يقع أحيانا أخرى على مقدمتها أو مؤخرتها حسب الظروف القائمة . ان هذا النوع من التراجع يمكن الجيش الأحمر من حشد قواته الرئيسية كلها .

وهناك شرط آخر يجب أن يتوفر للجيش الضعيف الذى يقاتل الجيش

القوى ، وهو أن يختار من الجيش القوى وحدات ضعيفة فيسدد اليها الضربات. على أننا لا نعرف فى الغالب ، عند بدء هجوم العدو ، أى وحدة من قواته المهاجمة فى عدة اتجاهات هى أقوى، وأى منها أقل قوة ، وأى منها أضعف ، وأى منها أقل ضعفا ، فلا بد من الاستطلاع . وكثيرا ما لا تتم عملية هذه المعرفة الا بعد وقت طويل . وهذا هو مبرر آخر لضرورة التراجع الاستراتيجى .

واذا كان العدو المهاجم يتفوق علينا كثيرا من حيث العدد والقدرة القتالية، لا يتحقق أملنا فى حدوث تبدلات فى نسبة القوة بين الطرفين الا بعد أن يتغلغل هذا العدو فى منطقة القواعد الثورية ويذوق فيها صنوف المرارة ويصبح فى حالة كالتى وصفها رئيس أركان أحد الألوية التابعة لتشيانغ كاى شيك الذى قام بحملة « التطويق والابادة » الثالثة ، اذ قال : « لقد أنهك الهدين منا حتى صار نحيلا ، وأنهك النحيل حتى قضى نحبه » ، أو كما وصف تشن مينغ شو القائد العام لقوات الجبهة الغربية من قوات « التطويق والابادة » ، اذ قال : « أينما سار الجيش الوطنى تخبط فى الظلمات بينما الجيش الأحمر يسير فى وضح النهار » . وفى هذه الحال ورغم أن العدو كان قويا فانه سوف يصاب بضعف شديد ، سوف تنهك قوى جنوده وتنهار معنوياتهم ، فينكشف بذلك كثير من نقاط ضعفه . أما الجيش الأحمر فانه رغم ضعفه يحتفظ بقوته ويكدس طاقته وينتظر فى راحة وطمأنينة حتى تنهك قوى العدو . سوف يحدث فى هذه الحال نوع من التعادل فى نسبة القوة بين الطرفين ، ويتحول تفوق العدو المطلق الى تفوق نسبى ، وضعفنا المطلق الى ضعف نسبى ، بل قد يصبح العدو فى بعض الأحوال أضعف منا فنتفوق نحن عليه. لقد عمد الجيش الأحمر ، أثناء مقاومة حملة « التطويق والابادة » الثالثة فى جيانغشى ، الى التراجع حتى الحد الأقصى (احتشد فى مؤخرة القاعدة الثورية) ، ولو لا هذا التراجع ما كان فى استطاعة الجيش الأحمر التغلب على العدو ، ذلك لأن قوات « التطويق

والابادة » كانت تفوق الجيش الأحمر من حيث العدد أكثر من عشر مرات . وحين قال سون تسى : « تجنب القتال حين يكون العدو فى أوج قوته ، واضربه حين ينسحب منهوك القوى » ، فانما يقصد ارهاق العدو وتثبيط معنوياته لاضعاف تفوقه .

والغرض الأخير من التراجع هو أن نوقع العدو فى هفوات ، وأن نكشف هفواته . يجب أن نعلم أنه يستحيل على قواد العدو ، مهما تكن براعتهم ، ألا تقع منهم أى هفوة فى غضون فترة طويلة من الزمن . ولذا فان امكانية الاستفادة من هفوات العدو موجودة على الدوام . يمكن أن يقع العدو فى هفوات ، تماما كما يمكن أن نقع نحن فى هفوات فى بعض الأحيان فنترك للعدو فرصة الاستفادة من هفواتنا . وأكثر من ذلك فانه يمكن أن نوقع العدو فى الهفوة بحيل كحيلة « المناورة الكاذبة » التى أشار اليها سون تسى بقوله : نقوم بمناورة كاذبة فى الشرق بينما تشن الهجوم فى الغرب (أى نقوم بعمليات خداعة فى الشرق لشن الهجوم فى الغرب) . واذا أردنا أن نفعل ذلك لا ينبغى أن نحدد نقطة نهاية التراجع فى منطقة معينة ، اذ أننا فى بعض الأحيان لا نجد فى العدو هفوة يمكن الاستفادة منها حتى بعد انسحابنا الى تلك المنطقة ، فلا مناص لنا عندئذ من أن نتراجع خطوات أخرى الى الوراء فى انتظار وقوع العدو فى هفوة نستطيع الاستفادة منها .

ان الشروط الملائمة التى يتطلبها التراجع هى على وجه الاجمال كما ذكرناه آنفا . لكن هذا لا يعنى وجوب توفر جميع هذه الشروط قبل شن الهجوم المضاد . اذ ليس من الممكن ولا من الضرورى أن تتوفر جميع هذه الشروط فى آن واحد . بيد أن كسب عدة شروط ضرورية منها وفقا لأوضاع العدو القائمة أمر يجب أن يهتم به الجيش الضعيف الذى يقاتل جيشا قويا فى الخط الداخلى ، والآراء التى تخالف هذا انما هى آراء خاطئة .

ان تحديد نقطة نهاية التراجع يجب أن يتم على ضوء الوضع العام القائم . فاذا كان الوضع الجزئى يبدو مناسبا لانتقالنا الى الهجوم المضاد ولم يكن الوضع الكلى مناسبا لذلك فى الوقت ذاته ، فمن الخطأ أن نحدد نقطة نهاية التراجع بناء على الوضع الجزئى . ذلك لأنه يجب علينا عند بدء الهجوم المضاد أن نضع التطورات اللاحقة فى تقديرنا ، مع العلم أن هجومنا المضاد يبدأ دائما على نطاق جزئى . يجب فى بعض الأحيان أن يقع الاختيار لنقطة نهاية التراجع على مقدمة القاعدة الثورية كما حدث فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الثانية والرابعة فى جيانغشى ، وفى مقاومة الحملة الثالثة فى منطقة حدود شنشى — قانسو . ويجب أن يقع الاختيار فى أحيان أخرى على وسط القاعدة الثورية كما حدث فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الأولى فى جيانغشى . وفى أحيان أخرى يجب أن يقع الاختيار على مؤخرة القاعدة الثورية كما حدث فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الثالثة فى جيانغشى . وقد حددت نقطة نهاية التراجع فى كل مرة بربط الوضع الجزئى بالوضع الكلى . أما فى أثناء مقاومة حملة « التطويق والابادة » الخامسة فى جيانغشى ، فقد رفض جيشنا التفكير فى التراجع رفضا تاما لأنه لم يفكر لا فى الوضع الجزئى ولا فى الوضع الكلى ، ان هذا التصرف كان حقا فى منتهى التهور والطيش . ان الوضع ينشأ بفعل الشروط ، فنحن حين نستعرض العلاقة بين الوضع الجزئى والوضع الكلى ، يجب أن ننظر الى الشروط المتوفرة لدينا ولدى العدو والمتجلية فى الوضع الجزئى والوضع الكلى وأن نحكم ما اذا كانت هذه الشروط مؤاتية الى حد معين لبدء هجومنا المضاد أم لا .

ان نقطة نهاية التراجع فى مناطق القواعد الثورية يمكن أن تقع عموما فى ثلاثة قطاعات : فى مقدمتها ووسطها ومؤخرتها . لكن هل يعنى ذلك أننا نرفض قطعا القتال فى المناطق البيضاء ؟ كلا . فنحن حين نقول اننا نرفض القتال فى

المناطق البيضاء ، لا نقصد بذلك الا مجابهة حملات « التطويق والابادة » الواسعة النطاق التى تشنها قوات العدو . ونحن لا ندعو الى التراجع الى القاعدة الثورية ولا استدراج للعدو ليتغلغل فى أراضينا الا فى حالة التفاوت العظيم فى القوة بين العدو وبيننا ، وبناء على مبدأ المحافظة على قوتنا فى سبيل سحق العدو فى فرص سانحة ، اذ لا نستطيع خلق أو كشف الشروط الملائمة للهجوم المضاد الا عن هذه الطريقة . أما اذا لم يكن الوضع على تلك الدرجة من الخطورة ، أو اذا كان الوضع خطيرا جدا بحيث يعجز الجيش الأحمر عن بدء هجومه المضاد حتى فى منطقة القاعدة الثورية ، أو اذا اصطدم الهجوم المضاد بعقبات واقتضى الحال أن نتراجع مرة أخرى انتظارا لتغير الوضع ، فان اختيار نقطة نهاية التراجع فى المناطق البيضاء أمر يجب التسليم به من الناحية النظرية على الأقل رغم أن تجربتنا فى هذا المضمار قليلة جدا .

ان نقطة نهاية التراجع فى المناطق البيضاء يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع أيضا على وجه العموم : ١ — أمام القاعدة الثورية ، ٢ — على جانبيها ، ٣ — خلفها . ومن أمثلة النوع الأول أنه خلال مقاومة حملة « التطويق والابادة » الأولى فى جيانغشى ، كان يمكننا أن نحشد قواتنا فى الأرض الواقعة بين محافظات جيآن ونانفنغ وتشانغشو ، ونشن من هناك هجوما مضادا اذا افترضنا أنه لم يكن ثمة خلاف داخل صفوف الجيش الأحمر وانقسام فى منظمات الحزب المحلية ، أى مشكلة خط لى سان ومشكلة فرقة ا — ب (٣٢) . ذلك لأن قوات العدو الزاحفة حينذاك بين نهرى قانجيانغ وفوشوى(٣٣) ، لم تكن متفوقة على الجيش الأحمر كثيرا (مائة ألف ضد أربعين ألفا) . وكان موقع الأرض صالحا للقتال رغم أننا لا نجد فى هذه المنطقة من مساندة الشعب مثل ما نجده فى القاعدة الثورية ، وفوق ذلك كان من الممكن أن نسحق قوات العدو كلا على حدة مستغلين فرصة زحفها على طرق عدة . ومن أمثلة النوع الثانى أنه كان يمكن للجيش الأحمر خلال مقاومة حملة

« التطويق والابادة » الثالثة فى جيانغشى ، اذا افترضنا أن العدو لم يشن هجومه على ذلك النطاق الواسع وأن احدى قواته زحفت فى طريق جيانيننغ وليتشوان وتاينينغ على حدود فوجيان - جيانغشى وكانت على درجة من القوة يتسنى لنا معها أن نشن هجوما عليها ، كان يمكن للجيش الأحمر فى هذه الحال أن يحتشد فى المنطقة البيضاء غربى فوجيان فيسحق هذه القوة الزاحفة أولا ، ولا داعى أن يقوم بحركة الالتفاف التى قطع فيها ألف لى حتى وصل الى شينغقوه عن طريق رويجين . ومن أمثلة النوع الثالث أنه خلال مقاومة الحملة الثالثة المذكورة أيضا كان من المحتمل اذا افترضنا أن قوات العدو الرئيسية اتجهت نحو الجنوب بدلا من الغرب ، أن نضطر الى التراجع الى منطقة خويتشانغ وشيونو وآنيوان (كانت منطقة بيضاء) فنستدرج العدو ليتغلغل مسافة أبعد فى جهة الجنوب ، وعندئذ يدور الجيش الأحمر على أعقابه فينطلق من الجنوب شمالا الى أعماق القاعدة الثورية حيث يقاتل قوة العدو الباقية التى لن تكون كبيرة العدد فى أغلب الظن . لكن هذه الحالات السابقة الذكر كلها حالات مفترضة ، وليس لدينا أية تجربة فعلية عنها ، لذلك يمكننا أن نعتبرها حالات استثنائية ، ولا يصح أن نعتبرها مبادئ عامة . فالمبدأ العام بالنسبة الينا هو أن نستدرج العدو ليتغلغل فى أراضينا ، حين يشن علينا حملة « التطويق والابادة » على نطاق واسع ، وأن نتراجع الى القاعدة الثورية حيث نقاتله ، لأن هذه الطريقة هى أضمن طريقة لسحق هجوم العدو .

ان أولئك الذين ينادون بـ « صد العدو خارج بوابة البلاد » ، يعارضون التراجع الاستراتيجى بحجة أن التراجع يتسبب فى فقدان الأرض ويضر بالشعب (أى يؤدى الى « تهشيم ما فى البيوت من الأوانى والأوعية » كما يدعون) ويترك أثرا سيئا فى العالم الخارجى . وكانوا يزعمون ، خلال مقاومة حملة « التطويق والابادة » الخامسة ، أنه كلما تراجعنا خطوة الى الوراء تقدم العدو بقلاعه

خطوة الى الأمام ، فتنكمش أرض القاعدة الثورية مع مرور الأيام دون أن نجد لاستردادها سبيلا ، وأنه اذا كانت طريقة استدراج العدو للتغلغل فى أراضينا مجدية فى الماضى ، فانها عديمة الجدوى أثناء حملة « التطويق والابادة » الخامسة التى يلجأ فيها العدو الى سياسة بناء القلاع . وعلى ذلك لا نستطيع أن نقاوم الحملة الخامسة الا بتقسيم القوات وشن هجمات خاطفة .

انه لمن السهل أن نرد على مثل هذه الآراء ، وقد رد عليها تاريخنا فعلا . أما فيما يتعلق بمسألة فقدان الأرض ، فكثيرا ما نجد أن فقدان الأرض هو السبيل الوحيد الى الاحتفاظ بها ، وهذا هو المبدأ القائل : « اذا أردت أن تأخذ فلا بد أن تعطى أولا » . فاذا كان ما نفقده هو الأرض وما نكسبه هو قهر العدو ، بالاضافة الى استرداد الأرض المفقودة والى توسيع الأرض ، فان هذه صفقة رابحة . وفى المعاملات التجارية ، لا يستطيع المشترى الحصول على البضاعة ما لم يعط نقوده ، ولا يستطيع البائع الحصول على النقود ما لم يعط بضاعته . ان ما تسببه الحركات الثورية من الخسارة هو التخريب لكن ما تحققه هو البناء التقدمى . وان الوقت يضيع خلال النوم أو الراحة ، لكن المرء يكسب أثناء ذلك حيوية ونشاطا من أجل عمل الغد . واذا كان هناك أحمق لا يفهم هذه الحقيقة فامتنع عن النوم فسوف يجد نفسه خائر القوى فى الغد ، وهذه صفقة خاسرة . والخسارة التى أصبنا بها فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الخامسة يرجع سببها الى هذه النقطة بالضبط . فقد رفضنا التنازل عن جزء من أرضنا ، ولكن كانت النتيجة أننا فقدنا كل أرضنا . وكذلك الحال بالنسبة الى الحبشة ، فقد فقدت كل أراضيها لأنها خاضت المعركة بلا مرونة ، وطبعا لا ترجع هزيمتها الى هذا السبب وحده .

ونفس الشىء يقال عن مسألة جلب الأضرار على الشعب . فاذا لم تهشم بعض الأوانى والأوعية فى بيوت بعض أفراد الشعب وفى فترة من الزمن ، فسوف

تهشم فى بيوت جميع أفراد الشعب ويبقى هذا الحال لفترة طويلة من الزمن . واذا خفنا من حصول أثر سياسى سيئ وموقت فسوف يحصل أثر سيئ يبقى لمدة طويلة كثمن مدفوع لهذا الخوف . وكان السوفيات قد يتعرض لخطر الهلاك فى حداثته(٣٤) ، لو عمل البلاشفة الروس بآراء «الشيوعيين اليساريين» بعد ثورة أكتوبر (تشرين الأول) ورفضوا عقد معاهدة صلح مع ألمانيا .

ان مثل هذه الآراء «اليسارية» التى تبدو كأنها ثورية ، تنشأ عن داء التسرع الثورى لدى مثقفى البرجوازية الصغيرة ، وكذلك عن ضيق الأفق وروح المحافظة عند الفلاحين – صغار المنتجين . ان أصحاب هذه الآراء ينظرون الى القضايا من زاوية الوضع الجزئى فقط ، ولا يقدرون على النظر الى الوضع الكلى نظرة شاملة ، ويأبون ربط مصالح اليوم بمصالح الغد ، وربط مصالح الجزء بمصالح الكل ، بل يتشبثون بعناد بكل ما هو جزئى وموقت . صحيح ، علينا أن نتمسك فى حزم بكل شىء جزئى وموقت نراه – حسب الظروف المحددة القائمة – فى صالح الوضع كله والمرحلة كلها فى ذلك الوقت المحدد ، وخصوصا بكل شىء جزئى وموقت يكون ذا أهمية حاسمة بالنسبة الى ذلك الوضع والى تلك المرحلة ، والا أصبحنا من أنصار العفوية أو اللامبالاة . وهذا هو السبب فى وجوب تحديد نقطة نهاية للتراجع . لكن لا ينبغى أن نعتمد فى ذلك بأى حال من الأحوال على قصر النظر لدى المنتج الصغير ، بل ينبغى أن نتعلم حكمة البلاشفة . وحين لا تنفعنا عيننا المجردة يجب علينا أن نستعين بالمنظار والميكروسكوب . والأسلوب الماركسى هو بالضبط المنظار والميكروسكوب فى النظر الى القضايا السياسية والعسكرية .

من الطبيعى أن التراجع الاستراتيجى سوف يصادف صعوبات . فاختيار ساعة بدء التراجع ، واختيار نقطة نهايته ، واقناع الكوادر والشعب سياسيا ، هذه كلها مشاكل يجب أن نوجد لها حلولا .

وان مسألة اختيار ساعة بدء للتراجع هي ذات أهمية خطيرة . فلو أن تراجعنا خلال مقاومة حملة « التطويق والابادة » الأولى فى جيانغشى لم يبدأ فى ذلك الوقت بالذات ، يعنى لو تأخر عن ذلك الوقت ، لأثر هذا التأخر على أقل تقدير ، فى مدى نصرنا . ومن المؤكد أن التراجع السابق لأوانه والمتأخر عنه على حد سواء يؤديان الى تكبيد الخسائر ، لكن التراجع المتأخر يسبب عموما ضررا أفدح . أما التراجع الذى يتم فى حينه فانه سيجعلنا نملك زمام المبادرة ، ويساعدنا الى درجة عظيمة فى أن نعيد تنظيم قواتنا وتدريبها بعد الوصول الى نقطة نهاية التراجع ، وأن ننتقل الى الهجوم المضاد ونحن فى ملء للقوة والنشاط بينما يكون للعدو منهوك القوى . ولقد استطعنا أثناء القتال فى سبيل سحق حملات « التطويق والابادة » الأولى والثانية والرابعة فى جيانغشى ، أن نجابه العدو فى هدوء وأناة . أما فى الحملة الثالثة فلم نكن نتوقع أنه كان بوسع العدو أن يشن هجومه الجديد بتلك السرعة بعد أن منى بتلك للهزيمة النكراء فى الحملة الثانية (ما ان أنهينا حملتنا الثانية المضادة « للتطويق والابادة » فى ٢٩ مايو – أيار – عام ١٩٣١ حتى بدأ تشيانغ كاى شيك حملته الثالثة « للتطويق والابادة » فى أول يوليو – تموز)، وهكذا اضطرت قوات الجيش الأحمر الى القيام بحركات التفاف على عجل للوصول الى حيث تتجمع فأصيبت من جراء ذلك بتعب شديد . ان اختيار ساعة بدء التراجع أمر يعتمد كليا على أن نجمع المعلومات اللازمة ونستنتج منها الحكم على ضوء للوضع العام لدى جانب العدو ولدينا ، أى بنفس الطريقة التى تحدثنا عنها سابقا ، والتى تتبع فى اختيار ساعة البدء للمرحلة التحضيرية .

ان اقناع الكوادر والشعب بضرورة التراجع الاستراتيجى مهمة شاقة عندما تعوزهم التجربة فى مثل هذا التراجع ، وقبل أن تبلغ القيادة العسكرية من القوة والنفوذ مبلغا تستطيع معه حصر سلطة اتخاذ القرارات فى التراجع الاستراتيجى فى يد أقل عدد من الناس أو حتى فى يد شخص واحد فيتمتعون بثقة الكوادر . ولقد

صادفنا لافتقار الكوادر الى التجربة وعدم ايمانهم بضرورة التراجع الاستراتيجى صعوبات كبرى فى هذا المجال فى بداية الحملتين المضادتين الأولى والرابعة « للتطويق والابادة » وطوال الحملة المضادة الخامسة . فكان الكوادر ، خلال الحملة الأولى ، يؤيدون الهجوم دون التراجع قبل أن يتم اقناعهم بضرورة التراجع ، وذلك يرجع الى تأثرهم بخط لى سان . أما فى الحملة الرابعة فكان الكوادر يعارضون الأعمال التحضيرية لمقاومة حملة « التطويق والابادة » بسبب تأثرهم بنزعة المغامرة العسكرية . وأما فى الحملة المضادة الخامسة فكان الكوادر لا يزالون يؤيدون فى بداية الأمر نزعة المغامرة العسكرية ويعارضون الرأى الداعى الى استدراج العدو للتغلغل فى أراضينا ، ثم انقلبوا يؤيدون نزعة التحفظ العسكرى . ومن أمثلة عدم الاقتناع قبل التجربة أن أنصار خط تشانغ قوه تاو لم يؤمنوا باستحالة اقامة قواعدنا الثورية فى المناطق التى يقطن فيها أبناء قومية التبت وقومية خوى(٣٥) حتى اصطدموا بالحقيقة الواقعة . صحيح أن التجربة ضرورية بالنسبة الى الكوادر . فالفشل هو فى الحقيقة أم النجاح . بيد أن الاستفادة من تجارب الآخرين بتواضع هى الأخرى ضرورية بالنسبة اليهم ، أما اذا أصروا على أن يباشروا التجربة بأنفسهم فى كل شيء والا تشبثوا بآرائهم فى عناد ورفضوا تجارب الآخرين ، فقد أصبحوا أنصار نزعة « التجربة الضيقة » قلبا وقالبا . ولقد تكبدنا من جراء ذلك أضرارا غير قليلة فى سياق الحرب التى خضناها .

وأوضح مثال على عدم ايمان الشعب بضرورة التراجع الاستراتيجى بسبب نقص التجربة فى ذلك هو ما حدث فى مقاومة حملة « التطويق والابادة » الأولى فى جيانغشى ، فقد كانت المنظمات الحزبية المحلية والجماهير الشعبية على حد سواء فى محافظات جيآن وشينغقوه ويونغفنغ يعارضون تراجع الجيش الأحمر . لكنهم بعد أن مروا بهذه التجربة لم يعودوا يعارضون التراجع الاستراتيجى مطلقا أثناء مقاومة الحملات اللاحقة . لقد آمنوا جميعا بأن فقدان بعض القواعد أو تكبد

الشعب لبعض الخسائر هو أمر موقت ، وآمنوا بأن الجيش الأحمر فى استطاعته أن يحطم حملات « التطويق والابادة » . ولكن ايمان الشعب بضرورة التراجع الاستراتيجى أو عدم ايمانه أمر مرتبط بصورة وثيقة بايمان الكوادر بها أو عدم ايمانهم ، ولذا فان المهمة الرئيسية والأولى هى اقناع الكوادر .

ان التراجع الاستراتيجى يستهدف كليا الانتقال الى الهجوم المضاد ، والتراجع الاستراتيجى ليس سوى المرحلة الأولى من الدفاع الاستراتيجى . وان الحلقة الحاسمة فى كل الاستراتيجية هى النصر أم الفشل فى المرحلة اللاحقة ، مرحلة الهجوم المضاد .

المبحث الرابع ــ الهجوم المضاد الاستراتيجى

لكى نحطم الهجوم الذى يشنه عدو يتمتع بالتفوق المطلق ، نعتمد على الوضع الذى يلائمنا ولا يلائم العدو والذى قد انبثق فى مرحلة التراجع الاستراتيجى ويختلف عن ذلك الوضع الذى كان فى بداية هجوم العدو ، وينشأ هذا الوضع عن شروط شتى . ولقد أشرنا الى ذلك أعلاه .

ولكن مجرد وجود الشروط والوضع الملائمة لنا وغير الملائمة للعدو لا يعنى هزيمة العدو . ان هذه الشروط وهذا الوضع تحتوى على امكانيات انتصارنا وهزيمة العدو ، لكنها لا تعنى أن انتصارنا وهزيمة العدو قد أصبح واقعا ملموسا ، اذ أنها لم تؤد بعد الى النصر أو الهزيمة لأى من الجيشين المتحاربين . ولا بد من خوض معركة حاسمة بين الجيشين لتحويل انتصار أحدهما وهزيمة الآخر الى حقيقة واقعة . والمعركة الحاسمة وحدها هى التى تحل مسألة من سينتصر ومن سيمنى بالهزيمة . وهذه هى كل ما فى مرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجى من مهمة . ان الهجوم المضاد هو عملية طويلة ، وهو أكثر مراحل الحرب الدفاعية روعة وحيوية ،

انها المرحلة النهائية من الحرب الدفاعية . ونحن حين نتحدث عن الدفاع الايجابى ، فانما نقصد به بصورة رئيسية الهجوم المضاد الاستراتيجى المتسم بطبيعة المعركة الحاسمة .

ولا تنشأ الشروط والوضع فى سياق مرحلة التراجع الاستراتيجى فحسب ، بل هى تنشأ باستمرار فى مرحلة الهجوم المضاد أيضا ، ولكن الشروط والوضع التى تنشأ فى المرحلة الأخيرة لا تشابه تماما ، من حيث الشكل والطابع ، الشروط والوضع التى نشأت فى المرحلة السابقة .

يمكن أن تنشأ شروط ووضع تتفق فى شكلها وطابعها مع ما فى المرحلة السابقة ، كأن يشتد اعياء قوات العدو وأن يتناقص عددها . وما هذا الا استمرار لحالة الاعياء والتناقص فى المرحلة السابقة .

ولكن من المؤكد أنه ستظهر شروط جديدة ووضع جديد كل الجدة . ومثال ذلك أنه بعد أن يمنى العدو بهزيمة واحدة أو عدة هزائم ، فان الشروط الملائمة لنا وغير الملائمة للعدو سوف لا تقتصر على اعياء العدو ونحو ذلك ، بل سيضاف اليها شرط جديد وهو تكبد العدو للهزائم . وهنا ستطرأ تغيرات جديدة على الوضع . وعندما يحصل الاضطراب والفوضى فى تنقلات قوات العدو وتختل حركاتها ، فان نسبة القوة بين الجيشين ستختلف عما كانت عليه من قبل .

ولكنه اذا منيت قواتنا ، لا قوات العدو بهزيمة واحدة أو عدة هزائم ، فان نسبة ملاءمة الشروط والوضع وعدم ملاءمتها سوف تتحول الى اتجاه معاكس . وهذا يعنى أنه ستنخفض نسبة ما هو غير ملائم للعدو بينما سيظهر ، بل سيزداد ما هو غير ملائم لنا . وتلك ظاهرة أخرى جديدة كل الجدة تختلف تماما عن الظاهرة السابقة .

وان هزيمة أى طرف من الطرفين ، ستؤدى بالطرف المهزوم ، مباشرة

وبصورة عاجلة ، الى بذل جهود جديدة ، محاولا انقاذ الموقف لتخليص نفسه من الشروط والوضع الناشئة حديثا والتى لا تلائمه لكنها تلائم خصمه ، حتى يستطيع أن يخلق مرة أخرى شروطا ووضعا ملائمة له وغير ملائمة لخصمه لأجل الضغط على الأخير .

أما الجهود التى يبذلها الطرف المنتصر فهى على النقيض من ذلك ، اذ أنه سيسعى جاهدا الى توسيع نطاق انتصاره وانزال خسائر أفدح بالعدو ، والى مضاعفة أو تطوير الشروط والوضع التى تلائمه ، ومنع خصمه من تحقيق غرضه فى التخلص من الوضع غير الملائم له وانقاذ الموقف .

وهكذا ، فان الصراع فى مرحلة المعركة الحاسمة يشكل بالنسبة لكلا الطرفين ، أكثر فترات الحرب أو الحملة شدة وتعقيدا وتقلبا ، وأشدها صعوبة ومشقة ، وهى أصعب فترة بالنسبة الى القائد .

وهناك قضايا عديدة فى مرحلة الهجوم المضاد ، من أهمها قضية بدء الهجوم المضاد وقضية تركيز القوات وقضية الحرب المتحركة وقضية الحرب الخاطفة وقضية حرب الابادة .

ان المبادئ المتعلقة بهذه القضايا لا تختلف من حيث طبيعتها الأساسية سواء فى حالة الهجوم المضاد أو فى حالة الهجوم . وبهذا المعنى ، نستطيع القول بأن الهجوم المضاد هو الهجوم بذاته .

ولكن الهجوم المضاد لا يساوى تماما الهجوم . ان مبادئ الهجوم المضاد تطبق حين يكون العدو فى حالة الهجوم ، بينما تطبق مبادئ الهجوم حين يكون العدو فى حالة الدفاع . وبهذا المعنى توجد هنالك فوارق بين الهجوم المضاد وبين الهجوم .

ولهذا السبب قد ضمنت كثيرا من القضايا الحربية باب الدفاع الاستراتيجى عند مناقشة مسألة الهجوم المضاد ، ولم أتعرض فى باب الهجوم الاستراتيجى الا

لبعض القضايا الأخرى تجنبا للتكرار ، ولكن فى حالة التطبيق ، يجب ألا نغفل عن أوجه التشابه ولا أوجه الخلاف بين الهجوم المضاد وبين الهجوم .

المبحث الخامس ـ قضية بدء الهجوم المضاد

ان قضية بدء الهجوم المضاد ، هى قضية ما يدعى بـ « المعركة الأولى » أو « المعركة الافتتاحية » .

وينصح الكثيرون من الخبراء العسكريين البرجوازيين بالحذر والتروى فى المعركة الأولى ، سواء أكان ذلك فى الدفاع الاستراتيجى أم فى الهجوم الاستراتيجى ، وبصورة خاصة فى الدفاع الاستراتيجى . وفى الماضى ، قد طرحنا هذه المسألة أيضا بصورة جدية . وان قتالنا فى مقاومة حملات « التطويق والابادة » الخمس التى شنها العدو فى جيانغشى قد أمدنا بتجربة غنية لن تكون دراستها عديمة الفائدة .

فى الحملة الأولى كان العدو يزحف جنوبا نحو قاعدة الجيش الأحمر بحوالى مائة ألف رجل فى ثمانية طوابير على طول الخط الممتد بين محافظتى جيآن ـ جيانينغ . وكانت قوة الجيش الأحمر تبلغ نحو أربعين ألفا متمركزة فى منطقة خوانغبى وشياوبو فى محافظة نينغدو من جيانغشى .

وكان الوضع فى ذلك الحين كما يلى : ١ ـ كانت قوات « الابادة » لا تتجاوز مائة ألف رجل ، وهى فوق ذلك ليست من قوات تشيانغ كاى شيك الخاصة ، ولذلك لم يكن الوضع العام على درجة كبيرة من الخطورة . ٢ ـ وكانت فرقة العدو التى يقودها لوه لين تدافع عن جيآن الواقعة بالضفة الغربية من نهر قانجيانغ ، فكان النهر يفصل بينها وبين بقية قوات العدو . ٣ ـ وتقدمت فرق العدو الثلاث بقيادة قونغ بينغ فان وتشانغ خوى تسان

وتان داو يوان ، واحتلت قطاع فوتيان - دونغقو - لونغقانغ - يوانتو الواقع فى الجنوب الشرقى من محافظة جيآن وفى الشمال الغربى من محافظة نينغدو . وكانت القوات الرئيسية من فرقة تشانغ خوى تسان تعسكر فى لونغقانغ ، والقوات الرئيسية من فرقة تان داو يوان تعسكر فى يوانتو . أما فوتيان ودونغقو فلم يكن من المناسب أن نختارهما كميدان للقتال ، لأن أبناء الشعب فيهما كانوا حتى ذلك الوقت يرتابون فى الجيش الأحمر ويعارضونه نتيجة لانخداعهم بأكاذيب فرقة ا - ب . ٤ - كانت احدى فرق العدو بقيادة ليو خه دينغ تعسكر بعيدا فى جياننينغ فى المنطقة البيضاء فى فوجيان ، ولم يكن من المؤكد أنها ستدخل فى جيانغشى . ٥ - كانت فرقتا العدو بقيادة ماو بينغ ون وشيوكه شيانغ قد وصلتا الى قطاع توبى - لوكو - دونغتشاو الواقع بين محافظتى قوانغتشانغ ونينغدو . وكانت توبى تقع داخل منطقة بيضاء ، ولوكو داخل منطقة لحرب العصابات ، وكانت فى دونغتشاو عناصر من فرقة ا - ب ، وكلها أماكن يسهل تسرب المعلومات منها . واضافة الى ذلك ، فاذا هزمنا فرقتى ماو بينغ ون وشيوكه شيانغ ثم زحفنا غربا ، فمن المحتمل أن تتجمع فرق العدو الثلاث التى بقيادة تشانغ خوى تسان وتان داو يوان وقونغ بينغ فان ، وحينئذ يصعب علينا الانتصار عليها فلا نستطيع حسم المعركة بصورة نهائية . ٦ - نظرا لأن فرقتى تشانغ خوى تسان وتان داو يوان المذكورتين كانتا تشكلان القوات الرئيسية فى حملة « التطويق والابادة » ، وأنهما من القوات الخاصة للو دى بينغ القائد العام للحملة وحاكم مقاطعة جيانغشى ، وأن تشانغ خوى تسان كان فى الوقت نفسه القائد العام للجبهة ، فان ابادة هاتين الفرقتين تعنى تحطيم حملة « التطويق والابادة » بصورة أساسية . وكان كل من الفرقتين تتألف من حوالى أربعة عشر ألف رجل ، وفضلا عن ذلك كانت فرقة تشانغ خوى تسان موزعة فى موضعين ، بحيث نستطيع أن نملك زمام التفوق المطلق ،

اذا هاجمنا كل فرقة منهما على حدة . ٧ — كانت منطقة لونغقانغ — يوانتو التى تعسكر فيها القوات الرئيسية من فرقتى تشانغ خوى تسان وتان داو يوان، تقع قريبا من المكان الذى تتمركز فيه قواتنا . والى جانب ذلك كان الشعب فيها يؤيدنا تأييدا قويا ، بحيث نستطيع الاقتراب من العدو متسترين تحت تغطية الشعب . ٨ — يوجد فى لونغقانغ موقع ممتاز صالح للقتال . ولم يكن من اليسير مهاجمة يوانتو . واذا ما تقدم العدو الى شياوبو ليهاجمنا ، فسوف نستفيد من طوبوغرافيتها أيضا . ٩ — كان فى استطاعتنا أن نجمع أكبر عدد ممكن من القوات حول لونغقانغ . وفضلا عن ذلك كنا نملك فى محافظة شينغقوه على بعد بضع عشرات لى الى الجنوب الغربى من لونغقانغ فرقة مستقلة يزيد تعدادها عن ألف رجل ، وهى تستطيع أن تناور فى مؤخرة العدو . ١٠ — اذا استطاعت قواتنا أن تخترق جبهة العدو وفتحت ثغرة فى وسطها ، فان طوابير العدو فى الشرق والغرب ستقسم الى مجموعتين منعزلتين متباعدتين . ولقد قررنا للأسباب المذكورة أعلاه أن نخوض معركتنا الأولى ضد قوات تشانغ خوى تسان ، ونجحنا فى تسديد الضربات الى لواءين من قواته الرئيسية والى مركز قيادة فرقته ، فأسرنا جميع رجال هذه الوحدات ، وهم تسعة آلاف رجل ، بما فيهم قائد الفرقة نفسه ، دون أن يفلت رجل واحد أو حصان واحد . ولقد أرعب هذا الانتصار فرقتى تان داو يوان وشيو كه شيانغ ، فهربت الأولى نحو دونغتشاو وهربت الثانية نحو توبى . وقد طارد جيشنا فرقة تان وأباد نصفها . ولقد خضنا غمار معركتين فى خمسة أيام (من ٢٧ ديسمبر — كانون الأول — ١٩٣٠ حتى أول يناير — كانون الثانى — ١٩٣١) ، فاذا بقوات العدو فى كل من فوتيان ودونغقو وتوبى تسرع جميعا فى الانسحاب خوفا من الضربات . وهكذا انتهت حملة « التطويق والابادة » الأولى .

وكان الوضع خلال حملة « التطويق والابادة » الثانية على الوجه التالى :

١ – كانت قوات « الابادة » تتألف من مائتى ألف رجل ، وكان قائدها العام خه ينغ تشين ، ومركز قيادته فى نانتشانغ . ٢ – كانت جميع الوحدات المشتركة فى هذه الحملة ، كما كانت الحال فى الحملة الأولى ، ليست من قوات تشيانغ كاى شيك الخاصة . وكان الجيش التاسع عشر بقيادة تساى تينغ كاى والجيش السادس والعشرون بقيادة سون ليان تشونغ والجيش الثامن بقيادة تشو شاو ليانغ هى أقوى هذه الوحدات ، أو هى وحدات قوية نسبيا ، أما سائر الوحدات فهى ضعيفة نسبيا . ٣ – كانت فرقة ا – ب قد صفيت تماما : وكان جميع أفراد الشعب فى منطقة القاعدة يؤيدون الجيش الأحمر . ٤ – كان الجيش الخامس بقيادة وانغ جين يو ، القادم توا من الشمال ، خائفا منا ، وتلك كانت على العموم حالة الفرقتين بقيادة قوه خوا تسونغ وهاو منغ لينغ اللتين تشكلان جناحه الأيسر . ٥ – اذا هاجمت قواتنا فوتيان أولا ، ثم زحفت مكتسحة نحو الشرق ، استطعنا توسيع منطقة القاعدة حتى تشمل أراضى محافظات جيانيننغ وليتشوان وتايننغ الواقعة على حدود فوجيان – جيانغشى ، والحصول على المؤن استعدادا لسحق حملة « التطويق والابادة » التالية . أما اذا وجهنا ضربتنا الى الغرب فان نهر قانجيانغ سيقف حائلا دون أن نتمكن من التوسع بعد انتهاء المعركة . وأما اذا اتجهنا شرقا من جديد بعد انتهاء المعركة فى الغرب ، فان ذلك سيرهق الجيش ويضيع الوقت . ٦ – على الرغم من أن عدد قوتنا (يزيد على ثلاثين ألف رجل) قد نقص قليلا عما كان عليه فى الحملة الأولى ، فقد استجم جنودنا مدة أربعة أشهر ، تمكنوا خلالها من استرداد قواهم وتجديد طاقتهم . ولهذه الأسباب قررنا أن نخوض معركتنا الأولى ضد وحدات وانغ جين يو وقونغ بينغ فان (ومجموعها أحد عشر فوجا) فى قطاع فوتيان . وبعد أن انتصرنا عليها هاجمنا على التوالى وحدات قوه خوا تسونغ وسون ليان تشونغ وتشو شاو ليانغ وليو خه دينغ . ولقد قطعنا مشيا على

الأقدام مسافة سبعمئة لى خلال خمسة عشر يوما (من ١٦ مايو — أيار —١٩٣١ حتى ٣٠ منه) ، وخضنا غمار خمس معارك ، وغنمنا أكثر من عشرين ألف بندقية ، وسحقنا حملة « التطويق والابادة » بضربات عاجلة رائعة . وحين قاتلنا وانغ جين يو ، كنا بين قوات تساى تينغ كاى وقوات قوه خوا تسونغ ، على بعد حوالى عشرة لى من قوه وأربعين لى من تساى . وكان بعض الناس يقولون بأننا نسير فى « زقاق مسدود » . لكننا انتصرنا مع ذلك . وكان انتصارنا راجعا فى الأساس الى قتالنا فى أراضى قاعدتنا ، والى الانقسام السائد بين وحدات العدو . وبعد أن هزمت فرقة قوه خوا تسونغ هربت فرقة هاو منغ لينغ تحت جنح الظلام الى يونغفنغ ، وبذلك نجت من الهلاك .

وكان الوضع فى حملة « التطويق والابادة » الثالثة كما يلى : ١ — تسلم تشيانغ كاى شيك شخصيا زمام القيادة العليا ، وتحت امرته ثلاثة قواد كل منهم يتولى القيادة العامة لأحد الأرتال الثلاثة من القوات : الرتل الأيسر والرتل الأيمن والرتل الأوسط . وكان الرتل الأوسط بقيادة خه ينغ تشين الذى اتخذ مركز قيادته فى نانتشانغ ، حيث مركز قيادة تشيانغ كاى شيك ، والرتل الأيمن بقيادة تشن مينغ شو الذى اتخذ مركز قيادته فى جيآن ، والرتل الأيسر بقيادة تشو شاو ليانغ الذى اتخذ مركز قيادته فى نانفنغ . ٢ — كانت قوات « الابادة » تتألف من ٣٠٠٫٠٠٠ رجل . وكانت القوات الرئيسية هى من قوات تشيانغ الخاصة ، ومجموع رجالها حوالى مائة ألف ، وتتشكل من خمس فرق تضم كل منها تسعة أفواج ، يقودها بالترتيب تشن تشنغ ولوه تشوه ينغ وتشاو قوان تاو ووى لى خوانغ وتشيانغ دينغ ون . وتلى الفرق المذكورة فرق ثلاث أخرى يبلغ تعدادها أربعين ألف رجل بقيادة تشيانغ قوانغ ناى وتساى تينغ كاى وهان ده تشين ، ثم يليها جيش سون ليان تشونغ الذى يضم عشرين ألف رجل . وتوجد الى جانب القوات المذكورة قوات أخرى ضعيفة نسبيا ، وكلها ليست بقوات تشيانغ الخاصة . ٣ — كانت استراتيجية

العدو فى حملة « الابادة » هذه « التقدم على خط مستقيم » ، وهى تختلف كثيرا عن استراتيجية « توطيد المواقع عند كل خطوة الى الأمام » المتبعة فى الحملة الثانية ، وكان العدو يستهدف من هذه الاستراتيجية التضييق على الجيش الأحمر ودفعه حتى نهر قانجيانغ وابادته هناك . ٤ — لم يمض على نهاية الحملة الثانية حتى بداية الحملة الثالثة الا شهر واحد . ولم تكن قوة الجيش الأحمر (وهى تتألف من حوالى ثلاثين ألف رجل) قد استراحت أو عوضت عن خسارتها فى الرجال بعد المعارك المريرة التى خاضتها فى الحملة السابقة . وبالاضافة الى ذلك ، فقد قامت بحركة التفاف قطعت فيها ألف لى حتى تجمعت فى محافظة شينغقوه فى القسم الغربى من منطقة القاعدة فى جنوبى جيانغشى ، فاذا بها تواجه ضغط العدو من عدة اتجاهات . وكانت الخطة الأولى التى لجأنا اليها على ضوء هذا الوضع هى أن نخرج من شينغقوه ونخترق منطقة فوتيان عبر وانآن ، ثم نزحف الى الشرق لقطع خطوط المواصلات فى مؤخرة العدو ، حتى نحول تغلغل قواته الرئيسية فى منطقة قاعدتنا فى جنوبى جيانغشى الى عمل عديم الفائدة ، وقد قررنا ذلك كمرحلة أولى من عملياتنا . وحين يدير العدو ظهره ويتجه شمالا يكون قد أصبح فى حالة اعياء شديد ، وحينئذ سننتهز الفرصة ونسدد الضربات الى وحداته التى نجدها هدفا سهلا للضرب ، وهذه هى المرحلة الثانية من عملياتنا . وكان العنصر الرئيسى فى هذه الخطة هو تجنب قوات العدو الرئيسية والضرب فى مواضعه الضعيفة . لكن حين كانت قواتنا تتقدم نحو فوتيان اكتشف العدو أمرنا ، فأسرعت فى أثرنا فرقة تشن تشنغ وفرقة لوه تشوه ينغ ، فاضطررنا الى تغيير خطتنا والرجوع الى سوق قاوشينغ فى القسم الغربى من محافظة شينغقوه ، وحينذاك لم يبق لنا مكان نستطيع فيه تجميع قواتنا الا هذه السوق والأرض المحيطة بها التى لا تتعدى عدة عشرات لى مربع . وبعد أن تجمعت قواتنا هنا وقضينا فيه يوما واحدا ، قررنا أن نسرع شرقا فى اتجاه

ليانتانغ الواقعة فى شرقى محافظة شينغقوه ، وليانغتسون الواقعة فى جنوبى محافظة يونغفنغ ، وخوانغبى الواقعة فى شمالى محافظة نينغدو . ومررنا فى اليوم الأول وتحت جنح الظلام عبر الثغرة البالغة أربعين لى طولا والواقعة بين فرقة تشيانغ دينغ ون وقوات تشيانغ قوانغ ناى وتساى تينغ كاى وهان ده تشين ، ثم سرنا الى ليانتانغ . وفى اليوم التالى احتكت قواتنا بطليعة القوات التى يقودها شانغقوان يون شيانغ (الذى كان يقود فرقته الخاصة وفرقة هاو منغ لينغ) . ودارت رحى المعركة الأولى فى اليوم الثالث مع فرقة شانغقوان ، والمعركة الثانية فى اليوم الرابع مع فرقة هاو منغ لينغ ، وبعد مسير ثلاثة أيام بلغنا خوانغبى حيث خضنا المعركة الثالثة مع فرقة ماو بينغ ون . ولقد كسبنا المعارك الثلاث جميعا ، وغنمنا أكثر من عشرة آلاف بندقية . وعندئذ حولت سائر قوات العدو الرئيسية التى كانت تتقدم غربا وجنوبا اتجاهها نحو الشرق ، مركزة بصرها على خوانغبى ، وراحت تحث الخطى بسرعة عظيمة كى تفرض علينا المعركة ، فاقتربت من قواتنا فى حصار واسع كثيف . وتخلصنا من الحصار بأن تسللنا عبر جبل كبير يقع وسط ثغرة تبلغ عشرين لى بين قوات تشيانغ قوانغ ناى وتساى تينغ كاى وهان ده تشين من جهة ، وقوات تشن تشنغ ولوه تشوه ينغ من جهة أخرى ، واتجهنا من الشرق الى الغرب وعدنا الى أرض محافظة شينغقوه حيث تجمعنا ثانية . وحين اكتشف العدو حركتنا وشرع يتقدم غربا ، كانت قواتنا قد استراحت نصف شهر ، بينما كانت قوات العدو جائعة متعبة منهارة الروح المعنوية لا تقدر على القتال ، فعزمت على التراجع . وقد انتهزنا فرصة تراجعها ، فهاجمنا قوات تشيانغ قوانغ ناى وتساى تينغ كاى وتشيانغ دينغ ون وهان ده تشين ، وقضينا على لواء من قوات تشيانغ دينغ ون وعلى فرقة هان ده تشين بكاملها . أما اشتباكنا مع الفرقتين اللتين يقودهما تشيانغ قوانغ ناى وتساى تينغ كاى ، فقد أسفر عن تعادل القوى بين الجانبين ، ولذا فضلنا أن نتركهما

تلوذان بالفرار .

وكان الوضع فى حملة « التطويق والابادة » الرابعة كما يلى : كانت قوات العدو تتقدم من ثلاث جهات نحو قوانغتشانغ ، وكانت القوة الرئيسية فى الجهة الشرقية ، بينما كانت الفرقتان اللتان تتقدمان من الجهة الغربية مكشوفتين لنا ، وكانتا قريبتين جدا من المنطقة التى كانت قواتنا متمركزة فيها . وهكذا سنحت لنا الفرصة لمهاجمة قوات الجهة الغربية أولا فى جنوبى محافظة ييخوانغ ، وأبدنا بضربة واحدة الفرقتين اللتين يقودهما لى مينغ وتشن شى جى . ولما أرسل العدو فرقتين من قوات الجهة الشرقية لشد أزر قوات الجهة الوسطى فى مواصلة التقدم ، تمكنا من ابادة احدى الفرقتين فى جنوبى ييخوانغ أيضا . وفى هاتين المعركتين غنمنا أكثر من عشرة آلاف بندقية وحطمنا بصورة أساسية حملة « التطويق والابادة » هذه .

وفى حملة « التطويق والابادة » الخامسة ، استخدم العدو فى تقدمه استراتيجية جديدة هى بناء القلاع ، فاحتل ليتشوان أولا . والغريب أن قواتنا فى محاولة لاستعادة ليتشوان وايقاف العدو خارج حدود منطقة القاعدة ، عمدت الى الهجوم على شياوشى الواقعة فى شمالى ليتشوان ، التى لم تكن نقطة حصينة للعدو فحسب ، بل كانت أيضا فى المنطقة البيضاء . ولما فشلنا فى هذه المعركة ، حولنا هجومنا على تسيشيتشياو الى جنوب شرقى شياوشى ، التى كانت كذلك نقطة حصينة للعدو وواقعة فى المنطقة البيضاء . لكننا فشلنا مرة ثانية . ومن ثم أخذنا نتنقل حول قوات العدو الرئيسية وقلاعه ساعين الى القتال ، بحيث وقعنا تماما فى وضع سلبى . وقد بقينا طوال فترة حرب المقاومة لحملة « التطويق والابادة » الخامسة التى استمرت سنة كاملة ، عاجزين تماما عن تملك زمام المبادرة أو عن ابداء أى قدرة على الاندفاع . وأخيرا لم يبق أمامنا من سبيل سوى الانسحاب من منطقة قاعدتنا فى جيانغشى .

ان التجارب المذكورة التى اكتسبتها قواتنا أثناء مقاومة حملات « التطويق والابادة » الخمس أثبتت أنه اذا أراد الجيش الأحمر الذى هو فى موقف الدفاع أن يحطم قوات « الابادة » القوية ، فان المعركة الأولى فى الهجوم المضاد هى معركة بالغة الأهمية . ان نجاح المعركة الأولى أو فشلها ذو تأثير هائل فى الوضع بكامله ، بل يؤثر حتى فى المعركة الأخيرة . ومن هنا يمكننا أن نتوصل الى الاستنتاجات التالية :

أولا ، لا بد من كسب النصر فى المعركة الأولى . ينبغى ألا نضرب الا عندما نتأكد تماما أن وضع العدو وطبيعة الأرض وتأييد الشعب هى جميعا فى صالحنا وليس فى صالح العدو . واذا لم يكن الأمر كذلك ، فان من واجبنا أن نتراجع ونصبر ونأخذ الأمر بالحذر والتروى وننتظر الفرصة المؤاتية . فلا ينبغى أن نقبل على خوض المعركة دون ترو ، اذ أن الفرص ستأتى بالتأكيد . ففى الحملة المضادة الأولى ، كانت خطتنا الأصلية هى أن نضرب قوات تان داو يوان ، فتقدمنا مرتين ، ولكنا اضطررنا فى كل مرة أن نضبط أنفسنا وننسحب ، ذلك لأن قوات تان بقيت لا تبرح موقعها المشرف على مرتفعات يوانتو . ولم تمض أيام قليلة على ذلك ، حتى وجدنا فرقة تشانغ خوى تسان التى كان يسهل علينا أن نهزمها . وفى الحملة المضادة الثانية تقدم جيشنا الى دونغقو حيث عسكرنا قريبا من العدو ، وغايتنا الوحيدة من ذلك هى الانتظار حتى تغادر القوات التى يقودها وانغ جين يو مراكزها القوية فى فوتيان ، وقد آثرنا لذلك أن نتعرض لخطر تسرب المعلومات ، ورفضنا كل الاقتراحات التى يمليها قلة الصبر والتى تدعو الى القيام بهجوم سريع ، وفى النهاية حققنا غايتنا هذه بعد أن انتظرنا خمسة وعشرين يوما . أما فى الحملة المضادة الثالثة فعلى الرغم من أن الوضع كان عاصفا وأننا قمنا بحركة التفاف تبلغ مسافتها ألف لى وأن العدو اكتشف خطتنا الرامية الى الالتفاف الى خلف جناحه ، الا أننا تحلينا بالصبر ورجعنا أدراجنا وغيرنا تكتيكنا الى اختراق جبهة العدو من

الوسط ، حتى استطعنا أخيرا خوض غمار المعركة الأولى بنجاح فى ليانتانغ . وفى الحملة المضادة الرابعة أخفقنا فى هجومنا على نانفنغ واتخذنا طريق التراجع دون تردد ، ثم قمنا بحركات التفاف حتى اقتربنا من جناح العدو الأيمن ، وجمعنا قواتنا فى منطقة دونغشاو حيث خضنا المعركة الأولى بنجاح عظيم فى جنوبى محافظة ييخوانغ . ولم يحصل أن غابت عنا تماما أهمية المعركة الأولى الا فى الحملة المضادة الخامسة ، اذ أننا حين فزعنا من فقدان مدينة واحدة وهى ليتشوان وتقدمنا شمالا لملاقاة العدو فى محاولة لاستعادة تلك المدينة وأحرزنا النصر فى اشتباك غير متوقع مع العدو فى شيونكو (وقد أبدنا فى هذا الاشتباك فرقة كاملة للعدو) لم ننظر الى هذا الاشتباك باعتباره المعركة الأولى ، ولم ندخل فى حسابنا سائر التبدلات التى ستترتب عليه حتما ، بل قمنا بهجوم طائش على شياوشى دون أن نكون واثقين من النصر . لقد فقدنا زمام المبادرة منذ الخطوة الأولى ، وهذه الطريقة فى القتال لفى غاية الغباوة والسخف .

ثانيا ، يجب أن تكون خطة المعركة الأولى مقدمة خطة الحملة كلها والجزء العضوى فيها . وانه ليستحيل تماما أن نخوض غمار المعركة الأولى بصورة ناجحة ، اذا لم تكن لدينا خطة جيدة للحملة بكاملها . وهذا يعنى أن المعركة الأولى ، حتى ولو ربحنا النصر فيها ، اذا كانت تضر بالحملة بكاملها بدلا من أن تعود عليها بالفائدة ، فان النصر فى مثل هذه المعركة لا يمكن اعتباره سوى هزيمة (ومثال ذلك معركة شيونكو فى حملة « التطويق والابادة » الخامسة) . وهكذا ، لا بد لنا قبل خوض المعركة الأولى أن نشكل فكرة عامة عن كيفية خوض المعركة الثانية والثالثة والرابعة وحتى الأخيرة ، وأن نقدر التبدلات التى ستطرأ على الوضع العام للعدو فى حال انتصارنا فى أية معركة من المعارك التالية ، والتبدلات التى ستحدث فى حال هزيمتنا . وعلى الرغم من أن النتيجة قد لا تأتى كما نتوقعها تماما ، وهى بكل تأكيد لن تأتى كذلك ، فانه يجب

علينا أن نفكر مليا فى كل ذلك على ضوء الوضع العام لكل منا والأعداء حتى تكون فى أذهاننا فكرة واضحة . أما اذا لم تكن فى أذهاننا تقديرات دقيقة لجميع التطورات المحتملة ، فلن نستطيع القيام بأية حركة ناجحة .

ثالثا ، يجب أن نضع فى تقديرنا ما سيحدث فى المرحلة الاستراتيجية التالية من الحرب . فالمرء لن يؤدى مسؤوليته كاملة كموجه للعمليات الاستراتيجية ، اذا فكر فى الهجوم المضاد فقط وأهمل التدابير التى يجب أن تتخذ بعد انتصار الهجوم المضاد أو فى حال فشله على سبيل الافتراض . ففى مرحلة استراتيجية معينة ، يجب على الذين يوجهون العمليات الاستراتيجية أن يأخذوا بعين الاعتبار عددا من المراحل اللاحقة أو على الأقل المرحلة التالية . وبالرغم من صعوبة التنبؤ بالتطورات المقبلة ، وأن الصعوبة تزداد كلما تنبأنا بما سيحدث فى مستقبل أبعد ، فان تقديرا عاما للتطورات المقبلة أمر ممكن ، كما أن تقدير امكانيات المستقبل البعيد أمر ضرورى . وان طريقة التوجيه التى يقصر صاحبها نظره على الخطوة المباشرة وحدها ، هى طريقة ضارة ليس فى السياسة فحسب ، بل فى الحرب أيضا . وطبيعى أن من واجب الموجه الاستراتيجى كلما أقدم على خطوة معينة أن يراقب التبدلات الملموسة التى تطرأ عليها فيعدل أو يطور خطته الاستراتيجية أو خطته الخاصة بحملة من الحملات تبعا لذلك ، والا فانه سيكون عرضة لخطأ المغامرة والاندفاع الطائش . ولكن مما لا يمكن الاستغناء عنه قطعا وضع خطة طويلة الأمد ، مدروسة دراسة وافية على وجه العموم ، تشمل مرحلة استراتيجية كاملة أو عدة مراحل استراتيجية . فاذا لم نضع مثل هذه الخطة فسوف نتردى فى خطأ التردد والوقوع فى المآزق ، وبالتالى نخدم فى الواقع أهداف العدو الاستراتيجية ، ونضع أنفسنا فى موضع سلبى . ويجب أن نعلم أن قيادة العدو العليا تتمتع بشىء من بعد النظر الاستراتيجى . ولا نستطيع احراز انتصارات استراتيجية الا اذا دربنا أنفسنا

وبلغنا مستوى أعلى من مستوى العدو . وكان السبب الرئيسى للأخطاء التى ارتكبها أنصار الخط الانتهازى « اليسارى » وخط تشانغ قوه تاو فى التوجيهات الاستراتيجية ، خلال حملة العدو الخامسة « للتطويق والابادة » ، يعود بالضبط الى عدم تحقيق ذلك . وخلاصة القول أنه يجب أن نحسب حساب مرحلة الهجوم المضاد عندما نكون فى مرحلة التراجع ، وأن نحسب حساب مرحلة الهجوم عندما نكون فى مرحلة الهجوم المضاد، وكذلك يجب أن نحسب حساب مرحلة التراجع عندما نكون فى مرحلة الهجوم . فاذا لم نعمل ذلك ، بل حصرنا اهتمامنا فى مصالح اللحظات التى نعيشها فقط ، فان ذلك هو الطريق الى الهزيمة .

لا بد من كسب النصر فى المعركة الأولى ، ولا بد من أن نأخذ بعين الاعتبار خطة الحملة بكاملها ، وأن نأخذ بعين الاعتبار المرحلة الاستراتيجية التالية — هذه هى المبادئ الثلاثة التى يجب ألا ننساها عندما نبدأ الهجوم المضاد ، يعنى عندما نخوض غمار المعركة الأولى .

المبحث السادس — قضية تركيز القوات

يبدو للوهلة الأولى أن تركيز القوات أمر يسير ، لكنه صعب جدا فى التطبيق . ويعرف الجميع أن الطريقة الفضلى هى تركيز قوات أكثر عددا من أجل قهر قوات أقل عددا ، ولكن كثيرا من القواد لا يستطيعون ذلك ، اذ أنهم غالبا ما يقسمون قواتهم بدلا من تركيزها . والسبب فى ذلك هو أن مثل هؤلاء القواد يعوزهم الفكر الاستراتيجى وتحيرهم الظروف المعقدة ، ويقعون أسرى لها فيفلت من يدهم زمام المبادرة ويتخذون سياسة الدفاع السلبى .

ومهما تكن الظروف معقدة وخطيرة وقاسية ، فان أول واجبات القائد

العسكرى هو أن يبادر فى تنظيم واستخدام القوات التى تحت قيادته بصورة مستقلة . وعلى الرغم من أن العدو كثيرا ما يضطره الى الوقوع فى وضع سلبى ، فالأمر الهام بالنسبة اليه هو استعادة المبادرة سريعا ، والا باء بالهزيمة .

وليست المبادرة شيئا وهميا ، بل هى شىء ملموس ومادى . والشىء الأكثر أهمية هنا ، هو الاحتفاظ بأكبر عدد من القوات العاملة و تركيزها وحشدها .

والحقيقة أنه يسهل على المرء فى الحرب الدفاعية أن يقع فى وضع سلبى ، ذلك لأن فرص اظهار المرء لقدرته على المبادرة فى الحرب الدفاعية أقل بكثير مما فى الحرب الهجومية . ولكن يمكن للحرب الدفاعية ، وهى سلبية شكلا ، أن تشتمل على المبادرة فى مضمونها وأن تتحول من مرحلة سلبية شكلا الى مرحلة من المبادرة فى الشكل والمضمون على السواء . فالتراجع الاستراتيجى المخطط بصورة تامة يتم تحت الضغط شكلا لكن مضمونه هو المحافظة على القوى العسكرية وانتظار الفرصة المؤاتية لسحق العدو ، هو استدراج العدو للتغلغل فى أراضينا والاستعداد للهجوم المضاد . وبالمقابل ، فان رفض التراجع وقبول المعركة بتسرع وبدون استعداد سابق (كما حدث فى معركة شياوشى) يبدو كأنه محاولة جادة لكسب زمام المبادرة ، غير أنه عمل سلبى فى الحقيقة . أما الهجوم المضاد الاستراتيجى فهو ليس دلالة المبادرة فى المضمون فحسب ، ولكنه أيضا دلالة التخلص فى الشكل من المظهر السلبى لمرحلة التراجع . وان هجومنا المضاد يعنى ، بالنسبة الى قوات العدو ، محاولة لاجبارها على التخلى عن زمام المبادرة ، ويعنى فى نفس الوقت وضعها فى موضع سلبى .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف بصورة تامة ، فان تركيز القوات والحرب المتحركة والحرب الخاطفة وحرب الابادة جميعها شروط ضرورية . غير أن تركيز القوات هى الشرط الأول والرئيسى .

ان تركيز القوات أمر ضرورى لأننا نهدف من وراء ذلك الى تغيير الوضع

بين العدو وبيننا .

أولا ، نهدف الى تغيير الوضع فيما يخص التقدم والتراجع . لقد كان العدو هو الذى يتقدم ونحن نتراجع . أما الآن ، فنحن نسعى الى التقدم ونحمل العدو على التراجع . فاذا ركزنا قواتنا وقذفنا بها فى معركة وانتصرنا فيها ، فقد حققنا هذا الغرض فى نطاق هذه المعركة ، كما أننا سنؤثر بذلك على الحملة كلها .

ثانيا ، نهدف الى تغيير الوضع فيما يخص الهجوم والدفاع . ان عملية التراجع حتى نقطة نهايته تعتبر فى الأساس من عمليات المرحلة السلبية من الحرب الدفاعية أى مرحلة « الدفاع » . أما الهجوم المضاد فيعتبر من عمليات المرحلة الايجابية منها أى مرحلة « الهجوم » . وعلى الرغم من أن الهجوم المضاد لا يفقد طابعه الدفاعى باعتباره من عمليات الدفاع الاستراتيجى فى مجموعه ، غير أنه ، اذا قورن بالتراجع ، فهو شىء قد طرأ عليه تغير ليس فى الشكل فحسب ، بل فى المضمون أيضا . ان الهجوم المضاد هو عملية انتقالية بين الدفاع الاستراتيجى والهجوم الاستراتيجى ، وهو فى طبيعته مقدمة للهجوم الاستراتيجى . وتركيز القوات يخدم هذا الغرض بالضبط .

ثالثا ، نهدف الى تغيير الوضع فيما يخص الخط الداخلى والخط الخارجى . ان الجيش الذى يقاتل ، استراتيجيا ، فى خط داخلى يعانى كثيرا من الظروف الضارة ، وهذا صحيح على وجه الخصوص بالنسبة الى الجيش الأحمر الذى يجابه « التطويق والابادة » . بيد أننا نستطيع ، بل يجب علينا بصورة مطلقة أن نقلب هذا الوضع فى الحملات أو المعارك . ذلك بأن نحول حملة كبيرة « للتطويق والابادة » تشنها قوات العدو ضد قواتنا الى عدة حملات صغيرة منفصلة تقوم بها قواتنا لتطويق وابادة العدو . ونقلب الهجوم المركز الذى تشنه قوات العدو على قواتنا من عدة اتجاهات على مستوى استراتيجى الى هجوم مركز تشنه قواتنا على قوات العدو من عدة اتجاهات على مستوى حملات أو معارك . ونقلب تفوق العدو

الاستراتيجى علينا الى تفوق لنا فى الحملات أو المعارك . ونحول قوات العدو من مركز الجانب القوى استراتيجيا الى مركز الجانب الضعيف فى الحملات أو المعارك . وفى الوقت نفسه، نحول أنفسنا من مركز الجانب الضعيف استراتيجيا الى مركز الجانب القوى فى الحملات أو المعارك . وهذا ما نسميه بالقتال فى خط خارجى داخل القتال فى خط داخلى ، التطويق والابادة داخل « التطويق والابادة»، الحصار داخل الحصار ، الهجوم داخل الدفاع ، التفوق داخل الضعف ، وضع القوى داخل وضع الضعيف ، الظروف الصالحة داخل الظروف الضارة ، تملك زمام المبادرة داخل الوضع السلبى . وهكذا ، فان كسب النصر فى الدفاع الاستراتيجى يعتمد بصورة أساسية على الحركة المذكورة وهى تركيز القوات .

وكثيرا ما كانت هذه القضية موضوعا هاما للنقاش فى التاريخ الحربى للجيش الأحمر الصينى . وقد حدث فى معركة جيآن فى الرابع من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ أن بدأنا التقدم والهجوم قبل أن نستكمل تركيز قواتنا ، ومن حسن الحظ أن العدو (الفرقة التى يقودها دنغ ينغ) قد فر من تلقاء نفسه ، أما هجومنا فلم يكن له أثر .

وابتداء من عام ١٩٣٢ ظهر شعار ينادى بـ « شن الهجوم فى جميع الجبهات » ، وكان أصحابه يطالبون بانطلاق قواتنا من مناطق القواعد وشن الهجوم من الجهات الأربع . وهذا خطأ ليس فى حالة الدفاع الاستراتيجى فحسب ، بل فى حالة الهجوم الاستراتيجى أيضا . وطالما لم يحدث أى تبدل أساسى فى مجمل النسبة للقوى بين العدو وبيننا ، فان الاستراتيجية أو التكتيك على حد سواء يشمل جانبين ، جانبى الدفاع والهجوم ، وجانبى عمليات تقييد تحركات العدو والمباغتة . أما « شن الهجوم فى جميع الجبهات » ، فانه فى الحقيقة نادر الوقوع . ان هذا الشعار يعبر عن نظرية التعادل العسكرى التى

ترافق نزعة المغامرة العسكرية .

ولما جاء عام ١٩٣٣ ، صاغ هؤلاء المنادون بالتعادل العسكرى نظرية « الضرب بالقبضتين معا » التى تدعو الى تقسيم القوات الرئيسية للجيش الأحمر الى مجموعتين فى محاولة لاحراز النصر فى اتجاهين استراتيجيين فى وقت واحد . وكانت نتيجة ذلك أن احدى القبضتين ظلت عاطلة عن العمل بينما أرهقت القبضة الثانية بالقتال ، وبذلك فاتنا أعظم انتصار كان يمكن احرازه فى ذلك الوقت . وفى رأيى أن من واجبنا ، حين تجابهنا قوات معادية كبيرة ، أن نستخدم جيشنا ، مهما يكن كبير العدد ، فى اتجاه رئيسى واحد فقط فى فترة واحدة ، وليس فى اتجاهين . ولست أعارض فى القيام بالعمليات فى اتجاهين أو أكثر ، لكن يجب ألا يكون هناك فى فترة واحدة سوى اتجاه رئيسى واحد . لقد ظهر الجيش الأحمر الصينى فى ميدان الحرب الأهلية كقوة صغيرة وضعيفة ، لكنه استطاع قهر عدو قوى واحراز انتصارات متتالية أدهشت العالم كله ، وذلك يرجع ، الى حد بعيد ، الى استخدام القوة المركزة . ويمكن لأى انتصار عظيم كسبناه أن يثبت هذه الحقيقة . وحين نقول : « كل واحد منا ضد عشرة وكل عشرة منا ضد مائة » ، فانما نقول ذلك من وجهة النظر الاستراتيجية ومن حيث الحرب ككل ومن حيث مجمل نسبة القوى بين العدو وبيننا فى الحرب كلها ؛ وقد عملنا فى الواقع وفقا لهذه الاستراتيجية . بيد أن تلك الصيغة لا تصلح للحملات والتكتيك ، فلا ينبغى أبدا أن نعمل وفقا لها فى هذا المجال . يجب علينا دائما ، سواء فى الهجوم المضاد أو فى الهجوم ، أن نركز قوة كبيرة لضرب جزء من قوات العدو . ولقد منيت قواتنا بالخسارة ، من جراء عدم تركيز قواتنا ، فى تلك المعارك التى خاضتها ضد تان داو يوان فى أرض دونغشاو من محافظة نينغدو فى مقاطعة جيانغشى فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣١ ، وضد الجيش التاسع عشر فى منطقة قاوشينغشيو من محافظة شينغقوه فى مقاطعة جيانغشى فى

أغسطس (آب) ١٩٣١ ، وضد تشن جى تانغ فى منطقة شويكوشيو من محافظة نانشيونغ فى مقاطعة قوانغدونغ فى يوليو (تموز) ١٩٣٢ ، وضد تشن تشنغ فى أرض توانتسون من محافظة ليتشوان فى مقاطعة جيانغشى فى مارس (آذار) ١٩٣٤ . ولقد كانت نتائج المعارك من طراز معركة شويكوشيو ومعركة توانتسون تعتبر على العموم انتصارات ، بل انتصارات كبرى (لقد هزمت قواتنا فى المعركة الأولى عشرين فوجا من قوات تشن جى تانغ ، وفى الثانية اثنى عشر فوجا من قوات تشن تشنغ) . لكننا دائما لا نغتبط بمثل هذه الانتصارات ، بل يمكننا أن نعتبرها فى الواقع هزائم اذا نظرنا اليها من زاوية معينة . ذلك أننا نعتقد أن كل معركة ستكون قليلة الأهمية اذا لم نحصل فيها على غنائم حربية ، أو اذا كان ما غنمناه لا يتجاوز خسائرنا . ان استراتيجيتنا هى أن « كل واحد منا ضد عشرة » . أما تكتيكنا ، فهو أن « كل عشرة منا ضد واحد » . هذا هو أحد المبادئ الأساسية التى تضمن انتصارنا على العدو .

وقد بلغت نظرية التعادل العسكرى غاية تطورها أثناء الحملة الخامسة المضادة « للتطويق والابادة » عام ١٩٣٤ . وكان أنصار هذه النظرية يظنون أننا نستطيع التغلب على العدو بـ « تقسيم قواتنا على ستة اتجاهات » و « المقاومة فى كل الجبهات » ، لكن النتيجة أن العدو هو الذى تغلب علينا ، وكان السبب هو خوفهم من فقدان الأراضى . وطبيعى أنه اذا ركزنا قواتنا الرئيسية فى اتجاه واحد ولم نترك فى الاتجاهات الأخرى سوى القوات التى تقوم بتقييد تحركات العدو ، فسوف يصعب علينا تفادى فقدان الأراضى . بيد أن هذه خسائر موقتة وجزئية ، اذ أننا سنحصل عوضا عنها انتصارا فى الاتجاه الرئيسى لهجومنا . فاذا أحرزنا هذا النصر استطعنا استرداد ما فقدناه فى النواحى التى تقوم فيها قواتنا بعمليات تقييد تحركات العدو . ان حملات « التطويق والابادة » الأولى والثانية والثالثة والرابعة التى شنها العدو ضدنا ، قد سببت لنا فقدان الأراضى ، وعلى الأخص الحملة الثالثة ،

اذ فقدنا فيها تقريبا قاعدة الجيش الأحمر بكاملها فى جيانغشى ، ولكنا استرددنا فى النهاية جميع الأراضى المفقودة ، بل ووسعناها أيضا .

ان عدم ادراك قوة الشعب فى قاعدتنا كثيرا ما يؤدى الى خوف لا مبرر له من ابتعاد الجيش الأحمر عن القاعدة كثيرا . وقد حدث هذا ، حينما خرج الجيش الأحمر بعيدا عن قاعدته فى جيانغشى ليهاجم تشانغتشو فى مقاطعة فوجيان عام ١٩٣٢ ، وكذلك حينما اتجه الجيش الأحمر لمهاجمة فوجيان بعد انتصاره فى الحملة الرابعة المضادة « للتطويق والابادة » عام ١٩٣٣ . وكان بعضهم يخشون فى المرة الأولى من احتلال العدو القاعدة كلها ، وفى المرة الثانية من احتلاله قسما منها ، وعارضوا تركيز القوات ودعوا الى تقسيمها من أجل الدفاع عن القاعدة من مختلف الجهات ، بيد أن النتيجة أثبتت خطأهم فى كل مرة . أما العدو فهو ينظر الى قواعدنا كشىء خطر يخافون من التغلغل فيه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه ينظر الى الجيش الأحمر الذى يجتاح المناطق البيضاء كخطر رئيسى بالنسبة اليه . ولذا كان اهتمامه موجها على الدوام الى حيث الجيش الأحمر النظامى ، ونادرا ما يتغاضى العدو عن الجيش الأحمر النظامى ويكرس كل اهتمامه على قاعدتنا . وحتى عندما يمارس الجيش الأحمر الدفاع ، يكون اهتمام العدو منصبا عليه أيضا . وان خطة تقليص مساحة منطقة القاعدة تشكل جزءا من خطة العدو العامة ؛ لكن اذا ركز الجيش الأحمر قواته الرئيسية وأباد أحد أرتال العدو ، فان قيادة العدو العليا سوف تضطر الى تركيز اهتمام أعظم بالجيش الأحمر وتسخير قوات أكبر ضده . لذلك يكون من الممكن تحطيم خطة العدو الرامية الى تقليص مساحة منطقة قاعدتنا .

أما النظرة القائلة انه « كان من المستحيل ، خلال حملة العدو الخامسة " للتطويق والابادة " القائمة على أساس سياسة بناء القلاع ، أن نقاتل بقوات مركزة ، ولم نكن نستطيع سوى الدفاع بقوات مقسمة وشن هجمات خاطفة » فقد

كانت خاطئة هى الأخرى . ان تكتيك حرب القلاع الذى لجأ اليه العدو والذى كان يتمثل فى أن العدو كان يتوقف عن التقدم بعد كل ثلاثة لى الى خمسة لى ويبنى القلاع بين كل ثمانية لى الى عشرة لى ، كان تماما نتيجة ممارسة الجيش الأحمر تكتيك الدفاع على خطوط متعاقبة . ومن المؤكد أن الوضع كان سيتبدل كليا ، لو أن جيشنا أعرض فى الخط الداخلى عن تكتيك الدفاع على خطوط متعاقبة ، وزحف نحو الخط الداخلى للعدو وقاتله فيه عندما كان ذلك ضروريا وممكنا . ان مبدأ تركيز القوات هو بالضبط الوسيلة التى تمكننا من التغلب على سياسة بناء القلاع .

ولا يتضمن مبدأ تركيز القوات الذى ننادى به الاقلاع عن عمليات حرب العصابات الشعبية . ان نظرية الغاء عمليات حرب العصابات ، وهى حرب ضيقة النطاق ، التى دعا اليها خط لى سان والتى تقول بـ « تركيز كل بندقية فى يد الجيش الأحمر » ، قد ثبت خطأها منذ زمن طويل . واذا أخذنا الحرب الثورية فى مجملها بعين الاعتبار ، فان عمليات حرب العصابات الشعبية من جهة وعمليات الجيش الأحمر النظامى من جهة أخرى تتكاملان مثل تكامل ذراعى الانسان اليمنى واليسرى . فنحن سنكون كمحارب بذراع واحدة ، اذا كان لدينا الجيش الأحمر النظامى دون حرب العصابات الشعبية . وعندما نتحدث عن عامل الشعب فى القاعدة ، فنعنى ، على وجه التحديد وخصوصا فيما يتعلق بعمليات الحرب ، أن فيها شعبا مسلحا . وهذا هو السبب الرئيسى الذى يجعل العدو خائفا من الاقتراب من قاعدتنا .

وانه لمن الضرورى أيضا أن تستخدم فصائل من الجيش الأحمر فى العمليات على جبهات ثانوية ، ولسنا نقصد تركيز القوات فى جميع الأحوال . ان تركيز القوات الذى ننادى به يقوم على أساس مبدأ تأمين تفوق مطلق أو نسبى فى ميدان القتال . فلا بد لنا ، كى نجابه عدوا قويا أو نقاتل فى جبهة ذات أهمية حيوية ،

من تأمين قوة متفوقة تفوقا مطلقا ؛ مثال ذلك أننا جمعنا قوة تتألف من أربعين ألف رجل فى قتال قوة تشانغ خوى تسان التى تعد تسعة آلاف رجل فى المعركة الأولى من معارك الحملة المضادة الأولى « للتطويق والابادة » ، التى وقعت فى ٣٠ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٠ . أما حين نواجه عدوا ضعيفا أو نقاتل فى جبهة ليست ذات أهمية كبرى ، فان قوة متفوقة نسبيا تكون كافية ؛ مثال ذلك أننا فى المعركة الأخيرة من الحملة المضادة الثانية « للتطويق والابادة »، فى ٢٩ مايو (أيار) ١٩٣١ ، لم نستخدم الا ما يزيد على عشرة آلاف رجل من الجيش الأحمر فى قتال فرقة ليو خه دينغ التى تعد سبعة آلاف رجل فى جيانننغ .

وكذلك لا نقصد أنه يجب علينا أن نستخدم قوة متفوقة فى كل مرة . بل يمكننا فى حالات معينة أن نخوض المعركة بقوة ضعيفة نسبيا أو كليا . وهذا مثال عن خوض المعركة بقوة ضعيفة نسبيا : اذا حاولنا سحق هجوم عدو متفوق علينا فى منطقة نملك فيها فقط قوة ليست كبيرة العدد من الجيش الأحمر (وليس أن ثمة عددا كبيرا من قواتنا لم نقم بتركيزها) ، وكانت العوامل المختلفة — تأييد الشعب والطوبوغرافيا والمناخ — مؤاتية لنا الى حد كبير ، فان استخدام رجال العصابات ، وفصائل صغيرة من الجيش الأحمر فى تقييد تحركات العدو فى وسطه وفى أحد جناحيه وحشد باقى القوة كلها للقيام بهجوم مباغت على جزء من جناحه الآخر هو أمر ضرورى أيضا بطبيعة الحال ، وطريقة تمكننا من كسب النصر . وحينما نقوم بمهاجمة جزء من أحد جناحى العدو نطبق أيضا ، فيما يتعلق بنسبة القوة ، مبدأ تسخير قوة متفوقة ضد قوة ضعيفة وقهر عدد قليل بعدد كبير . ومن أمثلة خوض المعركة بقوة ضعيفة كليا قيام فصائل العصابات بمهاجمة جزء صغير فقط من قوة بيضاء كبيرة العدد ، وفى هذه الحال يكون المبدأ المذكور قابلا للتطبيق أيضا .

أما فيما يتعلق بالرأى القائل بأن تركيز جيش كبير للقتال فى ميدان واحد يخضع لعوامل مختلفة كالطوبوغرافيا وحالة الطرقات والتموين وايواء الجنود ، فيجب أن ننظر الى الأمر طبقا للظروف . فهناك فرق فى مدى تأثير تلك العوامل على كل من الجيش الأحمر والجيش الأبيض ، لأن الجيش الأحمر يستطيع أن يصمد لمصاعب أعظم من التى يستطيع أن يصمد لها الجيش الأبيض .

اننا نقهر العدد الكبير بعدد صغير — هذا ما نقوله لسائر حكام الصين . ونحن فى الوقت ذاته نقهر العدد الصغير بعدد كبير — وهذا ما نقوله لكل قسم منفرد من أقسام العدو التى نلقاها فى الميدان . ان هذا الأمر لم يعد سرا خافيا ، فالعدو عموما قد ألم بأسلوبنا هذا . بيد أنه لا يستطيع حرماننا من انتصاراتنا ، كما لا يستطيع أن يتجنب خسائره ، لأنه لا يعرف متى وأين نضرب ضربتنا . وهذا سر لن نبوح به أبدا . ان عمليات الجيش الأحمر هى على العموم هجمات مباغتة .

المبحث السابع — الحرب المتحركة

الحرب المتحركة أم الحرب الموقعية ؟ ان جوابنا هو الحرب المتحركة . وطالما لم يكن لدينا جيش كبير ولا امدادات من الذخيرة ، وطالما كانت فى كل منطقة من مناطق القواعد قوة واحدة فقط من الجيش الأحمر يقع عليها وحدها عبء القتال فيها ، فان الحرب الموقعية عموما لا فائدة منها بالنسبة الينا . لا يمكن لنا عموما أن نطبق أسلوب الحرب الموقعية لا فى الدفاع ولا فى الهجوم .

ان احدى الخصائص المميزة البارزة لعمليات الجيش الأحمر والتى تنبع من حقيقة أن العدو قوى بينما الجيش الأحمر ضعيف فى المعدات التكنيكية ،

هى عدم وجود خطوط ثابتة للقتال .

ان خطوط قتال الجيش الأحمر يحددها اتجاه عملياته . ولما كان اتجاه عملياته غير ثابت فقد تسبب ذلك فى عدم ثبات خطوط قتاله . وبالرغم من أن الاتجاه العام للجيش الأحمر لا يتغير فى فترة محددة من الزمن ، لكن فى حدود هذا الاتجاه العام قد تتغير الاتجاهات الجزئية فى أى لحظة من اللحظات ، فعندما نجد أننا لا نستطيع مواصلة التقدم فى أحد الاتجاهات يجب علينا أن نتحول الى اتجاه آخر . واذا ما وجدنا أنفسنا ، بعد حين من الوقت ، لا نستطيع مواصلة التقدم فى الاتجاه العام ، فلا بد أن نغير هذا الاتجاه أيضا .

لا يمكن أن تكون خطوط القتال ثابتة فى حرب أهلية ثورية ، وقد حدث هذا حتى فى تاريخ الاتحاد السوفياتى . والفرق بين الجيش السوفياتى وجيشنا هو أن خطوط قتاله لم تكن كثيرة التغير بالدرجة التى نجدها فى تغير خطوط قتالنا . وكذلك لا يمكن أن يكون هناك فى أى حرب أخرى خطوط قتال ثابتة كل الثبات لأن تغيرات الحرب من نصر وهزيمة وتقدم وتراجع لا تسمح بذلك . الا أنه كثيرا ما توجد خطوط قتال ثابتة نسبيا فى الحرب ذات الصفة العامة . وهذا فيما عدا حالات شاذة يواجه فيها أحد الجيوش عدوا أقوى منه بكثير كما هو حال الجيش الأحمر الصينى فى مرحلته الراهنة .

ان عدم ثبات خطوط القتال يؤدى الى عدم الاستقرار لرقعة مناطق القواعد . ان رقعة مناطق القواعد فى تغير دائم من توسع وانكماش وتمدد وتقلص ، وكثيرا ما يحدث أن تقوم احدى مناطق القواعد فى حين تسقط منطقة أخرى . ان هذه الميوعة فى رقعة مناطق القواعد تنشأ كليا من الميوعة فى العمليات الحربية .

ان الميوعة فى العمليات الحربية وفى رقعة مناطق القواعد تؤدى الى ميوعة فى جميع ميادين البناء فى مناطق القواعد . فلا يمكننا التفكير فى وضع خطط للبناء لمدة عدة سنوات . وان التعديلات المتكررة فى الخطط هى من الأشياء اليومية

التى تواجهنا فى العمل .

ان التسليم بهذه الخاصية هو أمر فى صالحنا . وعلينا أن نحدد مناهجنا انطلاقا من هذه الخاصية ، وألا تراودنا الخيالات فى حرب نتقدم فيها تقدما متصلا دون أن يشوبه أى تقهقر ، أو نصاب بالدهشة والذعر عندما يطرأ أى تغير موقت على رقعة أرضنا أو مؤخرة جيشنا ، أو نسعى لرسم خطط مفصلة طويلة الأمد . وعلينا أن نكيف تفكيرنا وأعمالنا مع الظروف ، فنكون على استعداد للجلوس ولمواصلة السير فى الوقت ذاته ، فلا يجوز لنا أن نلقى بكيس زادنا جانبا . ان بذل الجهود فى هذه الحياة الغير ثابتة التى نحياها الآن ، هو السبيل الوحيد الذى يمكننا أن نحرز فى الغد استقرارا نسبيا فى الحياة ثم استقرارا كاملا فى النهاية .

وكانت الاستراتيجية المبنية على ما يسمى بـ « الحرب النظامية » ، هذه الاستراتيجية التى طغت على حملتنا المضادة الخامسة « للتطويق والابادة » ، تنكر هذه الميوعة وتعارض ما أسمته بـ « نزعة حرب العصابات المحضة » . ان أولئك الرفاق الذين عارضوا هذه الميوعة كانوا يحاولون أن يتصرفوا فى الأمور كما لو كانوا حكام دولة كبيرة ، وكانت نتيجة ذلك هى تلك الميوعة الكبرى التى لم يسبق لها مثيل أى المسيرة الكبرى لمسافة ٢٥٫٠٠٠ لى .

ان جمهوريتنا ، جمهورية العمال والفلاحين الديمقراطية هى دولة ، الا أنها اليوم لم تصبح بعد دولة كاملة . وما زلنا اليوم فى فترة الدفاع الاستراتيجى فى الحرب الأهلية ، وما زال شكل سلطتنا السياسية بعيدا جدا عن شكل السلطة السياسية لدولة كاملة ، وما زال جيشنا ضعيفا جدا بالنسبة للعدو من ناحية العدد والمعدات التكنيكية ، وأراضينا ما زالت صغيرة جدا ، وعدونا يسعى فى كل لحظة للقضاء علينا ولن يهدأ له بال حتى يقضى علينا . يجب علينا أن نحدد سياستنا على أساس هذه الحقائق ، علينا ألا نعارض نزعة حرب العصابات

المحضة بصورة عامة ، بل علينا أن نعترف بصراحة بطابع حرب العصابات في عمليات الجيش الأحمر . ولا داعى للخجل من هذا . بل ان طابع حرب العصابات هذا هو بالتحديد صفتنا المميزة ونقطة قوتنا ووسيلتنا لهزيمة العدو . علينا أن نستعد لطرح هذا الطابع جانبا الا أننا اليوم لا نستطيع ذلك . ولا شك أن طابع حرب العصابات هذا سوف يصبح فى المستقبل شيئا يبعث على الخجل ويجب أن يطرح جانبا ، الا أنه اليوم شىء ثمين ويجب أن نتمسك به .

« قاتلوا عندما يمكنكم النصر ، وابتعدوا عندما لا يمكنكم النصر »

هذا هو التفسير الشعبى لحربنا المتحركة اليوم . وما من خبير عسكرى فى أى مكان من العالم يوافق على القتال وحده دون السير والانتقال ، الا أن سير الجيوش الأخرى وتنقلاتها ليست بهذه الكثرة التى نجدها فى سير جيشنا وتنقلاته . ونحن عادة نصرف من الوقت فى السير والانتقال أكثر مما نصرفه فى القتال ، فاذا كانت معركة كبيرة واحدة هى متوسط المعارك التى نخوضها خلال شهر فذلك شىء يجب أن نقنع به . ان كل « سير » نقوم به هو بغرض « القتال » ، كما أن كل مبادئنا الخاصة بالاستراتيجية وبالحملات قائمة على أساس « القتال » . ولكن هناك حالات عديدة ليس من المناسب أن نقاتل فيها : أولا ليس من المناسب أن نقاتل عندما تكون القوة المعادية التى تواجهنا ضخمة جدا ؛ وثانيا ليس من المناسب ، فى بعض الأحيان ، أن نقاتل عندما تكون القوة المعادية التى تواجهنا ليست ضخمة العدد لكنها قريبة جدا من قوات العدو الأخرى ؛ وثالثا ليس من المناسب عموما أن نقاتل قوة معادية غير معزولة وهى معتصمة بمواقع حصينة ؛ ورابعا ليس من المناسب أن نواصل اشتباكا لسنا متأكدين من النصر فيه . يجب أن نكون على استعداد للسير والانتقال فى أى حالة من هذه الأحوال. ومثل هذا السير أمر مسموح به وضرورى . ذلك لأن اعترافنا بضرورة السير مبنى على أساس الاعتراف بضرورة القتال . وفى هذا تكمن الصفة المميزة

الأساسية للحرب المتحركة التى يقوم بها الجيش الأحمر .

وحين نقول ان حربنا هى ، بصورة رئيسية ، حرب متحركة ، لا نعنى أننا نرفض الحرب الموقعية عندما تكون ضرورية وممكنة . ومما يجب الاعتراف به اللجوء الى أسلوب الحرب الموقعية حين ندافع بعناد عن نقاط ارتكاز معينة بغية تقييد تحركات قوات العدو أثناء الدفاع الاستراتيجى ، أو عندما نصادف أثناء الهجوم الاستراتيجى قوة معادية منعزلة عاجزة عن تلقى الامدادات . لقد حصلنا على خبرات كثيرة فى هزيمة العدو بواسطة مثل هذه الحرب الموقعية ؛ وقد فتحنا عددا كبيرا من مدن العدو وقلاعه وحصونه ، واخترقنا مواقع العدو المحصنة الى حد ما فى ميادين القتال . ويجب علينا أن نزيد جهودنا ونتغلب على نقاط ضعفنا فى هذا المجال فى المستقبل . ويجب علينا تماما أن ندعو الى الهجوم الموقعى والدفاع الموقعى عندما تتطلبهما الظروف وتسمح بهما . ونحن لا نعارض الا اللجوء ، في الوقت الحاضر ، الى الحرب الموقعية عموما أو وضع الحرب الموقعية على قدم المساواة مع الحرب المتحركة ، وهذا وحده أمر غير مسموح به .

أ فلم يطرأ أبدا ، خلال السنوات العشر من الحرب ، أدنى تبدل على طابع حرب العصابات الذى تتصف به عمليات الجيش الأحمر ، وعلى حالة عدم وجود خطوط قتال ثابتة لديه وعلى ميوعة أرض مناطق القواعد ، وميوعة أعمال البناء فى مناطق القواعد ؟ بلى ، لقد طرأت عليها تبدلات . ففى المرحلة الأولى التى تمتد من أيام جبال جينغقانغ الى ما قبل الحملة المضادة الأولى « للتطويق والابادة » فى جيانغشى ، كان طابع حرب العصابات والميوعة يظهران بصورة بارزة ، اذ أن الجيش الأحمر كان لا يزال فى طور الطفولة وأن مناطق القواعد لا تزال يومذاك مناطق لحرب العصابات . وفى المرحلة الثانية الممتدة بين الحملة المضادة الأولى « للتطويق والابادة » والحملة المضادة

الثالثة تضاءل طابع حرب العصابات والميوعة الى درجة ملحوظة ، اذ تشكلت جيوش الجبهات ونشأت قواعد ثورية تضم عدة ملايين من السكان . وفى المرحلة الثالثة بين نهاية الحملة المضادة الثالثة « للتطويق والابادة » وبين الحملة المضادة الخامسة ازداد تضاؤل طابع حرب العصابات والميوعة . وقد تأسست فى هذه المرحلة حكومة مركزية ولجنة عسكرية ثورية . وكانت المسيرة الكبرى هى المرحلة الرابعة . وان الرفض الخاطىء لحرب العصابات والميوعة على نطاق ضيق قد أدى الى حرب عصابات وميوعة واسعة النطاق . ونحن نجتاز المرحلة الخامسة حاليا . وقد تقلص الجيش الأحمر ومناطق القواعد الى درجة بعيدة نتيجة لفشلنا فى سحق حملة « التطويق والابادة » الخامسة وبسبب الميوعة الواسعة النطاق ، الا أننا قد تمكنا مرة أخرى من تثبيت أقدامنا فى الشمال الغربى ومن توطيد وتطوير قاعدتنا فى منطقة حدود شنشى — قانسو — نينغشيا . وان جيوش الجبهات الثلاث التى تشكل القوى الرئيسية للجيش الأحمر قد وضعت تحت قيادة موحدة ، وهو أمر لم نستطع تحقيقه من قبل .

واذا نظرنا الى طبيعة استراتيجيتنا يمكننا القول أيضا ان الفترة الممتدة من أيام جبال جينغقانغ حتى الحملة المضادة الرابعة « للتطويق والابادة » كانت تشكل مرحلة واحدة ، بينما كانت فترة الحملة المضادة الخامسة « للتطويق والابادة » تشكل مرحلة أخرى ، وان الفترة الممتدة من المسيرة الكبرى حتى الوقت الحاضر تشكل مرحلة ثالثة . وخلال الحملة المضادة الخامسة رفض بعضهم ، بصورة خاطئة ، السياسة الماضية التى كانت صحيحة ، واليوم قد رفضنا نحن ، بصورة صحيحة ، السياسة الخاطئة التى كانت مطبقة أثناء فترة الحملة المضادة الخامسة ، وبعثنا السياسة الصحيحة التى سلكناها فى الأيام الماضية . ولكن هذا لا يعنى أننا نرفض كل شىء طبق خلال فترة الحملة المضادة الخامسة ، أو نبعث كل سياسة سبقتها . فنحن لا نبعث من

الأشياء السابقة الا ما كان حسنا ولا نرفض مما طبق فى فترة الحملة المضادة الخامسة الا ما كان خاطئا .

ويحتوى أسلوب حرب العصابات على جانبين . أحدهما هو عدم النظامية أى عدم التمركز ، وعدم التوحد ، وعدم الانضباط الدقيق واللجوء الى أساليب العمل المبسطة . . الخ . وقد نشأت هذه الأشياء من طفولة الجيش الأحمر ، وكان بعضها هو ما تتطلبه الظروف بالضبط فى ذلك الحين . ولكنه يجب علينا فى مرحلة أعلى من تطور الجيش الأحمر ، أن نتخلى عن هذه الأشياء بصورة تدريجية وواعية حتى نجعل الجيش الأحمر أكثر تمركزا وتوحدا وأكثر التزاما بالانضباط وأكثر دقة فى عمله وباختصار نجعله أكثر نظامية . وعلينا أيضا ، فى توجيه العمليات الحربية ، أن نخفف بصورة تدريجية وواعية من طابع حرب العصابات الذى لم نعد نحتاج اليه فى مرحلة أعلى . وان رفض التقدم فى هذا المجال والالتزام بعناد بالمرحلة القديمة هما شيئان غير مسموح بهما ومضران وغير مؤاتيين للعمليات الواسعة النطاق .

والجانب الآخر من أسلوب حرب العصابات هو مبدأ الحرب المتحركة أى طابع حرب العصابات فى العمليات الخاصة بالاستراتيجية وبالحملات، الذى لا يزال ضروريا فى الوقت الحاضر ، والميوعة التى لا يمكن تجنبها فى رقعة مناطق القواعد ، ومرونة خطط البناء فى مناطق القواعد وقابليتها للتبدل ، ورفض صفة النظامية فى بناء الجيش الأحمر التى لا تتماشى مع الظروف القائمة . وفيما يتعلق بهذا الصدد فان من غير المسموح به أيضا ومما هو مضر وغير مؤات لعملياتنا الحربية الراهنة انكار حقائق التاريخ ومعارضة الاحتفاظ بما هو مفيد وتجاوز المرحلة الحاضرة بتهور والاندفاع بصورة عمياء نحو « مرحلة جديدة » لا تزال بعيدة حتى الآن عن متناولنا وليس لها أى مغزى واقعى فى الوقت الحاضر .

نحن الآن فى عشية مرحلة جديدة فيما يتعلق بالمعدات التكنيكية للجيش الأحمر وبتنظيمه . فعلينا أن نعد العدة للانتقال الى هذه المرحلة الجديدة . ومن الخطأ ومما يضر بحربنا المقبلة ألا نعد هذه العدة . وفى المستقبل ، عندما تتغير الظروف التكنيكية والتنظيمية للجيش الأحمر ، وعندما يدخل بناء الجيش الأحمر مرحلة جديدة فسوف يصبح اتجاه عملياته الحربية وخطوط قتاله أكثر ثباتا ؛ وسوف تكون هناك حروب موقعية أكثر ؛ وسوف تقل الى حد كبير وتختفى فى النهاية ميوعة العمليات الحربية وميوعة رقعة مناطق القواعد وميوعة أعمال البناء ؛ ولن يعود فى امكان الأشياء التى تقيدنا حاليا ، كتفوق العدو واعتصامه بمواقعه المحصنة ، عرقلة طريقنا مرة أخرى .

ونحن فى الوقت الحاضر نعارض من جهة التدابير الخاطئة المتخذة فى المرحلة التى كانت تسود فيها الانتهازية «اليسارية» ، ونعارض من جهة أخرى بعث تلك المظاهر العديدة غير النظامية التى كانت سائدة فى عهد طفولة الجيش الأحمر وقد أصبحت الآن غير ضرورية . ولكن علينا أن نكون حازمين فى بعث المبادئ الكثيرة الثمينة المتعلقة ببناء الجيش والمبادئ الاستراتيجية والتكتيكية – تلك المبادئ التى ما برح الجيش الأحمر يحرز بواسطتها الانتصارات . وعلينا أن نلخص كل ما هو جيد من تجارب الماضى وأن نجعل منه خطا عسكريا ذا طابع منظم ، خطا أكثر تطورا وأغنى فى محتواه حتى نستطيع الانتصار على العدو اليوم ونتهيأ للانتقال الى المرحلة الجديدة فى المستقبل.

ان ممارسة الحرب المتحركة تشتمل على قضايا عديدة ، مثل الاستطلاع والحكم على الموقف ، وعقد العزم ، وتخطيط العمليات العسكرية ، والتوجيه ، والتستر ، وتركيز القوات ، والتقدم ، ونشر القوات ، والهجوم ، والمطاردة ، والمباغتة ، والهجوم الموقعى ، والدفاع الموقعى ، والاشتباك الفجائى ، والتراجع ، وللقتال الليلى ، والعمليات الخاصة ، وتجنب القوى ومهاجمة الضعيف ، ومحاصرة

العدو بغرض ضرب امداداته ، والهجوم الكاذب ، والوقاية ضد الغارات الجوية ، والتحرك بين وحدات عديدة للعدو ، وتخطى وحدات من قوات العدو لمحاربة وحدات أخرى ، والقتال المتواصل . والقتال بدون استناد الى مؤخرة ، وضرورة الراحة وتكديس الطاقة . ان هذه القضايا قد اتخذت صفات خاصة عديدة فى تاريخ الحروب التى خاضها الجيش الأحمر . ويجب وصفها بصورة منتظمة وتلخيصها فى علم الحملات ، ولذا فضلت ألا أتناولها فى بحثى هذا .

المبحث الثامن ـ الحرب الخاطفة

ان خوض الحرب الطويلة الأمد من حيث الاستراتيجية وخوض الحرب الخاطفة فى الحملات أو المعارك هما وجهان لشىء واحد ، هما مبدآن متساويان فى الأهمية فى الحرب الأهلية ، ويمكن أيضا تطبيقهما فى الحروب المناهضة للامبريالية .

بما أن القوى الرجعية ضخمة ، وأن القوى الثورية لا تنمو الا بالتدريج ، فقد تحدد أن تكون حربنا حربا طويلة الأمد . وعدم الصبر هنا يسبب الضرر ، والدعوة الى « خوض الحرب الخاطفة » يعد خطأ . وقد يكون خوض الحرب الثورية طوال عشرة أعوام كما فعلنا نحن ، شيئا مثيرا للدهشة فى الأقطار الأخرى ، أما بالنسبة لنا فان الأمر بمثابة كتابة رسالة ذات ثمانية أجزاء(٣٦) لم ننجز منها الا الأجزاء الثلاثة الأولى وهى تقديم الموضوع والتوسع فى التقديم وعرض فكرة الموضوع ، أما الفصول المثيرة فلم تظهر بعد . ومما لا شك فيه أن التطورات المقبلة يمكن أن تكون أسرع بكثير من ذى قبل بسبب تأثير الوضع الداخلى والعالمى . وبما أن تغيرات قد حدثت بالفعل فى الوضع العالمى والداخلى وأن تغيرات أعظم سوف تحدث فيما بعد يمكننا القول اننا قد

تعدينا المرحلة الماضية التي كنا نتطور فيها تطورا بطيئا ونقاتل بصورة منعزلة . الا أنه يجب ألا نتوقع النصر بين عشية وضحاها . ان الارادة القوية التى تتجلى فى قول بعض القدماء : « لن أفطر قبل القضاء على العدو »(٣٧) هى ارادة نعجب بها ، غير أنه لأمر سيئ أن نضع خططا محددة على هذا الأساس . ونظرا لأن قوى الصين الرجعية تسندها دول امبريالية عديدة ، فان حربنا الثورية ستظل حربا طويلة الأمد قبل أن تتمكن قوى الصين الثورية من تكديس قوة كافية لشق المواقع الأساسية لعدونا الداخلى والخارجى وقبل أن يتم سحق معظم القوى الرجعية العالمية أو تجميدها من قبل القوى الثورية العالمية . وان الانطلاق من هذه النقطة فى وضع خطة استراتيجية لحربنا باعتبارها حربا طويلة الأمد هو أحد المبادئ الهامة فى التوجيه الاستراتيجى .

وخلافا لما ذكرناه آنفا فان المبدأ المطبق على الحملات والمعارك هو مبدأ الحرب الخاطفة وليس مبدأ الاطالة . ان انجاز الحملات والمعارك بصورة خاطفة هو ما يسعى اليه العسكريون جميعا ، القدماء منهم والمعاصرون ، فى الصين وفى غيرها على حد سواء . أما فيما يتعلق بأى حرب من الحروب ، فان انجازها بصورة خاطفة هو ما يسعى له الجميع أيضا فى كل الأوقات وفى كل الأقطار ، ويعتبرون دائما أن اطالة أمد الحرب شيء ضار . ولكن حرب الصين وحدها يجب أن تعالج بأوسع قدر من الصبر وأن تعالج بصفتها حربا طويلة الأمد . وكان بعض الناس فى الفترة التى ساد فيها خط لى سان ، يسخرون من الطريقة التى نعالج بها الحرب ويصفونها بأنها « تكتيكات الملاكمة » (وكانوا يقصدون بذلك أننا لا نستطيع الاستيلاء على المدن الكبيرة الا بعد حرب سجال) ، فكانوا يقولون ساخرين اننا لن نرى انتصار الثورة قبل أن تشيب رؤوسنا . وقد ثبت منذ زمن بعيد خطأ هذا الاحساس الذى يدل على داء التسرع . ولكنهم لو وجهوا نقدهم الى قضايا الحملات والمعارك بدلا من القضية الاستراتيجية

لكانوا مصيبين تماما للأسباب التالية : أولا ليس هناك مصادر لامداد الجيش الأحمر بالأسلحة ولا سيما الذخائر ؛ ثانيا يملك الجيش الأبيض قوات عديدة بينما لا يملك الجيش الأحمر الا قوة واحدة لا بد لها لكى تحطم حملة من حملات «التطويق والابادة» أن تعد نفسها لخوض القتال فى تتابع سريع ؛ وثالثا بالرغم من أن القوات البيضاء تتقدم فى أقسام منفصلة الا أن المسافة التى تفصل بين قسم وآخر هى مسافة قريبة فى معظم الأحوال ، بحيث اذا لم نكسب المعركة ضد أحدها بصورة سريعة ، فاننا سنجد الأقسام الأخرى تتكالب علينا جميعا ، ولهذه الأسباب لا يسعنا الا أن نخوض الحرب الخاطفة . وانه لأمر عادى أن نكسب معركة فى ساعات قليلة ، أو خلال يوم أو يومين . وفقط عندما تكون خطتنا هى «محاصرة العدو بغرض ضرب امداداته» حيث لا نهدف الى توجيه الضربة الى العدو المحاصر بل الى الامدادات التى تأتى لمساعدته ، عند ذلك فقط نكون مستعدين لقتال العدو المحاصر وقتا طويلا الى حد ما ، ولكن بالنسبة الى امداداته فاننا نسعى أيضا للقضاء عليها بحرب خاطفة . وكثيرا ما نطبق مبدأ القتال الطويل الأمد أيضا على الحملات والمعارك ، وذلك حين ندافع بعناد عن مراكزنا بغية تقييد تحركات قوات العدو أثناء الدفاع الاستراتيجى ، أو حين نهاجم قوات معادية منعزلة عاجزة عن تلقى الامدادات أثناء الهجوم الاستراتيجى ، أو نقضى على مراكز بيضاء فى داخل مناطق قواعدنا . الا أن مثل هذه العمليات الطويلة الأمد لا تعرقل قوات الجيش الأحمر النظامى عن خوض الحرب الخاطفة بل تساعدها على ذلك .

لا يمكن أن نخوض الحرب الخاطفة بنجاح بناء على الرغبة الذاتية بل يتطلب ذلك شروطا عديدة محددة . والشروط الأساسية هى : التحضير الكافى ، وعدم تفويت الفرصة الملائمة ، وتركيز قوات متفوقة ، وتطبيق تكتيكات التطويق والالتفاف ، واتخاذ المواقع الملائمة ، وضرب العدو وهو فى حالة تحرك ،

أو عندما يكون فى حالة توقف ولكنه لم يدعم مواقعه بعد . واذا لم تتوفر هذه الشروط يستحيل انجاز أى حملة أو معركة بصورة خاطفة .

ان تحطيم حملة « تطويق وابادة » يعد حملة كبرى ومبدأ الحرب الخاطفة ملائم لها أيضا وليس مبدأ الاطالة ، لأن الطاقة البشرية والموارد المالية والقوة العسكرية لمناطق القواعد لا تسمح بالاطالة فى الحرب .

ولكن يجب علينا ، فى الوقت الذى نطبق فيه مبدأ الحرب الخاطفة كمبدأ عام ، أن نعارض التسرع غير الملائم . ومن الضرورى تماما للهيئة القيادية العسكرية والسياسية العليا فى القاعدة الثورية ، بعد أن تأخذ بعين الاعتبار ظروف القاعدة ووضع العدو ، أن تتدرع بالصبر والمثابرة اللازمين دون أن ترهبها سحنة العدو المخيفة ولا يثبط عزمها أمام المصاعب التى يمكن تحملها رغم شدتها ولا تيأس بسبب بعض الانتكاسات . ان تحطيم حملة « التطويق والابادة » الأولى فى مقاطعة جيانغشى لم يستغرق من أول اشتباك حتى النصر الا أسبوعا واحدا ، وحطمت الحملة الثانية خلال نصف شهر فقط ، أما الحملة الثالثة فقد ثابرنا فى مقاومتها ثلاثة أشهر قبل أن نتمكن من تحطيمها . وقد استغرق تحطيم الحملة الرابعة ثلاثة أسابيع ، أما الحملة الخامسة فقد تحملنا فى مقاومتها سنة كاملة . ولكن عندما اضطررنا لشق حصار العدو بعد الفشل فى تحطيم حملته الخامسة ، أظهرنا عجلة لم يكن لها ما يبررها . وكان فى مقدورنا تماما فى الظروف القائمة حينذاك أن نواصل الصمود شهرين او ثلاثة أشهر ننال فيها قسطا من الراحة ونعيد تنظيم صفوفنا . لو فعلنا كذلك ولو كانت القيادة حكيمة بعض الشيء بعد شقنا للحصار لكانت النتيجة مختلفة اختلافا كبيرا .

ولكن ذلك لا يعنى أننا قد خالفنا مبدأ تقصير فترة الحملة بكل وسيلة . ذلك أنه يجب علينا ، الى جانب بذل الجهود ، عند وضع خطط الحملات والمعارك ، فى تركيز القوات وفى تطبيق أساليب الحرب المتحركة . . الخ ،

والعمل بكل وسيلة على ابادة قوة العدو العاملة فى الخط الداخلى (فى مناطق القواعد) وسحق حملة « التطويق والابادة » سريعا ، يجب علينا الى جانب ذلك، حين يتبين لنا عدم امكان سحق حملة « التطويق والابادة » فى الخط الداخلى ، أن نستخدم القوات الرئيسية للجيش الأحمر لتشق حصار العدو وتنتقل الى الخط الخارجى ، أى خط العدو الداخلى حتى نسحق الحملة هناك . هذا الأسلوب سيصبح أسلوبنا الاعتيادى فى القتال فى هذا اليوم الذى طور فيه العدو تكتيك بناء القلاع الى درجة عالية . وعندما وقعت حادثة فوجيان(٣٨) ، بعد شهرين من بدء الحملة المضادة الخامسة « للتطويق والابادة » كان يجب على القوات الرئيسة للجيش الأحمر بكل تأكيد أن تندفع الى منطقة جيانغسو — تشجيانغ — آنخوى — جيانغشى ، ومركزها تشجيانغ ، فتكتسح الأراضى الواقعة بين هانغتشو وسوتشو ونانكين ووهو ونانتشانغ وفوتشو طولا وعرضا ، وتحول بذلك دفاعنا الاستراتيجى الى هجوم استراتيجى ، وتهدد مراكز العدو الأساسية الحيوية وتستدرجه الى القتال فى المناطق الشاسعة التى لا توجد له فيها قلاع . فلو لجأنا الى هذه الطريقة استطعنا أن نجبر القوات المعادية التى كانت تهاجم منطقة جنوبى جيانغشى وغربى فوجيان على النكوص على أعقابها لتدافع عن مراكز العدو الأساسية الحيوية ، واستطعنا سحق هجومها على منطقة القواعد فى جيانغشى وتقديم العون لحكومة فوجيان الشعبية — وكان يمكننا بالتأكيد أن نقدم لها العون بهذه الطريقة . وبما أن هذه الخطة لم تطبق ، فانه لم يكن فى الامكان سحق حملة « التطويق والابادة » الخامسة ، كما أنه لم يكن من سبيل أمام الحكومة الشعبية فى فوجيان سوى الانهيار . ثم انه لما مضت سنة كاملة من القتال ، لم يعد الزحف الى تشجيانغ فى مصلحتنا ، ولكنا كنا نستطيع مع ذلك أن نتحول الى الهجوم الاستراتيجى فى اتجاه آخر بتسيير قواتنا الرئيسية نحو خونان ، تسييرها نحو وسط خونان وليس نحو قويتشو عن طريق خونان ، لكى نستدرج

قوات العدو ، التى كانت تهاجم جيانغشى ، الى خونان حيث نحطمها . وبما أن هذه الخطة قد رفضت أيضا ، فقد تلاشى آخر أمل فى سحق حملة « التطويق والابادة » الخامسة ولم يبق أمامنا بعد ذلك سوى المسيرة الكبرى .

المبحث التاسع ـ حرب الابادة

ليس من الملائم اليوم دعوة الجيش الأحمر الصينى الى « منافسة العدو فى تحمل الخسائر» . فانه لمما يدعو الى الضحك أن تجرى « منافسة حول الثروات » بين شحاذ وملك البحر (٣٩) بدلا من أن تجرى بين ملك وآخر من ملوك البحر . ان السياسة الأساسية بالنسبة الى الجيش الأحمر الذى يحصل على جميع امداداته تقريبا من عدوه هى خوض حرب الابادة . فنحن لا نستطيع أن نسحق حملات « التطويق والابادة » ونوسع القواعد الثورية الا بابادة قوى العدو العاملة . ونحن حينما نعمد الى قتل وجرح رجال العدو ، فانما نفعل ذلك باعتباره وسيلة لابادة العدو ، والا فلا معنى له . ونحن نتكبد خسائر فى رجالنا عندما نلحق الخسائر برجال العدو من قتلى وجرحى ، ولكننا نمد جيشنا برجال وذخائر حين نبيد وحدات العدو ، وبهذه الطريقة لا نعوض خسائرنا وحسب بل نزيد من قوة جيشنا كذلك . ان اللجوء الى حرب التشتيت فى قتالنا ضد عدو قوى ليس وسيلة لتقرير نتيجة الحرب بصورة حاسمة . أما حرب الابادة فانها تترك أثرا خطيرا ومباشرا فى أى عدو من الأعداء . وجرح أصابع الانسان العشر ليس فعالا مثل قطع اصبع واحدة منها ؛ وهكذا فان تشتيت قوى عشر فرق للعدو ليس أمرا فعالا مثل ابادة فرقة واحدة منها .

كانت سياستنا ازاء حملات « التطويق والابادة » الأولى والثانية والثالثة والرابعة التى شنها العدو هى شن حرب الابادة . ومع أن قوات العدو التى أبيدت

فى كل حملة كانت تشكل جزءا فقط من مجموع قواته ، فقد تم تحطيم جميع حملات « التطويق والابادة » هذه . الا أنه طبقت سياسة معاكسة خلال الحملة المضادة الخامسة « للتطويق والابادة » ، وهى سياسة ساعدت فى حقيقة الأمر للعدو على بلوغ أغراضه .

ان حرب الابادة تستلزم تركيز قوات متفوقة وتطبيق تكتيكات التطويق والالتفاف ، وهى مستحيلة بدون ذلك . كما أن التأييد الشعبى ، والمواقع الملائمة ، ووجود عدو يمكن قهره بسهولة ، والاستفادة من غفلة العدو ، هى عوامل ضرورية لا غنى عنها لبلوغ غرض الابادة .

ونحن حين نقول ان تشتيت احدى قوات العدو أو حتى السماح لها بالافلات أمر ذو معنى فان ذلك صحيح فقط فى مجرى معركة أو حملة تقوم فيها قواتنا الرئيسية بعمليات الابادة ضد قوة أخرى معينة من قوات العدو ، والا فلا معنى لذلك . وهذه حالة أخرى من الأحوال التى يكون لخسائرنا فيها معنى اذا حصلنا الى جانبها على مكاسب .

وعلينا ، عند تأسيس صناعتنا الحربية ، أن لا نسمح لأنفسنا بالاعتماد عليها . ان سياستنا الأساسية هى أن نعتمد على الصناعة الحربية لدى الأقطار الامبريالية ولدى أعدائنا المحليين . ولنا حق فى الحصول على ما تنتجه المصانع الحربية فى لندن وفى هانيانغ ، وبالاضافة لهذا فان فرق النقل للعدو هى التى تنقله الينا . هذه هى الحقيقة وليس مزاحا .

ملاحظات

(١) أن كلمة « الحقائق » فى اللغة الصينية تعبر عن مفهومين : أحدهما الظروف الحقيقية والآخر أعمال الانسان (أى التطبيق كما يقوله الناس) . والرفيق ماو تسى

تونغ كثيرا ما يستخدم هذه الكلمة فى مؤلفاته للتعبير عن كلا المفهومين فى نفس الوقت .

(٢) سون وو تسى ، ويدعى أيضا سون وو ، أو سون تسى ، عالم مشهور فى العلوم العسكرية عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ألف كتابا بعنوان « سون تسى » فى ١٣ فصلا . وهذه العبارة مأخوذة من الفصل الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان « استراتيجية الهجوم » .

(٣) كانت المدة التى تمتد من حين تأسيس الحزب الشيوعى الصينى فى يوليو (تموز) ١٩٢١ الى حين كتابة الرفيق ماو تسى تونغ هذه المقالة هى ١٥ عاما كاملة .

(٤) كان تشن دو شيو أستاذا فى جامعة بكين ، وقد اشتهر لتحريره مجلة « الشباب الجديد » ، وهو أحد مؤسسى الحزب الشيوعى الصينى ، واستطاع أن يتولى منصب الأمين العام للحزب بفضل شهرته فى عهد حركة ٤ مايو (أيار) وعدم نضوج الحزب فى الأيام الأولى من تأسيسه . وفى المرحلة الأخيرة من ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ كانت الأفكار الانحرافية اليمينية فى الحزب التى يمثلها تشن دو شيو قد تطورت الى خط استسلامى ، وحينئذ « فان الاستسلاميين تخلوا من تلقاء أنفسهم عن قيادة الحزب لجماهير الفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والبرجوازية الوسطى وخاصة عن قيادة الحزب للقوات المسلحة مما أدى الى فشل تلك الثورة » (ماو تسى تونغ : « الوضع الراهن ومهماتنا ») . وبعد فشل الثورة فى عام ١٩٢٧ ، أصيب تشن دو شيو وحفنة العناصر الاستسلامية بتشاؤم وخيبة أمل من مستقبل الثورة فانحطوا الى عناصر تصفوية ، واتخذوا موقف التروتسكية الرجعى وشكلوا مع عناصر تروتسكية كتلة صغيرة معادية للحزب . وبنتيجة ذلك طرد تشن دو شيو من الحزب فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٩ . ومات من المرض عام ١٩٤٢ . وبخصوص انتهازية تشن دو شيو اليمينية راجع شرح العنوان لمقالتى « تحليل لطبقات المجتمع الصينى » و« تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان » ، الواردتين فى هذا المجلد ، ونص مقالة « تقديم لمجلة "الشيوعى" » الواردة فى المجلد الثانى .

(٥) اشارة الى الخط الانتهازى « اليسارى » الذى كان يمثله الرفيق لى لى سان ، أكبر القادة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى حينذاك ، وقد سيطر هذا الخط ، الذى يسمى عادة بـ « خط لى لى سان » ، لنحو أربعة أشهر بعد يونيو (حزيران) ١٩٣٠ . ومن خصائص هذا الخط أنه كان ، مخالفا للسياسة التى أقرها المؤتمر الوطنى السادس للحزب ، ينكر حاجة الثورة الى تحضير القوة الجماهيرية ، ويرفض الاعتراف بالتفاوت فى التطور الثورى ، ويعتبر فكرة الرفيق ماو تسى تونغ

التى تدعو الى تركيز الاهتمام بصورة رئيسية وخلال فترة طويلة على خلق قواعد ثورية ريفية لمحاصرة المدن من الريف ، وتعجيل مد الثورة العالى على نطاق الوطن بواسطة القواعد الثورية ، يعتبرها « فكرة خاطئة للغاية » و « نظرة محلية ومحافظة أساسها العقلية الفلاحية » ، وكان يدعو ، بدلا من ذلك ، الى الاستعداد لشن الانتفاضات فورا فى طول البلاد وعرضها . وبناء على هذا الخط الخاطىء ، وضع الرفيق لى لى سان خطة محفوفة بالمخاطر تقضى بتنظيم انتفاضات مسلحة فورا فى المدن الرئيسية فى جميع أنحاء البلاد . وكان خط لى سان لا يعترف أيضا بالتفاوت فى الثورة العالمية ، بل كان يعتقد أن الانفجار العام للثورة الصينية سوف يؤدى حتما الى انفجار عام للثورة العالمية ، وأن الثورة الصينية لن تنجح الا فى حالة الانفجار العام للثورة العالمية ؛ كما كان لا يعترف بأن الثورة الديمقراطية البرجوازية الصينية هى ثورة طويلة الأمد معتقدا أن كسب النصر أولا فى مقاطعة واحدة أو عدة مقاطعات سيكون بداية التحول نحو الاشتراكية ، وعلى ذلك وضع عدة سياسات « يسارية » محفوفة بالمخاطر لا تلائم الظروف القائمة يومذاك . وقد عارض الرفيق ماو تسى تونغ هذا الخط الخاطىء ، كما طالب الجمهور الغفير من كوادر الحزب والأعضاء بتصحيحه . وقد اعترف الرفيق لى لى سان ، فى الدورة العامة الثالثة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السادس للحزب والمنعقدة فى سبتمبر (أيلول) ١٩٣٠ ، بأخطائه التى نبه اليها يومذاك ، وعلى اثر ذلك أبعد عن المنصب القيادى فى اللجنة المركزية . ولما كان قد صحح وجهات نظره الخاطئة أثناء مدة طويلة أعيد انتخابه عضوا فى اللجنة المركزية فى المؤتمر الوطنى السابع للحزب .

(٦) لقد اتخذت الدورة العامة الثالثة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السادس للحزب ، المنعقدة فى سبتمبر (أيلول) ١٩٣٠ ، وكذلك اللجنة المركزية خلال فترة معينة بعد تلك الدورة ، كثيرا من التدابير الفعالة لايقاف تنفيذ خط لى سان . ولكن برز فى الحزب بعد الدورة العامة الثالثة ، رفاق غير متمرسين فى النضال الثورى العملى ، وعلى رأسهم تشن شاو يو (وانغ مينغ) وتشين بانغ شيان (بوه قو) يقاومون تلك التدابير المتخذة من قبل اللجنة المركزية . فقد أكدوا بصورة خاصة فى كتيبهم الذى نشروه بعنوان « خطان اثنان » أو « النضال فى سبيل المزيد من بلشفة الحزب الشيوعى الصينى » ، أن الخطر الرئيسى الكامن داخل الحزب فى ذلك الوقت ليس الانتهازية « اليسارية » ، بل هو « الانتهازية اليمينية » ، واتخذوا « نقدهم » ل « يمينية » خط لى سان كرأس مال لنشاطاتهم . لقد طرحوا برنامجا سياسيا جديدا يستهدف مواصلة

واحياء أو تطوير خط لى سان وسائر الأفكار والسياسات « اليسارية » فى شكل جديد ، ليعارضوا به خط الرفيق ماو تسى تونغ الصحيح . ولقد كتب الرفيق ماو تسى تونغ هذه المقالة « قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية » مستهدفا فى المحل الأول انتقاد ودحض الأخطاء التى ارتكبها هذا الخط الانتهازى « اليسارى » الجديد فى الناحية العسكرية . وقد ظل هذا الخط « اليسارى » الخاطىء الجديد يسود فى الحزب منذ أن انعقدت الدورة العامة الرابعة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطنى السادس للحزب فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣١ حتى عقدت اللجنة المركزية اجتماع المكتب السياسى فى تسونيى بمقاطعة قويتشو يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥، فقضى الاجتماع على سيطرة هذا الخط الخاطىء وأقام قيادة جديدة للجنة المركزية برئاسة الرفيق ماو تسى تونغ . وبما أن هذا الخط « اليسارى » الخاطىء ساد فى الحزب مدة طويلة جدا (أربع سنوات) ، فقد ألحق بالحزب والثورة أفدح الخسائر ، وتسبب فى عاقبة وخيمة هى فقدان نحو ٩٠ فى المائة من قوى الحزب الشيوعى الصينى والجيش الأحمر وقواعد الجيش الأحمر ومعاناة عشرات الملايين من أبناء الشعب فى القواعد الثورية من التنكيل والعذاب على يد الكومينتانغ ، الأمر الذى أخر سير الثورة الصينية . ان الأغلبية الساحقة من هؤلاء الرفاق الذين ارتكبوا خطأ هذا الخط « اليسارى » أدركوا وصححوا أخطاءهم عبر تجربتهم الشخصية خلال أمد طويل ، وأدوا أعمالا كثيرة مفيدة للحزب والشعب . وقد اتحدوا مع سائر الرفاق على أساس الفهم السياسى المشترك ، وتحت قيادة الرفيق ماو تسى تونغ .

(٧) راجع الملاحظتين (٢٢) و(٢٣) فى مقالة « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » .

(٨) فصول تدريب الضباط فى جبل لوشان هى منظمة أسسها تشيانغ كاى شيك فى يوليو (تموز) ١٩٣٣ فى جبل لوشان الواقع بمحافظة جيوجيانغ من مقاطعة جيانغشى لتدريب كوادر عسكريين معادين للشيوعية . وكان الضباط من جيش تشيانغ كاى شيك يرسلون بصورة دورية الى هناك كى يتلقوا تدريبا عسكريا وسياسيا فاشيا من قبل مدربين ألمانيين وايطاليين وأمريكيين .

(٩) المقصود هنا من المبادىء العسكرية الجديدة المطبقة فى حملة « التطويق والابادة » الخامسة هو فى الأساس ما لجأت اليه عصابة تشيانغ كاى شيك من « سياسة بناء القلاع » التى تقضى بالتقدم عن طريق بناء القلاع وتوطيد المواقع عند كل خطوة الى الأمام .

(١٠) انظر مقالة « الشيوعية » الواردة فى « المؤلفات الكاملة للينين » ، المجلد الحادى والثلاثين ، والتى نقد لينين فيها بيلاكون أحد أعضاء الحزب الشيوعى المجرى بقوله انه « قد تخلى عن الشيء الجوهرى الأول فى الماركسية ، وروحها الحية ، وهو التحليل المحدد للظروف المحددة . »

(١١) المؤتمر الأول للمنظمة الحزبية فى منطقة حدود خونان – جيانغشى هو المؤتمر الأول الذى عقدته منظمة الحزب الشيوعى لهذه المنطقة فى ٢٠ مايو (أيار) ١٩٢٨ فى ماوبينغ من محافظة نينغقانغ .

(١٢) نظام الأجهزة الادارية الضخمة فى المؤخرة يقصد به ذلك النظام الذى كان يدعو اليه القادة أنصار « الخط اليسارى » فى مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية والذى يقضى بتأسيس أجهزة ضخمة لا تلائم ظروف الحرب حينذاك . وأما نظام الأجهزة الادارية المبسطة فى المؤخرة فهو يعنى تأسيس أجهزة مبسطة قوية ذات روح كفاحية فى المؤخرة – المعرب .

(١٣) راجع الملاحظتين (٤) و(٥) فى مقالة « حول تصحيح الأفكار الخاطئة فى الحزب » .

(١٤) المقصود من « سلوك قطاع الطرق » أعمال السلب والنهب التى ترتكب دون مراعاة الانضباط والتنظيم ودون هدف سياسى واضح .

(١٥) اشارة الى المسيرة الكبرى التى قام بها الجيش الأحمر وقطع فيها ٢٥٫٠٠٠ لى (أى ١٢٫٥٠٠ كيلومتر) ابتداء من مقاطعة جيانغشى حتى شمالى شنشى . انظر الملاحظة (٢١) فى مقالة « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » .

(١٦) اشارة الى المرحلة التى أعقبت فشل انتفاضة ديسمبر (كانون الأول) ١٩٠٥ فى روسيا والتى تحولت فيها الثورة من حالة مد الى حالة جزر تدريجى . راجع : « موجز تاريخ الحزب الشيوعى (البلشفيك) فى الاتحاد السوفياتى » ، الفصل الثالث ، المبحث الخامس والسادس .

(١٧) معاهدة بريست ليتوفسك هى معاهدة الصلح التى عقدت بين روسيا السوفياتية وألمانيا فى مارس (آذار) ١٩١٨ . وكان عقد هذه المعاهدة تراجعا موقتا اتخذ فى الظروف التى كانت القوة المعادية تتفوق فيها على القوى الثورية بصورة جلية ، حتى لا تتعرض الجمهورية السوفياتية الحديثة الولادة التى لم تكن تملك بعد جيشا خاصا بها لضربات الأمبريالية الألمانية . وقد وفر عقد هذه المعاهدة الوقت للجمهورية السوفياتية كى تقوى السلطة السياسية للبروليتاريا ، وتعيد تنظيم اقتصادها ، وتؤسس

الجيش الأحمر ؛ وهكذا تمكنت البروليتاريا من المحافظة على قيادتها للفلاحين ومن جمع القوى ، واستطاعت بفضل ذلك أن تهزم الحرس الأبيض وقوات التدخل المسلح من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا واليابان وبولونيا وبلدان أخرى فيما بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٠ .

(١٨) فى ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٧ ، قام الفلاحون فى هايفنغ ولوفنغ من مقاطعة قوانغدونغ بانتفاضتهم الثالثة بقيادة الحزب الشيوعى الصينى ، فاحتلوا هايفنغ ولوفنغ وما حولهما ، ونظموا الجيش الأحمر ، وأقاموا السلطة السياسية الديمقراطية للعمال والفلاحين . ولقد فشلوا فيما بعد نتيجة ارتكابهم خطأ الاستهانة بقوة العدو .

(١٩) بعد ما تلاقى جيش الجبهة الرابعة وجيش الجبهة الثانية من الجيش الأحمر فى خريف ١٩٣٦ ، اتجها شمالا من شمال شرقى شيكانغ (كانت شيكانغ مقاطعة من مقاطعات الصين ، ثم ألغيت عام ١٩٥٥ ، فضمت بعض مناطقها الى مقاطعة سيتشوان والبعض الآخر الى منطقة التبت ذات الحكم الذاتى – المعرب) . وكان تشانغ قوه تاو لا يزال مصرا على معارضة الحزب وعلى سياسة التراجع وسياسة التصفية اللتين ظل يتبعهما طوال الوقت . وعندما وصل الجيشان الى قانسو فى أكتوبر (تشرين الأول) من ذلك العام ، أمر تشانغ قوه تاو مقدمة جيش الجبهة الرابعة التى تعد أكثر من عشرين ألف رجل بأن تنظم نفسها فى قوات الجبهة الغربية وتعبر النهر الأصفر وتتقدم غربا الى تشينغهاى . وقد انهزمت قوات الجبهة الغربية عمليا بعد أن تكبدت الضربات فى المعارك فى ديسمبر (كانون الأول) من ذلك العام ، ثم انهزمت كليا فى مارس (آذار) من العام التالى .

(٢٠) انظر رسالة كارل ماركس الى كوغلمان حول كومونة باريس .

(٢١) « أبطال على شاطىء البحيرة » هى قصة صينية شهيرة عن حرب فلاحية ، ويقال ان مؤلفها هو شى ناى آن الذى عاش فى فترة ما بين أواخر أسرة يوان وأوائل أسرة مينغ أى فى القرن الرابع عشر بعد الميلاد . ولين تشونغ وتشاى جين هما من أبطال القصة . أما المعلم هونغ فهو المدرب الرياضى الخاص فى بيت تشاى جين .

(٢٢) ان مملكة لو ومملكة تشى هما دولتان اقطاعيتان فى بلاد الصين فى عصر الربيع والخريف (٧٢٢ – ٤٨١ قبل الميلاد) . وكانت تشى مملكة كبيرة تقع فى وسط مقاطعة شاندونغ الحالية بينما كانت لو مملكة صغيرة نسبيا تقع فى جنوبى المقاطعة . أما الأمير تشوانغ فقد حكم مملكة لو بين عامى ٦٩٣ و ٦٦٢ قبل الميلاد .

(٢٣) تسوه تشيو مينغ هو مؤلف « تسوه تشوان » (تاريخ تسوه) وهو كتاب مشهور فى تاريخ الحوليات لأسرة تشو الملكية . والفقرة المقتطفة فى هذا النص واردة فى قسم « العام العاشر لحكم الأمير تشوانغ » من الكتاب .

(٢٤) كانت مدينة تشنغقاو القديمة الواقعة فى الشمال الغربى من محافظة تشنغقاو الحالية فى مقاطعة خنان (وكان مركز حاكم المدينة فى بلدة سيشوى الحالية من محافظة شينغيانغ فى مقاطعة خنان - المعرب) مركزا ذا أهمية استراتيجية فى قديم الزمان . وقد نشبت فيها عام ٢٠٣ قبل الميلاد معركة بين ليوبانغ ملك هان وشيانغ يو ملك تشو . وكان شيانغ يو قد فتح فى بادىء الأمر مدينة شينغيانغ ومدينة تشنغقاو على التوالى ، وشتت شمل قوات ليو بانغ . ولكن ليو بانغ انتظر حتى جاءته الفرصة المؤاتية فألحق بقوات تشو هزيمة منكرة عند وصولها الى عرض نهر سيشوى فى محاولة لعبوره ، واسترجع مدينة تشنغقاو .

(٢٥) كانت مدينة كونيانغ القديمة واقعة فى أرض محافظة يشيان الحالية من مقاطعة خنان . فى هذا المكان انتصر ليو شيو (الملك الملقب بقوانغ وو من ملوك أسرة هان الشرقية) على قوات وانغ مانغ عام ٢٣ بعد الميلاد . وكان التفاوت فى القوة العسكرية هائلا بين الجانبين ، اذ كان ليو شيو لا يملك من الجنود سوى عدد يتراوح بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف شخص بينما كان وانغ مانغ يملك ما يزيد على أربعمائة ألف رجل . ولكن استطاع ليو شيو الاستفادة من حالة عدم استعداد وانغ شيون ووانغ يى قائدى قوات وانغ مانغ اللذين كانا يستهينان بالعدو ، فحطم صفوة قوات وانغ مانغ بثلاثة آلاف رجل فقط من نخبة رجاله ، واستفاد من هذا النصر وواصل هجومه فهزم البقية الباقية من قوات عدوه شر هزيمة .

(٢٦) كانت قواندو بلدة واقعة فى شمال شرقى محافظة تشونغمو الحالية من مقاطعة خنان . وفى عام ٢٠٠ ميلادية ، وقعت فيها معركة بين جيش تساو تساو وجيش يوان شاو . وكان جيش يوان شاو يعد مائة ألف جندى بينما لم يكن تحت قيادة تساو تساو سوى عدد قليل من الجنود ، كما كان يفتقر الى المؤن . ولكن استفاد تساو تساو من غفلة قوات يوان شاو التى كانت تستخف بعدوها ، فبعث بقوة صغيرة سريعة الحركة فشنت على تلك القوات هجوما مفاجئا وأشعلت النار فى مؤنها وعتادها . فوقعت الأخيرة فى حالة من الفوضى والاضطراب ، وحينئذ هاجمها جيش تساو تساو وسحق قواتها الرئيسية .

(٢٧) كانت مملكة وو تحت حكم سون تشيوان ، ومملكة وى تحت حكم

تساو تساو . وتقوم تشيبى على الضفة الجنوبية من نهر اليانغتسى الى الشمال الشرقى من محافظة جيايو من مقاطعة خوبى . وفى عام ٢٠٨ ميلادية ، قاد تساو تساو قوة هائلة تعدادها أكثر من خمسمائة ألف ، وكان يدعى أنها تبلغ ثمانمائة ألف رجل ، لتشن هجوما على قوات سون تشيوان . فتحالف سون تشيوان مع ليو بى خصم تساو تساو ، واستفاد من اصابة جنود تساو تساو بالأمراض ومن عدم تعودهم الحرب على السفن ، فهاجم أسطول تساو تساو بثلاثين ألف رجل من القوات المتحالفة ، فأشعلوا فيه النار وأنزلوا بقوات تساو تساو هزيمة منكرة .

(٢٨) تقع ييلينغ شرقى محافظة ييتشانغ الحالية من مقاطعة خوبى ، حيث هزم لو شيون ، وهو قائد من مملكة وو ، جيش ليو بى حاكم مملكة شو ، فى عام ٢٢٢ ميلادية . وقد حققت قوات ليو بى بادىء الأمر سلسلة من الانتصارات ، وتوغلت فى أرض وو ، عندما وصلت الى ييلينغ ، مسافة خمسمائة أو ستمائة لى . أما لو شيون الذى كان يدافع عن ييلينغ ، فقد ظل يتجنب المعركة طوال سبعة أو ثمانية أشهر ، حتى « أنهكت قوى جنود ليو بى وانهارت معنوياتهم ، وأصبح فى حيرة من أمره » . وعندئذ أشعلت قوات لو شيون النار فى خيام الجيش المعادى مستفيدة من هبوب الرياح ، وهزمته هزيمة ساحقة .

(٢٩) فى عام ٣٨٣ ميلادية ، ألحق شيه شيوان قائد مملكة جين الشرقية هزيمة نكراء بفو جيان ملك مملكة تشين بالقرب من نهر فيشوى من مقاطعة آنخوى . وكان فو جيان يملك قوة من المشاة تزيد عن ستمائة ألف رجل ، وقوة من الخيالة تبلغ مائتين وسبعين ألف فارس ، وفرقة من الحرس تعد أكثر من ثلاثين ألف فارس ، بينما كانت القوات البرية والنهرية التى تملكها مملكة جين الشرقية تعد ثمانين ألف رجل فقط . وكانت قوات الجانبين وجها لوجه على ضفتى نهر فيشوى ، فاستفاد قائد جين الشرقية من غرور العدو وفرط ثقته بنفسه ، وطلب من قوات تشين التى كانت على الضفة الشمالية للنهر أن تتراجع وتفسح رقعة من الأرض حتى تخوض معها قوات جين الشرقية معركة حاسمة فيها بعد أن تعبر النهر . واستجابت قوات تشين لطلبه دون أى تردد . بيد أن التراجع ما كان يمكن أن يتوقف بعد ما بدأ . فانتهزت قوات جين الشرقية هذه الفرصة ، فعبرت النهر وشنت هجوما على قوات تشين وهزمتها شر هزيمة .

(٣٠) نظم الحزب الشيوعى الصينى انتفاضة شهيرة فى أول أغسطس (آب) ١٩٢٧ فى نانتشانغ ، عاصمة مقاطعة جيانغشى ، ليكافح الحركة المضادة للثورة التى شنها تشيانغ كاى شيك ووانغ جينغ وى ، وليواصل ثورة ١٩٢٤ – ١٩٢٧

وقد اشتركت فى الانتفاضة قوات مسلحة تزيد عن ثلاثين ألفا بقيادة الرفاق شو ان لاى وتشو ده وخه لونغ ويه تنغ وغيرهم . وقد انسحبت قوات الانتفاضة من نانتشانغ فى ٥ أغسطس (آب) وفقا للخطة المرسومة ، ولكنها منيت بالهزيمة عند اقترابها من تشاوتشو وشانتو فى مقاطعة قوانغدونغ . وقد شق قسم من هذه القوات فيما بعد ، بقيادة الرفاق تشوده وتشن يى ولين بياو ، طريقه الى جبال جينغقانغ والتقى بالفرقة الأولى من الفيلق الأول من جيش العمال والفلاحين الثورى بقيادة الرفيق ماو تسى تونغ .

(٣١) راجع الملاحظة (٨) فى مقالة « لماذا يمكن أن تبقى السلطة السياسية الحمراء فى الصين » .

(٣٢) فرقة ا ـ ب هى منظمة تجسسية معادية للثورة نظمها الكومينتانغ للعمل السرى داخل المناطق الحمراء حينذاك . والحرفان ا ـ ب (A-B) تعبير مختصر لكلمة Anti-Bolshevik الانجليزية (مناهضة البلشفيك).

(٣٣) اشارة الى المنطقة الممتدة بين نهر قانجيانغ الواقع بأواسط جيانغشى ونهر فوشوي الواقع بشرقيها .

(٣٤) انظر لينين : « النقاط الرئيسية حول مسألة العقد الفورى لمعاهدة صلح منفرد باقتطاع الأرض » و « حديث غريب وتقولات شاذة » و « درس خطير ومسؤولية خطيرة » و « تقرير عن الحرب والسلم » ، وانظر أيضا « موجز تاريخ الحزب الشيوعى (البلشفيك) فى الاتحاد السوفياتى » ، الفصل السابع ، المبحث السابع .

(٣٥) المقصود هنا أبناء قومية التبت فى غربى سيتشوان وأبناء قومية خوى فى مقاطعات قانسو وتشينغهاى وشينجيانغ .

(٣٦) ان الرسالة ذات الأجزاء الثمانية هى شكل الاختبار الأدبى فى الامتحانات الامبراطورية فى أسر الصين الاقطاعية ما بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر . وهو أسلوب من أساليب التلاعب بالألفاظ يحرص على الشكل دون الموضوع . والرسالة تتألف من : تقديم الموضوع والتوسع فى التقديم وعرض فكرة الموضوع والدخول فى الموضوع والفقرة الابتدائية والفقرة الوسطى والفقرة الأخيرة والفقرة الختامية . وتحتوى كل من الفقرات الأربع الأخيرة على جزئين متجانسين فيكون المجموع ثمانية أجزاء ، ولذلك سمى هذا النوع من الرسائل بالرسالة ذات الأجزاء الثمانية . وقد استدل الرفيق ماو تسى تونغ بتسلسل أجزاء مثل هذا النوع من الرسالة ليوضح تطور الثورة خلال مراحلها المختلفة . ولكنه فى معظم المناسبات يذكر أسلوب الرسالة ذات الأجزاء الثمانية ليشبه به الجمود العقائدى ويسخر منه .

(٣٧) هذا مثل صينى . يقال ان مملكة تشى كانت تحارب ممالك جينغ ولو ووى فى عام ٥٨٩ قبل الميلاد ، وأراد الأمير تشينغ ملك تشى ، بسبب استصغاره قوة الأعداء ، حسم نتيجة الحرب بسرعة فقال : « لن أفطر قبل القضاء على العدو » ، فاندفع مع جنوده الى ميدان المعركة قبل أن تتدرع الأحصنة التى كانت تجر العربات الحربية ، وأخيرا منى بالهزيمة – المعرب .

(٣٨) فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٣ وتحت تأثير المد العالى لمقاومة اليابان الذى أثاره الشعب فى جميع أنحاء البلاد ، تعاون قواد الجيش التاسع عشر التابع للكومينتانغ مع قوة من رجال الكومينتانغ تابعة للى جى شن وغيره ، وأعلنوا جهارا انفصالهم عن تشيانغ كاى شيك ، وأقاموا فى فوجيان « الحكومة الشعبية الثورية لجمهورية الصين » ، وعقدوا مع الجيش الأحمر اتفاقية خاصة بمقاومة اليابان ومعارضة تشيانغ كاى شيك . وقد سمى ذلك بحادثة فوجيان . ولكن انتهى أمر الجيش التاسع عشر والحكومة الشعبية الثورية فى مقاطعة فوجيان الى الفشل فيما بعد ، وذلك نتيجة لضغط قوات تشيانغ كاى شيك – المعرب .

(٣٩) هو شخصية خيالية فى أساطير الصين يحكم الأنهار والبحار ويملك كنوزا نفيسة لا يأتيها الحصر – المعرب .

بيان حول بيان تشيانغ كاى شيك

(٢٨ ديسمبر ــ كانون الأول ــ ١٩٣٦)

قبل تشيانغ كاى شيك فى مدينة شيآن مطالب الجنرالين تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ وشعب الشمال الغربى بصدد مقاومة اليابان ، وكخطوة أولية أصدر أوامره الى قواته التى تباشر الحرب الأهلية بالانسحاب من مقاطعتى شننشى وقانسو ، وتلك بداية تحول تشيانغ كاى شيك عن سياسته الخاطئة التى سار عليها طوال السنوات العشر الماضية(١) . وهكذا وجهت ضربة الى مؤامرات الامبرياليين اليابانيين وجماعة الحملة التأديبية فى الصين(٢) ، الذين يحرضون على الحرب الأهلية ويعملون على اثارة الانقسامات ويحاولون ايقاع تشيانغ كاى شيك فى التهلكة خلال حادثة شيآن . ولقد أصبح واضحا ما أصيب به الامبرياليون اليابانيون وجماعة الحملة التأديبية من خيبة أمل . وان هذه الدلالة التى تشير الى أن تشيانغ كاى شيك قد أخذ يعود الى رشده ، يمكن أن نعتبرها كظاهرة تعبر عن رغبة الكومينتانغ فى انهاء السياسة الخاطئة التى اتبعها خلال السنوات العشر الماضية .

وقد أصدر تشيانغ كاى شيك فى مدينة لويانغ بتاريخ ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) بيانا ، أى ما سماه بـ « توبيخ الى تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ » ، يشكل فى الحقيقة ، لما فيه من غموض وابهام ولف ودوران ، مقالة عجيبة

من بين الوثائق السياسية فى تاريخ الصين . واذا كان تشيانغ كاى شيك ينوى حقا أن يستخلص عبرة بعيدة المغزى من هذه الحادثة، ويساهم بجهوده فى أن يبعث فى الكومينتانغ حياة جديدة ، وينهى سياسته التقليدية الخاطئة ـ سياسة المساومة فى الشؤون الخارجية واستعمال قوة السلاح واضطهاد الشعب فى الداخل ، حتى يقود الكومينتانغ الى موقف لا يتعارض فيه مع رغبات الشعب ، كان يجب عليه ، لكى يقدم دليلا على صدق نيته ، أن يكتب مقالا أفضل يتوب فيه نابذا لماضيه فى المجال السياسى ويرسم خططه للمستقبل . ان بيان ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) لا يمكن أن يستجيب لمطالب جماهير الشعب الصينى .

ووردت فى بيان تشيانغ كاى شيك فقرة واحدة تستحق المديح ، هى الفقرة التى أعلن فيها أنه سيكون « مخلصا لوعوده وحازما فى أفعاله » . وفحواها أنه على الرغم من عدم توقيعه فى شيآن على الشروط المقدمة من قبل تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ ، الا أنه يرغب فى قبول الشروط التى تعود بالفائدة على الدولة والأمة ، ولن يحيد عن وعوده متذرعا بأنه لم يوقع . وسنرى ما اذا كان تشيانغ كاى شيك بعد سحب قواته سيفى بوعده وينفذ الشروط التى تعهد بتنفيذها . وهذه الشروط هى : ١ ـ اعادة تنظيم الكومينتانغ وحكومة نانكين الوطنية ، وطرد العناصر الموالية لليابان منهما وادخال عناصر معادية لليابان فيهما ؛ ٢ ـ اطلاق سراح القادة الوطنيين فى شانغهاى(٣) وسائر السجناء السياسيين وضمان حريات الشعب وحقوقه ؛ ٣ ـ انهاء سياسة « ابادة الشيوعيين » والتحالف مع الجيش الأحمر من أجل مقاومة اليابان ؛ ٤ ـ الدعوة لعقد مؤتمر من أجل انقاذ الوطن تمثل فيه سائر الأحزاب والجماعات والأوساط الشعبية والجيوش ، ليحدد سياسة مقاومة اليابان وانقاذ الوطن ؛ ٥ ـ اقامة علاقات تعاون مع البلدان التى تعطف على نضال الصين لمقاومة اليابان ؛ ٦ ـ وضع تدابير محددة أخرى من أجل انقاذ الوطن . ان تحقيق هذه الشروط

يتطلب قبل كل شيء الوفاء بالوعد وشيئا من الجرأة أيضا . وسوف نحكم على تشيانغ كاى شيك بما يفعله من الآن فصاعدا .

ولكنه ورد فى بيان تشيانغ كاى شيك أيضا أن حادثة شيآن وقعت تحت ضغط « الرجعيين » . وانه لمن المؤسف ان تشيانغ كاى شيك لم يوضح من هم أولئك الذين يصفهم بـ « الرجعيين » ، كما أننا لا نعرف كيف يحدد قاموس تشيانغ معنى كلمة « الرجعيين » . ولكن من المؤكد أن حادثة شيآن وقعت بتأثير العوامل التالية : ١ — السخط المتزايد على اليابان وسط قوات تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ ووسط الشعب الثورى فى الشمال الغربى ؛ ٢ — السخط المتزايد على اليابان وسط شعب البلاد بأسرها ؛ ٣ — نمو القوى اليسارية فى داخل الكومينتانغ ؛ ٤ — مطالبة بعض الجماعات ذات القوة فى مقاطعات مختلفة بمقاومة اليابان وانقاذ الوطن ؛ ٥ — دعوة الحزب الشيوعى الى تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان ؛ ٦ — نمو جبهة السلم العالمية . وكل هذه حقائق لا يمكن انكارها . والذين يطلق عليهم تشيانغ كاى شيك اسم « الرجعيين» ليسوا سوى القوى السالفة الذكر ، ولكن الناس اصطلحوا على اطلاق اسم الثوريين عليهم ، بينما هو يلقبهم بـ « الرجعيين » . لقد أعلن تشيانغ كاى شيك فى شيآن أنه سيناضل بجدية ضد اليابان ، فلا نظن أنه سيستأنف هجماته العنيفة على القوى الثورية بعد مغادرته شيآن مباشرة ، ذلك ليس فقط لأن مسألة الوفاء بالوعد مسألة تؤثر على حياته السياسية وحياة جماعته السياسية ، بل أيضا لأنهم يواجهون حاليا فى طريقهم السياسى جماعة قد تعاظمت قوتها فى اتجاه غير ملائم لهم ، وهى جماعة « الحملة التأديبية » التى حاولت ايقاع تشيانغ كاى شيك فى التهلكة خلال حادثة شيآن . ولذلك فاننا ننصح تشيانغ كاى شيك بأن يدخل تعديلات على قاموسه السياسى ويضع كلمة « الثوريين » موضع كلمة « الرجعيين » ، حتى تنطبق الأسماء مع الواقع ، ويكون ذلك أفضل.

وينبغى لتشيانغ كاى شيك أن يتذكر أن الفضل فى استطاعته مغادرة شيآن سالما يعود الى وساطة الحزب الشيوعى ، بالاضافة الى فضل الجنرالين تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ – زعيمى حادثة شيآن . وكان الحزب الشيوعى منطلقا تماما من مصلحة انقاذ الأمة حين نادى ، طوال فترة الحادثة ، بالتسوية السلمية وبذل جهودا عظيمة لتحقيق ذلك . فلو اتسع نطاق الحرب الأهلية وبقى تشيانغ كاى شيك طويلا فى حبس تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ ، لأفادت تطورات هذه الحادثة الامبرياليين اليابانيين وجماعة الحملة التأديبية فى الصين وحدهم . ونظرا لذلك فقد فضح الحزب الشيوعى بحزم مؤامرات الامبرياليين اليابانيين ووانغ جينغ وى(٤) وخه ينغ تشين(٥) وأمثالهما من جماعة الحملة التأديبية ، كما نادى بحزم بتسوية الحادثة سلميا ، الأمر الذى اتفق ، دونما سابق مشاورات ، مع آراء الجنرالين تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ وأمثال سونغ تسى ون(٦) من رجال الكومينتانغ . وهذا هو بالتحديد ما ينادى به الشعب فى سائر أرجاء البلاد ، لأن الشعب يكره الحرب الأهلية الحاضرة كراهية شديدة .

وقد ردت الى تشيانغ كاى شيك حريته لقبوله شروط شيآن . والمسألة من الآن فصاعدا هى ما اذا كان ينفذ حرفيا تعهده بأن يكون « مخلصا لوعوده وحازما فى أفعاله » ، وينفذ جميع الشروط الرامية الى انقاذ الوطن تنفيذا تأما . ولن يسمح له الشعب فى كل البلاد بعد الآن بأى تردد أو مساومة فى تحقيق تلك الشروط . واذا تردد فى مقاومة اليابان وماطل فى تنفيذ وعوده ، فان المد الثورى للشعب فى كل البلاد سوف يكنسه بعيدا بكل تأكيد . وقد قيل قديما : « اذا لم يحفظ المرء عهده ، فما منفعته ؟ » فيجب على تشيانغ كاى شيك وجماعته أن يعيروا هذا القول كامل انتباههم .

اذا استطاع تشيانغ كاى شيك أن يصفى تماما السياسة الرجعية القذرة التى

انتهجها الكومينتانغ طوال السنوات العشر الماضية ، وأن يصحح كليا أخطاءه الأساسية التى تتجسد فى التنازلات فى الشؤون الخارجية واستعمال قوة السلاح واضطهاد الشعب فى الداخل ، وأن ينضم على الفور الى الجبهة التى توحد سائر الأحزاب والجماعات لمقاومة اليابان ، وأن يتخذ بالفعل اجراءات عسكرية وسياسية رامية الى انقاذ الوطن ، فان الحزب الشيوعى سيسانده بالطبع . وقد وعد الحزب الشيوعى فى وقت مبكر ، فى رسالته الى الكومينتانغ بتاريخ ٢٥ أغسطس (آب)(٧) ، بتقديم مثل هذه المساندة الى تشيانغ كاى شيك والكومينتانغ . وان الشعب فى البلاد كلها يدرك منذ خمس عشرة سنة مضت أن « الاخلاص للوعود والحزم فى الأفعال » عند الحزب الشيوعى هو حقيقة واقعة . ومما لا شك فيه أن الشعب فى جميع أنحاء البلاد يثق بأقوال الحزب الشيوعى وأفعاله أكثر من ثقته بأقوال وأفعال أى حزب آخر أو جماعة أخرى فى البلاد .

ملاحظات

(١) كان جيش الشمال الشرقى الكومينتانغى الذى يقوده تشانغ شيويه ليانغ ، والجيش السابع عشر الكومينتانغى الذى يقوده يانغ خو تشنغ وافقا على سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، التى تقدم بها الحزب الشيوعى الصينى ، وذلك بتأثير الجيش الأحمر الصينى والحركة الشعبية المعادية لليابان ، فطالبا تشيانغ كاى شيك بالتحالف مع الحزب الشيوعى بهدف مقاومة اليابان . بيد أن تشيانغ كاى شيك رفض طلبهما هذا ، بل تمادى فى غيه ، حيث باشر بنشاط أعظم تحضير حملات « ابادة الشيوعيين » وقتل الشبان المعادين لليابان فى شيآن . فقام تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ بعمل مشترك فاعتقلا تشيانغ كاى شيك . وهذه هى حادثة شيآن المشهورة التى وقعت فى ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ . واضطر تشيانغ كاى شيك حينئذ الى قبول الشروط التى

تقضى بالتحالف مع الحزب الشيوعى من أجل مقاومة اليابان ، وعلى اثر ذلك تم اطلاق سراحه وعاد الى نانكين .

(٢) تقصد بها تلك الجماعة الموالية لليابان فى داخل حكومة الكومينتانغ بنانكين ، التى كانت تتنازع السلطة مع تشيانغ كاى شيك وتدعو خلال حادثة شيآن الى شن «الحملة التأديبية» ضد تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ ،وكانت تستعد بقيادة وانغ جينغ وى وخه ينغ تشين ، لشن حرب أهلية واسعة النطاق ، مستفيدة من هذه الحادثة ، بغية تمهيد الطريق لهجوم الغزاة اليابانيين على الصين وانتزاع السلطة السياسية من يد تشيانغ كاى شيك .

(٣) يقصد بالقادة الوطنيين فى شانغهاى القادة السبعة للحركة الوطنية المناهضة لليابان فى شانغهاى : شن جيون رو ، تشانغ ناى تشى ، تسو تاو فن ، لى قونغ بو ، شا تشيان لى ، شى ليانغ ووانغ تساو شى . وقد اعتقلتهم حكومة تشيانغ كاى شيك فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٦ ولم يطلق سراحهم الا فى يوليو (تموز) ١٩٣٧ .

(٤) كان وانغ جينغ وى زعيم الجماعة الموالية لليابان فى الكومينتانغ ، وهو يدعو على الدوام منذ عام ١٩٣١ الى المساومة مع الامبريالية اليابانية فى قضية عدوانها على الصين . وغادر مدينة تشونغتشينغ فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٨ واستسلم علنا للغزاة اليابانيين وشكل حكومة عميلة فى نانكين .

(٥) خه ينغ تشين أحد أمراء الحرب الكومينتانغيين وزعيم آخر للجماعة الموالية لليابان فى داخل الكومينتانغ . ولقد تآمر بنشاط أثناء حادثة شيآن على اشعال نيران الحرب الأهلية ونقل قوات الكومينتانغ لتزحف على مقاطعة شنشى على طول خط لونغهاى الحديدى . وقد حاول شن غارة جوية على شيآن لقتل تشيانغ كاى شيك لكى يحل محله.

(٦) سونغ تسى ون من رجال الكومينتانغ الموالين للولايات المتحدة . ونظرا لأن الامبريالية الأمريكية والامبريالية اليابانية كانتا تتنازعان فى السيطرة على الشرق الأقصى ، فقد دعا سونغ أيضا الى تسوية حادثة شيآن سلميا ، وذلك خدمة لمصالح الولايات المتحدة .

(٧) لقد وجهت هذه الرسالة نقدا صارما قوى الحجة لحكم الكومينتانغ الرجعى والمقررات الصادرة آنذاك عن الدورة الكاملة الثانية للجنته المركزية التنفيذية ، كما أنها وضحت سياسة الحزب الشيوعى الصينى بشأن تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان وتجديد التعاون مع الكومينتانغ . وفيما يلى القسم الرئيسى من هذه الرسالة :

حين تتحدث الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم عن « المركزة والتوحيد » ، فانها فى الحقيقة تخلط بين السبب والنتيجة . ويجب أن تفهموا جيدا

أن السبب فى استمرار الحرب الأهلية والانشقاق خلال السنوات العشر الماضية يعزى تماما الى السياسة الضارة بالبلاد - سياسة الاعتماد على الامبريالية التى سار عليها حزبكم وحكومته ، وعلى الأخص سياسة عدم مقاومة اليابان التى أصرا عليها منذ حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ . وقد عمدتم ، تحت شعار « تأمين السلام الداخلى قبل مقاومة الغزو الأجنبى » ، هذا الشعار الذى قدمه حزبكم وحكومته ، الى القيام بحروب أهلية مستمرة وحملات تطويق لا حصر لها ضد الجيش الأحمر ، كما أنكم لم تدخروا جهدا فى كبت الحركات الوطنية والديمقراطية التى قام بها الشعب فى جميع أرجاء البلاد . وحتى فى الأشهر القلائل الماضية ، ظللتم تتغاضون عن مشكلة شمال شرقى الصين وشمالها ، متعامين عن حقيقة أن الامبريالية اليابانية هى ألد أعداء الصين ، فاستخدمتم كل قواكم لمقاتلة الجيش الأحمر وشن صراعات تكتلية فى داخل حزبكم ، وبذلتم كل جهد لاعتراض طريق الجيش الأحمر الذى يسير قاصدا قتال الغزاة اليابانيين وهاجمتم مؤخرته ، وتجاهلتم مطلب الشعب فى جميع أرجاء البلاد بمقاومة اليابان وحرمتموه من حرياته وحقوقه . لقد أصبحت الوطنية جريمة يعاقب عليها فالسجون فى جميع أرجاء البلاد تغص بالأبرياء ، بينما أصبحت الخيانة تقابل بالجزاء الحسن فصار الخونة يتبادلون التهانى بحصولهم على المناصب الجديدة . ان من يسعى الى المركزة والتوحيد عن طريق هذه السياسة الخاطئة يشابه من « يتسلق شجرة من أجل صيد السمك » ، وسوف تكون نتائج ذلك عكسية بالتأكيد . وبودنا أن نقول لكم بجد أيها السادة : اذا لم تغيروا سياستكم الخاطئة تغييرا أساسيا ولم تصبوا أحقادكم على الامبرياليين اليابانيين بل تصبونها على مواطنيكم كما كنتم تفعلون ، فسوف تجدون أنه من المستحيل عليكم حتى المحافظة على الوضع الراهن ، وعندئذ سيصبح أى حديث عن المركزة والتوحيد وما يسمى بـ « الدولة الحديثة » حديثا فارغا ليس الا . ان ما يطالب به الشعب فى جميع أرجاء البلاد حاليا هو المركزة والتوحيد من أجل مقاومة اليابان وانقاذ الوطن وليس المركزة والتوحيد من أجل التزلف الى الأجانب واضطهاد الشعب . ان الشعب فى جميع أرجاء البلاد يتطلع الآن بلهفة الى قيام حكومة تستطيع فعلا أن تنقذ وطنه وتنقذه نفسه ، كما يتطلع الى قيام جمهورية ديمقراطية حقيقية . انه يطالب بتأسيس حكومة جمهورية ديمقراطية تعمل من أجل مصالحه . وبرنامج مثل هذه الحكومة يجب أن يتضمن النقاط الرئيسية التالية : أولا مقاومة العدوان الأجنبى ،

ثانيا ضمان الحقوق الديمقراطية للشعب ، ثالثا تطوير الاقتصاد الوطنى و تخفيف الآلام التى يعانيها الشعب فى حياته بل تخليصه منها تماما . أما فيما يتعلق بـ « الدولة الحديثة » ، فان مثل هذا البرنامج وحده يتجاوب حقا مع متطلبات الصين المستعمرة وشبه المستعمرة فى العصر الحاضر . ان الشعب فى جميع أرجاء البلاد يناضل حاليا برجاء حار وعزم قوى من أجل تحقيق هذه الأهداف ، بيد أن حزبكم و حكومته ينتهجان سياسة تتعارض مع هذا الرجاء ، و بذلك يستحيل اطلاقا أن تكسبوا ثقة الشعب بكم . ان الحزب الشيوعى الصينى و الجيش الأحمر الصينى يعلنان بمهابة : اننا نؤيد تأسيس جمهورية ديمقراطية موحدة لعموم الصين ، ودعوة برلمان يشكل عن طريق الانتخاب العام ، ونؤيد دعوة مؤتمر وطنى لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن يضم ممثلى كل الشعب وكل القوات المسلحة المعادية للغزاة اليابانيين ، كما نؤيد تأسيس حكومة دفاع وطنى موحدة للبلاد قاطبة . اننا لنعلن هنا : انه حالما يتم تأسيس جمهورية ديمقراطية موحدة لعموم الصين ، سوف تصبح المناطق الحمراء جزءا لا يتجزأ منها ، ويشترك ممثلو الشعب فى المناطق الحمراء فى برلمان كل الصين ، ويطبق فى المناطق الحمراء نفس النظام الديمقراطى الذى يطبق فى أجزاء الصين الأخرى . واننا لنعتقد أن مجلس الدفاع الوطنى الذى قررت تشكيله الدورة الكاملة الثانية للجنة حزبكم المركزية التنفيذية ، و الجمعية الوطنية التى يعمل حزبكم و حكومته على دعوتها ، لا يمكن أن يحققا مهمة المركزة والتوحيد من أجل مقاومة اليابان وانقاذ الوطن . وبناء على لائحة مجلس الدفاع الوطنى التى أجازتها الدورة الكاملة الثانية للجنة حزبكم المركزية التنفيذية ، فان هذا المجلس ستنحصر عضويته فى عدد ضئيل من الموظفين القابضين على زمام السلطة فى حزبكم وحكومته ، وان وظيفته هى أن يلعب فقط دور هيئة استشارية لحكومة حزبكم . ومن الواضح كل الوضوح أن مثل هذا المجلس لا يمكنه أن يحقق أى نجاح أو يكسب أقل قدر من ثقة الشعب . وينطبق نفس الحال على الجمعية الوطنية التى يعمل حضراتكم على دعوتها ، اذ أن هذه الجمعية ، بناء على « مشروع دستور جمهورية الصين » و « قانون التركيب وقانون الانتخابات للجمعية الوطنية » اللذين أجازتهما حكومة حزبكم ، لا تعدو أن تكون جهازا يسيطر عليه عدد ضئيل من موظفى حزبكم وحكومته ، وأن تكون هيئة تابعة لهم وزينة . وان مثل هذا المجلس للدفاع الوطنى وهذه الجمعية الوطنية لا يتفقان فى شىء مع المؤتمر الوطنى لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن

(أى مجلس الدفاع الوطنى) وجمهورية الصين الديمقراطية وبرلمانها ، التى يدعو اليها حزبنا . اننا نعتقد أن مجلس الدفاع الوطنى لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن يجب أن يضم مندوبين عن جميع الأحزاب والجماعات السياسية والفئات الاجتماعية والقوات المسلحة حتى يكون جهازا للسلطة قادرا حقا على تقرير السياسات الرئيسية لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن ، ويجب أن تتشكل من هذا المجلس حكومة دفاع وطنى موحدة لعموم البلاد . كما أن الجمعية الوطنية يجب أن تكون برلمانا ينتخب نوابه انتخابا عاما من قبل الشعب فى جميع أرجاء البلاد ، وأن تكون الجهاز الأعلى للسلطة فى جمهورية الصين الديمقراطية . ان مثل هذا المجلس للدفاع الوطنى وهذا البرلمان لعموم الصين يستطيعان وحدهما أن ينالا الترحيب والتأييد من الشعب فى جميع أرجاء البلاد ويستطيع الشعب المشاركة فيهما ، وأن يضعا القضية الكبرى لانقاذ الوطن والشعب على أسس متينة لا تتزعزع . والا فان كل الكلمات الطنانة لن تجدى فتيلا ولن تكسب أبدا تأييد الشعب . وخير دليل على ذلك فشل مختلف المؤتمرات التى دعا حزبكم وحكومته الى عقدها . وقد جاء فى بيان الدورة الكاملة الثانية للجنة حزبكم المركزية التنفيذية : « اننا نتوقع حلول الأخطار والعقبات ، الا أننا لن نتقاعس أبدا عن أداء واجبنا بسبب من المصاعب والمتاعب التى تخيم على الأمة . » كما جاء فيه أيضا : « أما فيما يتعلق ببقاء الأمة ، فان حزبنا سيكرس له بالتأكيد كل كفاءته ومقدرته ويعمل بدأب من أجله » . وفى الحقيقة أن حزبكم هو الحزب الحاكم فى القسم الأكبر من أراضى الصين ، فالمسؤولية السياسية عن جميع الأعمال الماضية لا يمكن أن تقع الا على عاتق حزبكم . ونظرا لأن حكومة الكومينتانغ تباشر دكتاتورية الحزب الواحد فلا يمكن للكومينتانغ أن يتنصل من مسؤوليته . ونذكر على وجه خاص أن حزبكم قد انتهج ، منذ حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ، سياسة خاطئة تماما ، معارضا لرغبات الشعب كله وعاملا ضد مصالح الأمة بأسرها ، كان من نتائجها ضياع نصف الصين تقريبا ، فمسؤولية هذه الخسارة لا يمكن أبدا أن تلقوها على عاتق الآخرين . وفى رأينا كما فى رأى كل الشعب أنه طالما تخلى حزبكم عن نصف الصين ، فاننا لا نستطيع الا أن نلزم حزبكم باسترداد الأراضى المفقودة واستعادة سيادة الصين . وفى الوقت نفسه فان عددا كبيرا من أصحاب الضمائر فى صفوف حزبكم أصبحوا يدركون الآن بوضوح أهوال استعباد البلاد وقداسة ارادة الشعب ، فبدأوا يتخذون اتجاها جديدا ويتذمرون ويحقدون على

أولئك الأعضاء فى حزبهم الذين جلبوا الكارثة على الحزب والأمة على السواء .
ان الحزب الشيوعى الصينى ليؤيد كل التأييد هذا الاتجاه الجديد ، ويصفق بحرارة لغيرة ويقظة هؤلاء الأعضاء الوطنيين ذوى الضمائر فى الكومينتانغ واستعدادهم للنضال والتضحية وشجاعتهم على الاصلاح والتجديد فى هذا الوقت الذى أشرفت فيه الأمة على شفا الهاوية . واننا لنعلم أن فى لجنة حزبكم المركزية التنفيذية ومنظماته القيادية على مستوى المقاطعات ، وفى الحكومة المركزية والحكومات بمختلف المقاطعات ، وفى الأوساط التعليمية والعلمية والفنية والصحافية والصناعية والنسوية والدينية والطبية ، وبين الشرطة ، وفى مختلف المنظمات الشعبية ، وعلى الأخص بين الصفوف الواسعة فى الجيش وبين أعضاء الكومينتانغ القدامى والجدد كما بين قادته على مختلف المستويات ، أناسا كثيرين من ذوى الوعى والوطنية ، وأن عدد أمثال هؤلاء يتزايد يوما بعد يوم ، وهذه حقيقة تبعث على الارتياح العظيم .
وان الحزب الشيوعى الصينى لعلى استعداد دائما لمد يديه الى هؤلاء الأعضاء من الكومينتانغ لتشكيل جبهة وطنية متحدة وطيدة لمقاومة ألد أعداء الأمة – الامبريالية اليابانية . واننا لنرجو أن يصبح هؤلاء الأعضاء ، على جناح السرعة ، قوة مسيطرة فى الكومينتانغ ويتفوقوا على قوى أولئك الأعضاء الذين انحدروا الى حضيض الدناءة والوقاحة والذين قد تعاموا عن مصالح الأمة وأصبحوا بالفعل عملاء للامبرياليين اليابانيين وأعوانا موالين لهم ، ولطخوا بالعار ذكرى الدكتور صون يات صن ، كما نرجو أن يستطيع هؤلاء أن يقوموا باحياء روح مبادىء الشعب الثلاثة الثورية التى وضعها الدكتور صون يات صن ، وأن يحيوا سياساته الكبرى الثلاث – التحالف مع روسيا والتعاون مع الحزب الشيوعى وتقديم المساعدة الى الفلاحين والعمال ، ويكرسوا « كفاءتهم ومقدرتهم » « للعمل بدأب » من أجل تحقيق مبادىء الشعب الثلاثة الثورية والسياسات الكبرى الثلاث ووصية الدكتور صون يات صن الثورية . اننا لنرجو أن يأخذوا بحزم على عواتقهم ، جنبا الى جنب مع القادة الوطنيين فى جميع الأحزاب والجماعات والأوساط ومع أبناء الشعب الوطنيين فى جميع أنحاء البلاد ، مسؤولية متابعة قضية الدكتور صون يات صن الثورية ، وأن يناضلوا معهم بحزم فى سبيل طرد الامبرياليين اليابانيين من البلاد وانقاذ الأمة الصينية من الفناء ، وفى سبيل كسب الحقوق الديمقراطية للشعب كله وتطوير اقتصاد الصين الوطنى وتحرير الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب من آلامهم ، ومن أجل قيام جمهورية الصين الديمقراطية وبرلمانها الديمقراطى

وحكومتها الديمقراطية . ان الحزب الشيوعى الصينى يعلن هنا لجميع أعضاء الكومينتانغ : اذا فعلتم هذا حقا فسوف نؤيدكم بحزم وسوف يسرنا أن نرتبط معكم فى جبهة متحدة ثورية وطيدة كتلك الجبهة العظيمة ضد الاضطهاد الأجنبى والاقطاعى التى تشكلت بين حزبينا فى أثناء المرحلة الثورية العظمى التى مرت بها الصين بين ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، لأن ذلك هو الطريق الوحيد الصحيح اليوم من أجل انقاذ الوطن وتأمين بقائه .

مهمات الحزب الشيوعي الصيني في مرحلة مقاومة اليابان

(٣ مايو – أيار – ١٩٣٧)

الفترة الراهنة من تطور التناقضات الخارجية والداخلية فى الصين

١ – نظرا لأن التناقض بين الصين واليابان أصبح تناقضا رئيسيا بينما تناقضات الصين الداخلية تحولت بذلك الى مركز ثانوى وتابع ، فقد طرأت تغيرات على كل من العلاقات الدولية والعلاقات الطبقية فى الصين مما أدى الى ظهور فترة جديدة من التطور فى الوضع الراهن .

٢ – لقد ظلت الصين منذ زمن بعيد تعيش فى تناقضين أساسيين حادين ، هما التناقض بين الصين والامبريالية والتناقض بين الاقطاعية وجماهير الشعب . وفى عام ١٩٢٧ ، خانت البرجوازية الممثلة فى حزب الكومينتانغ الثورة وباعت مصالح الأمة للامبريالية مما خلق وضعا أصبحت فيه سلطة العمال

هذا تقرير قدمه الرفيق ماو تسى تونغ فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعى الصينى الذى انعقد فى يانآن فى مايو (أيار) ١٩٣٧ .

والفلاحين فى عداء حاد مع سلطة الكومينتانغ ووقعت ، بالضرورة ، مهمة الثورة الوطنية والديمقراطية على كاهل الحزب الشيوعى الصينى وحده .

٣ — ان الوضع منذ حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ وعلى الأخص منذ حادثة شمالى الصين فى عام ١٩٣٥(١) ، قد أدى الى حدوث التغيرات التالية فى هذه التناقضات :

ا) ان التناقضات بين الصين والامبريالية عموما أفسحت المجال للتناقض البارز والذى يمتاز بالحدة بين الصين والامبريالية اليابانية ، اذ أن الامبريالية اليابانية تنتهج سياسة تهدف الى اخضاع الصين تماما ، وهذا ما جعل التناقضات بين الصين وبعض الدول الامبريالية الأخرى تتحول الى مركز ثانوى ، بينما اتسعت الشقة بين هذه الدول واليابان ، وبالتالى أصبح الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى يواجهان مهمة ربط الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان فى الصين بجبهة السلام العالمية . وهذا يعنى أنه لا ينبغى على الصين أن تتحد فقط مع الاتحاد السوفياتى الذى كان على الدوام صديقا ودودا للشعب الصينى ، بل ينبغى عليها أيضا أن تعمل حسب الامكانيات من أجل معارضة الامبريالية اليابانية بالاشتراك مع تلك الدول الامبريالية التى ترغب حاليا فى المحافظة على السلم وتعارض نشوب حروب عدوانية جديدة . يجب أن يكون هدف جبهتنا المتحدة مقاومة اليابان وليس معارضة جميع الدول الامبريالية فى آن واحد .

ب) لقد غير التناقض بين الصين واليابان العلاقات الطبقية فى داخل الصين ، وجعل البرجوازية وحتى أمراء الحرب يواجهون قضية البقاء ، لذلك أخذوا هم وأحزابهم السياسية يغيرون موقفهم السياسى بالتدريج ، الأمر الذى وضع مهمة تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان أمام الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى . ان جبهتنا المتحدة يجب أن تضم البرجوازية وكل

من يوافقون على الدفاع عن الوطن ، وأن تكون مثالا للتضامن الوطنى ضد العدو الخارجى ، فهذه مهمة يجب أن نحققها بل هى ممكنة التحقيق فعلا .

ج) ان التناقض بين الصين واليابان قد غير وضعية الجماهير الشعبية على نطاق البلاد بأسرها (البروليتاريا ، والفلاحين ، والبرجوازية الصغيرة فى المدن) ، كما غير سياسة الحزب الشيوعى . لقد نهض عدد متزايد من أبناء الشعب للكفاح من أجل انقاذ الوطن . ولقد تطورت السياسة التى أعلنها الحزب الشيوعى بعد حادثة ١٨ سبتمبر (أيلول) وهى عقد الاتفاقيات الرامية الى مقاومة اليابان مع الأقسام التى تقبل التعاون معنا بغرض المقاومة من صفوف الكومينتانغ ، على أساس شروط ثلاثة (وقف الهجوم على مناطق القواعد الثورية ، وضمان حريات وحقوق الشعب ، وتسليح الشعب) ، قد تطورت هذه السياسة وتحولت الى سياسة لتأسيس جبهة متحدة ضد اليابان تشمل الأمة بأسرها . وهذا ما أدى بحزبنا الى اتخاذ الخطوات التالية : فى عام ١٩٣٥ تصريح أغسطس (آب) (٢) . وقرار ديسمبر (كانون الأول) (٣) ؛ وفى عام ١٩٣٦ التخلى عن شعار « معارضة تشيانغ كاى شيك » فى مايو (أيار) (٤) ، والرسالة الموجهة الى الكومينتانغ فى أغسطس (آب) (٥) ، وقرار سبتمبر (أيلول) حول الجمهورية الديمقراطية(٦) ، والاصرار على ايجاد تسوية سلمية لحادثة شيآن فى ديسمبر (كانون الأول) ؛ وفى عام ١٩٣٧ برقية فبراير (شباط) الى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ (٧) . . الخ .

د) أحدث التناقض بين الصين واليابان أيضا تغيرا فى وضع السلطات الاقليمية المنفصلة لأمراء الحرب الصينيين وفى الحروب الأهلية التى بينهم ، وهذه السلطات والحروب هى نتاج لسياسة مناطق النفوذ التى تتخذها الدول الامبريالية وللظروف الاقتصادية فى الصين شبه المستعمرة . ان الامبريالية اليابانية تؤيد بقاء مثل هذه السلطات وهذه الحروب الأهلية بغية تسهيل سيطرتها الانفرادية

على الصين ، بينما تفضل بعض الدول الامبريالية الأخرى موقتا الوحدة والسلم فى للصين رعاية لمصالحها الخاصة . أما الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى فهما يبذلان قصارى جهودهما لمناهضة الحروب الأهلية والانقسامات ، ولكسب السلم والوحدة .

هـ) ان تطور التناقض بين الصين واليابان قد جعل التناقضات المحلية بين الطبقات وبين الجماعات السياسية تنحدر ، من ناحية الأهمية السياسية ، الى مركز ثانوى وتابع . الا أن هذه التناقضات ما زالت موجودة ولم تتقلص أو تختف بأى حال من الأحوال . وينطبق نفس الشيء على التناقضات بين الصين والدول الامبريالية الأخرى عدا اليابان . وعليه أصبحت تواجه الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى المهمة التالية وهى تكييف التناقضات الداخلية والخارجية بصورة ملائمة ، تلك التناقضات التى يمكن ويجب تكييفها فى الوقت الحاضر حتى تتناسب مع المهمة العامة ، مهمة الوحدة ضد اليابان . وهذا هو السبب فى أن للحزب الشيوعى الصينى اتخذ سياسة المطالبة بالسلام والوحدة والديمقراطية وتحسين معيشة الشعب واجراء المفاوضات مع سائر الأقطار التى تعارض اليابان .

٤ ــ ان الفترة الأولى من المرحلة الجديدة للثورة الصينية ، التى بدأت فى ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥ ، انتهت عندما عقدت اللجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ دورتها الكاملة الثالثة فى فبراير (شباط) ١٩٣٧ . وكانت الأحداث الكبرى فى هذه الفترة هى ظهور حركات انقاذ الوطن وسط الطلاب والدوائر الثقافية والصحافية ، ودخول الجيش الأحمر الى الشمال الغربى ، والأعمال الدعائية والتنظيمية الخاصة بسياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التى وضعها الحزب الشيوعى ، والاضرابات المناهضة لليابان فى شانغهاى وتشينغداو (٨) ، وتشدد بريطانيا النسبى فى سياستها تجاه اليابان(٩) ، وحادثة قوانغدونغ ــ

قوانغشى(١٠)، وحرب المقاومة فى سوييوان والحركة التى قامت لتأييدها(١١)، وموقف نانكين الحازم نسبيا فى المفاوضات الصينية اليابانية(١٢)، وحادثة شيآن ، وأخيرا ، الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ فى نانكين(١٣). ولقد تمركزت كل هذه الأحداث حول التناقض الأساسى الذى هو العداء بين الصين واليابان ، كما تمركزت مباشرة حول المطلب التاريخى ، ألا وهو تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . وكانت المهمة الأساسية للثورة فى هذه الفترة هى النضال من أجل السلم الداخلى وايقاف النزاعات المسلحة الداخلية حتى يمكن تحقيق الوحدة ضد اليابان . وفى هذه الفترة أصدر الحزب الشيوعى نداءه بـ « وقف الحرب الأهلية والاتحاد ضد اليابان » ، وأصبح هذا النداء حقيقة واقعة فى الأساس مما خلق الشرط اللازم الأول لتأسيس الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان تأسيسا فعليا .

٥ — نظرا لوجود جماعة موالية لليابان فى داخل الكومينتانغ فان هذا الحزب فى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية لم يبد استعداده لاجراء تغيير محدد أو كامل فى سياسته ، كما أن الدورة لم تحل عمليا أى مشكلة من المشاكل ، الا أنه نظرا لضغط الشعب والتطورات التى حدثت فى صفوف الكومينتانغ فانه أجبر على الشروع فى تغيير سياسته الخاطئة التى كان يسير عليها خلال السنوات العشر الماضية ، أى الشروع فى تغيير سياسة الحرب الأهلية والدكتاتورية وعدم مقاومة اليابان ، والتحول فى اتجاه السلم والديمقراطية ومقاومة اليابان ، والشروع فى قبول سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . وقد ظهر هذا التحول الأولى فى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ . وان مطلبنا من الآن فصاعدا هو أن يعمد الكومينتانغ الى تحويل سياسته تحويلا شاملا . وفى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، يجب على حزبنا وشعبنا فى جميع أرجاء البلاد أن يطورا حركة

مقاومة اليابان وتحقيق الديمقراطية الى حدود أوسع ، وأن يتقدما خطوة أبعد فى نقد الكومينتانغ ودفعه وحثه على العمل ، وأن يتحدا مع أولئك الذين يقفون داخل الكومينتانغ الى جانب السلم والديمقراطية ومقاومة اليابان ، كما عليهما أن يساعدا المتذبذبين والمترددين منهم على التقدم الى أمام وينبذا العناصر الموالية لليابان .

٦ — ان الفترة الراهنة هى الفترة الثانية من المرحلة الجديدة . وكلتا الفترتين الأولى والثانية ليست سوى فترة انتقالية تقود الى انتشار المقاومة المسلحة ضد اليابان على نطاق الأمة بأسرها . واذا كانت المهمة الرئيسية فى الفترة الماضية هى النضال من أجل السلم ، فان المهمة الرئيسية فى الفترة الراهنة هى النضال من أجل الديمقراطية . ويجب أن ندرك أنه ، مثلما يستحيل تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان حقيقية ووطيدة بدون توفر السلم فى الداخل ، فانه يستحيل أيضا تأسيس جبهة كهذه بدون توفر الديمقراطية فى الداخل . وعليه ، فان النضال من أجل الديمقراطية هو ، فى الفترة الراهنة من التطور ، الحلقة الأساسية فى المهمة الثورية . واذا عجزنا عن ادراك أهمية الديمقراطية بوضوح وتراخينا فى النضال من أجلها فسوف نعجز عن تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان حقيقية ووطيدة .

النضال من أجل الديمقراطية والحرية

٧ — تعجل الامبريالية اليابانية الآن باستعداداتها لغزو أراضى الصين الواقعة جنوب السور العظيم . وتوافقا مع استعدادات هتلر وموسولينى المتزايدة الشدة لشن حرب القرصنة فى الغرب ، تبذل اليابان كل ذرة من طاقتها فى الشرق لتهىء ، بناء على خطة محددة ، الظروف اللازمة لاستعباد الصين

بضربة واحدة — الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية والايديولوجية فى داخل اليابان والظروف الدبلوماسية عالميا بالاضافة الى تغذية القوى الموالية لليابان فى الصين . فدعاية اليابان حول «التعاون الصينى اليابانى» والتراخى النسبى الذى طرأ على موقفها فى اجراءاتها الدبلوماسية ينبعان بالتحديد من ضرورة تكتيكية تقتضيها سياستها العدوانية فى عشية الحرب . ان الصين تقترب الآن من الفترة الحرجة التى ستحدد بقاءها أو فناءها ، فعليها أن تعجل بتحضيراتها لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن . ومن المؤكد أننا لا نعارض الاستعدادات ، وما نعارضه هو نظرية الاستعداد الطويل الأمد وحياة الخمول والتفسخ والاسراف التى يعيشها الموظفون المدنيون والعسكريون والتى تهدد الأمة بالدمار ، اذ أن مثل هذه الأمور تقدم للعدو مساعدات فعلية ، ولهذا يجب الخلاص منها على وجه السرعة .

٨ — ان الاستعدادات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتعليمية من أجل الدفاع الوطنى جميعها ضرورية لشن المقاومة المسلحة فى سبيل انقاذ الوطن ، ولا يجوز أن نتوانى فى أى منها لحظة واحدة . ولكن مفتاح النصر لمقاومتنا المسلحة هو كسب الديمقراطية والحرية سياسيا ، فالمقاومة المسلحة تتطلب السلم والتضامن على نطاق البلاد ، بيد أنه لا يمكن تدعيم السلم الذى تم تحقيقه ولا يمكن تقوية التضامن الداخلى بدون ديمقراطية وحرية ، كما أن المقاومة المسلحة تتطلب تعبئة الشعب ، وما من سبيل لتعبئة الشعب بدون ديمقراطية وحرية . واذا لم يدعم السلم والتضامن ولم تتم تعبئة الشعب فان مقاومتنا المسلحة سوف تواجه نفس المصير الذى واجهته الحبشة . فكانت هزيمة الحبشة ترجع فى الأساس الى أنها بسبب نظام الحكم الاقطاعى فيها كانت عاجزة عن توطيد الوحدة الداخلية وعن اثارة حماس الشعب . وبدون وجود ديمقراطية لا يمكن تأسيس جبهة وطنية متحدة حقيقية

وطيدة ضد اليابان فى الصين ولا يمكن انجاز مهمات هذه الجبهة .

٩ – على الصين أن تبدأ فورا فى ادخال اصلاحات ديمقراطية فى الناحيتين التاليتين : أولا فيما يتعلق بالنظام السياسى يجب أن يستعاض عن الدكتاتورية الرجعية للحزب الواحد والطبقة الواحدة التى يباشرها الكومينتانغ، بحكم ديمقراطى يقوم على أساس التعاون بين مختلف الأحزاب والطبقات . ويجب فى هذا الصدد أن تبدأ الاصلاحات بتغيير الاجراءات غير الديمقراطية الخاصة بانتخاب الجمعية الوطنية ودعوتها ، وباجراء انتخابات ديمقراطية لعضوية هذه الجمعية وضمان الحرية فى عقد اجتماعاتها ، وبعد هذا يجب أن تواصل الاصلاحات حتى يتم وضع دستور ديمقراطى حقيقى ، ودعوة برلمان ديمقراطى حقيقى وانتخاب حكومة ديمقراطية حقيقية تنفذ سياسات ديمقراطية حقيقية . وبهذا وحده يمكن أن يوطد السلام الداخلى فعليا ، وأن يوضع حد للنزاعات العدائية الداخلية المسلحة ، وأن يدعم التضامن الداخلى مما يمكن الأمة جمعاء من تحقيق الوحدة لمقاومة العدو الأجنبى . ومن المحتمل أن تهاجمنا الامبريالية اليابانية قبل اتمام هذه الاصلاحات . ولذلك ، ففى سبيل ضمان مقدرتنا على مقاومة الهجوم اليابانى فى أى لحظة وتحطيمه تماما ، يجب علينا أن نعجل بمباشرة الاصلاحات وأن نكون على استعداد لأدائها بصورة كاملة فى سياق مقاومتنا المسلحة . وينبغى على الشعب فى كل البلاد والوطنيين فى مختلف الأحزاب أن ينبذوا اللامبالاة التى أظهروها فى الماضى حيال مسألة الجمعية الوطنية والدستور ، وأن يركزوا الجهود على حركة تأسيس جمعية وطنية ووضع دستور ، وهى حركة محددة ذات أهمية بالنسبة الى الدفاع الوطنى ، وعليهم أن يعرضوا الكومينتانغ الحاكم الى النقد الصارم وأن يدفعوه ويحثوه على أن يتخلى عن دكتاتورية الحزب الواحد والطبقة الواحدة وأن يعمل طبقا لآراء الشعب . وفى الأشهر القلائل القادمة من هذا

العام ، يجب ايجاد حركة ديمقراطية واسعة فى كل أرجاء البلاد ، يكون هدفها المباشر هو جعل الجمعية الوطنية والدستور يتسمان بالديمقراطية . وثانيا حرية الشعب فى الكلام والاجتماع والتنظيم . وبدون مثل هذه الحرية يستحيل تحقيق الاصلاحات الديمقراطية فى النظام السياسى ، ويستحيل تعبئة الشعب لخوض حرب المقاومة ولكسب النصر فى الدفاع عن الوطن واستعادة الأراضى المفقودة . وفى الأشهر القلائل القادمة ، يجب أن تسعى الحركة الديمقراطية التى تشمل جميع أبناء الشعب فى البلاد الى احراز الحد الأدنى من المكاسب فى هذه الحريات ، التى تتضمن اطلاق سراح المسجونين السياسيين ورفع الحظر عن الأحزاب السياسية . . الخ . ان ادخال الاصلاحات الديمقراطية على النظام السياسى وتحقيق حريات الشعب وحقوقه يشكلان جزءا هاما من برنامج الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، كما أنهما يشكلان أيضا شرطا لازما لتأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان حقيقية ووطيدة .

١٠ — ان أعداءنا — الامبرياليين اليابانيين والخونة والعناصر الموالية لليابان والتروتسكيين فى الصين ، ظلوا يبذلون قصارى جهودهم لتخريب كل خطوة نحو السلم والوحدة والديمقراطية والحرية فى الصين ونحو المقاومة المسلحة ضد اليابان . فى الماضى ، عندما كنا نكافح بجهد عظيم من أجل السلم والوحدة ، ظلوا يبذلون كل ما فى وسعهم لالهاب نار الحرب الأهلية وخلق الانقسامات . وفى الوقت الراهن والمستقبل القريب ، عندما نناضل جاهدين من أجل الديمقراطية والحرية ، سيلجأون من جديد بالتأكيد الى تقويض جهودنا ، اذ أن هدفهم العام هو جعلنا نفشل فى تأدية مهمة المقاومة المسلحة دفاعا عن الوطن ، وتحقيق خطتهم العدوانية الرامية الى استعباد الصين . ويجب علينا من الآن فصاعدا ، فى النضال من أجل الديمقراطية والحرية ، أن نبذل جهودنا فى أعمال الدعاية والاثارة وسط المتعنتين فى الكومينتانغ والقطاعات المتخلفة

من الشعب وفى توجيه النقد اليهم ، وليس هذا فحسب ، بل علينا أيضا أن نفضح بكل ما فى وسعنا دسائس الامبرياليين اليابانيين وأولئك الذين يعملون كعملاء لهم فى غزو الصين — العناصر الموالية لهم والتروتسكيين، وأن نقاومها بحزم .

١١ — من أجل السلم والديمقراطية والمقاومة المسلحة ، ومن أجل تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان ، تعهد الحزب الشيوعى الصينى فى برقية أرسلها الى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ بالنقاط الأربع التالية : ا) تسمية الحكومة التى يقودها الحزب الشيوعى فى منطقة القاعدة الثورية فى شنشى — قانسو — نينغشيا ، بحكومة المنطقة الخاصة التابعة لجمهورية الصين ، والغاء اسم الجيش الأحمر واعتباره كجزء من الجيش الوطنى الثورى ، وكلاهما يصبح تحت توجيه الحكومة المركزية فى نانكين ومجلسها العسكرى على التوالى ؛ ب) تطبيق نظام ديمقراطى شامل فى الأماكن الواقعة تحت ادارة حكومة المنطقة الخاصة ؛ ج) التوقف عن مواصلة سياسة الاطاحة بالكومينتانغ بالقوة المسلحة ؛ د) التوقف عن مصادرة أراضى ملاك الأراضى . ان هذه التعهدات ضرورية ومسموح بها ، اذ أنه عن هذا الطريق فقط نستطيع تبديل الوضع العدائى بين النظامين المختلفين فى داخل البلاد وتحقيق الوحدة من أجل العمل المشترك ضد العدو ، تمشيا مع التغيرات التى طرأت على نسبة الأهمية السياسية بين التناقضات الخارجية والداخلية فى الصين . وهذه تنازلات قائمة على أساس مبدئى ومشروطة قدمت من أجل الحصول فى مقابلها على ما تحتاج اليه الأمة كلها من السلم والديمقراطية والمقاومة المسلحة . وبالاضافة الى ذلك فان للتنازلات حدودا لا يجوز لنا أن نتخطاها وهى المحافظة على قيادة الحزب الشيوعى فى المنطقة الخاصة وفى الجيش الأحمر ، والمحافظة على استقلال الحزب الشيوعى وحريته

فى النقد خلال علاقاته مع الكومينتانغ . ان التنازلات تعنى تنازلات من كلا الحزبين : يتخلى الكومينتانغ عن سياسة الحرب الأهلية والدكتاتورية وعدم مقاومة العدو الأجنبى ، بينما يتخلى الحزب الشيوعى عن مواصلة سياسة العداء بين النظامين . ونحن نقدم التنازل الثانى فى مقابل التنازل الأول ونتعاون من جديد مع الكومينتانغ للنضال فى سبيل انقاذ الوطن . ووصف هذا التصرف بأنه استسلام من جانب الحزب الشيوعى لا يعد سوى عقلية آكيو (١٤) أو قذف رخيص .

١٢ — هل يوافق الحزب الشيوعى على مبادئ الشعب الثلاثة ؟ جوابنا هو أجل ، اننا نوافق عليها(١٥) . لقد طرأت تغيرات على مبادئ الشعب الثلاثة فى مجرى تاريخها . وقد كسبت مبادئ الشعب الثلاثة الثورية التى وضعها الدكتور صون يات صن ثقة الشعب وأصبحت راية ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ الظافرة لأنها طبقت بحزم نتيجة تعاونه مع الحزب الشيوعى . ولكن فى عام ١٩٢٧ انقلب الكومينتانغ على الحزب الشيوعى (اذ شن حملة تطهير الحزب(١٦) والحرب المعادية للشيوعيين) ، وسلك سياسة مضادة مما أدى بالثورة الى الفشل وهدد الأمة بالخطر ، وبالتالى فقد الشعب ثقته بمبادئ الشعب الثلاثة . وفى الوقت الراهن الذى تفاقمت فيه أزمة الأمة الى أبعد الحدود ولم يعد بمقدور الكومينتانغ مواصلة الحكم بنفس الطريقة القديمة ، عاد شعب البلاد بأسرها والوطنيون فى داخل الكومينتانغ يطالبون بالحاح بالتعاون بين الحزبين . وبناء على ذلك يجب على كل عضو فى الحزب الشيوعى أن يفهم جيدا أنه لأمر متفق تماما مع المطلب التاريخى للثورة الصينية أن تبعث من جديد روح مبادئ الشعب الثلاثة وأن يباشر الحزبان من جديد تعاونهما على أساس مبدأ الوطنية فى السياسة الخارجية أى النضال من أجل الاستقلال والتحرر الوطنى ، ومبدأ الديمقراطية أى تحقيق الديمقراطية والحرية فى الداخل ،

ومبدأ معيشة الشعب أى تطوير رفاهية الشعب ، وأن يقودا الشعب لوضع هذه المبادئ موضع التنفيذ بحزم . ولن يتخلى الشيوعيون اطلاقا عن مثلهم الأعلى — الاشتراكية والشيوعية ، بل سوف يبلغون هاتين المرحلتين عبر مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية . ان للحزب الشيوعى الصينى برنامجه السياسى والاقتصادى ، وان برنامجه الأقصى هو تحقيق الاشتراكية والشيوعية وهو يختلف عن مبادئ الشعب الثلاثة ، حتى ان برنامجه الخاص بمرحلة الثورة الديمقراطية هو برنامج أكثر حزما فى الثورة من برنامج أى حزب آخر فى الصين ، الا أن هذا البرنامج وبرنامج مبادئ الشعب الثلاثة الذى أعلنه المؤتمر الوطنى الأول للكومينتانغ لا يتعارضان فى الأساس . ولذلك لا نرفض مبادئ الشعب الثلاثة ، بل نحن على استعداد لتطبيقها بحزم ، وفضلا عن ذلك نطالب الكومينتانغ بأن يطبقها معنا ، كما ندعو جميع أبناء الشعب فى البلاد الى تطبيقها معنا . ونعتقد أنه ينبغى على الحزب الشيوعى والكومينتانغ وشعب البلاد بأسرها أن يتحدوا ويناضلوا من أجل هذه الأهداف الثلاثة العظيمة — الاستقلال الوطنى ، والديمقراطية والحرية ، ورفاهية الشعب .

١٣ — هل كان شعارنا الماضى — شعار جمهورية العمال والفلاحين الديمقراطية خاطئا ؟ كلا ، لم يكن خاطئا . فبعد أن انسحبت البرجوازية ولا سيما البرجوازية الكبيرة من صفوف الثورة وارتمت فى أحضان الامبريالية والقوى الاقطاعية وتحولت الى عدو للشعب ، لم تبق من القوى الدافعة للثورة سوى البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن ، ولم يبق من الأحزاب الثورية الا الحزب الشيوعى ، لذلك تحتم أن تقع مسئولية تنظيم الثورة على كاهل الحزب الشيوعى وهو الحزب الثورى الوحيد . وظل الحزب الشيوعى وحده يواصل رفع راية الثورة عاليا ويحافظ على التقاليد الثورية ويرفع شعار جمهورية العمال والفلاحين الديمقراطية ، وقد كافح كفاحا

مريرا من أجل تحقيق هذا الشعار طوال سنوات عديدة . ان هذا الشعار لم يكن متعارضا مع مهمة الثورة الديمقراطية البرجوازية بل دل على أننا كنا نثابر على تنفيذ تلك المهمة . ولم تكن أية سياسة تبنيناها فى نضالنا الفعلى منافية لهذه المهمة . ولم تتخط سياستنا ، بما فى ذلك مصادرة أراضى ملاك الأراضى وتحديد يوم العمل بثمانى ساعات ، حدود الملكية الرأسمالية الخاصة ، فلم تكن سياستنا آنذاك هى وضع الاشتراكية موضع التنفيذ . وكيف سيكون تركيب الجمهورية الديمقراطية الجديدة ؟ انها ستتركب من البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والبرجوازية وكل من يوافقون على الثورة الوطنية والديمقراطية فى البلاد ، وستكون التحالف بين هذه الطبقات فى الثورة الوطنية والديمقراطية . وان الصفة المميزة لهذا التحالف هى ضم البرجوازية اليه ، وذلك يعود الى وجود احتمال فى الظروف الراهنة بأن تتعاون معنا البرجوازية مرة أخرى وتساهم فى مقاومة اليابان . ولذلك ينبغى على حزب البروليتاريا ألا يصدها بل عليه أن يرحب بها ويعيد التحالف معها من أجل النضال المشترك ، حتى يمكن دفع الثورة الصينية الى الأمام . ومن أجل وضع حد للنزاع الداخلى المسلح ، فان الحزب الشيوعى على استعداد للتوقف عن سياسة مصادرة أراضى ملاك الأراضى بالقوة وعلى استعداد لحل مسألة الأرض بالوسيلة التشريعية والوسائل الملائمة الأخرى فى مجرى العمل لبناء الجمهورية الديمقراطية الجديدة . والمسألة التى يجب حلها أولا هى هل أراضى الصين ملك لليابانيين أم للصينيين . وطالما كان حل مسألة الأراضى للفلاحين مشروطا بالدفاع عن الصين فقد أصبح من الضرورى تماما أن نتخلى عن أسلوب المصادرة بالقوة ونلجأ الى أساليب ملائمة جديدة .

ان رفع شعار جمهورية العمال والفلاحين الديمقراطية فى الماضى كان أمرا صحيحا ، كما أن التخلى عنه اليوم هو أمر صحيح كذلك .

١٤ ــ من أجل تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة للمقاومة المشتركة ضد العدو ، أصبح ضروريا حل تناقضات داخلية معينة حلا مناسبا ، بيد أن مبدأنا فى ذلك هو أن حل هذه التناقضات ينبغى أن يساعد على تدعيم وتوسيع الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ، لا أن يضعفها أو يضيق نطاقها . وخلال مرحلة الثورة الديمقراطية ، يستحيل تفادى التناقضات والصراعات بين الطبقات والأحزاب والجماعات السياسية فى داخل البلاد ، ولكن من الممكن والضرورى أن نضع حدا لمثل هذه الصراعات التى تعوقنا عن تحقيق الوحدة ضد اليابان (أى الحرب الأهلية ، والنزاعات العدائية بين الأحزاب السياسية ، والسلطات الاقليمية المنفصلة ، والاضطهاد الاقطاعى السياسى والاقتصادى من جانب وسياسة الانتفاضات والمطالب الاقتصادية المبالغ فيها التى تضر بقضية مقاومة اليابان من جانب آخر .. الخ) ، وأن نواصل مثل هذا النضال الذى يفيد الوحدة ضد اليابان (النضال من أجل حرية النقد ومن أجل استقلال الأحزاب السياسية ولتحسين الظروف السياسية والاقتصادية للشعب .. الخ) .

١٥ ــ بناء على المهمة العامة للنضال من أجل تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان وتأسيس جمهورية ديمقراطية موحدة ، فان مهام الجيش الأحمر ومناطق القواعد المعادية لليابان هى : ا) من أجل ملاءمة ظروف الحرب ضد اليابان ، ينبغى تنظيم الجيش الأحمر فورا فى الجيش الوطنى الثورى، وأن يصبح جيشا نموذجيا فى تلك الحرب برفع مستوى تعليمه العسكرى والسياسى والثقافى . ب) لا بد أن تحول مناطق قواعدنا الى جزء من الدولة ويطبق فيها النظام الديمقراطى الملائم للظروف الجديدة ويعاد تنظيم قوات الأمن فيها وتطهيرها من الخونة والمخربين ، كى تصبح مناطق نموذجية لمقاومة اليابان وتحقيق الديمقراطية . ج) يجب القيام بالبناء الاقتصادى الضرورى

فى هذه المناطق لتحسين معيشة الشعب . د) يجب العمل على البناء الثقافى الضرورى .

مسؤوليتنا فى القيادة

١٦ - ان البرجوازية الصينية التى يمكن أن تساهم فى الكفاح ضد الامبريالية والاقطاعية فى ظروف تاريخية معينة ، تتذبذب وتصبح خائنة فى ظروف تاريخية أخرى نظرا لضعفها الاقتصادى والسياسى ، وهذا قانون قد أثبته التاريخ الصينى . وهكذا فقد حكم التاريخ بأن ثورة الصين الديمقراطية البرجوازية ضد الامبريالية والاقطاعية هى مهمة لا يمكن تحقيقها بقيادة البرجوازية وانما بقيادة البروليتاريا وحدها . واضافة الى ذلك فلا يمكن التغلب على ما يكمن فى طبيعة البرجوازية من تذبذب وعدم مثابرة على الثورة ، ولا يمكن تفادى اجهاض الثورة الا اذا أطلق العنان ، الى أبعد الحدود ، لثبات البروليتاريا ومثابرتها فى مجرى الثورة الديمقراطية . ويبرز أمامنا هذا السؤال الآن : هل تتبع البروليتاريا البرجوازية أم تتبع البرجوازية البروليتاريا ؟ ان هذه القضية — قضية مسؤولية القيادة فى الثورة الصينية — هى النقطة الأساسية التى تحدد نجاح الثورة أو فشلها . وتوضح تجربة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ كيف أن الثورة كانت تتقدم الى الأمام عندما تبعت البرجوازية قيادة البروليتاريا السياسية ، وكيف أنها فشلت عندما أصبحت البروليتاريا ذيلا سياسيا للبرجوازية (الأمر الذى كان الحزب الشيوعى مسؤولا عنه) (١٧) . ويجب ألا نسمح لهذه الفترة من التاريخ بأن تعيد نفسها . وبدون القيادة السياسية للبروليتاريا وحزبها ، يستحيل فى الظروف الراهنة ، تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان ، والوصول الى أهداف السلم والديمقراطية والمقاومة المسلحة والدفاع عن الوطن ،

كما يستحيل تأسيس جمهورية ديمقراطية موحدة . ان البرجوازية التى يمثلها الكومينتانغ ما زالت اليوم تتصف بالسلبية والمحافظة الى حد كبير ، والدليل على ذلك هو ترددها لمدة طويلة فى قبول دعوة الحزب الشيوعى لتأسيس الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . وهذا الوضع يزيد من مسؤولية البروليتاريا وحزبها فى مباشرة القيادة السياسية . وان أداء وظيفة هيئة الأركان العامة فى مقاومة اليابان وانقاذ الوطن هو مسؤولية لا ينبغى للحزب الشيوعى أن يتخلى عنها وهو كذلك التزام لا يمكن أن يحيد عنه .

١٧ — كيف تباشر البروليتاريا ، عن طريق حزبها ، القيادة السياسية لسائر الطبقات الثورية فى البلاد ؟ أولا ، عليها أن ترفع شعارات سياسية أساسية تتماشى مع التطور التاريخى ، وأن ترفع ، فى سبيل تحويل هذه الشعارات السياسية الى حقيقة واقعة ، شعارات للعمل فى كل مرحلة من مراحل التطور وفى كل انعطاف أساسى للأحداث . ومثال ذلك أننا حين رفعنا هذين الشعارين الأساسيين : « جبهة وطنية متحدة ضد اليابان » و« جمهورية ديمقراطية موحدة » ، رفعنا أيضا شعارات « ايقاف الحرب الأهلية » و« النضال من أجل الديمقراطية » و« شن المقاومة المسلحة » باعتبارها أهدافا محددة لعمل موحد تقوم به الأمة قاطبة . وبدون مثل هذه الأهداف المحددة ، تصبح القيادة السياسية خارجة عن الموضوع . ثانيا ، يجب على البروليتاريا ولا سيما طليعتها الحزب الشيوعى أن تظهر حماسها واخلاصها اللامحدود لتصبح مثالا فى العمل على تحقيق هذه الأهداف المحددة عندما يتحرك القطر بأكمله لتحقيقها . وفى أثناء النضال لأجل تحقيق جميع مهام الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان والجمهورية الديمقراطية ، يجب على الشيوعيين أن يكونوا أبعد الناس نظرا ، وأكثرهم استعدادا للتضحية ، وأعظمهم حزما ، وأكثرهم قدرة على تقدير الأوضاع بدون تحيز ، وأن يكونوا أقدر الناس على الاستناد الى

الغالبية العظمى من الجماهير ، وعلى كسب تأييدها . ثالثا ، على الحزب الشيوعى أن يقيم علاقات ملائمة مع حلفائه وأن يطور ويدعم تحالفه معهم بينما يلتزم بمبدأ عدم التخلى عن أهدافه السياسية المقررة . رابعا ، ينبغى توسيع صفوف الحزب الشيوعى والمحافظة على وحدته الايديولوجية ونظامه الدقيق . ان الحزب الشيوعى يباشر قيادته السياسية للشعب كله عن طريق تطبيق كل هذه الأشياء التى هى الأساس لضمان قيادتنا السياسية وللتأكد من تحقيق نصر الثورة التام دون أن تنتكس نتيجة تذبذب حلفائنا .

١٨ ــ عندما يتم احراز السلام الداخلى ويتحقق التعاون بين الحزبين ، فلا بد من احداث تغيرات فى أشكال النضال والتنظيم والعمل التى كنا نتبناها عندما كان خطنا قائما على أساس العداء بين النظامين . وهذه التغيرات سوف تتجسد أساسا فى التحول من الأشكال العسكرية الى الأشكال السلمية ومن الأشكال اللاشرعية الى الأشكال الشرعية . وليس باليسير أن تتم هذه التغيرات ، فعلينا أن نتعلم من جديد . ولذلك تصبح اعادة تربية الكوادر حلقة أساسية فى أعمالنا .

١٩ ــ لقد طرح عدد كبير من الرفاق أسئلة حول طبيعة الجمهورية الديمقراطية ومستقبلها . وجوابنا هو : فيما يتعلق بطبيعتها الطبقية فانها ستكون تحالفا بين الطبقات الثورية ، وفيما يتعلق بمستقبلها فيمكن أن تتجه نحو الاشتراكية . ان جمهوريتنا الديمقراطية سوف يتم تأسيسها فى مجرى المقاومة الوطنية المسلحة وبقيادة البروليتاريا وفى محيط الظروف العالمية الجديدة (انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى واقتراب فترة جديدة للثورة العالمية). لذلك ، ورغم أنها ستكون أيضا دولة برجوازية ديمقراطية من حيث الشروط الاجتماعية والاقتصادية ، فانها ستختلف عن الجمهوريات الديمقراطية البرجوازية عامة ، لأنها ، من حيث الشروط السياسية المحددة ، يجب

أن تكون دولة تقوم على أساس التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية . وهكذا ، فانه من المحتمل ، فيما يتعلق بمستقبل الجمهورية الديمقراطية ، أن تتجه أيضا نحو الرأسمالية ، ولكن يحتمل فى الوقت ذاته أن تتجه نحو الاشتراكية ، وعلى حزب البروليتاريا الصينية أن يناضل بجهد من أجل الوصول الى مستقبلها الاشتراكى .

٢٠ – ان النضال ضد نزعة الباب المغلق والمغامرة وضد الذيلية أيضا يشكل شرطا ضروريا لانجاز مهام الحزب . وفى مجال الحركات الجماهيرية توجد فى حزبنا ميول تقليدية نحو نزعة الباب المغلق الخطيرة ، والانعزالية المتغطرسة ، والمغامرة . وهذه الميول القبيحة تعوق الحزب عن تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان وعن كسب أغلبية الجماهير ، ولذا يصبح من الضرورى للغاية ازالة هذه الميول فى كل ميدان من ميادين العمل . وان ما نريده هو : الاعتماد على الأغلبية وأخذ الوضع ككل بعين الاعتبار ، ولا يجوز احياء ذيلية تشن دو شيو التى هى انعكاس للاصلاحية البرجوازية فى صفوف البروليتاريا . ومن المؤكد أننا سنؤدى بالثورة الى الهزيمة اذا تراخى حزبنا فى موقفه الطبقى ، وتشوهت ملامحه بالغموض ، وضحى بمصالح العمال والفلاحين تمشيا مع مطالب الاصلاحيين البرجوازيين . وما نريده هو : تطبيق السياسات الثورية الحازمة والسعى الى الانتصار التام فى الثورة الديمقراطية البرجوازية . وبهدف التغلب على الميول السيئة السالفة الذكر ، يكون من اللازم تماما رفع المستوى النظرى الماركسى اللينينى لكل الحزب ، لأن الماركسية اللينينية هى وحدها البوصلة التى تستطيع أن تقود الثورة الصينية الى النصر

ملاحظات

(١) « ان حادثة شمالى الصين » يقصد بها سلسلة الأحداث التى وقعت فى عام ١٩٣٥ عندما اعتدى الغزاة اليابانيون على شمالى الصين وعرضت حكومة الكومينتانغ برئاسة تشيانغ كاى شيك سيادة البلاد للضياع وعرضت الأمة كلها للذل . ففى شهر مايو (أيار) من ذلك العام ، طالب الغزاة اليابانيون بأن تمنحهم حكومة الكومينتانغ السلطة الادارية على شمالى الصين ، وفى يونيو (حزيران) رضخ لهم خه ينغ تشين ممثل حكومة الكومينتانغ هناك ووقع اتفاقية مع يوشيجيرو أوميزو قائد القوات اليابانية المعتدية التى ترابط فى شمالى الصين ، وأصبحت هذه الاتفاقية فيما بعد معروفة بـ « اتفاقية خه - أوميزو » . وبمقتضى هذه الاتفاقية تنازلت الصين عن معظم سيادتها فى مقاطعتى خبى وتشاهار . وفى أكتوبر (تشرين الأول) تمرد ، بايعاز من الغزاة اليابانيين ، بعض العملاء الصينيين فى محافظة شيانغخه بمقاطعة خبى واستولوا على عاصمة المحافظة . وفى نوفمبر (تشرين الثانى) حث الغزاة اليابانيون عددا من العملاء الصينيين على القيام بـ « حركة الحكم الذاتى فى مقاطعات شمالى الصين الخمس » ، فأسسوا « ادارة الحكم الذاتى المعادية للشيوعيين » العميلة فى شرقى خبى . واستجابة لمطلب الغزاة اليابانيين باقامة « ادارة خاصة لشمالى الصين » ، عينت حكومة الكومينتانغ سونغ تشه يوان وغيره لتشكيل « مجلس سياسى لخبى وتشاهار » .

(٢) هذا التصريح أصدره الحزب الشيوعى الصينى فى أول أغسطس (آب) ١٩٣٥ ، وفيما يلى نقاطه الأساسية :

« فى هذه اللحظة التى تتعرض فيها بلادنا وشعبنا لخطر الدمار ، يوجه الحزب الشيوعى مرة أخرى النداء التالى الى جميع المواطنين : مهما تكن الخلافات بين الأحزاب فى الماضى أو فى الوقت الحاضر فيما يتعلق بالآراء السياسية والمصالح ، ومهما تكن الخلافات فى الآراء والمصالح بين مواطنينا من مختلف الأوساط ، ومهما يكن العداء فى الماضى أو فى الوقت الحاضر بين الجيوش المختلفة ، فيجب علينا جميعا أن نتيقظ حقا وندرك حقيقة أن " الاخوة المتخاصمين فى دارهم لا بد أن يوحدوا قواهم لصد الهجمات الخارجية " ، يجب علينا أولا وقبل كل شيء أن نوقف الحرب الأهلية لكى نركز قوى الأمة كلها (الطاقة البشرية والموارد المادية والمالية والقوات المسلحة) على النضال من أجل القضية

المقدسة – قضية مقاومة اليابان وانقاذ الوطن . ويعلن الحزب الشيوعى بمهابة مرة أخرى : أنه اذا أوقفت قوات الكومينتانغ هجماتها على الجيش الأحمر أو اذا أخذت أية وحدة من القوات المسلحة تقاوم اليابان فان الجيش الأحمر ، بصرف النظر عن أى أحقاد قديمة أو نزاعات قائمة بينها وبينه أو أى خلافات راهنة حول المسائل الداخلية ، سوف لا يوقف أعماله العدائية تجاهها على الفور وحسب ، بل سيوثق تعاونه معها فى العمل المشترك من أجل انقاذ الوطن . »

« ان الحزب الشيوعى يود أن يكون مبادرا فى تأسيس حكومة للدفاع الوطنى من هذا النوع ، ويستعد ، من أجل تشكيل مثل هذه الحكومة تشكيلا مشتركا ، لأن يجرى فورا مفاوضات مع كل الذين يرغبون فى المساهمة فى قضية مقاومة اليابان وانقاذ الوطن فى الصين من الأحزاب السياسية ، والمنظمات (النقابات ، وجمعيات الفلاحين ، واتحادات الطلاب ، والغرف التجارية ، والجمعيات التعليمية ، ورابطات الصحفيين ، واتحادات المعلمين وغيرهم من موظفى المدارس ، وجمعيات أبناء البلدة الواحدة ، ومنظمة التشيقونغدانغ ، والجمعية الوطنية للدفاع المسلح عن النفس ، وجمعية مناهضة اليابان ، وجمعية انقاذ الوطن وغيرها) ، والأعيان والعلماء والساسة ، وكل الهيئات المحلية العسكرية والادارية . ويجب أن تكون حكومة الدفاع الوطنى التى تتمخض عن هذه المفاوضات جهازا قياديا موقتا لانقاذ الوطن وتأمين بقائه ، كما يجب أن تسعى لدعوة هيئة منتدبة تمثل كل المواطنين تمثيلا حقيقيا (هيئة ينتخب الممثلون فيها انتخابا ديمقراطيا من قبل الأوساط المختلفة من العمال والفلاحين والجنود وموظفى الحكومة والتجار والطلاب ، وكل الأحزاب والمنظمات التى ترغب فى مقاومة اليابان وانقاذ الوطن ، وكل المغتربين الصينيين فيما وراء البحار وسائر القوميات داخل حدود الصين) ، وذلك من أجل مناقشة جميع القضايا المتعلقة بمقاومة اليابان وانقاذ الوطن بصورة أكثر تحديدا . وسوف يبذل الحزب الشيوعى كل ما فى وسعه للمساعدة على دعوة مثل هذه الهيئة من ممثلى كل الشعب وينفذ قراراتها تماما .»

« ويجب أن يتشكل جيش متحد ضد اليابان من كل القوات التى ترغب فى قتال اليابان ، على أن تكون هنالك قيادة عامة واحدة لهذا الجيش خاضعة لحكومة الدفاع الوطنى . وهذه القيادة اما أن تتشكل من مندوبين منتخبين من قبل الضباط والجنود المناهضين لليابان فى مختلف القوات المسلحة ، واما أن تتشكل بطريقة أخرى ، غير أن ذلك يحدد من قبل ممثلى جميع الأوساط وبناء على

ارادة الشعب كله . ومن المؤكد أن الجيش الأحمر سيكون أول من ينضم الى هذا الجيش المتحد ويؤدى رسالته فى مقاومة اليابان وانقاذ الوطن . وبغية تمكين حكومة الدفاع الوطنى والجيش المتحد ضد اليابان من أداء مسئولياتهما الضخمة بصورة فعالة فى الدفاع الوطنى ومقاومة اليابان ، يتوجه الحزب الشيوعى بالنداء التالى الى جميع المواطنين : من لديهم المال فليقدموا المال ، ومن لديهم السلاح فليقدموا السلاح ، ومن لديهم الحبوب فليقدموا الحبوب ، ومن لديهم قوة العمل فليقدموا قوة العمل ، ومن لديهم مهارة خاصة فليقدموا مهارتهم الخاصة ، حتى تتم تعبئة جميع المواطنين وتستخدم كل الأسلحة القديمة والحديثة فى تسليح الملايين والملايين من أبناء الشعب . »

(٣) قرار ديسمبر (كانون الأول) يقصد به « قرار حول الوضع السياسى الراهن ومهمات الحزب » الذى أجازه اجتماع المكتب السياسى التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى واياوباو بشمالى شنشى فى ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥ . ويحمل هذا القرار تحليلا شاملا للوضع الداخلى والعالمى فى ذلك الوقت ، وللتغيرات التى طرأت على العلاقات الطبقية فى الصين فحدد سياسة الحزب . وهذا جزء من القرار :

ان الوضع الراهن يوضح لنا أن محاولات الامبريالية اليابانية لضم الصين قد هزت كيان كل البلاد والعالم بأجمعه . وقد حدثت فعلا أو تحدث الآن تغيرات فى العلاقات بين كل الطبقات والفئات والأحزاب السياسية والقوات المسلحة فى حياة الصين السياسية . فتجرى الآن اعادة تجمع للقوى فى كل من الجبهة الثورية والجبهة المعادية للثورة على النطاق الوطنى . ولذلك فان خط الحزب التكتيكى هو استنهاض القوى الثورية فى جميع أنحاء البلاد وبين الأمة بأسرها ، وتوحيدها وتنظيمها لمعارضة العدو الرئيسى الذى يواجهها حاليا ، أى الامبريالية اليابانية والخائن رقم واحد تشيانغ كاى شيك . وعلى كل الناس وكل الأحزاب وكل القوات المسلحة وكل الطبقات ، التى تعارض الامبريالية اليابانية والخائن تشيانغ كاى شيك ، أن تتحد لشن الحرب الوطنية الثورية المقدسة ، وطرد الامبرياليين اليابانيين من الصين ، والاطاحة بحكم عملائهم فى الصين ، واحراز التحرر التام للأمة الصينية ، وصيانة استقلال الصين ووحدة أراضيها . ان الطريق الوحيد للانتصار على الامبريالية اليابانية وعميلها تشيانغ كاى شيك هو تأسيس أوسع جبهة وطنية

متحدة معادية لليابان (تضم الفئات الدنيا والعليا) . ومن الطبيعى أن مختلف الأفراد والمنظمات والطبقات والفئات الاجتماعية ومختلف القوات المسلحة ، حين ينضمون الى صفوف الثورة الوطنية المعادية لليابان ، ينطلقون من دوافع مختلفة ومن مواقف طبقية مختلفة ، فبعضهم ينضم اليها بغية المحافظة على مركزه ، وبعضهم يسعى لكسب القيادة فى الحركة حتى لا تتخطى الحدود التى يسمح بها ، وبعضهم ينضم اليها للعمل باخلاص من أجل تحرر الأمة الصينية تحررا تاما . وبالتحديد ، نظرا لأن دوافعهم ومواقفهم تختلف ، فان بعضهم يتذبذب حتى يصبح خائنا فى بداية النضال ، وبعضهم يفتر حماسه أو ينسحب من النضال فى منتصف الطريق ، وبعضهم سوف يثابر على النضال بحزم الى النهاية . ومع ذلك فواجبنا هو أن نوحد لا كل القوى الأساسية المعادية لليابان التى يمكن توحيدها وحسب ، بل أيضا كل الحلفاء الذين من المحتمل أن يقاوموا اليابان ، وأن نمكن ، على نطاق البلاد ، كل من لديهم قوة العمل من تقديم قوة عملهم ، وكل من لديهم المال من تقديم المال ، وكل من لديهم السلاح من تقديم السلاح ، وكل من لديهم المعرفة من المساهمة بالمعرفة حتى لا يكون هناك صينى وطنى خارج محيط الجبهة المعادية لليابان . هذا هو الخط العام لتكتيكات الحزب بشأن أوسع جبهة وطنية متحدة . وعن طريق التمسك بهذا الخط وحده يمكننا تعبئة قوى الشعب كله لمجابهة عدوه المشترك – الامبريالية اليابانية والخائن تشيانغ كاى شيك . ان الطبقة العاملة والفلاحين فى الصين ما زالوا القوة الأساسية الدافعة للثورة الصينية ، والجماهير العريضة من البرجوازية الصغيرة ، والمثقفون الثوريون هم خير الحلفاء الذين يمكن الاعتماد عليهم فى الثورة الوطنية . والتحالف الوثيق بين العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة هو القوة الأساسية لالحاق الهزيمة بالامبريالية اليابانية وعملائها والخونة . ويمكن لقسم من البرجوازية الوطنية وأمراء الحرب ، مهما كانت معارضتهم للثورة الزراعية والسلطة السياسية الحمراء ، أن يساعدوا على توسيع الجبهة المعادية لليابان اذا أبدوا تأييدهم الأدبى للنضال ضد الامبريالية اليابانية وعملائها والخونة أو اتخذوا تجاهه موقف الحياد الناتج عن حسن النية أو أسهموا فيه مباشرة ، اذ أن هذا الأمر سوف يفصلهم عن القوى المعادية للثورة فى مجموعها ويوسع القوى الثورية ككل . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف ، يجب على الحزب أن يتخذ الوسائل والطرق المناسبة لكسب هذه القوى الى جانب الجبهة المعادية لليابان .

وبالاضافة الى هذا فان الوحدة غير مكتملة حتى فى معسكر طبقتى ملاك الأراضى والكومبرادوريين ، لأن التنافس بين عدد من الدول الامبريالية من أجل السيطرة على الصين قد أدى الى ظهور جماعات متنافسة من الخونة فى خدمة تلك الدول وهى تعيش فى تناقضات ونزاعات ، وبالتالى يجب على الحزب أن يستخدم جميع الوسائل ليمنع ، بصورة موقتة ، بعض القوى المعادية للثورة من المعارضة النشيطة للجبهة المعادية لليابان . وينطبق نفس التكتيك على معاملة الدول الامبريالية الأخرى عدا اليابان . وعلى الحزب ، حين يعمل على استنهاض قوى الشعب كله وتوحيدها وتنظيمها فى سبيل النضال ضد العدو المشترك ، أن يناضل ، بحزم ودون أى تردد ، ضد كل ميل نحو التذبذب والمساومة والاستسلام والخيانة فى داخل الجبهة الوطنية المتحدة المعادية لليابان . وكل من يقوضون حركة الشعب الصينى المعادية لليابان هم عملاء أو خونة علينا أن ننهض جميعا ضدهم . وينبغى للحزب الشيوعى أن يكسب القيادة فى الجبهة المعادية لليابان عن طريق أقواله وأفعاله الحازمة الصحيحة ضد الامبريالية اليابانية وعملائها والخونة . وبقيادة الحزب الشيوعى وحده ، يمكن للحركة المعادية لليابان أن تتكلل بالنصر التام . وفيما يتعلق بالجماهير الغفيرة فى ظروف الحرب المعادية لليابان ، ينبغى الاستجابة لمطالبها بشأن المسائل التى تمس مصالحها الأساسية (مطلب الفلاحين للحصول على الأرض ، ومطلب العمال والجنود وفقراء المدن والمثقفين للحصول على معيشة أحسن) ، اذ بالاستجابة لمطالبهم فقط يمكننا أن نعبىء أقساما أوسع مما سبق من الجماهير للانخراط فى صفوف المقاومين لليابان ، ويمكننا مواصلة الحركة المعادية لليابان وقيادتها حتى تحقيق النصر التام . وعن هذا الطريق وحده يمكن للحزب أن يكسب القيادة فى الحرب المعادية لليابان .

انظر مقالة « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » .

(٤) فى ٥ مايو (أيار) ١٩٣٦ ، أرسل الجيش الأحمر برقية مفتوحة الى حكومة نانكين يطالبها فيها بانهاء الحرب الأهلية واجراء مفاوضات السلم مع الشيوعيين بغرض تحقيق الوحدة ضد اليابان . وهذا هو نصها الكامل :

الى المجلس العسكرى لحكومة نانكين الوطنية ، الى جميع القوات البرية والبحرية والجوية ، الى جميع الأحزاب وجميع الجماعات السياسية وجميع المنظمات الشعبية وجميع الصحف والى جميع المواطنين الذين يرفضون أن

يصبحوا عبيدا لأى قطر أجنبى :

ان طليعة الجيش الأحمر الشعبى الصينى المعادية لليابان التى نظمتها اللجنة العسكرية الثورية للجيش الأحمر الصينى ، قد أحرزت الانتصارات فى كل مكان ونالت التأييد من جميع أرجاء البلاد بعد أن عبرت النهر الأصفر فى حملتها نحو الشرق ، الا أنه بعد أن احتلت خط داتونغ - بوتشو الحديدى وأخذت تستعد بنشاط للزحف شرقا الى خبى للاشتباك المباشر مع الامبرياليين اليابانيين ، أرسل تشيانغ كاى شيك أكثر من عشر فرق عسكرية الى شانشى وتعاون مع يان شى شان على عرقلة زحفها لمقاومة الغزاة اليابانيين ، واضافة الى ذلك أمر القوات التى بقيادة تشانغ شيويه ليانغ ويانغ خو تشنغ والقوات التى فى شمالى شنشى بالزحف نحو منطقة شنشى - قانسو الحمراء للهجوم على مؤخرتنا المعادية لليابان . وكان يجب على طليعة الجيش الأحمر الشعبى الصينى المعادية لليابان ، فى سبيل الوصول الى هدف مقاتلة الغزاة اليابانيين مباشرة ، أن تركز كل قواها للقضاء على قوات تشيانغ كاى شيك التى حالت بينها وبين هذا الهدف ، ولكن اللجنة العسكرية الثورية للجيش الأحمر رأت ، بعد أن فكرت مليا ، أن نشوب معركة حاسمة بين الجانبين فى ظروف أزمة الوطن الراهنة سوف لا يؤدى الا الى الاضرار بقوة الصين الدفاعية وافراح الامبرياليين اليابانيين ، سواء انتصر هذا الجانب أو ذلك . وبالاضافة الى هذا فان فى قوات تشيانغ كاى شيك ويان شى شان عددا غير قليل من الضباط والجنود الوطنيين الذين يرغبون فى انهاء الحرب الأهلية وتحقيق الوحدة لمقاومة اليابان ، وقد تصرفوا خلافا لما أوحت به ضمائرهم عندما نفذوا أوامر تشيانغ كاى شيك ويان شى شان باعتراض طريق الجيش الأحمر الذى كان متجها لقتال الغزاة اليابانيين . ولذلك فان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الأحمر ، سحبت الطليعة الشعبية المعادية لليابان الى غرب النهر الأصفر بالرغم من الانتصارات العديدة التى أحرزتها بشانشى وذلك فى سبيل الحفاظ على قوة الصين الدفاعية مما يساعد على تعجيل شن حرب المقاومة ضد اليابان ، وفى سبيل تنفيذ جميع تصريحاتنا الموجهة الى الأمة حول انهاء الحرب الأهلية وتحقيق الوحدة ضد اليابان تنفيذا حازما ، ولأجل حث تشيانغ كاى شيك والضباط والجنود الوطنيين فى جيشه على اليقظة نهائيا . فنحن ، حين نفعل هذا تعبيرا عن صدق نوايانا تجاه حكومة نانكين وتجاه كل قوات البلاد

البرية والبحرية والجوية وتجاه الأمة قاطبة ، انما نستعد لوقف اطلاق النار خلال شهر واحد مع كل القوات المسلحة التى تهاجم الجيش الأحمر المعادى لليابان ، والدخول فى مفاوضات سلم معها فى سبيل انهاء الحرب الأهلية ومقاومة اليابان . ان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الأحمر تنصح هنا هؤلاء السادة فى حكومة نانكين بمهابة : فى هذه اللحظة الحرجة التى تتهدد فيها بلادنا وشعبنا بالدمار المباشر ، عليكم أن تكفوا عن أخطائكم الماضية وأن تضعوا حدا للحرب الأهلية فى كل البلاد وقبل كل شىء فى شنشى وقانسو وشانشى ، بوحى من الحكمة القائلة بأن « الاخوة المتخاصمين فى دارهم لا بد أن يوحدوا قواهم لصد الهجمات الخارجية » ، حتى يعين كل من الجانبين مندوبيه لمناقشة الاجراءات المحددة الهادفة الى مقاومة اليابان وانقاذ الوطن . وسوف يكون هذا سعادة على الأمة والبلاد فضلا عن أنه سيكون فى مصلحتكم الخاصة . ولكن اذا رفضتم بعناد أن تعودوا الى رشدكم وفضلتم أن تكونوا خونة أو عملاء فان حكمكم سوف ينهار فى النهاية وتنبذكم كل الأمة وتطيح بكم بالتأكيد . يقول مثل قديم « اذا أشارت ألف اصبع بالاتهام الى امرئ فانه يموت حتى لو كان مكتمل الصحة » ، بينما يقول مثل آخر « الجزار الذى يلقى سكينه يصبح فورا الها للرحمة » . فنرجوكم أيها السادة أن تتأملوا هذه الكلمات وتتدبروها . وفضلا عن ذلك فان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الأحمر توجه النداء الى جميع المنظمات والأحزاب وكافة أبناء الشعب ، هؤلاء الذين يرفضون أن يصيروا عبيدا لقطر أجنبى ، بأن يدعموا اقتراحنا الخاص بوقف اطلاق النار واجراء مفاوضات السلم وتحقيق الوحدة ضد اليابان ، وبأن ينظموا لجانا من أجل الاسراع فى انهاء الحرب الأهلية ويرسلوا مندوبيهم الى الجبهة لايقاف اطلاق النار من الجانبين ويشرفوا على تطبيق هذا الاقتراح تطبيقا كاملا .

(٥) انظر الملاحظة (٧) فى مقالة « بيان حول بيان تشيانغ كاى شيك » .

(٦) ان شعار « جمهورية شعبية » قد وضع فى « قرار حول الوضع السياسى الراهن ومهمات الحزب » الذى أجازه اجتماع المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥ ، وفى تقرير الرفيق ماو تسى تونغ « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » . وقد اقتضت الظروف فيما بعد من الحزب أن يسلك سياسة اجبار تشيانغ كاى شيك على مقاومة اليابان ، واعتبارا

لأن هذا الشعار ، فى تقدير الحزب ، لا يمكن أن تقبله عصابة تشيانغ كاى شيك ، فقد حوله الحزب الى شعار « جمهورية ديمقراطية » فى رسالته الى الكومينتانغ بتاريخ أغسطس (آب) ١٩٣٦ . ثم وضح شعار « الجمهورية الديمقراطية » بصورة محددة فى « قرار حول الوضع الجديد فى حركة مقاومة اليابان وانقاذ الوطن وحول الجمهورية الديمقراطية » ، هذا القرار الذى أجازته لجنة الحزب المركزية فى سبتمبر (أيلول) من نفس السنة . وبالرغم من أن هذين الشعارين يختلفان شكليا الا أنهما يتفقان من حيث الجوهر . وفيما يلى فقرتان متعلقتان بمسألة الجمهورية الديمقراطية ، مأخوذتان من القرار الذى أجازته لجنة الحزب المركزية فى سبتمبر (أيلول) ١٩٣٦ :

« ترى اللجنة المركزية أنه من الضرورى فى الوضع الراهن رفع شعار " تأسيس جمهورية ديمقراطية " ، لأن ذلك هو أفضل طريقة لتوحيد كل القوى المعادية لليابان من أجل ضمان وحدة أراضى الصين وتفادى وقوع كارثة تؤدى الى دمار الصين واستعباد شعبها ، ولأنه أيضا أنسب شعار لتأسيس جبهة متحدة وضع على أساس المطالب الديمقراطية لدى جماهير الشعب الغفيرة . وان الجمهورية الديمقراطية تعنى ، من ناحية جغرافية ، ديمقراطية أكثر اتساعا من دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية التى تباشر فى جزء من أراضى الصين ، كما تعنى نظاما سياسيا أكثر تقدمية ، الى حد بعيد ، من نظام دكتاتورية الحزب الواحد التى يمارسها الكومينتانغ فى المناطق الرئيسية من الصين . وبفضل هذه الجمهورية سيخلق ضمان أقوى لتطوير المقاومة المسلحة ضد اليابان على نطاق واسع ولاحراز النصر التام فيها . وبالاضافة الى ذلك فان تلك الجمهورية الديمقراطية سوف تمكن أوسع الجماهير الشعبية فى كل الصين من المساهمة فى حياة البلاد السياسية ، مما يرفع وعيهم السياسى ويضاعف من قدرتهم التنظيمية ، لا هذا فحسب ، بل سوف تفسح أيضا للبروليتاريا الصينية وقائدها الحزب الشيوعى مجالا للنشاطات الحرة فى النضال من أجل انتصار الاشتراكية فى المستقبل . ولهذا يعلن الحزب الشيوعى الصينى تأييده الفعال للحركة من أجل قيام الجمهورية الديمقراطية ، كما يعلن أيضا أنه ، حالما يتم قيام الجمهورية الديمقراطية على نطاق الصين كلها وتتم دعوة البرلمان عن طريق الانتخاب العام ، ستصبح المناطق الحمراء جزءا مكملا للجمهورية ، وتنتخب جماهير الشعب فى المناطق الحمراء نوابها الى البرلمان ، ويطبق فيها نفس النظام الديمقراطى . »

«ان اللجنة المركزية تؤكد على أن السبيل الوحيد لدفع حكومة الكومينتانغ فى نانكين الى مقاومة اليابان ، ولخلق الشروط اللازمة لقيام الجمهورية الديمقراطية هو الاستمرار فى توسيع حركة الشعب الصينى من أجل مقاومة اليابان وانقاذ الوطن ، وتوسيع الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التى تضم مختلف الأحزاب والجماعات السياسية والأوساط الاجتماعية والجيوش ، ومضاعفة الدور القيادى السياسى الذى يقوم به الحزب الشيوعى الصينى فى هذه الجبهة ، وتوطيد السلطة السياسية الحمراء والجيش الأحمر الى أبعد الحدود ، وخوض نضال حازم ضد جميع الأقوال والأفعال التى من شأنها أن تنتهك سيادتنا وتذل أمتنا أو تضعف قوى الجبهة الوطنية المتحدة . وان الجمهورية الديمقراطية لا يمكن أن تصبح حقيقة واقعة بدون نضال مرير ومتواصل ، وبدون نهوض الأمة الصينية قاطبة ، وبدون حدوث مد عال للثورة . وفى مجرى النضال من أجل الجمهورية الديمقراطية ، يجب على الحزب الشيوعى الصينى أن يصر على أن تبدأ هذه الجمهورية الديمقراطية بتنفيذ برنامج النقاط العشر لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن الذى اقترحه حزبنا ، وأن تبقى الى أن تحقق المهمات الأساسية للثورة الديمقراطية البرجوازية الصينية تحقيقا تاما .»

(٧) أرسلت هذه البرقية فى ١٠ فبراير (شباط) ١٩٣٧ . وفيما يلى نصها الكامل :

الى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية لحزب الكومينتانغ

أيها السادة :

ان التسوية السلمية لحادثة شيآن قد بعثت السرور والفرح فى نفوس الشعب فى كل البلاد ، وأصبح من الممكن تنفيذ سياسة السلم الداخلى والوحدة والتضامن ضد العدوان الأجنبى منذ الآن فصاعدا ، فهذه هى سعادة للأمة والبلاد . ففى هذه اللحظة التى يعيث فيها الغزاة اليابانيون فسادا ويعلق فيها مصير الأمة الصينية بخيط رفيع ، يأمل حزبنا بحماس أن تتخذ الدورة الكاملة الثالثة للجنة حزبكم المركزية التنفيذية ، بناء على السياسة المذكورة أعلاه ، النقاط التالية كسياسة الأمة : ١) انهاء جميع الحروب الأهلية وتركيز قوى البلاد لمجابهة العدوان الأجنبى بجهود مشتركة ؛ ٢) ضمان حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، واطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين ؛ ٣) دعوة مؤتمر لمندوبى مختلف الأحزاب والجماعات السياسية والأوساط الاجتماعية والجيوش ، وتركيز مواهب الأمة

فى سعى مشترك لانقاذ البلاد ؛ ٤) اتمام كل التحضيرات الرامية الى مقاومة اليابان على وجه السرعة ؛ ٥) تحسين معيشة الشعب . واذا أقرت الدورة الكاملة الثالثة للجنة حزبكم المركزية التنفيذية بحزم النقاط السالفة الذكر كسياسة الأمة ، فان حزبنا يود أن يتعهد لها ، تعبيرا عن اخلاصنا فى التضامن ضد العدوان الأجنبى ، بما يلى : ١) التوقف فى جميع أرجاء البلاد عن سياسة الانتفاضات المسلحة الرامية الى الاطاحة بحكومة الكومينتانغ ؛ ٢) تسمية حكومة العمال والفلاحين الديمقراطية بحكومة المنطقة الخاصة التابعة لجمهورية الصين ، والغاء اسم الجيش الأحمر واعتباره كجزء من الجيش الوطنى الثورى ، وكلاهما يخضع مباشرة لتوجيه الحكومة المركزية فى نانكين ومجلسها العسكرى على التوالى ؛ ٣) تطبيق نظام ديمقراطى شامل يقوم على الانتخاب العام فى المناطق الواقعة تحت ادارة حكومة المنطقة الخاصة ؛ ٤) التوقف عن سياسة مصادرة الأراضى التى يملكها ملاك الأراضى ، وتنفيذ البرنامج المشترك للجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان تنفيذا حازما .

(٨) فى نوفمبر (تشرين الثانى) وديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ ، قامت اضرابات كبيرة اشترك فيها أكثر من ٤٥٫٠٠٠ من العمال فى ٢٦ مصنعا من المصانع اليابانية والمصانع الصينية للغزل والنسيج فى شانغهاى . وفى ديسمبر (كانون الأول) ، أضرب كل العمال فى مصانع الغزل والنسيج التى كان يملكها اليابانيون فى تشينغداو تضامنا معهم . وقد كسب عمال شانغهاى اضرابهم ، فزيدت أجورهم بمقدار ٥ ٪ ابتداء من نوفمبر (تشرين الثانى) ، وتعهد أصحاب العمل بعدم فصل العمال فصلا تعسفيا ، وبعدم ضربهم وشتمهم ، الا أن اضراب العمال فى تشينغداو تعرض لقمع مشاة البحرية اليابانية .

(٩) بدأت بريطانيا والولايات المتحدة فى تغيير موقفهما تجاه اليابان وفرضتا تأثيرهما على السياسة التى تتبعها حكومة تشيانغ كاى شيك تجاه اليابان ، حين تعرضت مصالحهما الامبريالية فى شمالى الصين وأواسطها للضربات المباشرة بعد احتلال الامبريالية اليابانية لشانهايقوان وتوغلها فى شمالى الصين فى عام ١٩٣٣ ، ولا سيما بعد عقد «اتفاقية خه – أوميزو» فى عام ١٩٣٥ . وفى أثناء حادثة شيآن ١٩٣٦ ، دعت بريطانيا الى رفض مطالب اليابان التى تضر بمصالحها فى الصين وحتى انها أوعزت بأنه طالما استطاعت حكومة تشيانغ كاى شيك مواصلة حكمها للشعب الصينى فلا ضرر على هذه الحكومة اذا « شكلت نوعا من التحالف مع الحزب الشيوعى » ،

وذلك من أجل تسديد ضربات لسياسة اليابان العدوانية .

(١٠) فى يونيو (حزيران) ١٩٣٦ وتحت ستار « مقاومة اليابان وانقاذ الوطن » ، أعلن لى تسونغ رن وباى تشونغ شى أميرا الحرب فى قوانغشى ، وتشن جى تانغ أمير الحرب فى قوانغدونغ ، معارضتهم المشتركة لتشيانغ كاى شيك . وفى أغسطس (آب) ، تلاشت معارضتهم أمام تكتيكات تشيانغ كاى شيك — تكتيكات الرشوة وفرق تسد .

(١١) بدأت القوات اليابانية والقوات العميلة غزو سوييوان فى أغسطس (آب) ١٩٣٦ . وفى نوفمبر (تشرين الثانى) ، قاومتها القوات الصينية هناك ، فقام أبناء الشعب فى كل أرجاء البلاد بحركة تأييد لهذه المقاومة .

(١٢) بعد توقيع « اتفاقية خه — أوميزو » فى عام ١٩٣٥ ، اتخذت حكومة الكومينتانغ فى نانكين موقفا حازما نسبيا تجاه اليابان ، تحت ضغط التيار المعادى لليابان الذى ظهر وسط شعب الصين ، وبتأثير التشدد النسبى الذى أظهره الامبرياليون الانجلوأمريكيون فى سياستهم تجاه اليابان . وقد استخدمت حكومة الكومينتانغ أساليب المماطلة والتسويف فى المفاوضات مع اليابان التى جرت بين سبتمبر (أيلول) وديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ ، وبالتالى توقفت المفاوضات دون أى نتيجة .

(١٣) كانت هذه دورة اللجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ ، المنعقدة بنانكين فى ١٥ فبراير (شباط) ١٩٣٧ ، بعد التسوية السلمية لحادثة شيآن .

(١٤) نسبة الى آكيو بطل « قصة آكيو الحقيقية » وهى قصة مشهورة للكاتب الصينى العظيم لو شين . وقد جعل لو شين من بطل القصة مثالا لمن تعودوا على أن يعزوا أنفسهم فى كل ما يتعرضون له من الهزائم والعقبات فى الحياة الواقعية باعتبارها انتصارات روحية لهم .

(١٥) المقصود من مبادئ الشعب الثلاثة لصون يات صن هنا المبادئ والبرنامج الذى وضعه حول الوطنية والديمقراطية ورفاهية الشعب ، وليس نظرته الى العالم أوالنظام النظرى الذى كان يمثله . وقد وافق الشيوعيون فى مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية على النقاط الأساسية فى برنامج صون يات صن وتعاونوا معه ، وهذا الأمر لا يعنى أنهم وافقوا على ما كان يمثله من النظرة الى العالم والنظام النظرى اللذين تمتاز بهما البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ان الشيوعيين الصينيين ، بصفتهم طليعة البروليتاريا الصينية ، يختلفون عن الدكتور صون يات صن اختلافا تاما من حيث النظرة الى العالم والنظام النظرى ومن حيث الموقف النظرى من القضية القومية والقضايا الأخرى .

انظر مقالة الرفيق ماو تسى تونغ « حول الديمقراطية الجديدة » .

(١٦) بعد أن أعاد صون يات صن تنظيم الكومينتانغ فى عام ١٩٢٤ ، أصبح هذا الحزب عبارة عن تحالف ثورى لعدة طبقات ، وقد انخرط فى الكومينتانغ يومذاك عدد من أعضاء الحزب الشيوعى بصفتهم الشخصية . وباشر الكومينتانغ فى جميع أرجاء البلاد ، بعد خيانته للثورة فى عام ١٩٢٧ ، تقتيل الشيوعيين وعدد كبير من اليساريين فى داخل الكومينتانغ الذين كانوا يؤيدون السياسات الكبرى الثلاث للدكتور صون يات صن باخلاص . فسمى الكومينتانغ هذا التقتيل بـ « حملة تطهير الحزب » . ومنذ ذلك الوقت أصبح الكومينتانغ هو الحزب المعادى للثورة والتابع لطبقتى كبار ملاك الأراضى وكبار البرجوازيين .

(١٧) يشير هذا الى الوضع الذى خلقته القيادة الانتهازية السائدة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى النصف الأول من عام ١٩٢٧ .

لنناضل فى سبيل كسب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان

(٧ مايو – أيار – ١٩٣٧)

أيها الرفاق ! بعد المناقشة التى دارت فى الأيام القليلة الماضية ، وافقتم ، باستثناء رفاق قلائل قدموا آراء مغايرة ، على تقريرى : « مهمات الحزب الشيوعى الصينى فى مرحلة مقاومة اليابان » . و نظرا لأن آراءهم المغايرة تحمل بعض الأهمية فانى سأناقش هذه الآراء أولا فى خطابى الختامى ، ثم أنتقل الى بعض القضايا الأخرى .

مسألة السلم

قد ناضل حزبنا فى سبيل السلم الداخلى طوال ما يقارب السنتين . وقلنا بعد الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ ان السلم قد

هذا هو الخطاب الختامى الذى ألقاه الرفيق ماو تسى تونغ فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعى الصينى ، المنعقد فى مايو (أيار) ١٩٣٧ .

تحقق ، وان مرحلة « الكفاح فى سبيل السلم » قد انتهت ، وان المهمة الجديدة هى « توطيد السلم » ، وأشرنا كذلك الى أن هذه المهمة مرتبطة بـ « الكفاح فى سبيل الديمقراطية » — توطيد السلم عن طريق الكفاح فى سبيل الديمقراطية . بيد أن رأينا هذا عقيم من وجهة نظر بضعة رفاق . فلا بد أن يكون استنتاجهم اما رأيا معارضا لرأينا واما رأيا يتخذ موقفا وسطا مترددا بين الرأيين . اذ يقولون « ان اليابان قد تراجعت(١) ، ونانكين صارت تتذبذب أكثر من ذى قبل ، والتناقضات القائمة بين الدولتين أخذت تضعف ، بينما التناقضات داخل البلاد أخذت تحتدم . » وليس هناك طبعا ، وفقا لهذا التقدير ، شىء اسمه المرحلة الجديدة أو المهمة الجديدة ، وكل ما هنالك هو أن الوضع قد عاد الى مرحلته القديمة ، أو أصبح أسوأ مما كان فى المرحلة القديمة . وفى اعتقادى أن هذا الرأى خاطىء .

فحين قلنا ان السلم قد تم تحقيقه ، لم نكن نعنى أنه قد توطد ، بل على عكس ذلك ، نقول انه لم يتوطد . ان تحقق السلم وتوطده أمران مختلفان . وقد يقلب التاريخ مسيره لفترة من الزمن ويتعرض السلم لانتكاسات بسبب وجود الامبريالية اليابانية والخونة والزمرة الموالية لليابان . غير أن السلم الداخلى قد تحقق بعد حادثة شيآن ، وهذا أمر واقعى ناجم عن عوامل متعددة (سياسة اليابان الأساسية القائمة على الغزو ، تأييد السلم الداخلى فى الصين من جانب الاتحاد السوفياتى ومن جانب بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا ، الضغط من قبل الشعب الصينى ، سياسة الحزب الشيوعى الداعية للسلم أثناء حادثة شيآن وسياسته لانهاء العداء بين السلطتين ، الانشقاق فى معسكر البرجوازية ، والانشقاق داخل الكومينتانغ . . الخ) ، ولا يستطيع تشيانغ كاى شيك أن يحقق وحده السلم أو ينسفه . فلا بد له ، كى ينسف السلم ، من النضال ضد قوى عديدة والانحياز الى جانب الامبريالية اليابانية والزمرة الموالية لها .

ومما لا ريب فيه أن الامبريالية اليابانية والزمرة الموالية لها لا تزالان تسعيان الى اطالة الحرب الأهلية فى الصين . ولهذا السبب بالذات فان السلم لم يوطد بعد . وان الاستنتاج الذى توصلنا اليه فى هذه الظروف ليس العودة الى « انهاء الحرب الأهلية » أو « الكفاح فى سبيل السلم » من الشعارات القديمة ، بل هو التقدم خطوة أخرى الى الأمام وتبنى الشعار الجديد : « الكفاح فى سبيل الديمقراطية »، وبهذه الطريقة وحدها نستطيع أن نوطد السلم ونحقق المقاومة المسلحة ضد اليابان . ولماذا نتقدم بهذا الثالوث من الشعارات — « توطيد السلم » و« الكفاح فى سبيل الديمقراطية » و « تحقيق المقاومة المسلحة ضد اليابان » ؟ الاجابة على ذلك هى أننا نريد أن ندفع عجلة ثورتنا خطوة الى الأمام ، وأن الظروف قد أصبحت تسمح لنا بأن نحقق ذلك . واذا أنكرنا المرحلة الجديدة والمهمة الجديدة ، واذا أنكرنا أن الكومينتانغ قد « بدأ يتبدل » ، و لا مفر لنا حينئذ ، كنتيجة منطقية لذلك ، من انكار المنجزات التى حققتها جميع القوى المناضلة من أجل السلم خلال السنة ونصف السنة الأخيرتين ، فاننا سنبقى فى نفس موضعنا السابق دون أن نتقدم الى الأمام ولو خطوة واحدة .

لماذا توصل هؤلاء الرفاق الى هذا التقدير الخاطىء ؟ ان السبب فى ذلك هو أنهم لا ينطلقون فى دراسة الوضع الراهن من النقاط الأساسية بل من عدد كبير من الظواهر الجزئية والعابرة (دبلوماسية ساتو ، محاكمة سوتشو(٢) ، كبت الاضرابات ، نقل جيش الشمال الشرقى نحو الشرق(٣) ، ورحلة الجنرال يانغ خو تشنغ الى الخارج(٤) .. الخ) ولذلك رسموا صورة متشائمة عن الوضع . اننا نقول ان الكومينتانغ قد بدأ يتبدل ، لكننا نقول فى نفس الوقت ان الكومينتانغ لم يتبدل بعد بصورة كلية . وانه مما لا يتصوره العقل أن تتبدل السياسة الرجعية التى اتبعها الكومينتانغ طوال السنوات العشر الأخيرة ، بصورة كلية دون بذل أية جهود جديدة أى دون بذل جهود أكثر وأعظم من

جانبنا ، ومن جانب الشعب . وان عددا غير قليل من الناس المعروفين بـ « اليسارية » يصفون دائما الكومينتانغ بأقبح الألفاظ وكانوا ينادون أثناء حادثة شيآن باعدام تشيانغ كاى شيك و بـ « الزحف الى خارج ممر تونغقوان »(٥)، ولكن حين جرت بعض الأحداث مباشرة بعد تحقق السلم مثل محاكمة سوتشو أخذوا يتساءلون فى دهشة واستغراب « لماذا عاد تشيانغ كاى شيك يرتكب مثل هذه الأعمال ؟ » يجب على هؤلاء أن يفهموا أن الشيوعيين ليسوا آلهة وكذلك تشيانغ كاى شيك ، والأكثر من ذلك أنهم ليسوا أفرادا منعزلين ، بل ينتسب كل منهم الى حزب أو طبقة . وان للحزب الشيوعى القدرة على دفع الثورة الى الأمام خطوة فخطوة ، لكنه لا يملك القدرة على تنظيف البلاد من جميع الشرور بين عشية وضحاها . ولقد شرع تشيانغ كاى شيك والكومينتانغ يتبدلون ، لكنه من المؤكد أنهم لا يستطيعون ، اذا لم تبذل جهود أعظم من قبل الشعب بأسره ، أن يغسلوا ، بين عشية وضحاها ، كل الأوساخ المتراكمة فى السنوات العشر الماضية . واننا حين نقول ان الحركة تتجه نحو السلم والديمقراطية والمقاومة المسلحة ضد اليابان ، فاننا لا نعنى بهذا أن الحرب الأهلية والدكتاتورية وعدم المقاومة ، كل هذه الآفات القديمة ، يمكن جرفها تماما دونما أدنى جهد . ان الآفات القديمة والأوساخ المتراكمة لا يمكن اكتساحها ، والانتكاسات فى مجرى الثورة والتراجع المحتمل فيه لا يمكن تجنبها الا بواسطة النضال والعمل الشاق ، وخلال فترة طويلة من الزمن أيضا .

« ان همهم الوحيد هو تدميرنا » . أجل ، انهم يحاولون على الدوام أن يدمرونا . اننى أعترف تماما بصحة هذا التقدير ، ومن لم يضع هذه النقطة فى تقديره فهو أشبه بمن يغط فى نوم عميق . بيد أن المسألة هى ما اذا كان قد طرأ تبدل على أسلوبهم فى التدمير أم لا . وانى لأعتقد أن مثل هذا التبدل

قد وقع وهو التحول من سياسة الحرب والتذبيح الى سياسة الاصلاح والتضليل ، ومن سياسة الشدة الى سياسة اللين ، ومن الوسائل العسكرية الى الوسائل السياسية. ولماذا طرأ مثل هذا التبدل ؟ ان البرجوازية والكومينتانغ اللذين تجابههما الامبريالية اليابانية لا يستطيعان الا البحث موقتا عن حليف فى البروليتاريا ، مثلما نبحث نحن عن حليف فى البرجوازية . هذه هى النقطة التى ينبغى أن ننطلق منها حين ننظر الى الأمور . وعلى الصعيد الدولى ، انقلبت الحكومة الفرنسية للسبب نفسه من العداوة تجاه الاتحاد السوفياتى الى التحالف معه(٦) . وقد تبدلت مهماتنا فى الداخل من مهمات عسكرية الى مهمات سياسية أيضا . وليست بنا حاجة الى التآمر والخداع ، ان هدفنا هو الاتحاد مع جميع أولئك الذين يعطفون على قضية مقاومة اليابان من صفوف البرجوازية والكومينتانغ ، لكى نهزم ، بالتضامن معهم ، الامبريالية اليابانية .

مسألة الديمقراطية

« من الخطأ التشديد على الديمقراطية ، والواجب هو التشديد على مقاومة اليابان فحسب ؛ ولا يمكن أن تكون ثمة حركة ديمقراطية بدون عمل مباشر ضد اليابان ؛ فغالبية الناس تريد مقاومة اليابان من دون الديمقراطية ، وما نحتاج اليه هو قيام حركة أخرى كحركة ٩ ديسمبر (كانون الأول) . »

اسمحوا لى أولا بأن أطرح بعض الأسئلة : أيمكن القول بأن غالبية الناس ، فى المرحلة الماضية (من حركة ٩ ديسمبر – كانون الأول – ١٩٣٥ حتى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ فى فبراير – شباط – ١٩٣٧) ، كانت تريد مقاومة اليابان فقط من دون السلم الداخلى ؟ أكان من الخطأ التشديد على السلم الداخلى فى الماضى؟ أيستحيل أن تقوم حركة من

أجل السلم الداخلى بدون عمل مباشر ضد اليابان (ان حادثة شيآن والدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ قد وقعتا بالضبط بعد انتهاء حرب المقاومة ضد اليابان فى سوييوان ، ولم يحدث حتى الآن شيء مماثل لحرب المقاومة ضد اليابان فى سوييوان أو لحركة ٩ ديسمبر – كانون الأول) ؟ الكل يعلم أن السلم الداخلى ضرورى من أجل مقاومة اليابان ، وأنه لا يمكن المقاومة بدون السلم ، وأن السلم هو شرط المقاومة . ان جميع النشاطات المعادية لليابان ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، فى المرحلة السابقة (التى بدأت بحركة ٩ ديسمبر – كانون الأول – وانتهت بالدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكومينتانغ) كانت متمركزة حول الكفاح من أجل السلم الداخلى ، لقد كان السلم الداخلى الحلقة المركزية فى المرحلة السابقة والشيء الجوهرى الأول لحركة المقاومة فيها .

وكذلك شأن الديمقراطية ، فهى الشيء الجوهرى الأول بالنسبة الى مقاومة اليابان فى المرحلة الجديدة ، والعمل من أجل الديمقراطية هو عمل من أجل المقاومة ضد اليابان . وان كلا من مقاومة اليابان والديمقراطية يشكل شرطا لوجود الآخر ، تماما كما يشكل كل من مقاومة اليابان والسلم شرطا لوجود الآخر ، وكذلك شأن الديمقراطية والسلم . ان الديمقراطية هى ضمانة المقاومة ضد اليابان ، بينما المقاومة ضد اليابان تخلق الظروف الملائمة لتطور الحركة الديمقراطية .

اننا نرجو أن يقوم – ولسوف يقوم بالفعل – عديد من النضالات المباشرة وغير المباشرة ضد اليابان فى المرحلة الجديدة ، ولسوف تدفع هذه النضالات حرب المقاومة ضد اليابان وتقدم مساعدة كبرى للحركة الديمقراطية . بيد أن نواة وجوهر المهمة الثورية التى أسندها التاريخ الينا هى الكفاح فى سبيل الديمقراطية . « الديمقراطية » ، فهل من الخطأ أن نشدد على « الديمقراطية » ؟

لا أعتقد ذلك .

« ان اليابان تراجعت ، وبريطانيا واليابان تتجهان نحو توازن فيما بينهما ، ونانكين ازدادت تذبذبا . » هذا قلق لا مبرر له نشأ من الجهل بقوانين التطور التاريخى . لو أن اليابان تراجعت حقا بسبب ثورة اندلعت فيها ، فقد كان ذلك يعود بالفائدة على الثورة الصينية ، وذلك ما نرجوه ، وهو دلالة على بداية انهيار جبهة العدوان العالمية ، فما الذى يدعو الى القلق والحالة هذه ؟ ولكن الحقيقة أن الوضع الراهن ليس كذلك ، فان دبلوماسية ساتو هى تمهيد لحرب كبرى ، وان حربا كبرى لتواجهنا . ولن تستطيع بريطانيا أن تكسب شيئا من وراء سياسة التذبذب التى تنتهجها ، وهذا ما يقرره تعارض مصالح بريطانيا واليابان . واذا تذبذبت نانكين طويلا ، فسوف تصبح عدوة الشعب فى كل أرجاء البلاد ، وهو أمر لن تسمح به مصالحها الخاصة . وان ظاهرة التقهقر الموقت لا يمكن أن تغير قوانين التاريخ العامة . ولذا لا يمكن انكار وجود المرحلة الجديدة ولا وجوب تحديد مهمة النضال من أجل الديمقراطية . وفضلا عن ذلك ، فان شعار الديمقراطية هو ملائم فى أى حال من الأحوال ، اذ أن نقص الديمقراطية وليس زيادتها هو ما يشكو منه الشعب الصينى ، وهذا معلوم للجميع . ولنضف الى ذلك أن الظروف الواقعية قد بينت أن تحديد المرحلة الجديدة وتحديد مهمة الديمقراطية يشكلان خطوة نحو المقاومة المسلحة . ان الوضع قد تقدم الى الأمام ، فلا ينبغى أن نحاول جره الى الوراء .

« لم التشديد على الجمعية الوطنية ؟ » لأنها قد تؤثر على الحياة بجميع نواحيها ، ولأنها الجسر الذى يؤدى من الدكتاتورية الرجعية الى الديمقراطية ، ولأنها شىء متصل بالدفاع الوطنى ، وكذلك هيئة شرعية . ان استرداد شرقى خبى وشمالى تشاهار ، ومكافحة أعمال التهريب(٧) ،

ومعارضة « التعاون الاقتصادى » (٨) .. الخ ، كل هذه ، كما اقترح عدد من الرفاق ، أمور صحيحة تماما ، لكنها لا تتناقض فى أى حال من الأحوال مع مهمة الديمقراطية والجمعية الوطنية . ان كلا الأمرين يكمل أحدهما الآخر ، غير أن الشيء المركزى هو الجمعية الوطنية وحريات الشعب .

وانه لأمر صحيح تماما ولا جدال فيه أن ننسق بين النضال اليومى ضد اليابان ونضال الشعب من أجل معيشته وبين الحركة الديمقراطية ، بيد أن الشيء المركزى والجوهرى فى المرحلة الحاضرة هو الديمقراطية والحرية .

مسألة مستقبل الثورة

لقد طرح بضعة رفاق هذه المسألة ، ولا يسعنى هنا الا أن أجيب عليها بايجاز .

اذا كانت المقالة تتألف من قسمين ، فانه لا يمكن تأليف قسمها الثانى الا بعد انجاز قسمها الأول . وان القيادة الحازمة للثورة الديمقراطية هى شرط لكسب انتصار الاشتراكية . اننا نناضل من أجل الاشتراكية ، وهذا ما يميزنا عن جميع أنصار مبادئ الشعب الثلاثة الثورية . وان جهدنا الحاضر موجه نحو الهدف العظيم فى المستقبل ، واذا غاب هذا الهدف عن نظرنا فلن نظل شيوعيين اذن . لكننا اذا تراخينا فى جهدنا الحاضر ، فلن نكون كذلك شيوعيين .

اننا من دعاة النظرية القائلة بتحول الثورة(٩) ، ندعو الى تحول الثورة الديمقراطية نحو الاشتراكية . ان الثورة الديمقراطية ستجتاز مراحل عديدة من التطور ، وجميعها تحت شعار الجمهورية الديمقراطية . وان الانتقال من تفوق قوى البرجوازية الى تفوق قوى البروليتاريا سيكون عملية طويلة

من النضال ، عملية من النضال من أجل كسب القيادة ، وسيتم ذلك بالاعتماد على عمل الحزب الشيوعى فى سبيل رفع مستوى الوعى السياسى والمستوى التنظيمى لكل من البروليتاريا وطبقة الفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن .

ان الحليف المتين للبروليتاريا هو طبقة الفلاحين ، وتأتى بعدها البرجوازية الصغيرة فى المدن ، وان البرجوازية هى التى تنازعنا القيادة .

وان التغلب على تذبذب البرجوازية وعدم مثابرتها على الثورة يعتمد على قوة الجماهير وصواب سياستنا ، والا فسينقلب الوضع وتتغلب البرجوازية على البروليتاريا .

وما نرجوه هو أن يتحقق هذا التحول من دون اراقة الدماء ، وهذا ما يجب أن نناضل فى سبيله بعزم ، أما النتيجة فهى متوقفة على قوة الجماهير .

اننا دعاة نظرية تحول الثورة ، لكن لسنا من دعاة النظرية التروتسكية عن « الثورة الدائمة »(١٠) . واننا ننادى بالوصول الى الاشتراكية عبر جميع المراحل الضرورية للجمهورية الديمقراطية . اننا نعارض الذيلية ، لكننا نعارض أيضا المغامرة وداء التسرع .

ان رفض مساهمة البرجوازية فى الثورة بحجة أن هذه المساهمة ذات صفة موقتة ، ووصف الاتحاد مع الجماعة المقاومة لليابان من البرجوازية (فى بلد شبه مستعمر) بأنه استسلامية ، هو وجهة نظر تروتسكية ونحن لا نوافق عليها . ان مثل هذا الاتحاد اليوم هو بالضبط الجسر الذى لا بد لنا من عبوره فى طريقنا نحو الاشتراكية .

مسألة الكوادر

لا بد ، فى سبيل توجيه ثورة عظمى ، من وجود حزب عظيم وعدد كبير

من خيرة الكوادر . وانه ليستحيل القيام بثورة عظمى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، فى الصين البالغ عدد سكانها ٤٥٠ مليون نسمة اذا تولت قيادتها جماعة متعصبة قليلة العدد ، أو اذا لم يكن فى الحزب الا قادة وكوادر ضيقو الأفق قصيرو النظر عديمو الكفاءة . ولقد كان الحزب الشيوعى الصينى حزبا سياسيا كبيرا منذ زمن طويل ، وعلى الرغم من الخسائر التى تكبدها فى فترة الرجعية ، فانه لا يزال حزبا سياسيا كبيرا يملك عددا كبيرا من القادة والكوادر الممتازين ، لكن عددهم لا يكفى بعد . ويجب على حزبنا أن ينشر منظماته حتى تشمل جميع أنحاء البلاد ، وأن يربى ، عن قصد ، عشرات الألوف من الكوادر ، ومئات عديدة من خيرة القادة للجماهير . ويجب أن يكون هؤلاء الكوادر والقادة ملمين بالماركسية اللينينية ، ومتمتعين ببعد النظر السياسى والكفاءة فى العمل ، وأن يكونوا مشبعين بروح التضحية ، قادرين على حل المشاكل بصورة مستقلة ، لا يتزعزعون أمام المصاعب ، بل يعملون بكل اخلاص وولاء من أجل الأمة والطبقة والحزب . وبالاعتماد على هؤلاء يرتبط الحزب بأعضائه وبالجماهير ، وبالاعتماد على قيادتهم القوية للجماهير يحقق الحزب غايته فى قهر العدو . كما أنه يجب على هؤلاء الكوادر والقادة أن يكونوا منزهين عن الأنانية والبطولة الفردية وحب الظهور والكسل والتهاون والتعصب المتصف بالصلف والكبرياء ، بل يجب أن يكونوا أبطالا مخلصين متفانين فى سبيل الأمة والطبقة — هذه هى الصفات وأساليب العمل التى يجب أن تتوفر فى أعضاء الحزب الشيوعى وكوادره وقادته . وهذا هو بالضبط الميراث الروحى الذى خلفه لنا عشرات الألوف من أعضاء حزبنا ، والألوف من كوادرنا ، والعشرات من خيرة قادتنا ، الذين قد وهبوا للقضية حياتهم . ومما لا يتطرق اليه الشك أن من واجبنا اكتساب هذه الصفات لكى نعيد تكوين أنفسنا بشكل أفضل ونترقى بأنفسنا الى مستوى

ثورى أعلى . بيد أن هذا لا يكفى ، بل يجب علينا أن نكتشف ، كمهمة لنا ، عددا كبيرا من الكوادر والقادة الجدد فى الحزب كله والبلاد بأسرها . ان ثورتنا تعتمد على الكوادر ، بالضبط كما قال ستالين : « الكوادر يقررون كل شيء . »(١١)

مسألة الديمقراطية داخل الحزب

ومن أجل تحقيق هدفنا هذا لا بد من وجود الديمقراطية داخل الحزب . واذا أردنا جعل الحزب قويا ، فعلينا أن نعتمد على ممارسة نظام المركزية الديمقراطية فى الحزب لالهاب حماس الحزب بأسره . لقد مارسنا نظام المركزية أكثر فى فترة الرجعية والحرب الأهلية . وفى الفترة الجديدة يجب أن يرتبط نظام المركزية بنظام الديمقراطية ارتباطا وثيقا . يجب اظهار حماس الحزب كله عن طريق ممارسة نظام الديمقراطية . وعن طريق اظهار حماس الحزب كله يتم صقل عدد كبير من الكوادر وتصفية بقايا النزعة الانعزالية ليتحد الحزب كله فى وحدة فولاذية .

وحدة المؤتمر ووحدة كل الحزب

ان تعارض الآراء حول القضايا السياسية الذى ظهر فى هذا المؤتمر قد انتهى الى اتفاق فى الآراء بعد أن شرحنا هذه القضايا ؛ وقد سبق أن حل ذلك الخلاف القديم بين خط اللجنة المركزية وخط التراجع الذى كان يتبناه بعض الرفاق(١٢) ، وهذا دليل على أن حزبنا قد أصبح وطيد الوحدة لدرجة بعيدة . وان مثل هذه الوحدة هى الأساس الأهم للثورة الوطنية

والديمقراطية الراهنة ، لأن وحدة الطبقة كلها ووحدة الأمة بأسرها لا يمكن أن تتحققا الا بوحدة الحزب الشيوعى ، كما أن الانتصار على العدو وانجاز مهمات الثورة الوطنية والديمقراطية لا يمكن أن يتحققا الا بوحدة الطبقة كلها ووحدة الأمة بأسرها .

لنناضل فى سبيل كسب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان

ان الهدف من اتجاهنا السياسى الصحيح ووحدتنا المتينة هو كسب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان . وان الجماهير الواسعة من البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن فى حاجة الى قيامنا بأعمال الدعاية والاثارة والتنظيم بينهم ، كما أن من واجبنا بذل المزيد من الجهود لتشكيل تحالف مع الجماعة المناهضة لليابان من البرجوازية . ولكى نحول سياسة الحزب الى سياسة الجماهير لا بد لنا أن نواصل بذل جهود جبارة مضنية فترة طويلة من الزمن بعزيمة لا تتزعزع وبصبر لا يعرف الملل . ولن نستطيع بدون مثل هذه الجهود أن نحقق أى نجاح . وان تشكيل الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان وتوطيدها وانجاز مهماتها ، واقامة جمهورية ديمقراطية فى الصين ، ان هذه الأشياء كافة لا يمكن أن تنفصل فى حال من الأحوال عن جهودنا المستهدفة لكسب الجماهير . واذا استطعنا بواسطة هذه الجهود كسب عشرات الملايين من الجماهير وجعلها تسير تحت قيادتنا ، فان مهمتنا الثورية ليمكن اذن أن تتحقق بسرعة . من المؤكد أننا سندحر بواسطة جهودنا الامبريالية اليابانية ، ونحقق التحرر الوطنى والاجتماعى الكامل .

ملاحظات

(١) بعد حادثة شيآن ، اتخذ الامبرياليون اليابانيون فى الظاهر وبصورة موقتة موقفا معتدلا لكى يدفعوا سلطات الكومينتانغ الى تمزيق السلم الداخلى فى الصين الذى كان قد بدأ يتحقق وقتذاك ، وشق الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التى كانت على قيد التشكل . فقد حرض الغزاة اليابانيون الحكومة الصورية ذات الاستقلال الذاتى فى منغوليا الداخلية ، على ارسال برقيتين احداهما فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ والأخرى فى مارس (آذار) ١٩٣٧ ، الى حكومة الكومينتانغ فى نانكين عبرت فيهما عن ولائها لها . وعمد ساتو وزير الخارجية اليابانية الى التودد الى تشيانغ كاى شيك مدعيا بأن اليابان ستحسن علاقتها مع الصين وتساعدها فى تحقيق وحدتها ونهضتها . وزيادة على ذلك فقد زارت الصين « بعثة التحقيق فى الوضع الاقتصادى » المزعومة برئاسة أحد عمالقة الرأسمال اليابانيين كنجى كاداما ، بدعوى مساعدة الصين فى « اكمال تنظيم دولة معاصرة » . وكانت هذه السلسلة من المؤامرات العدوانية هى بالذات ما يدعى « دبلوماسية ساتو » و« تراجع اليابان » كما كان يعتقد بعض الأشخاص المخدوعين بهذه الظواهر الكاذبة .

(٢) فى ابريل (نيسان) ١٩٣٧ رفع المدعى العمومى فى محكمة الكومينتانغ العليا فى سوتشو « دعوى » على شن جيون رو والستة الآخرين الذين كانوا يقودون حركة المقاومة ضد اليابان وانقاذ الوطن فى شانغهاى ، والذين اعتقلتهم حكومة الكومينتانغ فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٦ ، وقد حوكموا بتهمة ما يسمى بـ « تعريض سلامة الجمهورية للخطر » وهى النغمة الرجعية التى عهدناها فى الكومينتانغ الذى كان يتهم دائما جميع الحركات الوطنية بأنها « تعرض سلامة الجمهورية للخطر » .

(٣) كان جيش الشمال الشرقى معسكرا ، قبيل حادثة شيآن ، على التخوم بين شنشى وقانسو ، وكان على اتصال مباشر مع الجيش الأحمر فى شمالى شنشى . ولذلك تأثر بالجيش الأحمر تأثرا بالغا فقام بحادثة شيآن . وفى مارس (آذار) ١٩٣٧ أمره الرجعيون الكومينتانغيون قهرا بالتحرك شرقا الى خنان وآنخوى ، وذلك لقطع اتصاله بالجيش الأحمر ولاستغلال هذه الفرصة لزرع الشقاق فى صفوفه .

(٤) يانغ خو تشنغ قائد عسكرى فى شمال غربى الصين قام بحادثة شيآن بالاشتراك مع تشانغ شيويه ليانغ ، ولذا كانا يذكران معا بـ « تشانغ — يانغ » .

وبعد اطلاق سراح تشيانغ كاى شيك رافقه تشانغ شيويه ليانغ الى نانكين ، فاعتقل الأخير فى الحال من قبل تشيانغ كاى شيك . أما يانغ خو تشنغ فقد أبعد عن منصبه وأجبر على مغادرة البلاد من ، رجعيى الكومينتانغ فى ابريل (نيسان) ١٩٣٧ . وحين بدأت حرب المقاومة ضد اليابان رجع يانغ الى الصين لتأدية خدماته فى مقاومة اليابان ، لكنه اعتقل أيضا من قبل تشيانغ كاى شيك وظل معتقلا حتى قتل بأمر تشيانغ كاى شيك فى أحد المعتقلات فى سبتمبر (أيلول) ١٩٤٩ حين اقترب جيش التحرير الشعبى من تشونغتشينغ .

(٥) يعتبر ممر تونغقوان مدخلا ذا أهمية استراتيجية يقع على ملتقى تخوم شنشى وخنان وشانشى . وحين وقعت حادثة شيآن ، كانت وحدات جيش الكومينتانغ معسكرة بصورة رئيسية شرق هذا الممر . وكان بعض الناس المعروفين بـ « اليسارية » (ومن بينهم تشانغ قوه تاو) ينادون بأن من واجب الجيش الأحمر أن « يزحف الى خارج ممر تونغقوان » ، وكانوا يعنون بذلك شن هجوم على وحدات الكومينتانغ . وكان هذا الرأى يخالف سياسة لجنة الحزب المركزية الداعية الى التسوية السلمية لحادثة شيآن .

(٦) استمرت الامبريالية الفرنسية فى ممارسة السياسة المعادية للاتحاد السوفياتى زمنا طويلا بعد ثورة أكتوبر (تشرين الأول) فى روسيا . وقد ساهمت الحكومة الفرنسية بنشاط بعد ثورة أكتوبر بوقت قصير ، فى التدخل المسلح الذى قامت به أربع عشرة دولة ضد الاتحاد السوفياتى ما بين ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، وواصلت سياستها الرجعية الرامية الى عزل الاتحاد السوفياتى حتى بعد فشل هذا التدخل . ولم توقع فرنسا معاهدة مساعدة متبادلة مع الاتحاد السوفياتى الا فى مايو (أيار) ١٩٣٥ ، بسبب التأثير الذى تركته السياسة الخارجية السلمية للاتحاد السوفياتى فى الشعب الفرنسى وتحت تهديد ألمانيا الفاشية لفرنسا ، ولكن الحكومة الفرنسية الرجعية لم تنفذ هذه المعاهدة باخلاص فيما بعد .

(٧) يقصد تهريب البضائع اليابانية الى الصين – المعرب .

(٨) « التعاون الاقتصادى » هو شعار قدمته الامبريالية اليابانية بهدف تحقيق نهبها وعدوانها الاقتصادى على الصين – المعرب .

(٩) راجع ماركس وانجلز : « البيان الشيوعى » ، القسم الرابع ، ولينين : « تكتيكان للحزب الاشتراكى الديمقراطى فى الثورة الديمقراطية » ، القسمين الثانى عشر والثالث عشر ، وراجع « موجز تاريخ الحزب الشيوعى (البلشفيك) فى

الاتحاد السوفياتى » ، الفصل الثالث ، المبحث الثالث .

(١٠) راجع ستالين : « أسس اللينينية » ، القسم الثالث ، و« ثورة أكتوبر وتكتيك الشيوعيين الروس » ، القسم الثانى ، و« حول قضايا اللينينية » ، القسم الثالث .

(١١) انظر الكلمة التى ألقاها ستالين فى حفلة تخريج طلبة أكاديميات الجيش الأحمر فى مايو (أيار) ١٩٣٥ حيث قال : « ان الناس والكوادر ، هم الرأسمال الأعظم قيمة وأهمية من بين جميع رؤوس الأموال القيمة التى يملكها العالم. وينبغى أن يكون مفهوما أن " الكوادر يقررون كل شىء " فى ظروفنا الحاضرة . »

(١٢) اشارة الى الخلاف الذى كان قائما خلال العامين ١٩٣٥ – ١٩٣٦ بين خط لجنة الحزب المركزية وخط التراجع الذى كان يتبناه تشانغ قوه تاو . راجع الملاحظة (٢٣) فى مقالة « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » . ويقصد الرفيق ماو تسى تونغ بقوله : « وقد سبق أن حل ذلك الخلاف القديم . . . » ، لقاء جيش الجبهة الرابعة من الجيش الأحمر بوحدات الجيش الأحمر المركزى . أما خيانة تشانغ قوه تاو المكشوفة للحزب وانحطاطه الى عنصر معاد للثورة فيما بعد ، فقد كان عملا من أعمال الخيانة الشخصية ، وليست له علاقة بالخط القيادى .

في الممارسة العملية

في العلاقة بين المعرفة والممارسة العملية — العلاقة بين المعرفة والعمل

(يوليو — تموز — ١٩٣٧)

كانت المادية قبل ماركس تنظر الى قضية المعرفة بمنأى عن طبيعة الانسان الاجتماعية وبمعزل عن تطوره التاريخي ، ولذلك لم يكن فى مقدورها أن تدرك تبعية المعرفة للممارسة العملية الاجتماعية ، أى تبعية المعرفة للانتاج والصراع الطبقى .

أما الماركسيون فيعتبرون أولا وقبل كل شيء أن نشاط الانسان فى الانتاج يشكل أهم نشاطاته العملية الأساسية ويقرر نشاطاته الأخرى . فالانسان ،

كان فى حزبنا رفاق من ذوى نزعة الجمود العقائدى ظلوا فترة طويلة من الزمن يرفضون تجربة الثورة الصينية ، منكرين الحقيقة التالية : « الماركسية ليست عقيدة جامدة بل هى مرشد للعمل » ، فكانوا يقنعون بالتقاط شذرات من نصوص الكتب الماركسية دون أن يهضموها ، ليهولوا بها على الناس . وكذلك كان هناك رفاق آخرون من ذوى النزعة التجريبية ظلوا خلال فترة طويلة من الزمن يحصرون أنفسهم فى محيط تجاربهم الشخصية الجزئية فكانوا لا يدركون ما للنظرية من أهمية بالنسبة الى الممارسة العملية

بالاعتماد بصورة رئيسية على نشاطه فى الانتاج المادى ، يتفهم تدريجيا ظواهر الطبيعة وخصائصها والقوانين التى تتحكم فيها ، والعلاقة بين الانسان وبين الطبيعة ؛ وكذلك يتفهم تدريجيا وعلى درجات متفاوتة عن طريق نشاطه فى الانتاج ما يربط بين الانسان والانسان من علاقات معينة . ولا يمكنه الحصول على أى معرفة من هذه المعارف بمعزل عن النشاط فى الانتاج . ففى المجتمع اللاطبقى يتعاون كل امرىء ، بوصفه فردا من المجتمع ، مع أفراد المجتمع الآخرين ويرتبط معهم بعلاقات انتاج معينة ويسهم فى النشاط الانتاجى من أجل حل مشكلة حياة الانسان المادية . أما فى مختلف المجتمعات الطبقية فان أفراد المجتمع من مختلف الطبقات يرتبطون فيما بينهم كذلك بعلاقات انتاج معينة بأشكال مختلفة ويباشرون النشاط الانتاجى من أجل حل مشكلة حياة الانسان المادية . وهذا هو المصدر الأساسى لتطور المعرفة البشرية .

ان الممارسة العملية التى يباشرها الانسان فى المجتمع لا تقتصر على شكل النشاط الانتاجى وحده ، بل تتخذ أشكالا أخرى عديدة — الصراع الطبقى

الثورية ، ولا يرون الوضع العام للثورة ، وبالتالى كانوا يعملون على غير هدى رغم أنهم يبذلون فى العمل الجهود المضنية . وقد سببت الأفكار الخاطئة لهذين الفريقين من الرفاق ولا سيما أفكار أصحاب الجمود العقائدى خسائر جسيمة للثورة الصينية خلال أعوام ١٩٣١ — ١٩٣٤ ، ولكن أصحاب الجمود العقائدى كانوا يرتدون معطف الماركسية ، لذلك استطاعوا أن يضللوا كثيرا من الرفاق . وكتب الرفيق ماو تسى تونغ مقالة « فى الممارسة العملية » هذه ليفضح ، انطلاقا من وجهة النظر الماركسية حول المعرفة ، هذه الأخطاء ذات النظرة الذاتية فى الحزب التى تتمثل فى نزعة الجمود العقائدى والنزعة التجريبية وعلى الأخص فى نزعة الجمود العقائدى . وقد وضع للمقالة عنوان « فى الممارسة العملية » لأنها تركز على فضح النظرة الذاتية المتمثلة فى نزعة الجمود العقائدى التى تستهين بشأن الممارسة العملية . وكان الرفيق ماو تسى تونغ قد ألقى قبل ذلك محاضرة فى الكلية الحربية والسياسية المناهضة لليابان فى يانآن تضمنت الأفكار الواردة فى هذه المقالة .

والحياة السياسية والنشاطات العلمية والفنية ، وباختصار جميع مجالات الحياة الواقعية فى المجتمع وهى جميعا مما يساهم فيه الانسان ككائن اجتماعى . وهكذا يتوصل ، بدرجات متفاوتة ، الى معرفة العلاقات المختلفة بين الناس لا من خلال حياته المادية وحسب ، بل من خلال حياته السياسية والثقافية (وكلتاهما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة المادية) أيضا . ومن بين أشكال الممارسة العملية الاجتماعية هذه ، يترك الصراع الطبقى خاصة ، فى أشكاله المختلفة ، أثرا عميقا فى تطور المعرفة البشرية . ففى المجتمع الطبقى يعيش كل انسان كفرد من أفراد طبقة معينة ، ويحمل كل نوع من أنواع التفكير دون استثناء طابع طبقة معينة .

يعتبر الماركسيون أن النشاط الانتاجى فى المجتمع البشرى يتطور خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، وتبعا لذلك فان معرفة الانسان ، بالطبيعة كانت أم بالمجتمع ، تتطور أيضا خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، أى من معرفة سطحية الى معرفة عميقة ومن معرفة وحيدة الجانب الى معرفة متعددة الجوانب . وفى مرحلة طويلة من التاريخ ، لم يكن من الممكن لمعرفة الناس بتاريخ المجتمع أن تتعدى حد المعرفة الوحيدة الجانب ، والسبب فى ذلك يعود من جهة الى أن تعصب الطبقات المستغلة (بكسر الغين) كان على الدوام يشوه تاريخ المجتمع ، ويعود من جهة أخرى الى أن النطاق الضيق للانتاج كان يحد من آفاق الناس . ولم يستطيعوا أن يحصلوا على فهم تاريخى متكامل لتطور تاريخ المجتمع ، ويحولوا معرفتهم بالمجتمع الى علم ، أى علم الماركسية ، الا عندما ظهرت البروليتاريا الحديثة مع ظهور القوى المنتجة الجبارة ، أى الصناعات الكبرى .

ويعتبر الماركسيون أن الممارسة العملية التى يباشرها الانسان فى المجتمع هى وحدها المقياس الذى يختبر به ما اذا كانت معرفة الانسان بالعالم الخارجى

حقيقة أم لا . والواقع أن معرفة الانسان لا تثبت صحتها الا عندما يتوصل من خلال ممارسته العملية الاجتماعية (خلال الانتاج المادى والصراع الطبقى والتجربة العلمية) الى احراز النتائج المنشودة . فاذا أراد الانسان أن يحقق النجاح فى عمله ، أى يحقق النتائج المنشودة ، فعليه أن يجعل أفكاره متفقة مع قوانين العالم الخارجى الموضوعى ، فاذا لم تكن أفكاره متفقة مع هذه القوانين فلا بد أن يفشل فى الممارسة العملية . واذا فشل فانه سوف يستخلص الدروس من فشله ويصحح أفكاره ويجعلها متفقة مع قوانين العالم الخارجى ، وعندئذ يستطيع تحويل فشله الى ظفر ، وهذا هو المقصود من قولهم : « الفشل أم النجاح » وقولهم : « كل عثرة تزيد الانسان فطنة » . ان النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة تضع الممارسة العملية فى المقام الأول اذ تعتبر أن معرفة الانسان لا يمكن أن تنفصل اطلاقا عن الممارسة العملية ، وتنبذ كل النظريات الخاطئة التى تنكر أهمية الممارسة العملية وتفصل المعرفة عن الممارسة العملية . وهكذا قال لينين : « ان الممارسة العملية أعلى من المعرفة (النظرية) لأنها لا تمتاز بصفة الشمول فحسب ، بل تمتاز كذلك بصفة الواقع المباشر . »(١) ان للمادية الديالكتيكية — الفلسفة الماركسية ميزتين بارزتين : أولاهما صفتها الطبقية ، فهى تعلن بصراحة أن المادية الديالكتيكية هى فى خدمة البروليتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهى تؤكد على تبعية النظرية للممارسة العملية حيث أن النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ثم تعود لخدمة الممارسة العملية . ان ما يستند اليه المرء لكى يحكم بأن المعرفة أو النظرية حقيقة أو لا ، ليس هو الأحاسيس الذاتية بل هو النتائج الموضوعية للممارسة العملية الاجتماعية . فالمقياس الوحيد لمعرفة الحقيقة هو الممارسة العملية الاجتماعية . ان وجهة نظر الممارسة العملية هى وجهة النظر الأولية والأساسية فى النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة(٢) .

ولكن كيف تنبثق المعرفة البشرية عن الممارسة العملية ثم تعود لتخدم الممارسة العملية ؟ سيتضح لنا هذا الأمر اذا ألقينا نظرة على عملية تطور المعرفة .

الواقع أن الانسان لا يرى فى بداية عملية الممارسة العملية سوى ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التى تربط بينها . ومثال ذلك أن بعض الزوار يحضرون يانآن للوقوف على الأحوال فيها . ففى الأيام الأولى يرون موقعها وشوارعها ومبانيها ويقابلون عددا كبيرا من الناس ويحضرون الولائم والحفلات المسائية والاجتماعات الجماهيرية ويسمعون أحاديث مختلفة ويقرأون وثائق متعددة — كل هذه هى ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التى تربط بينها . ونسمى هذه المرحلة بالمرحلة الحسية من المعرفة ، أى مرحلة الاحساسات والانطباعات . وهذا يعنى أن هذه الأشياء المعينة فى يانآن تترك أثرا فى حواس السادة أعضاء الوفد الزائر وتثير أحاسيسهم وتترك فى أذهانهم انطباعات عديدة وصورة عامة عن الروابط الخارجية بين هذه الانطباعات ، هذه هى المرحلة الأولى من المعرفة . ولا يستطيع الانسان بعد فى هذه المرحلة تكوين مفاهيم عميقة ولا استخلاص نتائج منطقية .

وباستمرار الممارسة العملية الاجتماعية ، تتكرر مرارا الأشياء التى تترك أحاسيس وانطباعات فى حواس الانسان فى مجرى ممارسته العملية ، وعندئذ يحدث فى ذهن الانسان تبدل مفاجىء (قفزة) فى عملية المعرفة وتتكون المفاهيم . فعند ذلك لم تعد المفاهيم ظواهر الأشياء ولا جزئياتها ولا الروابط الخارجية التى تربط بينها ، بل هى ادراك تام لجوهر الأشياء وكلياتها وروابطها الداخلية . ان المفهوم والاحساس لا يختلفان كميا فحسب بل كيفيا أيضا . واذا مضى الانسان على هذا النحو واستخدم طريقة الحكم والاستدلال استطاع أن يتوصل الى استنتاجات تتفق مع المنطق . ان عبارة

« قطب حاجبيه فتفتق ذهنه عن حيلة » التى نقرأها فى « قصة الممالك الثلاث »(٣)، و« التفكير » فى عبارة « دعنى أفكر » فى لغتنا المتداولة تعبران عن عملية الحكم والاستدلال التى يقوم بها الانسان فى عقله مستعينا بالمفاهيم . وهذه هى المرحلة الثانية من المعرفة . ان السادة أعضاء الوفد الزائر ، بعد أن يجمعوا معلومات مختلفة و« يفكروا فيها » ، يستطيعون أن يتوصلوا الى الحكم التالى : « ان سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التى يدعو اليها الحزب الشيوعى هى سياسة حازمة وصادقة وحقيقية » . وبعد التوصل الى هذا الحكم يمكنهم ، اذا كانوا مخلصين كذلك للوحدة من أجل انقاذ الوطن ، أن يتقدموا خطوة أخرى ويصلوا الى هذه النتيجة : « ان فى استطاعة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان أن تتكلل بالنجاح . » ان مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال هى مرحلة أكثر أهمية فى كل عملية المعرفة البشرية بشىء ما ، وهى مرحلة المعرفة العقلية . ان المهمة الحقيقية للمعرفة تكمن فى التقدم الى التفكير عن طريق الاحساس والى الادراك التدريجى للتناقضات الكامنة فى داخل الأشياء الموضوعية ولقوانينها والروابط الداخلية التى تربط بين عملية وأخرى ، أى التوصل الى المعرفة المنطقية . دعونى أكرر : ان السبب فى اختلاف المعرفة المنطقية عن المعرفة الحسية يعود الى أن المعرفة الحسية تتعلق بجزئيات الأشياء وظواهرها وروابطها الخارجية ، فى حين أن المعرفة المنطقية تتقدم بالمعرفة الحسية خطوة كبيرة الى الأمام فتتوصل الى ادراك كليات الأشياء وجوهرها وروابطها الداخلية وتكتشف التناقضات الكامنة فى العالم الخارجى ، وبهذا فان المعرفة المنطقية تتمكن من تفهم تطور العالم الخارجى فى مجموعه وفى الروابط الداخلية بين جميع جوانبه .

ان هذه النظرية المادية الديالكتيكية عن عملية تطور المعرفة ، التى تقوم على أساس الممارسة العملية ، والقائلة بتطور المعرفة من معرفة سطحية الى

معرفة عميقة ، لم يتوصل اليها أحد على هذا النحو قبل ظهور الماركسية . ولقد حلت نظرية المادية الماركسية لأول مرة هذه المشكلة حلا صحيحا ، اذ بينت بأسلوب مادى وديالكتيكى حركة تعمق المعرفة ، حركة تقدم الانسان ، ككائن اجتماعى ، من المعرفة الحسية الى المعرفة المنطقية خلال ممارساته العملية المعقدة والمتكررة باستمرار فى الانتاج والصراع الطبقى . قال لينين: « ان تجريدات للمادة وأحد قوانين الطبيعة والقيمة . . الخ ، وباختصار كل تجريد علمى (صحيح وجدى وليس باطلا) ، ليعكس الطبيعة بصورة أعمق وأصدق وأكمل . »(٤) ان الماركسية اللينينية ترى أن لكل من مرحلتى عملية المعرفة خصائصها ، وهى أن المعرفة فى مرحلتها الدنيا تتميز بأنها حسية ، وفى مرحلتها العليا تتميز بأنها منطقية ، ومع ذلك فكلتاهما مرحلة فى عملية واحدة من المعرفة . ان الاحساس والعقل يختلفان من حيث الطبيعة ولكن لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، انهما موحدان على أساس الممارسة العملية . ان ممارستنا العملية تثبت أن ما نحسه لا يمكن أن ندركه على الفور ، وأن ما ندركه هو وحده الذى يمكن أن نحسه بصورة أعمق . ان الاحساس لا يحل سوى مسألة الظواهر ، والنظرية وحدها تستطيع حل مسألة الجوهر . بيد أن هاتين المسألتين لا يمكن حلهما بأى حال من الأحوال بمعزل عن الممارسة العملية . فاذا أراد أى شخص أن يفهم أى شيء من الأشياء ، فليس له من سبيل الى ذلك سوى الاحتكاك بهذا الشيء ، أى العيش (الممارسة العملية) فى محيطه . فقد كان من المستحيل على المرء أن يدرك مقدما قوانين المجتمع الرأسمالى وهو يعيش فى المجتمع الاقطاعى ، اذ أن الرأسمالية لم تكن قد ظهرت بعد ، ولذلك فان الممارسة العملية التى تتفق معها لم تكن قد وجدت أيضا . ان الماركسية لا يمكن أن تظهر الى الوجود الا كنتاج للمجتمع الرأسمالى . ولم يكن بمقدور ماركس ، فى عصر الرأسمالية الحرة ، أن يدرك مقدما

وبصورة محددة بعض القوانين الخاصة بعصر الامبريالية ، اذ أن الامبريالية — آخر مراحل الرأسمالية — لم تكن قد ظهرت بعد الى حيز الوجود ، وكذلك للممارسة العملية التى تتفق معها لم تكن قد ظهرت بعد ، فكان فى استطاعة لينين وستالين وحدهما الاضطلاع بهذه المهمة . اذا استثنينا شرط العبقرية فان السبب الرئيسى فى قدرة ماركس وانجلز ولينين وستالين على صياغة نظرياتهم يعود الى مساهمتهم شخصيا فى ممارسة الصراع الطبقى والتجربة العلمية فى زمانهم . ولولا وجود هذا الشرط الأخير لما استطاع أى عبقرى أن يحرز النجاح . ان القول السائر « يستطيع المثقف أن يعرف كل ما يجرى فى العالم دون أن يتخطى عتبة داره » ، كان فى للعصور القديمة المتأخرة تكنيكيا ليس الا عبارة جوفاء بعيدة عن الواقع ، أما فى عصرنا المتطور تكنيكيا ، فعلى الرغم من أن هذا القول قد يصبح حقيقة واقعة ، الا أن الذين يملكون المعرفة المباشرة الحقيقية هم من ينخرطون فى الممارسة العملية من سكان العالم . يكتسب هؤلاء الناس « المعرفة » خلال ممارستهم العملية ثم تنقل الى « المثقف » بواسطة الكتابة والوسائل التكنيكية ، وعندئذ فقط يستطيع المثقف أن « يعرف كل ما يجرى فى العالم » بطريقة غير مباشرة . واذا ما أردت أن تعرف بصورة مباشرة شيئا من الأشياء أو عدة أشياء ، فلا بد لك أن تساهم شخصيا فى النضال العملى الذى يهدف الى تغيير الواقع — تغيير ذلك الشىء أو تلك الأشياء، وعندئذ تستطيع أن تحتك بظواهر ذلك الشىء أو تلك الأشياء ، كما أنك لا تستطيع أن تكشف وتفهم جوهر ذلك الشىء أو تلك الأشياء الا عن طريق المساهمة الشخصية فى النضال العملى الذى يهدف الى تغيير الواقع . هذه هى طريق المعرفة التى يسلكها كل امرىء بالفعل ، غير أن بعض الناس يزعمون عكس ذلك عامدين الى تشويه الأمور . وأكثر الناس مدعاة للسخرية هو « العالم » الذى ما ان يلتقط فتاتا من المعرفة عن طريق السماع حتى يعتبر

نفسه « العلامة الفريد فى العالم » ، وهو أمر لا يدل الا على عجزه عن تقدير نفسه تقديرا صحيحا . ان المعرفة هى مسألة علم ، فلا يجوز أن يصاحبها أدنى شئ من الكذب والغرور ، بل المطلوب هو العكس بكل تأكيد أى الصدق والتواضع . اذا أردت اكتساب المعرفة فلا بد أن تشارك فى الممارسة العملية التى تهدف الى تغيير الواقع ، فاذا رغبت فى معرفة طعم الكمثرى فلا بد أن تغير الكمثرى ، أى تأكلها بنفسك ، واذا أردت أن تعرف تركيب الذرة وخصائصها فلا بد أن تقوم بتجارب فيزيائية وكيميائية بغية تغيير حالة الذرة ، واذا أردت أن تعرف نظرية الثورة وطرائقها فلا بد أن تشترك فى الثورة . ان جميع المعارف الحقة تنبع من التجربة المباشرة . ولكن يستحيل على المرء أن يجرب كل شيء تجربة مباشرة ، والواقع أن معظم معارفنا قد حصلنا عليها من التجربة غير المباشرة ، وأعنى بها كل المعارف المكتسبة فى العصور القديمة والبلدان الأجنبية . وهذه المعارف مكتسبة من التجربة المباشرة عند القدامى والأجانب ، فاذا كانوا اكتسبوها فى مجرى تجربتهم المباشرة على نحو متفق مع شرط « التجريد العلمى » الذى تحدث عنه لينين وكانت تعكس الأشياء الموضوعية بصورة علمية ، فهى معارف يركن اليها ، والا فهى ليست كذلك . وهكذا فان معرفة الانسان لا تعدو هذين القسمين : التجربة المباشرة والتجربة غير المباشرة . وفضلا عن ذلك فان ما هو تجربة غير مباشرة عند شخص معين هو عند غيره تجربة مباشرة . وهكذا فان المعرفة من أى نوع كانت ، اذا اعتبرنا المعرفة ككل ، لا يمكن أن تنفصل عن التجربة المباشرة. ان كل معرفة هى تنبع من احساس الانسان بالعالم الموضوعى بواسطة حواسه . ومن ينكر الاحساس وينكر التجربة المباشرة وينكر المساهمة الشخصية فى الممارسة العملية الرامية الى تغيير الواقع ، فهو ليس بمادى . وهذا هو السبب فى أن « العالم » يبعث على السخرية . وهناك مثل صينى قديم يقول:

«كيف تستطيع أن تحصل على أشبال النمر اذا لم تدخل عرينه ؟» وهذا القول يعتبر حقيقة تنطبق على الممارسة العملية التى يباشرها الانسان ، وكذلك على نظرية المعرفة . فلا يمكن أن تكون هناك معرفة منعزلة عن الممارسة العملية .

وفى سبيل ايضاح حركة المعرفة المتفقة مع المادية الديالكتيكية والقائمة على أساس الممارسة العملية التى تهدف الى تغيير الواقع — حركة التعمق المتدرج للمعرفة ، نقدم فيما يلى بضعة أمثلة محددة أخرى .

فيما يتعلق بمعرفة المجتمع الرأسمالى فان البروليتاريا ، خلال الفترة الأولى من ممارستها العملية — فترة تخريب الآلات والنضال العفوى ، كانت لا تزال فى مرحلة المعرفة الحسية ، اذ لم تكن قد عرفت سوى بعض الجوانب والروابط الخارجية لظواهر الرأسمالية . وفى ذلك الوقت كانت البروليتاريا لا تزال « طبقة فى ذاتها » . ولكن حينما بلغت هذه الطبقة الفترة الثانية من ممارستها العملية — فترة النضال الاقتصادى والنضال السياسى الواعيين والمنظمين ، تمكنت من ادراك جوهر المجتمع الرأسمالى وعلاقات الاستغلال بين الطبقات الاجتماعية ومهمة البروليتاريا التاريخية ، بفضل ممارستها العملية وتجاربها المكتسبة فى نضالات طويلة الأمد ، وبفضل تثقفها بالنظرية الماركسية التى هى نتاج لما قام به ماركس وانجلز من تلخيص لهذه التجارب المتنوعة وفق أسلوب علمى ، وعندئذ أصبحت هى « طبقة لذاتها » .

وينطبق نفس الحال على معرفة الشعب الصينى بالامبريالية . فقد كانت المرحلة الأولى من معرفته بها مرحلة معرفة حسية وسطحية تجلت فى نضالاته المنطلقة من كراهيته للأجانب دون تمييز كحركة مملكة التايبينغ السماوية وحركة يى خه توان وغيرهما من الحركات . ولم يبلغ الشعب الصينى مرحلة المعرفة العقلية الا فى المرحلة الثانية عندما اتضحت له مختلف التناقضات الداخلية والخارجية للامبريالية ، وتجلت له حقيقة تحالف الامبريالية مع

الطبقة الكومبرادورية والطبقة الاقطاعية فى الصين فى سبيل امتصاص دماء الجماهير الغفيرة من الشعب الصينى . ولم تبدأ هذه المعرفة الا أيام ما قبل حركة ٤ مايو (أيار) ١٩١٩(٥) وما بعدها .

ولننظر الآن الى الحرب . اذا كان أولئك الذين يوجهون عمليات الحرب يفتقرون الى الخبرة العسكرية فانهم لن يفهموا فى المرحلة البدائية القوانين المتسمة بالعمق والتى تتحكم فى حرب معينة (مثل حرب الثورة الزراعية التى خضناها فى السنوات العشر المنصرمة) . فهم لا يمرون فى المرحلة البدائية الا بتجارب معارك عديدة بل ويتعرضون كثيرا للهزائم . ولكن هذه التجارب (تجارب المعارك الظافرة وعلى الأخص تجارب المعارك الخاسرة) سوف تمكنهم من أن يدركوا ما يكمن فى تلك الحرب كلها ويتحكم فيها ، أى قوانين تلك الحرب المعينة ، ويفهموا ما يجب اتخاذه من استراتيجية وتكتيك ، وبالتالى يستطيعون أن يوجهوا هذه الحرب بقلوب مفعمة بالثقة. واذا ما حل محلهم فى مثل هذا الوقت أشخاص آخرون عديمو الخبرة لتوجيهها ، فانهم لن يستطيعوا هم الآخرون أن يفهموا القوانين الحقيقية للحرب الا بعد ما يعانون عددا من الهزائم (أى بعد ما يكتسبون خبرة) .

كثيرا ما نسمع بعض الرفاق يقول حينما لا يجرؤ على قبول عمل يوكل اليه : « لا أملك الثقة » . ولم لا يملك الثقة ؟ لأنه لا يفهم مضمون هذا العمل وظروفه بصورة منتظمة ، أو لأنه لم يحتك بهذا النوع من العمل مطلقا أو لم يحتك به الا قليلا ، وبالتالى فلا يستطيع التحدث عن القوانين التى تتحكم فى هذا العمل . فاذا حللت له طبيعة العمل وظروفه تحليلا مفصلا فانه سيكتسب نوعا من الثقة ويرغب فى القيام به . ثم اذا اكتسب هذا الشخص تجربة بشأن هذا العمل بعد أن قام به فترة من الزمن ، وكان فضلا عن ذلك يجهد فى النظر الى الأمور بدون تحيز أو تعصب ، وليس ممن ينظرون الى القضايا وفقا لتصوراتهم

الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية ، فسوف يستطيع أن يستخلص بذاته النتائج بشأن كيفية القيام بعمله ، وعندئذ ستزداد جرأته على العمل لدرجة كبيرة . ان الذين ينظرون الى الأمور وفقا لتصوراتهم الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية هم وحدهم الذين ما ان يصلون الى مكان ما حتى يتسرعوا ، مستبدين بآرائهم ، فى اصدار الأوامر والتوجيهات حول أمر من الأمور دون أن ينظروا الى الظروف المحيطة بذلك الأمر ولا الى الأمر فى مجموعه (أى الى تاريخه ووضعه الراهن من جميع جوانبه) ، وقبل أن يصلوا الى جوهر الأمر (أى طبيعته والروابط الداخلية بينه وبين الأمور الأخرى) ، ان أمثال هؤلاء لا بد أن يتعثروا ويسقطوا .

وهكذا نجد أن الخطوة الأولى فى عملية المعرفة هى الاحتكاك بالأشياء الموجودة فى العالم الخارجى ، وهذه هى مرحلة الاحساس . أما الخطوة الثانية فهى تجميع المعطيات الحسية وترتيبها وصهرها ، وهذه هى مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال . ونحن لا نستطيع تكوين مفاهيم صائبة والتوصل الى منطق سليم على أساس المعطيات الحسية الا اذا كانت هذه المعطيات غنية جدا (ليست جزئية أو ناقصة) ومتفقة مع الواقع (ليست وهمية أو كاذبة) .

وينبغى هنا أن نركز على نقطتين هامتين ، فأولاهما قد ذكرت فيما سبق ولكن يجب تكرارها هنا ، ألا وهى مسألة توقف المعرفة العقلية على المعرفة الحسية . فمن يحسب أنه يمكن للمعرفة العقلية ألا تنبع من المعرفة الحسية فهو مثالى . وفى تاريخ الفلسفة يوجد ما يدعى بـ « المذهب العقلى » الذى يعترف فقط بحقيقة العقل ولا يعترف بحقيقة التجربة اذ يعتبر أن العقل وحده يمكن الركون اليه ، أما التجربة الحسية فلا يمكن الركون اليها . ان خطأ هذا المذهب يكمن فى أنه قلب الحقائق رأسا على عقب . وكون المعرفة العقلية يمكن الركون

اليها يعود ، على وجه التحديد ، الى أنها نابعة من الادراك الحسى ، والا لأصبحت ماء دون ينبوع أو شجرة دون جذور ، شيئا انما نشأ فى ذهنه بصورة عفوية، شيئا لا يمكن الركون اليه . واذا نظرنا الى تسلسل عملية المعرفة وجدنا التجربة الحسية تأتى أولا ، والسبب فى أننا نشدد على أهمية الممارسة العملية الاجتماعية فى عملية المعرفة يعود بالضبط الى أن الممارسة العملية الاجتماعية وحدها تمكن الانسان من البدء فى تحصيل المعرفة وتحصيل التجربة الحسية من العالم الموضوعى . أما المرء الذى ينفصل كليا عن العالم الموضوعى مغمضا عينيه وسادا أذنيه ، فلا يمكن أن تكون لديه أية معرفة . ان المعرفة تبدأ مع التجربة وهذه هى المادية حول نظرية المعرفة .

أما النقطة الثانية فهى حاجة المعرفة الى التعمق ، أى حاجة المعرفة الى التطور من المرحلة الحسية الى مرحلة عقلية ـ هذا هو الديالكتيك حول نظرية المعرفة(٦) . فاذا ظن المرء أن المعرفة يمكن أن تتوقف عند المرحلة الحسية ، وهى مرحلة دنيا ، وأن المعرفة الحسية هى وحدها التى يعتمد عليها من دون المعرفة العقلية ، فان هذا يعنى تكرارا لأخطاء « المذهب التجريبى » فى الماضى. ان أخطاء هذه النظرية تكمن فى عجزها عن فهم الحقيقة التالية : على الرغم من أن المعطيات الحسية تعكس بعض الحقائق فى العالم الموضوعى (لا أتحدث هنا عن المذهب التجريبى المثالى الذى يقصر التجربة على ما يدعى بالتأمل الباطنى) ، الا أنها مجرد معطيات جزئية وسطحية لا تعكس الأشياء بصورة كاملة ، معطيات لا تعكس جوهر الأشياء . فلكى يعكس شىء بكامله ويعكس جوهره وقوانينه الباطنية ، لا بد من صهر تلك المعطيات الحسية الغنية عن طريق التفكير باستبعاد ما هو قليل الأهمية منها واستخلاص ما هو عظيم النفع ، ونبذ الكاذب منها وابقاء الصحيح المعتمد عليه ، ثم الربط بين هذه المعطيات والنفوذ من ظواهر الأشياء الى دخائلها وخفاياها ، وذلك لأجل تكوين

مفاهيم ونظريات فى شكل منسق ، أى لا بد من تحقيق قفزة من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلية . وان هذه المعرفة التى تم صهرها لم تصبح معرفة أكثر بعدا عن الواقع وأقل أهلية لأن يركن اليها ، بل هى على نقيض ذلك اذ أن كل ما تم صهره خلال عملية المعرفة بصورة علمية وعلى أساس الممارسة العملية هو كما قال لينين ، يعكس الواقع الموضوعى بصورة أعمق وأصدق وأكمل . أما أصحاب العمل الروتينى الضيقو التفكير فهم يتصرفون عكس ذلك ، اذ أنهم يقدسون التجربة بينما يحتقرون النظرية ، ونتيجة لهذا يعجزون عن ادراك العملية الموضوعية ككل فيفتقرون الى الاتجاه الواضح والنظرة البعيدة المدى ، ويرتضون بالنجاحات الوقتية والنظرات الضيقة . واذا قام أمثال هؤلاء بتوجيه الثورة فسيقودونها الى زقاق مسدود .

ان المعرفة العقلية تعتمد على المعرفة الحسية ، والمعرفة الحسية فى حاجة الى التطور الى معرفة عقلية ، هذه هى النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة . وفى مجال الفلسفة ، يعجز كل من « المذهب العقلى » و« المذهب التجريبى » عن ادراك الصفة التاريخية أو الديالكتيكية للمعرفة ، وعلى الرغم من أن كلا منهما يحتوى على جانب من الحقيقة (والمقصود هنا المذهب العقلى والمذهب التجريبى الماديان لا المثاليان) ، فكلاهما خاطئ فى مجال نظرية المعرفة فى مجموعها . ان حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية هذه الحركة المتفقة مع المادية الديالكتيكية ، تنطبق على عملية صغيرة من المعرفة (مثلا معرفة شىء من الأشياء أو عمل من الأعمال) ، وكذلك تنطبق على عملية كبيرة من المعرفة (مثلا معرفة مجتمع من المجتمعات أو ثورة من الثورات) .

بيد أن حركة المعرفة لا تتوقف عند هذا الحد . فاذا ما توقفت الحركة المادية الديالكتيكية الخاصة بالمعرفة عند المرحلة العقلية ، فانها لم تتناول من المشكلة الا نصفها . وهى عند الفلسفة الماركسية لم تتناول الا ذلك النصف

الذى لا يتمتع بأهمية عظمى . ان الفلسفة الماركسية تعتبر أن المسألة البالغة الأهمية ليست فى معرفة قوانين العالم الموضوعى وبالتالى فى اكتساب القدرة على تفسيره ، بل هى فى استخدام هذه المعرفة فى تبديل العالم بصورة فعالة . فالنظرية من وجهة نظر الماركسية هى مهمة ، وتتجلى أهميتها فى قول لينين : « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية . » (٧) ولكن السبب فى أن الماركسية تؤكد على أهمية النظرية يعود بالضبط ، بل يعود فقط الى أنها تستطيع توجيه العمل . فاذا كنا نملك نظرية صحيحة ونكتفى بأن نجعل منها موضوعا لأحاديث لا طائل منها أو نضعها على الرف ولا نطبقها عمليا ، فستصبح هذه النظرية ، مهما كانت سديدة ، عديمة الأهمية . ان المعرفة تبدأ من الممارسة العملية ، والمعرفة النظرية التي يتم اكتسابها عن طريق الممارسة العملية ، يجب أن تعاد الى الممارسة العملية مرة أخرى . ان الدور الفعال للمعرفة لا يتجلى فى القفزة الفعالة من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلية فحسب ، بل ينبغى أن يتجلى أيضا — وهذا أكثر أهمية — فى القفزة من المعرفة العقلية الى الممارسة العملية الثورية . ان المعرفة التى تمكننا من استيعاب قوانين العالم يجب أن تعاد الى الممارسة العملية فى سبيل تبديل العالم ، يجب أن تعاد لتطبق فى ممارسة الانتاج وفى ممارسة الصراع الطبقى الثورى والنضال الوطنى الثورى وكذلك فى ممارسة التجارب العلمية . هذه هى عملية اختبار النظرية وتطويرها ، هى تكملة لعملية المعرفة . ان مسألة ما اذا كانت نظرية ما منطبقة مع الحقائق الموضوعية أو لا ، لم تحل تماما ، ولا يمكن أن تحل تماما ، أثناء حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية التى تحدثنا عنها آنفا . والطريقة الوحيدة لحل هذه المسألة حلا تاما هى اعادة المعرفة العقلية الى الممارسة العملية الاجتماعية ، وتطبيق النظرية على الممارسة العملية ، لمعرفة ما اذا كانت هذه النظرية توصلنا الى الهدف المنشود . ان كثيرا من نظريات

العلوم الطبيعية تعتبر حقائق ، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما وضعها العلماء الطبيعيون ، بل لأن الممارسة العملية العلمية دلت بعد ذلك على صحتها أيضا . وكذلك تعتبر الماركسية اللينينية حقيقة ، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما صاغ تعاليمها ماركس وانجلز ولينين وستالين بطريقة علمية ، بل كذلك لأن الممارسة العملية للصراع الطبقى الثورى والنضال الوطنى الثورى قد أثبتت صحتها فيما بعد . ان المادية الديالكتيكية حقيقة عامة ، ذلك لأنه ما من أحد يستطيع فى ممارسته العملية الخروج عن اطارها . ويدلنا تاريخ المعرفة البشرية على أن كثيرا من النظريات كانت ناقصة اذا اعتبرت حقائق ، بيد أن هذا النقص أصلح عن طريق اختبارها فى الممارسة العملية . وان كثيرا من النظريات كانت خاطئة ، ولكن صححت أخطاؤها عن طريق اختبارها فى الممارسة العملية . ولهذا السبب بالذات نقول ان الممارسة العملية هى مقياس الحقيقة ، وان « وجهة نظر الحياة والممارسة العملية ، يجب أن تكون وجهة النظر الأولية والأساسية فى نظرية المعرفة » (٨) . لقد أصاب ستالين عندما قال : « ان النظرية تصبح عديمة الهدف اذا لم ترتبط بالممارسة العملية الثورية ، وكذلك شأن الممارسة العملية فانها ستصبح ممارسة على غير هدى اذا لم تنر طريقها نظرية ثورية . » (٩)

فهل تكتمل حركة المعرفة عند هذا الحد ؟ ان جوابنا هو الايجاب والنفى . فحين يباشر أفراد المجتمع الممارسة العملية بهدف تغيير عملية موضوعية محددة (طبيعية كانت أم اجتماعية) فى مرحلة معينة من تطورها ، يستطيعون ، نتيجة لانعكاس العملية الموضوعية فى أذهانهم وبفعل فعاليتهم الذاتية ، أن يدفعوا معرفتهم من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية ، وأن يكونوا أفكارا ونظريات ويضعوا خططا ومشاريع تتفق على وجه العموم مع قوانين تلك العملية الموضوعية ، ثم يضعون هذه الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع

موضع التنفيذ فى نفس العملية الموضوعية ، فاذا نجحوا فى تحقيق الأهداف المنشودة ، أى اذا استطاعوا ، أثناء الممارسة فى نفس هذه العملية ، أن يحولوا ما صاغوه سلفا من الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع الى حقائق واقعة ، أو استطاعوا ذلك بصورة عامة ، يمكن عندئذ أن تعتبر حركة المعرفة مكتملة بالنسبة لهذه العملية المعينة . مثال ذلك انجاز مشروع هندسى أو اثبات افتراض علمى أو صنع آلة أو حصاد غلة زراعية فى مجرى تغيير الطبيعة ؛ وانجاح اضراب أو انتصار حرب أو انجاز خطة تعليمية فى مجرى تغيير المجتمع ، وكل ذلك يمكن اعتباره تحقيقا للأهداف المنشودة . ولكن يندر على وجه العموم أن تتحقق الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع التى صاغها الناس سلفا ، دون أدنى تغيير ، سواء أكان ذلك عند الممارسة العملية للرامية الى تغيير الطبيعة أم تغيير المجتمع . والسبب فى هذا يعود الى أن الذين يباشرون تغيير الواقع يخضعون عادة لكثير من القيود ، فهم مقيدون عادة لا بالامكانيات العلمية والتكنيكية فحسب ، بل هم مقيدون كذلك بدرجة تطور العملية الموضوعية وانكشافها (أى أن أوجه العملية الموضوعية وجوهرها لم تكشف بعد بصورة تامة) . وفى مثل هذه الحال ، كثيرا ما يحدث أن تعدل الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع تعديلا جزئيا بل تعديلا كليا فى بعض الأوقات ، وذلك بسبب اكتشاف الناس خلال الممارسة العملية أوضاعا لم يتوقعوها سلفا . وهذا يعنى أن هناك حالات تتعارض فيها الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع الأصلية مع الواقع جزئيا أو كليا ، وهى لذلك خاطئة جزئيا أو كليا . ولا بد فى كثير من الحالات أن يتكرر الاخفاق مرات عديدة قبل امكان تصحيح الأخطاء فى المعرفة وجعل هذه المعرفة تتفق مع قوانين العملية الموضوعية بحيث يمكن تحويل الشىء الذاتى الى شىء موضوعي ، أى تحقيق النتائج المنشودة خلال الممارسة العملية . وعلى كل

حال فان حركة معرفة الناس لعملية موضوعية محددة فى مرحلة معينة من تطورها يمكن أن تعتبر مكتملة فى هذا الوقت .

ولكن اذا ما أخذنا بعين الاعتبار تقدم العملية فان حركة معرفة الناس لا تكتمل عند هذا الحد . فكل عملية ، سواء أكانت فى الطبيعة أم فى المجتمع ، تتقدم وتتطور بفعل تناقضاتها الداخلية والصراعات الناتجة عنها ، ولا بد لحركة المعرفة البشرية أن تتقدم وتتطور أيضا وفقا لذلك . وفيما يتعلق بالحركات الاجتماعية فانه يجب على القادة الثوريين الحقيقيين أن يحسنوا تصحيح أفكارهم ونظرياتهم وخططهم ومشاريعهم حين تبرز فيها الأخطاء ، كما قلنا آنفا ، وليس هذا فحسب بل عليهم كذلك ، كلما تقدمت عملية موضوعية معينة وتحولت من مرحلة الى مرحلة أخرى من مراحل التطور ، أن يقدروا على تمكين أنفسهم وجميع المشتركين فى الثورة من التقدم والتحول فى معرفتهم الذاتية وفقا لذلك ، أى يجب عليهم أن يضعوا مهمات ثورية جديدة وبرامج عمل جديدة وفقا للتبدلات الجديدة التى تطرأ على الوضع . ان الوضع يتبدل سريعا فى الفترات الثورية ، فاذا لم تتبدل معرفة الثوريين بسرعة وفقا لذلك فلن يكون فى استطاعتهم قيادة الثورة الى النصر .

بيد أنه كثيرا ما يحدث أن يتخلف التفكير عن الواقع ، والسبب فى ذلك يعود الى أن معرفة الانسان مقيدة بظروف اجتماعية عديدة . اننا نعارض المتعنتين فى صفوف الثورة ، اذ أن تفكيرهم يعجز عن مجاراة تغيرات الظروف الموضوعية فأظهروا أنفسهم تاريخيا فى صورة الانتهازية اليمينية . ان هؤلاء الناس لا يدركون أن صراع التناقضات قد دفع العملية الموضوعية الى الأمام ، فبقيت معرفتهم فى مرحلتها القديمة . هذه هى الخاصية الملازمة لتفكير جميع المتعنتين. وبما أن تفكيرهم ينفصل عن الممارسة العملية الاجتماعية ، فلا يمكنهم أن يتقدموا ليقودوا عجلة المجتمع ، وكل ما يمكنهم عمله هو أن يتخلفوا وراء

العجلة متذمرين من سرعتها الفائقة ومحاولين جرها الى الوراء أو تحويلها فى الاتجاه المعاكس .

ونحن نعارض كذلك ثرثرة « اليساريين » الفارغة . اذ أن تفكيرهم يتخطى المرحلة المعينة من مراحل تطور العملية الموضوعية ، فيحسب بعضهم الأوهام التى يحملونها كأنها حقائق ، وآخرون منهم يتكلفون فى الوقت الحاضر تحقيق مثل أعلى لا يمكن أن يتحقق الا فى المستقبل ، منعزلين عن الممارسة العملية الراهنة التى تباشرها غالبية الناس وعن الواقع الحالى ، ويتجسد تفكيرهم هذا عمليا فى صورة المغامرة .

ان المثالية والمادية الميكانيكية والانتهازية والمغامرة تتميز جميعها بفصل التفكير الذاتى عن الواقع الموضوعى ، وفصل المعرفة عن الممارسة العملية . فلا يسع النظرية الماركسية اللينينية عن المعرفة التى تتميز بالممارسة الاجتماعية العلمية الا أن تعارض هذه الايديولوجيات الخاطئة معارضة حازمة . ان الماركسيين يعترفون بأن تطور كل عملية محددة ضمن نطاق عملية التطور العام المطلق للكون هو تطور نسبى ، ولهذا فان معرفة الناس بكل عملية محددة أثناء مرحلة معينة من التطور لا يمكن أن تكون سوى حقيقة نسبية فى مجرى الحقيقة المطلقة اللامحدود . ان مجموع الحقائق النسبية التى لا حصر لها يشكل الحقيقة المطلقة(١٠) . ان تطور العملية الموضوعية تطور ملىء بالتناقضات والصراعات وكذلك شأن تطور حركة المعرفة البشرية . وان جميع الحركات الديالكتيكية فى العالم الموضوعى يمكن أن تنعكس عاجلا أم آجلا فى المعرفة البشرية . ونظرا لأن عملية النشوء والتطور والفناء فى الممارسة العملية الاجتماعية هى عملية لامتناهية ، فان عملية النشوء والتطور والفناء فى المعرفة البشرية هى أيضا كذلك . وبما أن الممارسة العملية التى يقوم بها الناس لتغيير الواقع الموضوعى وفقا لأفكار ونظريات وخطط ومشاريع معينة هى فى تقدم

مستمر ، فان معرفتهم بالواقع الموضوعى تتعمق كذلك أكثر فأكثر . ونظرا لأن حركة التغيير فى عالم الواقع الموضوعى لا تنتهى أبدا ، فان المعرفة التى يكتسبها الناس عن الحقيقة خلال ممارستهم العملية لا تنتهى أبدا كذلك . ان الماركسية اللينينية لم تختتم الحقيقة ، بل انها تشق دون توقف الطريق لمعرفة الحقيقة خلال الممارسة العملية . والنتيجة التى استخرجناها هى الوحدة التاريخية المحددة بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، بين النظرية والممارسة العملية ، بين المعرفة والعمل ، وعليه فنحن نعارض كل الايديولوجيات الخاطئة التى تنفصل عن التاريخ المحدد ، « يسارية » كانت أم يمينية .

لقد وضع التاريخ ، فى المرحلة الراهنة من تطور المجتمع ، على عاتق البروليتاريا وحزبها مسؤولية معرفة العالم معرفة صحيحة وتبديل العالم . وان عملية ممارسة تبديل العالم هذه العملية التى تم تحديدها بناء على المعرفة العلمية قد بلغت فى العالم وفى الصين على حد سواء ، لحظة تاريخية عظيمة لم يشهدها تاريخ البشرية ، لحظة ستبدد فيها البشرية تماما الظلام الذى يخيم على العالم وعلى الصين وتحل محله عالما وضاء لم ير التاريخ مثيلا له . ان نضال البروليتاريا والشعوب الثورية من أجل تغيير العالم يتضمن انجاز المهمات التالية : تغيير العالم الموضوعى وفى الوقت نفسه تغيير عالمهم الذاتى — تغيير مقدرتهم على اكتساب المعرفة وتغيير العلاقات بين العالم الذاتى والعالم الموضوعى . وقد بدأ تحقيق مثل هذا التغيير فى جزء من الكرة الأرضية أى فى الاتحاد السوفياتى . ولا يزال الشعب هناك يقوم بدفع عملية هذا التغيير الى الأمام . أما الشعب الصينى وسائر شعوب العالم فهى بدورها تمر الآن ، أو ستمر فى المستقبل ، بمثل هذه العملية . وهذا العالم الموضوعى الذى يجرى تغييره يشتمل على جميع المعارضين لهذا التغيير الذين لا بد أن يمروا بمرحلة من التغيير الاجبارى قبل أن يدخلوا مرحلة التغيير الواعى . وعندما

تبلغ البشرية جميعها مرحلة تغير فيها نفسها والعالم تغييرا واعيا ، يكون العالم قد دخل عصر الشيوعية .

اكتشاف الحقيقة عن طريق الممارسة العملية ، واثبات وتطوير الحقيقة عن طريق الممارسة العملية مرة ثانية . الانطلاق من المعرفة الحسية وتطويرها بصورة فعالة الى المعرفة العقلية ، ثم الانطلاق من المعرفة العقلية لتوجيه الممارسة العملية الثورية بصورة فعالة فى سبيل تغيير العالم الذاتى والعالم الموضوعى . الممارسة العملية ، ثم المعرفة ، والعودة الى الممارسة العملية ثانية ، ثم المعرفة أيضا ، وهكذا تتكرر العملية الى ما لا نهاية له ، ومع كل دورة يرتفع مضمون الممارسة العملية والمعرفة الى مستوى أعلى . هذه هى كل النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة ، وهذه هى النظرية المادية الديالكتيكية عن وحدة المعرفة والعمل .

ملاحظات

(١) لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .

(٢) ماركس : « موضوعات عن فيورباخ » ، ولينين : « المادية والمذهب النقدى التجريبى » ، الفصل الثانى ، المبحث السادس .

(٣) « قصة الممالك الثلاث » هى قصة تاريخية صينية مشهورة كتبها لوه قوان تشونغ الذى عاش بين ١٣٣٠ و ١٤٠٠ على وجه التقريب – المعرب .

(٤) لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .

(٥) كانت حركة ٤ مايو (أيار) حركة ثورية معادية للامبريالية والاقطاعية ، انفجرت فى ٤ مايو (أيار) ١٩١٩ . فى النصف الأول من ذلك العام ، عقدت البلدان الامبريالية المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة واليابان وايطاليا وغيرها اجتماعا فى باريس لتقاسم الغنائم قررت فيه أن تستلم

اليابان ما كانت ألمانيا تتمتع به من أنواع الامتيازات فى مقاطعة شاندونغ الصينية . وكان طلبة بكين أول من أقاموا اجتماعات ومظاهرات فى ٤ مايو (أيار) حيث عبروا عن معارضتهم الحازمة لذلك القرار . ولجأت حكومة أمراء الحرب الشماليين الى قمعهم فاعتقلت ثلاثين طالبا وأكثر ، فهب طلبة بكين مضربين عن الدراسة احتجاجا على ذلك ، واستجاب لهم الطلبة فى مختلف أنحاء البلاد . وفى ٣ يونيو (حزيران) ، بدأت حكومة أمراء الحرب الشماليين تقبض على الطلبة ببكين على نطاق أكبر ، فبلغ عدد الذين ألقى القبض عليهم خلال يومين فقط حوالى ألف طالب ، الأمر الذى أثار سخطا أشد فى طول البلاد وعرضها . وابتداء من ٥ يونيو (حزيران) ، أخذ العمال فى شانغهاى ومدن كثيرة أخرى يضربون عن العمل وكذلك التجار . وهكذا تحولت الحركة الوطنية التى ساهم فيها المثقفون بصورة رئيسية فى بداية الأمر تحولا سريعا الى حركة وطنية اجتاحت البلاد كلها وساهمت فيها البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية. ومع تقدم هذه الحركة ، تطورت كذلك حركة الثقافة الجديدة التى بدأت قبل حركة ٤ مايو (أيار) والرامية الى مناهضة الاقطاعية والداعية الى نشر العلم والى الديمقراطية ، وتحولت الى حركة ثقافية ثورية عارمة محتواها الرئيسى نشر الماركسية اللينينية — المعرب .

(٦) « فى سبيل المعرفة ، يتوجب على المرء أن يبدأ معرفته ودراسته على أساس التجربة وأن يرتفع من التجربة الى المعرفة العامة . » انظر لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .

(٧) لينين : « ما العمل ؟ » ، الفصل الأول ، المبحث الرابع .

(٨) لينين : « المادية والمذهب النقدى التجريبى » ، الفصل الثانى ، المبحث السادس .

(٩) ستالين : « أسس اللينينية » ، القسم الثالث .

(١٠) لينين : « المادية والمذهب النقدى التجريبى » ، الفصل الثانى ، المبحث الخامس .

فى التناقض

(أغسطس – آب – ١٩٣٧)

ان قانون التناقض فى الأشياء ، أى قانون وحدة الضدين هو القانون الأساسى الأول فى الديالكتيك المادى . ويقول لينين : « ان الديالكتيك ، بمعناه الأصلى ، هو دراسة التناقض فى صميم جوهر الأشياء . »(١) وكثيرا ما أسمى لينين هذا القانون جوهر الديالكتيك ، كما أسماه لب الديالكتيك(٢) . وهكذا لا يمكننا ، أثناء دراسة هذا القانون ، الا أن نتطرق الى جوانب متعددة ، والى عدد كبير من قضايا الفلسفة . واذا فهمنا جميع هذه القضايا حق الفهم استطعنا أن نفهم الديالكتيك المادى من حيث الأساس . وهذه القضايا هى : النظرتان الى العالم ؛ وعمومية التناقض ؛ وخاصية التناقض ؛ والتناقض الرئيسى والطرف الرئيسى للتناقض ؛ والوحدة والصراع بين طرفى التناقض ؛ ومركز التعادى فى التناقض .

كتب الرفيق ماو تسى تونغ هذا البحث الفلسفى بعد بحثه السابق ، « فى الممارسة العملية » ، وللغرض نفسه : تصحيح التفكير المتسم بالجمود العقائدى الذى كان رائجا فى الحزب بشكل خطير ، ولقد ألقى هذا البحث كمحاضرة فى الكلية الحربية والسياسية المناهضة لليابان فى يانآن . وقد أدخل المؤلف عليه بعض التعديلات والتنقيحات عند ضمه الى « المؤلفات المختارة لماو تسى تونغ » .

لقد أثار النقد الذى وجهته الأوساط الفلسفية فى الاتحاد السوفياتى فى السنوات الأخيرة الى مثالية مدرسة ديبورين اهتماما عظيما لدينا . ان مثالية ديبورين قد تركت أثرا سيئا جدا فى الحزب الشيوعى الصينى ، ولا يمكن أن نقول ان أسلوب الجمود العقائدى فى التفكير داخل حزبنا لا يمت بصلة الى أسلوب هذه المدرسة . وهكذا فان الهدف الرئيسى لدراساتنا الفلسفية فى الوقت الحاضر يجب أن يكون استئصال التفكير المتسم بالجمود العقائدى .

١ ـ نظرتان الى العالم

خلال تاريخ المعرفة البشرية كله كانت هناك وجهتا نظر حول قوانين تطور العالم ، هما وجهة النظر الميتافيزيقية ووجهة النظر الديالكتيكية اللتان تشكلان نظرتين متضادتين الى العالم . ويقول لينين : « ان وجهتى النظر الأساسيتين (أو الممكنتين ؟ أو المشاهدتين تاريخيا ؟) عن التطور (الارتقاء) هما : التطور كنقصان وازدياد ، كتكرار ؛ والتطور كوحدة الضدين (انقسام الواحد الى ضدين متعارضين تربط بينهما علاقة متبادلة) . »(٣) ان ما يعنيه لينين هنا هو هاتان النظرتان المختلفتان الى العالم .

ان أسلوب التفكير الميتافيزيقى ، طوال مرحلة مديدة جدا من التاريخ فى الصين وفى أوربا على حد سواء ، والذى هو جزء من النظرة المثالية الى العالم ، كان يحتل مركز السيطرة فى الفكر البشرى . وفى أوربا كانت مادية البرجوازية فى أيامها الأولى، ميتافيزيقية هى الأخرى . وقد نشأت النظرة الديالكتيكية المادية الماركسية الى العالم نتيجة لدخول الاقتصاد الاجتماعى فى العديد من أقطار أوربا مرحلة الرأسمالية العالية التطور ، وبلوغ القوى المنتجة والصراع

الطبقي والعلوم مستوى لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، ولأن البروليتاريا الصناعية أصبحت القوة المحركة العظمى فى التطور التاريخى . وعندئذ ظهر عند البرجوازية مذهب التطور المبتذل ، الى جانب مثالية رجعية صريحة عارية الوجه تماما ، لمقاومة الديالكتيك المادى .

ونحن نقصد بالنظرة الميتافيزيقية أو نظرة التطور المبتذل الى العالم ، النظر الى العالم بصورة منعزلة جامدة وحيدة الجانب . ان دعاة هذه النظرة يعتبرون أن جميع الأشياء فى العالم ، جميع أشكالها وفصائلها منعزلة بعضها عن بعض الى الأبد ، وثابتة لا تتبدل بصورة أزلية ؛ وأنه اذا كانت هناك تبدلات فانها لا تعنى سوى ازدياد أو نقصان فى الكمية وتغير فى المكان ؛ وأن علة هذا الازدياد أو النقصان وذلك التغير لا تقوم فى باطن الأشياء نفسها ، بل تقوم خارجها ، أى بفعل قوى خارجية . ويرى الميتافيزيقيون أن الأشياء المختلفة فى العالم وخصائصها ، قد بقيت على حالها منذ اللحظة التى وجدت فيها . وليس كل تبدل لاحق سوى ازدياد أو نقصان كمى . ويرون أن الشيء لا يمكن الا أن يتكاثر ويتولد عنه نفس الشيء مرارا وتكرارا الى الأبد ، ولا يستطيع مطلقا أن يتغير الى شيء آخر مختلف . وفى رأى الميتافيزيقيين أن الاستغلال الرأسمالى والمنافسة الرأسمالية والايديولوجية الفردية فى المجتمع الرأسمالى ، وهلم جرا ، يمكن أن نجدها فى المجتمع العبودى فى الزمن القديم ، بل فى المجتمع البدائى ، ولن تبرح موجودة الى الأبد دون أدنى تبديل . وحين يتحدث الميتافيزيقيون عن أسباب التطور الاجتماعى ، فانهم يفسرونها بالعوامل الخارجة عن المجتمع ، كالبيئة الجغرافية والمناخ . ويفتشون بسذاجة خارج الأشياء نفسها عن أسباب تطورها ، وينكرون النظرية التى يقدمها الديالكتيك المادى والتى تقول ان التناقضات الكامنة فى باطن الأشياء هى التى تسبب تطورها . فانهم يعجزون بنتيجة

ذلك ، عن تفسير تعدد نوعيات الأشياء ، كما أنهم يعجزون عن تفسير ظاهرة تحول نوعية معينة الى نوعية أخرى . ولقد وجد هذا النوع من التفكير فى أوربا بصورة المادية الميكانيكية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبصورة مذهب التطور المبتذل فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . أما الصين ، فقد ظهر فيها التفكير الميتافيزيقى القائل ان « السماء لا تتبدل ، وداو كذلك لا يتبدل »(٤) ، وقد أيدت الطبقة الحاكمة الاقطاعية المتعفنة هذا التفكير زمنا طويلا . أما المادية الميكانيكية ومذهب التطور المبتذل المستوردان من أوربا فى السنوات المائة الأخيرة فقد أيدتهما البرجوازية .

والنظرة الديالكتيكية المادية الى العالم ، على النقيض من النظرة الميتافيزيقية اليه ، تدعو الى دراسة تطور الشيء من باطنه ومن حيث صلته بالأشياء الأخرى ، وذلك بمعنى أنه ينبغى النظر الى تطور الشيء على أنه حركته الباطنية الذاتية والحتمية ، وأن كل شيء يرتبط فى حركته بالأشياء الأخرى التى تحيط به ويتبادل معها التأثير . فالعلة الأساسية فى تطور الشيء انما تكمن فى باطنه لا خارجه ، فى تناقضه الباطنى . وهذا التناقض الباطنى موجود فى كل الأشياء وهو الذى يبعث فيها الحركة والتطور . ان هذا التناقض الكامن فى باطن الأشياء هو العلة الأساسية فى تطورها ، أما الصلة القائمة والتأثير المتبادل بين شيء وآخر فهى علة ثانوية . وهكذا فان الديالكتيك المادى قد دحض بصورة قاطعة نظرية الأسباب الخارجية أو نظرية القوة الدافعة ، التى ينادى بها أنصار المادية الميكانيكية الميتافيزيقية ومذهب التطور المبتذل الميتافيزيقى . ومن الواضح أن الأسباب الخارجية الصرفة لا يمكن أن تؤدى الا الى الحركة الميكانيكية للأشياء ، أى الى تغيرات فى الحجم والكمية ، لكنها لا تستطيع أن تفسر لماذا تختلف الأشياء نوعيا ذلك الاختلاف الذى لا يمكن حصره ، ولماذا يتحول الشيء من نوعية الى أخرى . والواقع أنه حتى الحركة الميكانيكية

المسببة عن القوى الخارجية تتحقق هى الأخرى بواسطة التناقض القائم باطن الأشياء . وكذلك فان النمو البسيط للنباتات والحيوانات وتطورها الكمى مسببان بصورة رئيسية عن تناقضاتها الباطنية . وينطبق نفس الشيء على المجتمع ، فان تطوره مشروط ، بصورة رئيسية ، بالأسباب الباطنية لا الخارجية . فان ثمة بلدانا عديدة تتسم بالعوامل الجغرافية والمناخية المتماثلة تقريبا ، ومع ذلك فهى تختلف فى تطورها اختلافا بينا ، وتتفاوت درجات تطورها تفاوتا عظيما . وان تبدلات اجتماعية هائلة قد تجرى فى ذات البلد الواحد ، بدون أن يطرأ أى تبدل على جغرافية هذا البلد ومناخه . لقد تحولت روسيا الامبريالية الى الاتحاد السوفياتى الاشتراكى ، وتحولت اليابان الاقطاعية المغلقة الى اليابان الامبريالية ، بينما لم يطرأ أى تبدل على جغرافية هذين البلدين ومناخهما . ولقد مرت الصين الواقعة منذ زمن طويل تحت سيطرة النظام الاقطاعى ، بتبدلات عظيمة فى السنوات المائة الأخيرة ، وهى الآن تتبدل فى اتجاه صين جديدة حرة منعتقة ، مع أنه لم يطرأ أى تبدل على جغرافيتها ومناخها . وان التبدلات تحدث أيضا فى جغرافية ومناخ الكرة الأرضية كلها وفى كل جزء منها ، لكنها تبدلات تافهة جدا اذا ما قورنت بالتبدلات الطارئة على المجتمع ، فالتبدلات الأولى تظهر فى مدى عشرات ألوف السنين أو ملايين السنين ، بينما تظهر التبدلات الثانية فى مدى آلاف السنين أو مئاتها أو عشراتها فقط ، بل حتى فى مدى بضع سنين أو بضعة أشهر (كما هى الحال فى زمن الثورات) . ومن وجهة النظر الديالكتيكية المادية ، فان التبدلات تنشأ فى الطبيعة بصورة رئيسية عن تطور التناقضات الكامنة فيها . وتغيرات المجتمع ترجع فى الأساس الى تطور التناقضات الباطنية فيه ، وهى التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، والتناقض بين الطبقات ، والتناقض بين القديم والجديد ، وتطور هذه التناقضات هو الذى يدفع المجتمع الى الأمام ، يدفع المجتمع

الجديد لكى يقضى على المجتمع القديم . فهل يستبعد الديالكتيك المادى الأسباب الخارجية ؟ كلا . فالديالكتيك المادى يعتبر أن الأسباب الخارجية هى عامل التبدل ، والأسباب الباطنية هى أساس التبدل ، وأن الأسباب الخارجية تفعل فعلها عن طريق الأسباب الباطنية . فالبيضة تتبدل فى درجة حرارة ملائمة فتصير كتكوتا ، ولكن الحرارة لا تستطيع أن تحول حجرا الى كتكوت ، لأن لكل منهما أساسا يختلف عما للآخر . ان شعوب البلدان المختلفة يؤثر بعضها على بعض باستمرار . ففى عصر الرأسمالية ، وعلى الأخص فى عصر الامبريالية والثورة البروليتارية كان هذا التأثير والتفاعل المتبادل عظيما جدا بين مختلف البلدان فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة . ولم تفتح ثورة أكتوبر (تشرين الأول) الاشتراكية عصرا جديدا فى تاريخ روسيا فحسب ، بل فى تاريخ العالم أيضا ، وقد كان لها نفوذ على التغيرات الداخلية فى الأقطار الأخرى فى العالم ، كما كان لها نفوذ يتسم بالعمق بصفة خاصة على التغيرات الداخلية فى الصين ، الا أن هذه التبدلات قد حدثت عن طريق قوانين التطور الداخلى لتلك البلدان بما فى ذلك الصين . ان جيشين يلتحمان فى معركة ، فينتصر أحدهما وينهزم الآخر ، والنصر والهزيمة على حد سواء تقررهما أسباب باطنية . ان أحدهما ينتصر اما بسبب قوته واما بسبب قيادته الصحيحة ، وينهزم الآخر اما بسبب ضعفه واما بسبب أخطاء فى قيادته ، فالأسباب الخارجية تفعل فعلها عن طريق الأسباب الباطنية . لقد انتصرت البرجوازية الصينية الكبيرة على البروليتاريا عام ١٩٢٧ ، وذلك عن طريق الانتهازية التى كانت موجودة داخل البروليتاريا الصينية نفسها (داخل الحزب الشيوعى الصينى) . فلما صفينا هذه الانتهازية ، عاودت الثورة الصينية تقدمها . ثم تعرضت الثورة الصينية من جديد لضربات قاسية من قبل العدو ، وذلك من جراء روح المغامرة التى ظهرت داخل حزبنا .

فلما صفينا هذه الروح عاودت قضيتنا تقدمها مرة أخرى . من هذا نرى أنه يجب على الحزب السياسى ، كى يقود الثورة الى الظفر ، أن يعتمد على صحة خطه السياسى وعلى صلابة تنظيمه .

ان النظرة الديالكتيكية الى العالم قد نشأت منذ القدم فى الصين وفى أوربا على حد سواء . لكن الديالكتيك فى العصور القديمة كان يتصف بصفة العفوية والسذاجة ، وفى ظل الظروف الاجتماعية والتاريخية التى كانت تسود فى تلك الأيام لم يكن من الممكن أن يأخذ شكل نظرية كاملة ، وهكذا عجز عن تفسير الكون تفسيرا كاملا ، فحلت الميتافيزيقا فيما بعد محله . وقد ساهم الفيلسوف الألمانى الشهير هيجل الذى عاش من أواخر القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر بخدمة عظيمة الأهمية فى الديالكتيك ، لكن ديالكتيكه كان مثالى النزعة . حتى جاء ماركس وانجلز ، هذان الرائدان العظيمان للحركة البروليتارية فلخصا المنجزات الايجابية فى تاريخ المعرفة البشرية ، واستوعبا على الأخص بصورة ناقدة العناصر المعقولة فى ديالكتيك هيجل ، واستنبطا النظرية العظيمة نظرية المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، عندئذ فقط حدثت ثورة عظمى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المعرفة البشرية . ولقد طور لينين وستالين فيما بعد هذه النظرية العظيمة. وما ان دخلت هذه النظرية الى الصين حتى سببت فى الحال تبدلات عظيمة جدا فى عالم الفكر الصينى .

ان هذه النظرة الديالكتيكية الى العالم تعلم الانسان بصورة رئيسية كيف يلاحظ ويحلل بصورة صحيحة حركة التناقض فى مختلف الأشياء وكيف يستنبط على أساس هذا التحليل حلولا للتناقضات . ولذلك فان فهم قانون التناقض فى الأشياء فهما محددا هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة الينا .

٢ ــ عمومية التناقض

تسهيلا للبحث سأتكلم هنا عن عمومية التناقض أولا ، وأنتقل بعد ذلك الى خاصية التناقض . ذلك لأنه بعد اكتشاف النظرة الديالكتيكية المادية الى العالم بواسطة مؤسسى الماركسية الكبيرين ماركس وانجلز ، وبواسطة مكملى عملهما العظيمين ، لينين وستالين ، قد طبق الديالكتيك المادى بنجاح عظيم جدا فى تحليل جوانب عديدة من التاريخ البشرى والتاريخ الطبيعى ، وعلى ميادين عديدة متعلقة بتحويل المجتمع والطبيعة (فى الاتحاد السوفياتى على سبيل المثال) ، وأصبحت عمومية التناقض شيئا معترفا به لدى كثير من الناس ، ولذا فاننا لن نحتاج الا الى كلمات قليلة لأجل ايضاح هذه المسألة ؛ أما مسألة خاصية التناقض فان عددا كبيرا من الرفاق وأصحاب الجمود العقائدى منهم بصورة خاصة ، لم يفهموها بعد حق الفهم . انهم لا يفهمون أن عمومية التناقض تكمن بالضبط فى خاصية التناقض . كما لا يفهمون الى أى درجة عظيمة تبلغ أهمية دراسة خاصية التناقض الكامنة فى الأشياء المحددة التى تجابهنا فى توجيه مجرى النشاط العملى الثورى أثناء تطوره . ولذا يجب أن نولى دراسة مسألة خاصية التناقض اهتماما خاصا ، وأن نفسح لها مجالا كافيا لتوضيحها . لهذا السبب فاننا حين نحلل قانون التناقض فى الأشياء ، سنحلل بادئ ذى بدء عمومية التناقض ، ثم نحلل باهتمام خاص خاصية التناقض ، ونعود فى النهاية الى عمومية التناقض .

ان عمومية التناقض أو صفته المطلقة ذات معنى مزدوج . فأولا توجد التناقضات فى عملية تطور جميع الأشياء ؛ وثانيا توجد حركة التناقض فى عملية تطور كل شيء منذ البداية حتى النهاية .

يقول انجلز : « ان الحركة نفسها هى التناقض . »(٥) ويعرف لينين قانون وحدة الضدين بأنه « اعتراف (اكتشاف) بالاتجاهات المتناقضة المتعارضة المستقلة عن بعضها فى جميع ظواهر الطبيعة (بما فيها الفكر والمجتمع) وعملياتها »(٦) . هل هذه الآراء صحيحة ؟ أجل ، انها صحيحة . ان الاعتماد المتبادل بين طرفى كل تناقض فى كل شىء معين والصراع بينهما يقرران حياة ذلك الشىء ويدفعان تطوره الى أمام . فليس ثمة شىء ليس به تناقض ، ولو لا التناقض لما وجد شىء .

ان التناقض هو أساس الأشكال البسيطة للحركة (مثلا الحركة الميكانيكية)، وهو بالأحرى أساس الأشكال المعقدة للحركة .

وقد أوضح انجلز عمومية التناقض بالعبارات التالية : « اذا كان التغير الميكانيكى البسيط لشىء ما من مكان لآخر ينطوى على تناقض ، فان ذلك ينطبق بالأحرى على الأشكال الأعلى لحركة المادة ، وبخاصة على الحياة العضوية وتطورها. . . . ان الحياة تعنى بالتحديد وقبل كل شىء : ان الشىء الحى هو ، فى كل لحظة ، ذاته ، ولكنه فى نفس الوقت شىء آخر أيضا . فالحياة اذن هى أيضا تناقض قائم فى الأشياء والعمليات ذاتها ، وهو ينشأ ويحل نفسه باستمرار ؛ وحالما يتوقف هذا التناقض تتوقف الحياة أيضا ويحل الموت . ولقد رأينا كذلك أننا لا نستطيع فى مجال التفكير أيضا ، أن نتجنب التناقضات . وأن التناقض مثلا بين قدرة الانسان الكامنة فيه اللامتناهية على المعرفة ، وبين وجودها الفعلى فى البشر الذين هم محددون خارجيا ويملكون معرفة محدودة ، هذا التناقض يجد حله فى تعاقب لامتناه — بالنسبة الينا على الأقل فى الواقع — من الأجيال ، فى التقدم الذى لا نهاية له . »

« ان أحد المبادئ الأساسية للرياضيات العليا هو التناقض . . . »

« لكن حتى الرياضيات الدنيا تمتلىء بالتناقضات. . . . »(٧)

وكذلك أوضح لينين عمومية التناقض كما يلى : « فى الرياضيات : + و − ، التفاضل والتكامل .

فى الميكانيكا : الفعل ورد الفعل .

فى الفيزياء : الكهرباء الموجبة والسالبة .

فى الكيمياء : اتحاد الذرات وتفككها .

فى العلوم الاجتماعية : الصراع الطبقى . » (٨)

ان الهجوم والدفاع فى الحرب ، التقدم والانسحاب ، النصر والهزيمة ، كلها مظاهر متناقضة . ولا يمكن لأحد منها أن يبقى بدون نقيضه . وهذان الجانبان متصارعان ومتحدان فى وقت واحد ، يؤلفان بذلك الوحدة الكلية للحرب ، ويدفعان الحرب الى التطور ، ويحلان مشكلاتها .

وينبغى النظر الى كل اختلاف فى مفاهيم الانسان على أنه انعكاس لتناقض موضوعى . ان التناقضات الموضوعية تنعكس فى التفكير الذاتى ، فتشكل حركة التناقض فى المفاهيم ، وتدفع التفكير نحو التطور ، وتحل دون انقطاع المشاكل التى تقوم فى فكر الانسان .

ان تضاد الأفكار المختلفة والصراع بينها فى صفوف الحزب ينشأ على الدوام ، وهو انعكاس داخل الحزب للتناقضات بين الطبقات والتناقضات بين القديم والجديد فى المجتمع . ولا شك أن حياة الحزب ستتوقف اذا خلا من التناقضات ومن الصراع الايديولوجى من أجل حل هذه التناقضات .

وهكذا فقد اتضح أن التناقض يوجد بصورة شاملة سواء فى الأشكال البسيطة للحركة أو فى الأشكال المعقدة لها ، فى الظواهر الموضوعية أو فى الظواهر الفكرية ، وأنه يوجد فى جميع العمليات . لكن هل التناقض موجود أيضا فى المرحلة للبدائية من كل عملية ؟ هل هناك حركة التناقض من البداية حتى النهاية فى عملية تطور كل شىء ؟

يبدو من المقالات التى نقدت فيها الأوساط الفلسفية فى الاتحاد السوفياتى مدرسة ديبورين أن هذه المدرسة تزعم أن التناقض لا يظهر منذ بداية عملية ما ، وانما يظهر عندما تكون العملية قد تطورت الى مرحلة معينة . وبناء على ذلك فان تطور العملية حتى تلك اللحظة لا ينشأ عن الأسباب الباطنية ، بل عن الأسباب الخارجية . وهكذا يكون ديبورين قد عاد الى نظرية الأسباب الخارجية ، ونظرية الميكانيكية ، اللتين تنادى بهما الميتافيزيقا . وحين طبق أتباع مدرسة ديبورين هذه النظرية فى تحليل القضايا الواقعية ، رأوا أنه ليس بين الكولاك وبين جمهور الفلاحين فى ظروف الاتحاد السوفياتى أية تناقضات ، بل بينهم تفاوت فقط ، فوافقوا بذلك موافقة تامة على رأى بوخارين . ورأوا كذلك ، فى تحليل الثورة الفرنسية ، أنه لم يكن قبل الثورة فى داخل الطبقة الثالثة المؤلفة من العمال والفلاحين والبرجوازية أية تناقضات ، بل هناك تفاوت فقط . ان وجهات نظر أتباع مدرسة ديبورين هذه مناهضة للماركسية . فهم لا يفهمون أن كل تفاوت فى العالم ينطوى فى ذاته على تناقض ، وأن التفاوت هو التناقض . ولقد ولد التناقض بين العمال والرأسماليين منذ اللحظة التى ظهرت فيها هاتان الطبقتان الى الوجود ، الا أن هذا التناقض لم يكن حادا . وان هناك تفاوتا بين العمال والفلاحين ، حتى فى ظروف الاتحاد السوفياتى الاجتماعية ، وهذا التفاوت هو التناقض ، لكنه ، خلافا للتناقض بين العمال والرأسماليين ، لن يشتد بحيث يصير تناقضا عدائيا ، ولن يتخذ شكل الصراع الطبقى ؛ فالعمال والفلاحون يشكلون فى غمرة البناء الاشتراكى ، تحالفا متينا ، وسوف يحلون ذلك التناقض تدريجيا فى مجرى التطور من الاشتراكية الى الشيوعية . ان المسألة هنا هى مسألة الاختلاف فى صفة التناقضات ، وليست مسألة وجود التناقضات أو انعدامها . ان التناقض شىء عام مطلق ، موجود فى جميع عمليات تطور الأشياء ، ويتخلل جميع

العمليات من البداية حتى النهاية .

كيف تبدأ عملية جديدة ما ؟ انها تبدأ على النحو التالى : عندما تفسح الوحدة القديمة والعنصران المتضادان اللذان تتركب منهما هذه الوحدة المكان لوحدة جديدة والعنصرين المتضادين اللذين تتركب منهما هذه الوحدة الجديدة ، فان عملية جديدة تنبثق مكان العملية القديمة . فحين تنتهى العملية القديمة تبدأ العملية الجديدة . ولما كانت العملية الجديدة تتضمن هى الأخرى تناقضات جديدة ، فان تاريخ تطور تناقضاتها الخاصة يبدأ منذ ذلك الحين .

ولقد أشار لينين أن ماركس قد قدم فى كتابه « رأس المال » تحليلا نموذجيا لحركة التناقض التى تجرى خلال عملية تطور الأشياء من البداية حتى النهاية . وهذه هى الطريقة التى ينبغى أن تطبق فى دراسة عملية تطور كل شيء . ولقد طبقها لينين نفسه أيضا بصورة صحيحة والتزم بها فى جميع كتاباته .

« ان أول ما حلله ماركس ، فى كتابه "رأس المال" ، هو أبسط علاقة فى المجتمع البرجوازى (السلعى) ، علاقة اعتيادية أساسية مألوفة عادية أكثر من غيرها ، علاقة تحدث مليارات المرات ، ألا وهى تبادل السلع . وفى هذه الظاهرة البسيطة جدا (فى هذه " الخلية " للمجتمع البرجوازى) ، كشف التحليل جميع تناقضات (أو بذور جميع تناقضات) المجتمع الحديث. وان العرض اللاحق يبين لنا تطور (النمو والحركة على حد سواء) هذه التناقضات وهذا المجتمع فى المجموع العام لأجزائه المختلفة ، منذ بدايته حتى نهايته . »

يستطرد لينين قائلا : « وهكذا ينبغى أن تكون طريقة العرض (والدراسة) للديالكتيك بصورة عامة . » (٩)

وينبغي للشيوعيين الصينيين أن يتقنوا هذه الطريقة ، وعندئذ فقط يستطيعون تحليل تاريخ الثورة الصينية وظروفها الراهنة تحليلا صحيحا وتحديد آفاقها فى الوقت نفسه .

٣ ـ خاصية التناقض

يوجد التناقض فى عملية تطور جميع الأشياء ، وهو يتخلل عملية تطور كل شيء من البداية حتى النهاية : هذان هما عمومية التناقض وصفته المطلقة ، كما أوضحنا آنفا . ونتحدث الآن عن خاصية التناقض ونسبيته .

ينبغي أن ندرس هذه القضية من عدة زوايا .

أولا ، ان للتناقض فى كل شكل من أشكال حركة المادة صفته الخاصة . ان معرفة البشر للمادة هى معرفتهم بأشكال حركة المادة ، لأنه ليس فى العالم شيء سوى المادة فى حالة حركة ، وحركة المادة لا بد أن تتخذ شكلا من الأشكال المعينة . وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ، عندما نتفحص كل شكل من أشكال حركة المادة ، السمات التى يشترك فيها هذا الشكل مع الأشكال الأخرى للحركة . لكن ما له أهمية أعظم هو وجوب ملاحظة السمة الخاصة للشكل المعين من أشكال حركة المادة ، وملاحظة هذه السمة الخاصة هى التى تشكل أساس معرفتنا بالأشياء ، أى ملاحظة الاختلاف الجوهرى الذى بينه وبين الأشكال الأخرى . وبهذا وحده نستطيع أن نميز بين الأشياء المختلفة . ان كل شكل من أشكال الحركة يحتوى فى ذاته على تناقضه الخاص . وهذا التناقض الخاص يشكل الجوهر الخاص الذى يميز الشيء عن الأشياء الأخرى . وهذا هو السبب الباطنى أو الأساس كما يسمى أيضا ، فى الاختلاف العظيم الذى لا يمكن حصره بين الأشياء المتنوعة فى العالم .

وثمة أشكال عديدة للحركة فى الطبيعة : الحركة الميكانيكية ، والصوت ، والضوء ، والحرارة ، والكهرباء ، والتفكك ، والتجمع ، وهلم جرا . وجميع هذه الأشكال يعتمد بعضها على بعض فى البقاء ويختلف بعضها عن بعض جوهريا فى آن واحد . وان الجوهر الخاص الذى يحمله كل شكل من أشكال حركة المادة يتحدد بالتناقض الخاص الذى يتميز به ذلك الشكل . وينطبق هذا لا على الطبيعة وحدها ، بل ينطبق كذلك على ظواهر المجتمع والتفكير . فان كل شكل من أشكال المجتمع ، وكل أسلوب من أساليب التفكير ، له تناقضه الخاص وجوهره الخاص .

وان تصنيف الدراسات العلمية المختلفة يقوم بالضبط على أساس التناقضات الخاصة القائمة فى كل فرع من فروع العلم . وهكذا فان نوعا معينا من التناقضات خاصا بحقل معين من الظواهر يشكل موضوع الدراسة لفرع معين من العلوم . مثال ذلك الأعداد الموجبة والأعداد السالبة فى الرياضيات ، الفعل ورد الفعل فى الميكانيكا ، الكهرباء الموجبة والسالبة فى الفيزياء ، التحلل والتركيب فى الكيمياء ، القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، الصراع بين طبقة وأخرى فى العلوم الاجتماعية ، الهجوم والدفاع فى العلوم العسكرية ، المثالية والمادية ، النظرة الميتافيزيقية والنظرة الديالكتيكية فى الفلسفة ، وهلم جرا ، ان جميع هذه الأشياء بسبب احتواء كل زوج منها على تناقض خاص وجوهر خاص فانها تشكل مواضيع فروع مختلفة من الدراسة العلمية . وطبيعى أننا ، اذا لم نعرف عمومية التناقض ، لا نستطيع أن نكتشف الأسباب للعامة أو الأسس العامة لحركة الأشياء وتطورها ؛ ولكننا اذا لم ندرس خاصية التناقض فلن نستطيع أن نحدد الجوهر الخاص الذى يميز شيئا عن الأشياء الأخرى ، ولن نستطيع أن نكتشف الأسباب الخاصة أو الأسس الخاصة لحركة الأشياء أو تطورها ، ومن ثم لن نستطيع أن نميز بين الأشياء أو نحدد حقول البحث

العلمى .

وفيما يتعلق بالتسلسل فى حركة المعرفة البشرية فهناك دائما نمو تدريجى من معرفة أشياء مفردة وخاصة الى معرفة أشياء عامة . ولا يستطيع الانسان أن يتوصل الى التلخيص وأن يعرف الجوهر المشترك بين أشياء مختلفة عديدة الا بعد المامه بالجوهر الخاص لكل شيء منها . وبعد أن يلم الانسان بهذا الجوهر المشترك ، فانه يستعمل معرفته كدليل له ويقدم عندئذ على دراسة أشياء محددة مختلفة لم تدرس بعد أو درست دراسة غير معمقة ، فيستخرج الجوهر الخاص لكل منها ، وبهذه الطريقة وحدها يستطيع أن يكمل معرفته بالجوهر المشترك ويغنيها ويطورها ، ويحول دون أن تصبح هذه المعرفة جافة أو متحجرة . فهناك عمليتان فى المعرفة : احداهما من الخاص الى العام ، والأخرى من العام الى الخاص . وتتقدم المعرفة البشرية على الدوام باعادة هاتين العمليتين بشكل دائرى ، ويمكنها مع كل دورة (اذا طبقت الطريقة العلمية بدقة) أن ترتفع لدرجة أعلى وأن تتعمق باستمرار . وأصحاب الجمود العقائدى بيننا يرتكبون أخطاء فى هذه المسألة لأنهم ، من جهة ، لا يفهمون أنه يجب علينا أن ندرس خاصية التناقض ونعرف الجوهر الخاص لكل شيء من الأشياء المفردة قبل أن نستطيع أن نعرف بصورة كاملة عمومية التناقض والجوهر المشترك للأشياء المختلفة ؛ ولأنهم ، من جهة ثانية ، لا يفهمون أنه يجب علينا بعد الالمام بالجوهر المشترك للأشياء أن نتقدم لدراسة تلك الأشياء المحددة التى لم تدرس بعد بصورة معمقة أو التى نشأت للمرة الأولى . ان أصحاب الجمود العقائدى بيننا قوم من الكسالى ، يرفضون القيام بأية دراسة شاقة للأشياء المحددة ، ويعتبرون الحقائق العامة كشيء هبط من السماء فيجعلونها صيغا مجردة صرفة لا يمكن أن يدركها الناس ، وبذلك ينكرون كل الانكار ويقلبون فى الوقت ذاته الترتيب الطبيعى الذى يتوصل

الانسان بواسطته الى معرفة الحقيقة . وكذلك لا يفهمون الترابط القائم بين عمليتى المعرفة البشرية - من الخاص الى العام ثم من العام الى الخاص ، انهم لا يفهمون البتة النظرية الماركسية حول المعرفة .

ليس من الضرورى وحسب أن ندرس التناقض الخاص لكل نظام كبير من أشكال حركة المادة والجوهر الذى يحدده هذا التناقض ، بل من الضرورى كذلك أن ندرس التناقض الخاص والجوهر لكل شكل من أشكال حركة المادة فى كل عملية من العمليات فى مجرى تطوره الطويل . ان كل عملية حقيقية لا وهمية من عمليات تطور جميع أشكال الحركة ، تختلف جوهريا عن العمليات الأخرى . وينبغى لنا فى دراستنا أن نشدد على هذه النقطة وننطلق منها .

ان التناقضات المختلفة من حيث طبيعتها لا يمكن أن تحل الا بطرق مختلفة طبيعيا . مثال ذلك أن التناقض بين البروليتاريا والبرجوازية يحل بطريقة الثورة الاشتراكية ؛ والتناقض بين جماهير الشعب الغفيرة والنظام الاقطاعى يحل بطريقة الثورة الديمقراطية ؛ والتناقض بين المستعمرات والامبريالية يحل بطريقة الحرب الوطنية الثورية ؛ والتناقض بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين فى المجتمع الاشتراكى يحل بطريقة جعل الزراعة جماعية ومكننتها ؛ والتناقض داخل الحزب الشيوعى يحل بطريقة النقد والنقد الذاتى ؛ والتناقض بين المجتمع والطبيعة يحل بطريقة تطوير القوى المنتجة . ان العمليات تتبدل ، فتتلاشى العمليات القديمة والتناقضات القديمة ، وتنبثق عمليات جديدة وتناقضات جديدة ، وطبقا لذلك تختلف طرق حل التناقضات . فثمة فرق أساسى بين التناقض الذى حلته ثورة فبراير (شباط) وبين الذى حلته ثورة أكتوبر (تشرين الأول) فى روسيا ، وكذلك بين الطرق التى استعملت لحل تلك التناقضات . فاستخدام الطرق المختلفة لحل التناقضات المختلفة

هو مبدأ يجب على الماركسيين اللينينيين أن يراعوه مراعاة دقيقة . أما أصحاب الجمود العقائدي فلا يراعون هذا المبدأ اذ أنهم لا يفهمون الفوارق بين الحالات الثورية المختلفة ، وبنتيجة ذلك لا يفهمون أنه ينبغي اللجوء الى طرق مختلفة في سبيل حل التناقضات المختلفة ، بل يعتنقون بانتظام صيغة واحدة يتخيلون أنها غير قابلة للتبدل ، ويطبقونها بصورة آلية على كل شيء ، الأمر الذي لا يؤدي سوى الى جلب النكسات على الثورة أو الى افساد قضية كانت تسير على ما يرام حتى ذلك الحين .

ولكي نكشف اللثام عن خاصية التناقضات في مجموعها وفي ترابطها معا داخل عملية تطور الشيء ، أي نكشف اللثام عن جوهر عملية تطور الشيء ، ينبغي لنا أن نكشف اللثام عن خاصية طرفي كل تناقض من التناقضات في هذه العملية ، والا أصبح من المستحيل الكشف عن جوهر العملية ، وهذه قضية يجب علينا أن نعيرها أيضا كل الانتباه في دراستنا .

ان كل شيء عظيم يحتوي في عملية تطوره على تناقضات عديدة . مثال ذلك أن هناك في عملية الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين ، التناقض بين الطبقات المضطهدة في المجتمع الصيني وبين الامبريالية ، والتناقض بين جماهير الشعب الغفيرة والنظام الاقطاعي ، والتناقض بين البروليتاريا والبرجوازية ، والتناقض بين الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن من جهة والبرجوازية من جهة أخرى ، والتناقض بين الكتل الحاكمة الرجعية المختلفة . . الخ ، فالحالة اذن معقدة جدا . ولكل من هذه التناقضات خاصيته بحيث لا يمكن وضعها جميعا على صعيد واحد ، وليس هذا فحسب ، بل ان لكل طرف من طرفي كل تناقض خصائصه بحيث لا يمكن أيضا أن يعاملا معاملة واحدة . فلا ينبغي لنا ، نحن الذين نعمل من أجل الثورة الصينية ، أن نكتفي بفهم خاصية كل من التناقضات بالنظر الى هذه التناقضات

فى مجموعها ، أى الى ترابطها ، بل ينبغى لنا أيضا أن ندرس طرفى كل تناقض منها ، وبهذا وحده نجد سبيلا الى فهم مجموع هذه التناقضات . ونقصد بدراسة طرفى كل تناقض فهم المركز الخاص الذى يحتله كل طرف ، والشكل المحدد الذى به يعتمد كل طرف على الآخر فى البقاء ويتناقض معه فى آن واحد ، والوسائل المحددة التى يناضل بها ضد نقيضه عندما يكون كل منهما معتمدا على الآخر فى البقاء ويكون متناقضا معه فى الوقت ذاته أو عندما ينفصم هذا الاعتماد المتبادل . ان دراسة هذه المسائل أمر على غاية الأهمية . وقد عبر لينين عن هذه الفكرة بالضبط حين قال ان التحليل المحدد للظروف المحددة هو الشىء الجوهرى الأول فى الماركسية ، وهو روحها الحية(١٠) . لكن أصحاب الجمود العقائدى بيننا ، خلافا لتعاليم لينين ، لا يستعملون أدمغتهم البتة فى سبيل تحليل أى شىء بصورة محددة ، بل يستخدمون دائما أسلوب القوالب الجامدة فى كتاباتهم وخطاباتهم ، ويخرجونها عقيمة جوفاء خالية من كل مضمون ، وهم بذلك خلقوا فى حزبنا أسلوبا سيئا جدا فى العمل .

عندما ندرس قضية ما ، ينبغى لنا أن نبعد أنفسنا عن النظرة الذاتية ، والنظرة الوحيدة الجانب ، والنظرة السطحية . فالنظرة الذاتية معناها العجز عن دراسة القضايا دراسة موضوعية ، أى العجز عن دراستها وفق وجهة النظر المادية . وقد أوضحت هذا فى بحثى « فى الممارسة العملية » . أما النظرة الوحيدة الجانب فمعناها العجز عن دراسة القضايا من جميع جوانبها . ومن أمثلة ذلك ، فهم الصين وحدها من دون اليابان ، وفهم الحزب الشيوعى وحده من دون الكومينتانغ ، وفهم البروليتاريا وحدها من دون البرجوازية ، وفهم الفلاحين وحدهم من دون ملاك الأراضى ، وفهم الظروف الملائمة وحدها من دون الظروف العسيرة ، وفهم الماضى وحده من دون المستقبل ،

وفهم الجزء وحده من دون الكل ، وفهم النقائص وحدها من دون المنجزات ، وفهم المدعى وحده من دون المدعى عليه ، وفهم العمل الثورى السرى وحده من دون العمل الثورى العلنى ، وهلم جرا . وباختصار ، عدم فهم خاصية كل طرف من طرفى تناقض ما . وهذا ما يدعى النظر الى القضايا نظرة وحيدة الجانب . أو يدعى رؤية الجزء دون الكل ، كرؤية الشجرة دون الغابة . فاذا فعلنا ذلك فلن نستطيع الاهتداء الى طرق حل التناقضات ، ولا انجاز مهمات الثورة ، ولا أداء الواجبات بصورة مرضية ، ولا تطوير الصراع الايديولوجى فى داخل الحزب بصورة صحيحة . لقد قال سون تسى حول العلوم العسكرية : « اذا كنت على بينة من أمر عدوك وأمر نفسك فلن تنهزم فى أى معركة تخوضها . »(١١) وهو يقصد بهذا القول معرفة أحوال كلا الطرفين المتقاتلين . وقال وى تشنغ من أسرة تانغ : « اذا استمعت الى الطرفين ظهرت لك الحقيقة ، أما اذا استمعت الى طرف واحد وتحيزت له خفيت عليك الحقيقة. »(١٢) وكان وى تشنغ أيضا يدرك خطأ النظرة الوحيدة الجانب . ولكن رفاقنا كثيرا ما ينظرون الى القضايا من جانب واحد ، ولذلك كثيرا ما يتعثرون . وقد جاء فى رواية « أبطال على شاطئ البحيرة » أن سونغ جيانغ هاجم قرية تشو ثلاث مرات(١٣) ، فانهزم فى المرتين الأوليين نظرا لأنه كان يجهل حال العدو فطبق طريقة خاطئة . ثم غير طريقته ، فبدأ باستكشاف الأوضاع ، فعرف سر الطرق المتشابكة التى يتيه فيها الغرباء ، ونجح فى فصم عرى التحالف بين القرى الثلاث : قرية لى وقرية هو وقرية تشو ، ووضع كمينا فى معسكر العدو ، وهى حيلة مماثلة لحيلة حصان طروادة فى القصص الأجنبية ، وكسب النصر فى المعركة الثالثة . ونجد فى رواية « أبطال على شاطئ البحيرة » أمثلة عديدة من الديالكتيك المادى تعتبر قصة الهجمات الثلاث على قرية تشو أحسنها . لقد قال لينين :

«لكى نعرف موضوعا ما معرفة حقيقية ، علينا أن نلم وندرس جميع جوانبه وروابطه و" وسائطه" . وبالرغم من أننا لن نتمكن من تحقيق ذلك بصورة تامة ، الا أن حرصنا على دراسة القضايا من جميع جوانبها سيقينا شر الأخطاء والجمود . »(١٤) ان من واجبنا أن نتذكر هذه الكلمات . أما النظرة السطحية فهى تعنى أن المرء لا يأخذ بعين الاعتبار خاصية تناقض ما فى مجموعه ولا خاصية كل طرف من طرفى التناقض ، وتعنى أن المرء ينكر ضرورة التعمق فى شىء ودراسة خاصية التناقض القائم فيه بدقة ، بل يكتفى بالنظر اليه من بعيد ويحاول ، بعد أن يلمح التناقض لمحة خاطفة ، أن يحل هذا التناقض (أن يرد على الأسئلة ، ويحسم الخلافات ، ويتصرف فى الأعمال ، ويوجه العمليات الحربية) . ومثل هذا الأسلوب لا بد أن يثير المتاعب . وان السبب فى أن رفاقنا المصابين بالجمود العقائدى والتجريبية يرتكبون الأخطاء يعود الى أنهم ينظرون الى الأشياء بطريقة ذاتية ووحيدة الجانب وسطحية . والنظرة الوحيدة الجانب ، والنظرة السطحية هما فى نفس الوقت نظرة ذاتية ، ذلك لأن جميع الأشياء الموضوعية هى فى الحقيقة مرتبطة بعضها ببعض ، ولها قوانينها الباطنية ، الا أن بعض الناس ، بدلا من أن يعكسوا الأشياء كما هى ، ينظرون اليها نظرة وحيدة الجانب أو نظرة سطحية ، دون أن يدركوا علاقاتها المتبادلة ولا قوانينها الباطنية ، ولهذا فان أسلوبهم أسلوب ذاتى .

ان كل عملية حركة التناقضات فى تطور شىء ما لها خصائصها التى يجب أن نأخذها بعين الاعتبار ، سواء من حيث ترابط التناقضات أو من حيث حال كل طرف من أطرافها ، وليس هذا فقط ، بل ان لكل مرحلة من مراحل عملية تطور الشىء أيضا خصائصها التى يجب أن نأخذها بعين الاعتبار .

فان التناقض الأساسى فى عملية تطور شىء ما ، وجوهر العملية التى

يحدده هذا التناقض الأساسى ، لن يتلاشيا قبل اكتمال العملية ؛ لكن الوضع فى كل مرحلة من مراحل عملية التطور الطويلة للشىء كثيرا ما يختلف عن وضع مرحلة أخرى . والسبب فى ذلك أنه على الرغم من أن طبيعة التناقض الأساسى فى عملية تطور شىء ما وجوهر العملية لا يتغيران ، الا أن التناقض الأساسى يتزايد حدة فى المراحل المختلفة من عملية التطور الطويلة . وفضلا عن ذلك فان بعضا من التناقضات العديدة ، الكبيرة منها والصغيرة ، التى يحددها التناقض الأساسى أو يؤثر فيها يصبح متزايد الحدة ، والبعض الآخر يحل موقتا أو جزئيا أو تخف حدته ، وان تناقضات جديدة تنبثق ، وبنتيجة ذلك تظهر فى العملية مراحل مختلفة . فاذا لم يعر الناس انتباها لوجود مراحل مختلفة فى عملية تطور شىء ما فانهم لن يستطيعوا معالجة تناقضاته كما يجب .

مثال ذلك : عندما تطورت رأسمالية عصر المنافسة الحرة وتحولت الى امبريالية ، لم يحدث أى تبدل فى طبيعة الطبقتين المتناقضتين تماما ، البروليتاريا والبرجوازية ، ولا فى الطبيعة الرأسمالية لهذا المجتمع ؛ ولكن التناقض بين هاتين الطبقتين قد ازداد حدة ، وانبثق التناقض بين الرأسمال الاحتكارى والرأسمال الحر ، واشتد التناقض بين البلدان الاستعمارية والمستعمرات ، كما أن التناقض بين مختلف البلدان الرأسمالية ، الناشئ عن تطورها المتفاوت ، برز على نحو حاد جدا ، وهكذا ظهرت مرحلة خاصة من الرأسمالية هى مرحلة الامبريالية . والسبب فى أن اللينينية هى ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية هو أن لينين وستالين قد قدما ايضاحا صحيحا لهذه التناقضات وصاغا بصورة صحيحة نظرية الثورة البروليتارية وتكتيكها فى سبيل حل تلك التناقضات .

واذا نظرنا الى عملية الثورة الديمقراطية البرجوازية فى الصين ، التى بدأت بثورة ١٩١١ ، وجدنا لها أيضا مراحل خاصة متعددة . فالثورة فى فترة

قيادة البرجوازية لها والثورة فى فترة قيادة البروليتاريا لها تتمايزان على الأخص، كمرحلتين تاريخيتين مختلفتين اختلافا كبيرا . ذلك أن القيادة التى مارستها البروليتاريا غيرت وجه الثورة بصورة جذرية ، وأدت الى ترتيب جديد فى العلاقات الطبقية ، والى انطلاق عظيم فى ثورة الفلاحين ، ومنحت الثورة الموجهة ضد الامبريالية والاقطاعية صفة الحزم الذى لا يعرف المهادنة ، وجعلت من الممكن الانتقال من الثورة الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية ، وهلم جرا . وما كان يمكن أن تحدث هذه الأشياء كلها عندما كانت الثورة بقيادة البرجوازية . وعلى الرغم من أنه لم يحدث تبدل فى طبيعة التناقض الأساسى فى العملية كلها ، أى فى طبيعة هذه العملية بوصفها ثورة ديمقراطية مناهضة للامبريالية والاقطاعية (ونقيضها هو طبيعة البلاد كشبه مستعمرة وبلد شبه اقطاعى) ؛ فان العملية قد اجتازت مع ذلك مراحل عديدة من التطور فى مدة تزيد على عشرين عاما وقعت خلالها أحداث كبيرة عديدة كاخفاق ثورة ١٩١١ ، وقيام حكم أمراء الحرب الشماليين ، وانشاء الجبهة الوطنية المتحدة الأولى ، وثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ، وانفصام عرى الجبهة المتحدة وانتقال البرجوازية الى المعسكر المناهض للثورة ، والحروب بين أمراء الحرب الجدد ، وحرب الثورة الزراعية ، وانشاء الجبهة الوطنية المتحدة الثانية وحرب المقاومة ضد اليابان . وكانت هذه المراحل تحتوى على أوضاع خاصة ، مثل اشتداد بعض التناقضات (حرب الثورة الزراعية والغزو اليابانى للمقاطعات الشمالية الشرقية الأربع مثلا) ، والحل الجزئى أو الموقت لتناقضات أخرى (تصفية أمراء الحرب الشماليين ومصادرتنا للأراضى التى فى يد ملاك الأراضى مثلا) ، والانبثاق الجديد لتناقضات أخرى (الصراع بين أمراء الحرب الجدد ، واستعادة ملاك الأراضى لأراضيهم بعد أن فقدنا القواعد الثورية فى الجنوب مثلا) .

حين ندرس خصائص التناقضات فى كل مرحلة من مراحل عملية تطور شيء ما ، فانه ينبغى لنا ألا ندرسها فى ترابط التناقضات وفى مجموعها فحسب ، بل ينبغى لنا أيضا أن ندرسها فى كل طرف من أطراف التناقضات فى كل مرحلة من مراحل التطور .

فلنأخذ الكومينتانغ والحزب الشيوعى مثلا . لقد نفذ الكومينتانغ فى فترة الجبهة المتحدة الأولى ، السياسات الكبرى الثلاث لصون يات صن : التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الحزب الشيوعى ، وتقديم المساعدة الى العمال والفلاحين ، فكان بذلك ثوريا ذا حيوية ، وجسد تحالف طبقات مختلفة فى الثورة الديمقراطية . لكن الكومينتانغ تحول الى نقيضه منذ عام ١٩٢٧ فأصبح كتلة رجعية تمثل كبار ملاك الأراضى والبرجوازية الكبيرة . ثم بدل اتجاهه مرة أخرى ، بعد حادثة شيآن فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ ، وانعطف نحو وقف الحرب الأهلية والتحالف مع الحزب الشيوعى لمجابهة الامبريالية اليابانية فى صف واحد . هذه هى خصائص الكومينتانغ فى المراحل الثلاث . ومعلوم أن نشوء هذه الخصائص راجع الى أسباب شتى . أما الحزب الشيوعى الصينى ، فقد كان فى فترة الجبهة المتحدة الأولى حزبا فى طور الطفولة ، وقد قاد بشجاعة ثورة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٧ ؛ لكنه كشف عن عدم نضجه فى فهم طبيعة الثورة ومهماتها وأساليبها ، وبنتيجة ذلك استطاعت التشندوشيوية التى ظهرت فى الفترة الأخيرة من هذه الثورة ، أن تفعل فعلها وأن تؤدى بالثورة الى الهزيمة. ولقد عاد الحزب الشيوعى ، منذ عام ١٩٢٧ ، فقاد بشجاعة حرب الثورة الزراعية وخلق الجيش الثورى والقواعد الثورية ، لكنه ارتكب أخطاء المغامرة التى سببت خسائر جسيمة للجيش وللقواعد على حد سواء . وقد أصلح هذه الأخطاء منذ عام ١٩٣٥ ، وقاد الجبهة المتحدة الجديدة لمقاومة اليابان ، هذا النضال العظيم الذى يتطور الآن وينمو . وفى هذه المرحلة أصبح الحزب

الشيوعى حزبا مر باختبار ثورتين واكتسب ثروة عظيمة من التجارب . هذه هى خصائص الحزب الشيوعى الصينى فى المراحل الثلاث . ونشوء هذه الخصائص راجع كذلك الى أسباب شتى . ولن نستطيع ، دون دراسة هذه الخصائص ، أن نفهم العلاقات المتبادلة الخاصة بين الحزبين فى مراحل التطور المختلفة : انشاء جبهة متحدة ، وانفصام عرى الجبهة ، وانشاء جبهة متحدة أخرى . لكنه ينبغى لنا ، كى ندرس الخصائص المختلفة للحزبين ، أن ندرس – وهذا أمر أكثر أهمية – الأسس الطبقية للحزبين ، والتناقضات الناتجة عنها بين كل من الحزبين وبين القوى الأخرى خلال كل مرحلة من المراحل . مثال ذلك أن الكومينتانغ فى فترة تحالفه الأول مع الحزب الشيوعى كان ، من جهة ، فى تناقض مع الامبريالية الأجنبية ، ولهذا كان يعارض الامبريالية ؛ وكان ، من جهة أخرى ، فى تناقض مع جماهير الشعب الغفيرة فى داخل البلاد ، فكان ، رغم وعوده اللفظية باعطاء فوائد كثيرة للشعب الكادح ، لم يعطه فى الحقيقة الا القليل جدا أو لم يعطه شيئا البتة . وفى الفترة التى قام فيها بالحرب المناهضة للشيوعيين ، كان يتعاون مع الامبريالية والاقطاعية ضد جماهير الشعب الغفيرة ، فمحا بجرة قلم جميع المكاسب التى نالتها جماهير الشعب الغفيرة فى الثورة ، وبذلك زاد من حدة التناقض بينه وبينها . أما فى الفترة الراهنة فترة حرب المقاومة ضد اليابان فان الكومينتانغ ، بسبب التناقض القائم بينه وبين الامبريالية اليابانية ، يريد أن يتحالف مع الحزب الشيوعى ، الا أنه فى الوقت ذاته لا يتراخى فى نضاله ضد الحزب الشيوعى والشعب الصينى واضطهاده اياهما . أما الحزب الشيوعى فانه يقف على الدوام ، فى أى فترة كانت ، الى جانب جماهير الشعب الغفيرة فى النضال ضد الامبريالية والاقطاعية ؛ ولكن لما كان الكومينتانغ ، فى الفترة الراهنة فترة حرب المقاومة ضد اليابان، قد أبدى استعداده لمقاومة

اليابان ، فقد اتخذ الحزب للشيوعى سياسة معتدلة تجاهه وتجاه القوى الاقطاعية فى داخل البلاد . ولقد أدت هذه الظروف الى تحالف بين الحزبين فى زمن ما ، والى صراعهما فى زمن آخر ، بل لقد كان هناك حتى فى فترة التحالف ، حالة معقدة كان الصراع بينهما يجرى فيها الى جانب تحالفهما . فاذا لم ندرس خصائص طرفى التناقض هذه ، فاننا سوف نخفق فى فهم العلاقات بين كل من هذين الحزبين وبين القوى الأخرى ، بل سوف نخفق فى فهم العلاقات المتبادلة بين الحزبين أيضا .

يتبين من هنا أنه ينبغى لنا فى دراسة خصائص أى تناقض – التناقض فى كل شكل من أشكال حركة المادة ، والتناقض فى كل شكل للحركة فى كل عملية من عمليات التطور المختلفة ، وطرفى كل تناقض فى كل عملية من عمليات التطور ، والتناقضات فى كل مرحلة من مراحل العملية وطرفى كل تناقض منها فى كل مرحلة – ينبغى لنا فى دراسة خصائص كل هذه التناقضات أن نتفادى النظرة الذاتية والنظرة الاعتباطية وأن نقوم بتحليلها تحليلا محددا . ولا يمكن أن يكون ثمة معرفة بخصائص أى تناقض بدون التحليل المحدد . ان من واجبنا أن نذكر دائما كلمات لينين : التحليل المحدد للظروف المحددة .

ولقد كان ماركس وانجلز سباقين الى تزويدنا بنموذج رائع عن هذا التحليل المحدد .

عندما طبق ماركس وانجلز قانون التناقض فى الأشياء على دراسة عملية التاريخ الاجتماعى ، فقد اكتشفا التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، والتناقض بين الطبقات المستغلة والطبقات المستغلة ، كما اكتشفا التناقض الناتج عن ذلك بين القاعدة الاقتصادية والبناء الفوقى من سياسة وايديولوجية . . الخ ، واكتشفا كيف أن هذه التناقضات تؤدى لا محالة ، فى المجتمعات

الطبقية المختلفة ، الى ثورات اجتماعية مختلفة .

وعندما طبق ماركس هذا القانون على دراسة البنية الاقتصادية للمجتمع الرأسمالى اكتشف أن التناقض الأساسى لهذا المجتمع يكمن فى التناقض بين الصفة الاجتماعية للانتاج والصفة الخاصة للملكية . ويتمثل ذلك فى التناقض بين الصفة المنظمة للانتاج فى كل مشروع على حدة والصفة غير المنظمة للانتاج فى المجتمع بأسره . ويعبر هذا التناقض عن نفسه ، من حيث العلاقات الطبقية ، فى التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا .

وبسبب أن أنواع الأشياء لامتناهية وأن تطورها غير محدود ، فان ما هو عمومى فى حالة معينة يصير خاصا فى حالة معينة أخرى . وعلى عكس ذلك فان ما هو خاص فى حالة معينة يصير عموميا فى حالة معينة ثانية . ان التناقض الذى يحتوى عليه النظام الرأسمالى بين الصفة الاجتماعية للانتاج والملكية الخاصة لوسائل الانتاج هو شىء مشترك بين جميع البلدان التى توجد وتتطور فيها الرأسمالية ، وهذا ما يشكل ، بالنسبة الى الرأسمالية ، عمومية التناقض . ولكن هذا التناقض فى الرأسمالية شىء خاص بمرحلة تاريخية معينة من تطور المجتمع الطبقى عموما ، فهو بالنسبة الى التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج فى المجتمع الطبقى عموما ، يشكل خاصية التناقض . لكن حين كشف ماركس اللثام عن خاصية كل تناقض فى المجتمع الرأسمالى فقد أوضح ، بصورة أعمق وأوفى وأكمل ، عمومية التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج فى المجتمع الطبقى عموما .

ولما كان الخاص يرتبط بالعام ، ولما كان كل شىء يحتوى لا على خاصية التناقض وحدها ، بل يحتوى أيضا على عمومية التناقض ، ولما كانت العمومية تكمن فى الخاصية ، فانه ينبغى لنا عندما ندرس شيئا ما أن نحاول اكتشاف هذين الجانبين وترابطهما ، اكتشاف كل من الخاصية والعمومية فى

هذا الشيء وترابطهما على حد سواء ، واكتشاف الترابط بين هذا الشيء وغيره من الأشياء العديدة . وعندما أوضح ستالين الجذور التاريخية للينينية فى مؤلفه الشهير « أسس اللينينية » ، حلل الوضع الدولى الذى ولدت فيه اللينينية ، وحلل فى الوقت ذاته التناقضات المختلفة فى الرأسمالية التى بلغت أوجها فى ظروف الامبريالية ، وبين كيف أن هذه التناقضات جعلت الثورة البروليتارية مسألة عمل فورى ، وكيف خلقت ظروفا ملائمة لتوجيه الضربات مباشرة نحو الرأسمالية . وبالاضافة لذلك ، قد حلل الأسباب التى جعلت روسيا مهدا للينينية مبينا كيف كانت روسيا القيصرية تمثل نقطة تجمع كل تناقضات الامبريالية ، ولماذا استطاعت البروليتاريا الروسية أن تصبح طليعة البروليتاريا العالمية الثورية . وهكذا حلل ستالين عمومية التناقض فى الامبريالية مبينا كيف أن اللينينية هى ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية ؛ وحلل كذلك خاصية امبريالية روسيا القيصرية فى هذا التناقض العام ، مبينا كيف أصبحت روسيا وطنا لنظرية وتكتيك الثورة البروليتارية ، وكيف أنه تكمن فى هذه الخاصية عمومية التناقض . ولقد أفادنا تحليل ستالين هذا كنموذج فى فهم خاصية التناقض وعموميته وترابطهما .

ان ماركس وانجلز ، وكذلك لينين وستالين ، فيما يتعلق بتطبيق الديالكتيك على دراسة الظواهر الموضوعية ، يعلمون الناس دائما أنه ينبغى لهم أن يتخلصوا من أية شائبة من شوائب النظرة الذاتية والنظرة الاعتباطية ، بل يجب عليهم أن يكتشفوا ، من الظروف المحددة فى الحركة الواقعية الموضوعية ، التناقضات المحددة فى تلك الظواهر ، والمركز المحدد لكل طرف من أطراف التناقضات ، والعلاقات المحددة القائمة بين التناقضات . أما أصحاب الجمود العقائدى بيننا فلا يمكنهم أن يصيبوا كبد الحقيقة ، لأنهم لم يتخذوا فى البحث هذه الطريقة . فينبغى أن نتعظ باخفاقهم ، فنتعلم هذه الطريقة الصحيحة فى

البحث والتى لا توجد طريقة صحيحة أخرى سواها .

ان العلاقة بين عمومية التناقض وخاصيته هى العلاقة بين الصفة المشتركة والصفة الفردية للتناقض . واننا نعنى بالصفة المشتركة أن التناقض يوجد فى جميع العمليات ويسرى فيها من البداية حتى النهاية ، فالحركة ، والأشياء ، والعمليات ، والتفكير – كلها تناقضات . وان نكران التناقض فى الأشياء هو نكران كل شىء . هذا مبدأ عمومى ينطبق على جميع الأزمان وجميع الأماكن بدون استثناء . ومن هنا جاءت الصفة المشتركة أى الصفة المطلقة للتناقض . لكن هذه الصفة المشتركة كائنة فى كل صفة فردية ، وبدون صفة فردية لا توجد صفة مشتركة . فاذا أبعدنا جميع الصفات الفردية فهل تبقى هناك أى صفة مشتركة ؟ والصفات الفردية للتناقضات ناتجة عن كون كل تناقض ذا صفة خاصة تختلف عن صفات غيره من التناقضات . وان جميع الصفات الفردية موجودة بصورة مشروطة وموقتة ، فهى لذلك نسبية .

هذا المبدأ مبدأ الصفة المشتركة والصفة الفردية ، والمطلق والنسبى ، هو جوهر قضية التناقض فى الأشياء ، وان عدم فهمه معناه نبذ الديالكتيك .

٤ – التناقض الرئيسى والطرف الرئيسى للتناقض

بقى من قضية خاصية التناقض جانبان آخران ينبغى أن يفردا للتحليل هما : التناقض الرئيسى والطرف الرئيسى للتناقض .

توجد فى كل عملية تطور معقدة لشىء ما تناقضات عديدة ، ولا بد أن يكون أحدها هو التناقض الرئيسى الذى يقرر وجوده وتطوره وجود وتطور التناقضات الأخرى أو يؤثر فى وجودها وتطورها .

ففى المجتمع الرأسمالى مثلا ، تشكل القوتان المتناقضتان ، البروليتاريا

والبرجوازية ، التناقض الرئيسى ؛ أما التناقضات الأخرى – كالتناقض بين الطبقة الاقطاعية المتبقية والبرجوازية ، والتناقض بين برجوازية الفلاحين الصغيرة والبرجوازية ، والتناقض بين البروليتاريا وبرجوازية الفلاحين الصغيرة ، والتناقض بين البرجوازية غير الاحتكارية والبرجوازية الاحتكارية ، والتناقض بين الديمقراطية البرجوازية والفاشية البرجوازية ، والتناقض بين البلدان الرأسمالية نفسها ، والتناقض بين الامبريالية والمستعمرات .. الخ – فيقررها جميعا ذلك التناقض الرئيسى أو يؤثر فيها .

وفى البلدان شبه المستعمرة كالصين ، تظهر العلاقة بين التناقض الرئيسى والتناقضات غير الرئيسية فى حالة معقدة .

فعندما تشن الامبريالية حربا عدوانية على بلد من هذا النوع ، فان الطبقات المختلفة فى هذا البلد ، باستثناء حفنة من الخونة ، يمكن أن تتحد موقتا كى تخوض غمار حرب وطنية ضد الامبريالية . وحينئذ يصبح التناقض بين الامبريالية وذلك البلد التناقض الرئيسى ، بينما تصبح موقتا جميع التناقضات بين مختلف الطبقات داخل ذلك البلد (بما فيها التناقض الرئيسى بين النظام الاقطاعى وجماهير الشعب الغفيرة) فى مركز ثانوى وتابع . هكذا كانت الحال فى الصين أثناء حرب الأفيون عام ١٨٤٠ ، والحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٤ ، وحرب يى خه توان عام ١٩٠٠ ، وكذلك هى الحال فى الحرب الصينية اليابانية الراهنة .

لكن مراكز التناقضات تتبدل فى حالة أخرى . فعندما تمارس الامبريالية أشكالا من الاضطهاد معتدلة نسبيا ، سياسية واقتصادية وثقافية .. الخ ، بدلا من الاضطهاد عن طريق الحرب ، فان الطبقات الحاكمة فى البلدان شبه المستعمرة سوف تستسلم للامبريالية ، ويتحالف الاثنان ويتعاونان على اضطهاد جماهير الشعب الغفيرة . وفى مثل هذه الحال كثيرا ما تلجأ جماهير

الشعب الغفيرة الى شكل الحرب الأهلية للوقوف فى وجه تحالف الامبريالية والطبقة الاقطاعية ، بينما تتخذ الامبريالية على الأغلب طرقا غير مباشرة لمساعدة الرجعيين فى البلدان شبه المستعمرة على اضطهاد الشعب دون أن تقوم بعمل مباشر ، وعندئذ تبرز حدة التناقضات الداخلية بصورة خاصة . وهكذا كانت الحال فى الصين فى الحرب الثورية عام ١٩١١ ، وفى الحرب الثورية ١٩٢٤ — ١٩٢٧ ، وفى أعوام حرب الثورة الزراعية العشرة منذ عام ١٩٢٧ . ويمكن أن نجد حالة مماثلة أيضا فى الحروب بين مختلف الكتل الحاكمة الرجعية فى البلدان شبه المستعمرة — كالحروب بين أمراء الحرب فى الصين .

وحين تبلغ الحرب الثورية الأهلية ، فى تطورها ، حدا تهدد معه فى الأساس بقاء الامبريالية وأذنابها الرجعيين المحليين فان الامبريالية كثيرا ما تتخذ طرقا غير الطرق المذكورة أعلاه محاولة الحفاظ على حكمها ؛ فهى اما أن تحاول شق الجبهة الثورية من الداخل واما أن ترسل القوات المسلحة مباشرة لتساعد الرجعيين المحليين . وفى هذه الحال تقف الامبريالية الأجنبية والرجعيون المحليون بصورة علنية مفضوحة فى قطب ، بينما تقف جماهير الشعب الغفيرة فى القطب الآخر ، فيتألف من ذلك تناقض رئيسى يقرر تطور التناقضات الأخرى أو يؤثر فيه . فالمساعدة التى قدمتها البلدان الرأسمالية للرجعيين الروس بعد ثورة أكتوبر (تشرين الأول) هى مثال للتدخل المسلح . وخيانة تشيانغ كاى شيك للثورة عام ١٩٢٧ هى مثال لشق الجبهة الثورية .

ولكن مهما تكن الحال ، فمما لا يتطرق اليه أدنى شك أن ثمة تناقضا رئيسيا واحدا فقط يلعب الدور القيادى فى كل مرحلة من مراحل عملية التطور .

ونعلم مما تقدم أنه اذا كانت فى أية عملية من العمليات تناقضات كثيرة فلا بد أن يكون بينها تناقض رئيسى يلعب الدور القيادى الحاسم ، أما بقية التناقضات فانها تحتل مركزا ثانويا تابعا . ولذلك ينبغى لنا فى دراسة أى عملية

معقدة يوجد فيها تناقضان أو أكثر أن نبذل قصارى جهودنا كى نكتشف التناقض الرئيسى فيها . فاذا أمسكنا بزمام هذا التناقض الرئيسى ، استطعنا حل سائر التناقضات بسرعة . وهذه هى الطريقة التى علمنا ماركس اياها عندما درس المجتمع الرأسمالى . وقد علمنا لينين وستالين أيضا هذه الطريقة عندما درسا الامبريالية والأزمة العامة للرأسمالية ، وعندما درسا الاقتصاد السوفياتى . وان آلاف الباحثين والمشتغلين بالقضايا العملية لا يفهمون هذه الطريقة ، وهم بنتيجة ذلك متحيرون كالملاحين التائهين فى بحر عظيم ، لا يستطيعون الاهتداء الى لب الموضوعات ، ولذلك يعجزون عن الاهتداء الى طرق حل التناقضات.

انه ، كما ذكرنا آنفا ، لا يجوز لنا أن نعامل جميع التناقضات الموجودة فى عملية ما على قدم المساواة ، بل لا بد لنا أن نميز بين التناقض الرئيسى والتناقضات الثانوية ونولى انتباها خاصا للامساك بزمام التناقض الرئيسى . لكن هل يجوز لنا أن نعامل الطرفين المتناقضين ، فى أى تناقض رئيسيا كان أم ثانويا ، على قدم المساواة ؟ كلا ، لا يجوز ذلك . فان تطور كل طرف من الطرفين المتناقضين ، فى أى تناقض كان ، متفاوت عن تطور الطرف الآخر . ويتراءى أحيانا أن ثمة توازنا فى القوى بين طرفى التناقض ، لكن تلك ليست سوى حالة موقتة ونسبية ، فالتفاوت هى الحالة الأساسية . فلا بد أن يكون أحد الطرفين المتناقضين رئيسيا والآخر ثانويا . فالطرف الرئيسى هو الذى يلعب الدور القيادى فى التناقض . وان طبيعة الشئ يقررها فى الدرجة الأولى الطرف الرئيسى للتناقض ، الذى يحتل مركز السيطرة .

لكن هذا الوضع ليس ثابتا ، اذ أن الطرف الرئيسى وغير الرئيسى لتناقض ما يتحول أحدهما الى الآخر ، فتتبدل طبيعة الشيء تبعا لذلك . اننا نجد ، فى عملية معينة لتطور تناقض ما ، أو فى مرحلة معينة من مراحل التطور ، أن الطرف الرئيسى هو «ا» وأن الطرف غير الرئيسى هو «ب» ؛ ولكن فى

مرحلة أخرى من التطور أو فى عملية أخرى منه تنعكس الحالة ، وهذا تبدل يقرره مدى ازدياد أو نقصان قوة كل من الطرفين المتناقضين فى صراعه مع الطرف الآخر فى مجرى تطور الشيء .

وكثيرا ما نتحدث عن « حلول الجديد محل القديم » . ان حلول الجديد محل القديم هو قانون عام للكون لا يمكن مقاومته أبدا . ان تحول شيء الى شيء آخر تبعا لطبيعته وللظروف المحيطة به وبواسطة أشكال مختلفة من القفزات ، تلك هى عملية حلول الجديد محل القديم . ان كل شيء يحوى تناقضا بين طرفه الجديد وطرفه القديم ، تناقضا يشكل سلسلة من الصراعات الملتوية . ونتيجة لهذه الصراعات يتعاظم الطرف الجديد ويرتفع فيحتل مركز السيطرة ، بينما الطرف القديم يتضاءل بصورة تدريجية حتى يضمحل . وحالما يسيطر الطرف الجديد على الطرف القديم ، فان الشيء القديم يتحول الى شيء جديد من حيث الطبيعة . ومن هذا نرى أن طبيعة الشيء يقررها بالدرجة الأولى الطرف الرئيسى للتناقض ، الذى يحتل مركز السيطرة . وعندما يطرأ تبدل على الطرف الرئيسى للتناقض ، الذى يحتل مركز السيطرة فان طبيعة الشيء تتبدل تبعا لذلك .

ففى المجتمع الرأسمالى ، تحولت الرأسمالية من قوة تشغل مركزا تابعا فى عصر المجتمع الاقطاعى القديم الى قوة تحتل مركز السيطرة ، فتبدلت طبيعة المجتمع تبعا لذلك من الاقطاعية الى الرأسمالية . وفى عصر المجتمع الرأسمالى الجديد ، تحولت القوى الاقطاعية ، من قوى كانت فى الأصل مسيطرة ، الى قوى تابعة ، ومن ثم سارت نحو الاضمحلال بصورة تدريجية ، كما حدث فى بريطانيا وفرنسا . ومع تطور القوى المنتجة تتحول البرجوازية من طبقة جديدة تلعب دورا تقدميا الى طبقة قديمة تلعب دورا رجعيا ، حتى تسقطها البروليتاريا فى النهاية ، فتصبح طبقة مجردة من الوسائل الخاصة للانتاج

ومن السلطة ، وتضمحل بصورة تدريجية . أما البروليتاريا التى تفوق البرجوازية كثيرا فى عددها ، والتى نمت مع البرجوازية فى وقت واحد ، لكنها تقع تحت سيطرتها ، فهى قوة جديدة ، تنمو وتزداد قوة بصورة تدريجية ، بعد أن كانت تشغل فى البدء مركز التابع للبرجوازية ، فتصير طبقة مستقلة تلعب دورا قياديا فى التاريخ ، حتى تستولى فى النهاية على السلطة السياسية فتصبح الطبقة الحاكمة . وعندئذ تتبدل طبيعة المجتمع فيتحول من المجتمع الرأسمالى القديم الى المجتمع الاشتراكى الجديد . وهذا هو الطريق الذى اجتازه الاتحاد السوفياتى ، والذى ستجتازه سائر البلدان حتما .

خذ الوضع فى الصين مثلا . ان الامبريالية تحتل المركز الرئيسى فى التناقض القائم فى تحويل الصين الى شبه مستعمرة ، وهى تضطهد الشعب الصينى ، بينما الصين تتحول من بلد مستقل الى شبه مستعمرة . لكن هذا الوضع سوف يتبدل بصورة محتومة . ففى الصراع بين الطرفين ، سوف تحول حتما قوة الشعب الصينى النامية تحت قيادة البروليتاريا بلاد الصين من شبه مستعمرة الى دولة مستقلة ، بينما الامبريالية سيطاح بها ، والصين القديمة ستتحول ، لا محالة ، الى صين جديدة .

ان تبدل الصين القديمة وتحولها الى صين جديدة يتضمن أيضا تبدلا فى الوضعية بين القوى الاقطاعية القديمة والقوى الشعبية الجديدة داخل البلاد . فطبقة ملاك الأراضى الاقطاعية القديمة سيطاح بها وتصبح طبقة محكومة بعد أن كانت حاكمة ، وتضمحل بصورة تدريجية . أما الشعب فسيصبح ، تحت قيادة البروليتاريا ، حاكما بعد أن كان محكوما . وهنا يطرأ تبدل على طبيعة المجتمع الصينى ، فيتحول المجتمع القديم شبه المستعمر وشبه الاقطاعى ، الى مجتمع ديمقراطى جديد .

وفى تجاربنا الماضية أمثلة على هذه التحولات المتبادلة . ان أسرة تشينغ

الملكية التى حكمت الصين قرابة ثلاثمائة سنة قد أطيح بها أثناء ثورة ١٩١١ ؛ أما العصبة الثورية تحت قيادة صون يات صن فقد كسبت النصر لفترة من الزمن . وفى الحرب الثورية التى دارت رحاها بين ١٩٢٤ – ١٩٢٧ ، تحولت القوى الثورية فى الجنوب التى تمثل التحالف بين الحزب الشيوعى والكومينتانغ من قوة ضعيفة الى قوة عظيمة ، وكسبت النصر فى الحملة الشمالية ؛ أما أمراء الحرب الشماليون ، وقد كانوا أصحاب قوة وجبروت فى فترة من الزمن ، فقد اندحروا . وفى عام ١٩٢٧ أصبحت القوى الشعبية التى يقودها الحزب الشيوعى ضعيفة جدا تحت ضربات قوى الكومينتانغ الرجعية ؛ لكنها تعاظمت من جديد بصورة تدريجية بعد أن استأصلت الانتهازية من صفوفها . وفى القواعد الثورية تحت قيادة الحزب الشيوعى ، تحول الفلاحون من محكومين الى حاكمين ، بينما طرأ على ملاك الأراضى تحول معاكس . وعلى هذا النحو يحدث فى العالم باستمرار ، زوال القديم وولادة الجديد ، حلول الجديد محل القديم ، وتحطيم القديم وانشاء الجديد أو انبعاث الجديد من القديم .

وفى أوقات معينة فى مجرى النضال الثورى ، تطغى المصاعب على الظروف المؤاتية ، وحينئذ تشكل المصاعب الطرف الرئيسى للتناقض ، أما الظروف المؤاتية فانها تشكل الطرف الثانوى . الا أن الثوريين يستطيعون بفضل جهودهم أن يتغلبوا على الصعوبات خطوة فخطوة وينشأ من ذلك وضع مؤات جديد ، وهكذا يحل الوضع المؤاتى محل الوضع الصعب . تلك كانت الحال بعد اخفاق الثورة فى الصين عام ١٩٢٧ ، وخلال المسيرة الكبرى للجيش الأحمر الصينى . وان الصين تجد نفسها من جديد ، فى الحرب الصينية اليابانية الراهنة ، فى وضع عسير ، لكننا نستطيع أن نبدل هذا الوضع ونحقق تحولا أساسيا فى وضع كل من الصين واليابان . وعلى العكس يمكن للظروف المؤاتية أن تتحول الى مصاعب اذا ارتكب الثوريون أخطاء . فقد تحول انتصار

ثورة ١٩٢٤ — ١٩٢٧ الى هزيمة ، كما أن القواعد الثورية التى نشأت فى المقاطعات الجنوبية منذ عام ١٩٢٧ قد لحقتها الهزيمة جميعا عام ١٩٣٤ .

وينطبق الأمر نفسه على التناقض القائم فى انتقالنا من الجهل الى المعرفة أثناء الدراسة . ففى بدء دراستنا للماركسية يقف جهلنا بها أو معرفتنا الزهيدة بها موقف التناقض مع المعرفة الماركسية . لكننا نستطيع بالدراسة المجدة ، أن نتحول من الجهل الى المعرفة أو من المعرفة الزهيدة الى معرفة غزيرة ومن التطبيق الأعمى للماركسية الى تطبيق حاذق لها .

ويظن بعض الناس أن الأمر على خلاف ذلك فى بعض التناقضات . مثال ذلك أن القوى المنتجة هى الطرف الرئيسى فى التناقض بينها وبين علاقات الانتاج ؛ وأن الممارسة العملية هى الطرف الرئيسى فى التناقض بين النظرية وبينها ؛ وأن القاعدة الاقتصادية هى الطرف الرئيسى فى التناقض بينها وبين البناء الفوقى ؛ ولا يحدث تحول متبادل فى مركز أى طرف منها . هذه هى نظرية المادية الميكانيكية ، لا نظرية المادية الديالكتيكية . صحيح أن القوى المنتجة ، والممارسة العملية ، والقاعدة الاقتصادية ، تلعب عادة الدور الرئيسى الحاسم ، ومن ينكر هذه الحقيقة لا يكون ماديا . لكن يجب أن نعترف كذلك بأن علاقات الانتاج والنظرية والبناء الفوقى تلعب بدورها ، فى ظل ظروف معينة ، الدور الرئيسى الحاسم . فعندما يتعذر تطور القوى المنتجة بدون تبديل علاقات الانتاج ، فان تبديل علاقات الانتاج يلعب الدور الرئيسى الحاسم . وحين « لا توجد نظرية ثورية لا يمكن أن تكون هناك حركة ثورية »(١٥) كما قال لينين ، فان خلق النظرية الثورية والدعاية لها يلعب الدور الرئيسى الحاسم . وعندما ينبغى القيام بعمل ما (وهذا ينطبق على أى عمل كان) لكنه لم ترسم بعد سياسة عامة أو طريقة أو خطة أو سياسة محددة ، فان رسم كل هذه يصبح العامل الرئيسى الحاسم . وعندما يعوق البناء الفوقى ، كالسياسة

والثقافة ، تطور القاعدة الاقتصادية ، فان التجديدات السياسية والثقافية تصبح العامل الرئيسى الحاسم . أ ترانا نخالف المادية بقولنا هذا ؟ كلا . والسبب هو أننا اذ نعترف بأن المادى ، فى التطور العام للتاريخ ، هو الذى يقرر الروحى ، وأن الوجود الاجتماعى هو الذى يقرر الوعى الاجتماعى فاننا نعترف أيضا ، ويجب أن نعترف ، برد فعل الروحى على المادى ، برد فعل الوعى الاجتماعى على الوجود الاجتماعى ، برد فعل البناء الفوقى على القاعدة الاقتصادية. وليس هذا مخالفا للمادية ، بل يعنى بالضبط تفادى المادية الميكانيكية والتمسك الحازم بالمادية الديالكتيكية .

اذا لم نبحث أثناء دراستنا لقضية خاصية التناقض ، مسألة التناقض الرئيسى والتناقضات غير الرئيسية فى عملية معينة ومسألة الطرف الرئيسى والطرف غير الرئيسى لتناقض معين ، يعنى اذا لم ندرس الفارق المتمثل فى كلا هذين الوضعين من أوضاع التناقضات ، فاننا سنتورط فى دراسات مجردة ونعجز عن فهم أوضاع التناقضات بصورة محددة ، ونعجز بنتيجة ذلك عن ايجاد الطريقة الصحيحة لحلها . وان هذا الفارق أو هذه الخاصية المتمثلة فى كلا الوضعين تمثل التفاوت بين القوتين المتناقضتين . فلا شىء فى العالم يجرى فى تطورات متساوية بصورة مطلقة ، وينبغى لنا أن نعارض نظرية التطور المتساوى أو نظرية التوازن . وفى الوقت ذاته ، فان هذه الأوضاع المحددة الخاصة بالتناقض ، والتبدل الذى يطرأ على الطرف الرئيسى والطرف غير الرئيسى للتناقض فى مجرى تطوره ، تظهر بالضبط قوة الأشياء الجديدة فى ازاحة الأشياء القديمة والحلول محلها . ان دراسة أوضاع التفاوت فى التناقضات ، دراسة التناقض الرئيسى والتناقضات غير الرئيسية والطرف الرئيسى وغير الرئيسى للتناقض ، هى احدى الطرق المهمة التى يقرر بها حزب سياسى ثورى ، بصورة مضبوطة ، خططه الاستراتيجية والتكتيكية فى الشؤون السياسية والعسكرية ، وهى دراسة من واجب جميع الشيوعيين أن يولوها الاهتمام.

٥ ـ الوحدة والصراع بين طرفى التناقض

بعد أن أوضحنا قضية عمومية التناقض وخاصيته ، يجب أن ننتقل الى دراسة الوحدة والصراع بين طرفى التناقض .

الوحدة ، الاتحاد ، التطابق ، التداخل ، التمازج ، الاعتماد المتبادل (أو الاعتماد المتبادل فى البقاء) ، الترابط أو التعاون ـ هذه العبارات المختلفة جميعا تعنى فكرة واحدة وتقصد هاتين النقطتين التاليتين : أولا ، ان كل طرف من طرفى التناقض فى عملية تطور شىء ما يستلزم وجود الطرف الآخر المتناقض معه ، كشرط مسبق لوجوده هو ، وان الطرفين يتواجدان فى كيان واحد ؛ ثانيا ، ان كل طرف من الطرفين المتناقضين يتحول ، تبعا لعوامل معينة ، الى نقيضه . وهذا هو ما يقصد بالوحدة .

لقد قال لينين : « ان الديالكتيك هو النظرية التى تدرس كيف يمكن لضدين أن يكونا متحدين ، وكيف يصيران متحدين (يتبدلان فيصيران متحدين) ـ فى أية ظروف يكونان متحدين ، ويتحول أحدهما الى نقيضه ـ ولماذا ينبغى للفكر الانسانى ألا ينظر الى هذين الضدين كشيئين ميتين جامدين ، بل كشيئين حيين مشروطين قابلين للتبدل ولتحول أحدهما الى نقيضه . »(١٦)

فماذا يعنى لينين بهذه الكلمات ؟

ان الطرفين المتناقضين فى أية عملية هما متعارضان ومتصارعان ومتضادان فيما بينهما . ويوجد هذان الطرفان المتناقضان دون استثناء فى عمليات تطور جميع الأشياء فى العالم وفى الفكر البشرى . فالعملية البسيطة تحوى زوجا واحدا من الأضداد فقط ، بينما تحوى العملية المعقدة أكثر من زوج واحد منها . وبين كل زوج وآخر من الأضداد يقوم أيضا تناقض ما . وعلى هذا النحو

تشكل التناقضات كافة الأشياء فى العالم الموضوعى والفكر البشرى وتدفعها الى الحركة .

اذا كان الأمركذلك فان كل ما هنالك هو انعدام تام للوحدة والاتحاد ، اذن كيف يمكننا أن نقول ان هناك وحدة أو اتحادا ؟

السبب فى ذلك هو أن كل طرف من الطرفين المتناقضين لا يمكن أن يبقى بمعزل عن الآخر . فكل طرف يفقد شرط وجوده اذا انعدم الطرف الآخر الذى يعارضه . تصوروا ، هل يمكن لأى شىء من الأشياء المتناقضة أو أى مفهوم من المفاهيم المتناقضة فى الفكر البشرى أن يبقى مستقلا ؟ فلا موت بدون الحياة ؛ ولا حياة بدون الموت . لا « تحت » بدون « فوق » ؛ ولا فوق بدون تحت . لا سعد بدون النحس ؛ ولا نحس بدون السعد . لا عسر بدون اليسر ؛ ولا يسر بدون العسر . لا فلاحين مستأجرين بدون ملاك الأراضى ؛ ولا ملاك أراض بدون الفلاحين المستأجرين . لا بروليتاريا بدون البرجوازية ؛ ولا برجوازية بدون البروليتاريا . لا مستعمرات وأشباه مستعمرات بدون الاضطهاد الامبريالى للشعوب ؛ ولا اضطهاد امبريالى للشعوب بدون مستعمرات وأشباه المستعمرات . هكذا فان كل عنصرين متضادين هما ، بفعل عوامل معينة ، متعارضان من جهة ، ومترابطان ، متمازجان ، متداخلان ، يعتمد بعضهما على بعض من جهة أخرى ، وهذا هو المقصود بالوحدة . ان كل طرفين متناقضين هما ، بسبب عوامل معينة ، متسمان بعدم الوحدة بينهما ، لذلك نقول انهما متناقضان . ولكنهما فى الوقت ذاته متسمان بسمة الوحدة ، فهما لذلك مترابطان . وهذا هو ما يشير اليه لينين بقوله ان الديالكتيك يدرس « كيف يمكن لضدين أن يكونا متحدين » . كيف يمكن أن يكونا متحدين ؟ يمكن ذلك لأن كلا منهما يشكل شرط وجود الآخر . هذا هو المعنى الأول للوحدة .

لكن هل يكفى أن نقول فقط ان كل طرف من طرفى التناقض يشكل شرطا

لوجود الطرف الآخر ، وان ثمة وحدة بينهما ، ولذلك يمكنهما أن يتواجدا فى كيان واحد ؟ كلا ، لا يكفى ذلك . فالأمر لا ينتهى عند حد الاعتماد المتبادل فى البقاء بين الطرفين المتناقضين ، وانما الأهم من ذلك هو تحول أحدهما الى نقيضه . وهذا يعنى أن كلا من الطرفين المتناقضين فى شىء ينزع ، بسبب عوامل معينة ، الى التحول الى الطرف المناقض له ، وأن ينتقل الى مركز نقيضه . هذا هو المعنى الثانى لوحدة طرفى التناقض .

لماذا توجد هنا وحدة أيضا ؟ انظروا ، ان البروليتاريا التى كانت محكومة تصبح هى الحاكمة بواسطة الثورة ، بينما البرجوازية ، وهى الحاكمة فى الأصل ، تصبح هى المحكومة وتنتقل الى المركز الذى كان نقيضها يشغله من قبل . وهذا ما حدث فى الاتحاد السوفياتى ، وسيحدث فى العالم بأسره . وانى لأود أن أسأل : كيف يمكن أن يحدث هذا التبدل لو لم يكن ثمة ترابط ووحدة بين الطرفين المتناقضين بسبب عوامل معينة ؟

ان الكومينتانغ الذى لعب دورا ايجابيا معينا فى مرحلة معينة من تاريخ الصين الحديث قد تحول منذ عام ١٩٢٧ ، بسبب طبيعته الطبقية الكامنة فيه ونتيجة اغراء الامبريالية (هذه هى العوامل) ، الى حزب معاد للثورة ، لكنه اضطر ، بسبب اشتداد التناقض بين الصين واليابان وسياسة الجبهة المتحدة التى انتهجها الحزب الشيوعى (هذه هى العوامل) ، الى الموافقة على مقاومة اليابان . فهناك نوع من الوحدة بين شيئين متناقضين فى تحول أحدهما الى نقيضه .

ان الثورة الزراعية التى سبق أن قمنا بها كانت ، وستكون ، عملية تتحول فيها طبقة ملاك الأراضى المستحوذة على الأرض الى طبقة محرومة منها ، بينما يتحول الفلاحون ، وقد كانوا محرومين من أرضهم ، الى صغار أصحاب ملكيات خاصة بحصولهم على الأرض . فالتملك والحرمان ، الحصول على الأرض وفقدانها ، طرفان مترابطان بسبب عوامل معينة ، وثمة وحدة بينهما .

وفى ظل الاشتراكية يتحول نظام الملكية الخاصة للفلاحين بدوره الى نظام الملكية العامة للزراعة الاشتراكية ، ولقد حدث هذا فى الاتحاد السوفياتى ، وسوف يحدث فى العالم بأسره . ثمة جسر بين الملكية الخاصة والملكية العامة يوصل الأولى الى الأخيرة ، وهو يدعى فى الفلسفة بالوحدة ، أو تحول الشىء الى نقيضه أو التداخل .

وان توطيد دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية الشعب يعنى بالضبط تهيئة الظروف لتصفية هذه الدكتاتورية والتقدم الى مرحلة أعلى ، مرحلة يتم فيها القضاء على جميع أنظمة الدولة . وان تأسيس الحزب الشيوعى وتطويره يعنى بالضبط تهيئة الظروف للقضاء على الحزب الشيوعى وجميع الأحزاب السياسية . وان تأسيس الجيش الثورى بقيادة الحزب الشيوعى والقيام بالحرب الثورية يعنى بالضبط تهيئة الظروف للقضاء على الحرب الى الأبد . ان هذه الأشياء متناقضة لكنها يكمل بعضها بعضا فى الوقت ذاته .

ويعلم الجميع أن الحرب والسلم يتحول أحدهما الى الآخر . فالحرب تتحول الى السلم ، مثال ذلك أن الحرب العالمية الأولى قد تحولت الى سلم ما بعد الحرب ، والحرب الأهلية فى الصين قد توقفت الآن أيضا وحل السلم الداخلى مكانها . وان السلم يتحول الى الحرب ، مثال ذلك أن التعاون بين الكومينتانغ والحزب الشيوعى عام ١٩٢٧ قد تحول الى الحرب ، وأن الوضع العالمى السلمى الراهن قد يتحول هو الآخر الى حرب عالمية ثانية . ما سبب ذلك ؟ السبب هو أن مثل هذه الأشياء المتناقضة من حرب و سلم فى المجتمع الطبقى تتسم بسمة الوحدة بسبب عوامل معينة .

ان كل متناقضين مترابطان ، فهما يتواجدان فى كيان واحد فى ظل عوامل معينة ، بل يتحول أحدهما الى الآخر فى ظل عوامل معينة ، هذا هو كامل معنى وحدة الضدين . وهو بالضبط ما عناه لينين عندما قال : « كيف يصيران

متحدين (يتبدلان فيصيران متحدين) – فى أية ظروف يكونان متحدين ، ويتحول أحدهما الى نقيضه » .

« ولماذا ينبغى للفكر الانسانى ألا ينظر الى هذين الضدين كشيئين ميتين جامدين ، بل كشيئين حيين مشروطين قابلين للتبدل ولتحول أحدهما الى نقيضه » ؟ لأن تلك هى بالضبط حقيقة الأشياء الموضوعية . ان وحدة أو اتحاد طرفى كل تناقض فى الأشياء الموضوعية هى بطبيعتها ليست بالشىء الميت ، الجامد ، بل هى شىء حى ، مشروط ، قابل للتبدل ، موقت ، نسبى ، فكل طرف من طرفى أى تناقض يتحول بفعل عوامل معينة الى نقيضه . وبانعكاس هذه الحقيقة فى الفكر الانسانى تتكون النظرة الديالكتيكية المادية الماركسية الى العالم . ان الطبقات الرجعية التى تحكم اليوم ، والتى حكمت فى الماضى على حد سواء ، والميتافيزيقا التى فى خدمتها ، هى وحدها التى لا تنظر الى الأضداد كأشياء حية مشروطة ، قابلة للتبدل يتحول بعضها الى نقيضه ، بل تنظر اليها كأشياء ميتة ، جامدة ، وتنشر هذه النظرة المغلوطة فى كل مكان وتضلل جماهير الشعب ، لتحقيق هدفها فى الابقاء على حكمها . وان واجب الشيوعيين بالضبط هو فضح فكرة الرجعية والميتافيزيقا المغلوطة هذه ، ونشر الديالكتيك الكامن فى الأشياء ، والعمل على التعجيل بتحول الأشياء حتى يحققوا أهداف الثورة .

وعندما نقول ان ثمة وحدة بين ضدين فى ظل عوامل معينة ، فاننا نعنى أن الأضداد التى نتحدث عنها هى أضداد حقيقية ، أضداد ملموسة ، وأن تحول كل من الضدين الى الآخر هو أيضا تحول حقيقى وملموس . والتحولات المتنوعة التى ذكرت فى الأساطير « كمطاردة كوافو للشمس » فى « كتاب الجبال والبحار » (١٧) ، و« اسقاط يى للشموس التسع » فى كتاب « هواى نان تسى » (١٨) ، وتحول سون وو كونغ من صورته الى اثنتين وسبعين

صورة كما ذكر فى « الحج الى الغرب »(١٩) ، والحكايات العديدة فى « الغرائب المسجلة فى قاعة السمر »(٢٠) التى تتحدث عن أشباح وثعالب تقمصت صورة الكائنات البشرية . . الخ ، ان تحولات الأضداد بعضها الى بعض ، التى ترويها هذه الأساطير هى ضرب من التحولات الصبيانية الخيالية التى نسجتها التصورات الذاتية نتيجة لانعكاس التحولات التى لا حصر لها للأضداد المعقدة الحقيقية فى أذهان الناس ، وليست تحولات ملموسة كالتى تظهر فى الأضداد الملموسة . ولقد قال ماركس : « ان كل الأساطير تسخر قوى الطبيعة وتسيطر عليها ، وتجسدها ، فى الخيال وبواسطته ؛ ولذلك تختفى الأساطير حالما يتمكن الانسان من السيطرة على قوى الطبيعة . »(٢١) ورغم أن قصص التحولات التى لا تنتهى فى هذه الأساطير (وفى حكايات الأطفال أيضا) تبعث السرور فى قلوب الناس لأنها تتخيل تسخير الانسان لقوى الطبيعة وغير ذلك ، وأن أروع الأساطير هى ذات « سحر خالد » كما قال ماركس، الا أنها لا ترتكز على عوامل معينة لتناقضات ملموسة ، لذلك فهى ليست انعكاسا علميا للواقع . وهذا يعنى أن الأطراف التى تشكل التناقضات فى الأساطير أو فى حكايات الأطفال ليس لها وحدة حقيقية ، بل وحدة خيالية لا غير . ان الديالكتيك الماركسى هو الذى يعكس الوحدة فى التحولات الواقعية بصورة علمية .

لماذا يمكن للبيضة لا الحجر أن تتحول الى كتكوت ؟ لماذا توجد وحدة بين الحرب والسلم ولا توجد بين الحرب والحجر ؟ لماذا تستطيع الكائنات البشرية أن تلد كائنات بشرية فقط لا كائنات أخرى ؟ للسبب فى ذلك ليس سوى أن وحدة الضدين توجد فى ظل عوامل ضرورية معينة فقط ، ولا يمكن أن يكون هناك أى وحدة من دون عوامل ضرورية معينة .

ولماذا كانت ثورة فبراير (شباط) ١٩١٧ الديمقراطية البرجوازية فى روسيا

مرتبطة بصورة مباشرة مع ثورة أكتوبر (تشرين الأول) الاشتراكية البروليتارية الناشبة فى السنة نفسها ، بينما لم ترتبط الثورة البرجوازية فى فرنسا بصورة مباشرة مع ثورة اشتراكية ، وانتهت كومونة باريس عام ١٨٧١ الى الاخفاق أخيرا ؟ لماذا ارتبط نظام البداوة فى منغوليا وآسيا الوسطى بالاشتراكية مباشرة ؟ ولماذا يمكن للثورة الصينية أن تتجنب مستقبلا رأسماليا فترتبط بالاشتراكية مباشرة دون اجتياز الطريق التاريخى القديم الذى اجتازته البلدان الغربية ، دون أن تمر بمرحلة من الدكتاتورية البرجوازية ؟ ليس السبب فى ذلك سوى العوامل المحددة الكائنة فى وقتها . وعندما تتوفر العوامل الضرورية المعينة ، ينشأ تناقض معين أو أكثر من تناقض فى عملية تطور الشىء ، وبالاضافة لذلك فان طرفى هذا التناقض أو أطراف التناقضات يعتمد بعضها على البعض الآخر فى البقاء ، ويتحول بعضها الى بعض ، والا لما كان شىء من هذا ممكنا .

تلك هى قضية الوحدة . فما هو الصراع اذن ؟ وما هى العلاقة بين الوحدة والصراع ؟

لقد قال لينين : « ان اتحاد (تطابق ، وحدة ، تواحد) الضدين مشروط ، موقت ، عارض ، نسبى . أما صراع الضدين المتعارضين فهو مطلق ، تماما كما أن التطور والحركة مطلقان . »(٢٢)

فما الذى يعنيه لينين هنا ؟

ان لجميع العمليات بداية ونهاية ، وكل عملية تتحول الى نقيضها . ان ثبات جميع العمليات نسبى ، أما تغيرها الذى يظهر فى تحول عملية الى عملية أخرى فهو مطلق .

ان كل شىء يتخذ فى حركته شكلين : شكل السكون النسبى ، وشكل التبدل الملحوظ . وان كلا شكلى الحركة مسبب عن صراع العاملين المتناقضين اللذين ينطوى عليهما الشىء . فعندما يتخذ الشىء فى حركته الشكل الأول ،

فانه يطرأ عليه تبدل كمى فقط لا تبدل نوعى ، لذلك يبدو فى حالة من السكون الظاهرى . وعندما يتخذ الشيء فى حركته الشكل الثانى ، فانه يكون قد بلغ نقطة معينة هى قمة التبدل الكمى الذى حصل فى الشكل الأول ، فيتسبب عن ذلك تفكك الكيان الواحد ، ويحدث تبدل نوعى ، لذلك يبدو الشيء فى حالة من التبدل الملحوظ . وان ما نشاهده فى الحياة اليومية من وحدة وتضامن واندماج وانسجام وتوازن وتعادل وتأزق وسكون وثبات وتواز وتخثر وانجذاب .. الخ ، هى جميعا ظواهر الأشياء وهى فى حالة تبدل كمى . ومن جهة أخرى فان تفكك الكيان الواحد ، وانحطام حالة التضامن والاندماج والانسجام والتوازن والتعادل والتأزق والسكون والثبات والتوازى والتخثر والانجذاب .. الخ ، وتحولها الى حالات مضادة لها ، هى جميعا ظواهر الأشياء وهى فى حالة تبدل نوعى أثناء انتقال عملية الى عملية أخرى . ان الأشياء تتحول على الدوام من الشكل الأول الى الشكل الثانى بلا انقطاع بينما صراع الضدين موجود فى كلا الشكلين ويتم حل التناقضات بواسطة الشكل الثانى . لذلك نقول ان اتحاد الضدين مشروط وموقت ونسبى ، بينما الصراع بين ضدين متعارضين هو مطلق .

وقد قلنا آنفا ان ثمة وحدة بين شيئين متضادين ، لذلك يمكنهما أن يتواجدا فى كيان واحد ويمكن أيضا لكل منهما أن يتحول الى نقيضه ، ونحن نقصد بذلك الشرطية ، أى أن الضدين يمكنهما تحت عوامل معينة أن يتحدا وأن يتحول أحدهما الى نقيضه ؛ وبدون هذه العوامل لا يمكن لشيئين أن يصبحا ضدين ، ولا يمكن أن يتواجدا ولا أن يتحول أحدهما الى نقيضه . ولما كانت وحدة الضدين لا تتحقق الا بوجود عوامل معينة ، قلنا ان الوحدة مشروطة ونسبية . ثم أضفنا أن صراع الضدين يسرى فى العملية من البداية حتى النهاية ويسبب تحول عملية الى عملية أخرى ، وأن صراع الضدين موجود فى كل شيء ، لذلك نقول ان صراع الضدين غير مشروط ومطلق .

ان الوحدة المشروطة النسبية تشكل مع الصراع المطلق غير المشروط حركة التناقض فى جميع الأشياء .

ونحن الصينيين كثيرا ما نقول : « شيئان متناقضان يكمل أحدهما الآخر . »(٢٣) وهذا يعنى أن ثمة وحدة بين المتناقضين . وهذه ملاحظة ديالكتيكية ، وهى منافية للميتافيزيقا . ويعنى « التناقض » هنا تعارض الطرفين المتناقضين أو صراعهما . ويعنى « يكمل أحدهما الآخر » أن الطرفين المتناقضين يترابطان فى ظل عوامل معينة ، وتتم الوحدة بينهما . فالصراع يكمن بالضبط فى الوحدة ، ولا وحدة بدون صراع .

ان فى الوحدة صراعا ، وفى الخاصية عمومية ، وفى الصفة الفردية صفة مشتركة . هذا ما يقصده لينين حين قال : « فثمة مطلق فى النسبى » (٢٤) .

٦ ـ مركز التعادى فى التناقض

من بين المسائل المتعلقة بصراع الضدين مسألة التعادى بينهما وما هو . وجوابنا على ذلك هو أن التعادى شكل من أشكال صراع الضدين ، لكنه ليس الشكل الوحيد .

فى التاريخ البشرى يوجد التعادى الطبقى ، وهو مظهر خاص من مظاهر صراع الضدين . ان التناقض قائم بين الطبقة المستغلة والطبقة المستغلة ، سواء فى المجتمع العبودى أو فى المجتمع الاقطاعى أو فى المجتمع الرأسمالى ، وهاتان الطبقتان المتناقضتان تتعايشان وتتصارعان زمنا طويلا فى مجتمع واحد ، لكن الجانبين لا يتخذان شكل التعادى الصريح الذى يتطور الى ثورة الا بعد أن ينمو التناقض بين الطبقتين ويبلغ مرحلة معينة . ومثل ذلك تحول السلم الى حرب فى المجتمع الطبقى .

ان المرحلة التى تمر على القنبلة قبل انفجارها هى مرحلة تتواجد فيها المتناقضات فى كيان واحد بسبب عوامل معينة . ولا يقع الانفجار الا عندما يحصل عامل جديد (الاشتعال) . وثمة وضع مماثل فى جميع الظواهر الطبيعية عندما تتخذ فى النهاية شكل التعادى الصريح كى تحل تناقضات قديمة وتنتج أشياء جديدة .

وانه لأمر فائق الأهمية أن ندرك هذا . فهو يساعدنا على أن نفهم أن الثورات والحروب الثورية لا يمكن تجنبها فى المجتمع الطبقى ، وبدونها يستحيل تحقيق أى قفزة فى التطور الاجتماعى ، والاطاحة بالطبقات الحاكمة الرجعية ، ليظفر الشعب بالسلطة السياسية . وينبغى للشيوعيين أن يفضحوا الدعايات المضللة التى ينشرها الرجعيون عن عدم ضرورة الثورة الاجتماعية واستحالتها وغير ذلك ، وأن يتمسكوا بالنظرية الماركسية اللينينية عن الثورة الاجتماعية بحيث يساعدون الشعب على أن يفهم أن الثورة الاجتماعية ليست ضرورية كل الضرورة فحسب ، بل هى ممكنة كل الامكان أيضا ، وهى حقيقة علمية قد أكدها تاريخ الجنس البشرى كله وانتصار الاتحاد السوفياتى .

على أنه ينبغى لنا أن ندرس مختلف أنواع الصراع بين الأضداد بصورة محددة ، ولا ينبغى لنا أن نفرض بصورة تعسفية الصيغة المذكورة آنفا على كل شيء . اذ أن التناقض والصراع شيئان عامان ومطلقان ، الا أن طرق حل التناقضات ، أى أشكال الصراع ، تختلف تبعا لاختلاف طبيعة التناقضات . فبعض التناقضات تتميز بصفة عدائية مكشوفة ، وبعضها على خلاف ذلك . وتبعا للتطور المحدد للأشياء ، تتطور بعض التناقضات التى كانت فى الأصل ذات صفة غير عدائية فتصبح تناقضات ذات صفة عدائية ؛ وهناك تناقضات أخرى هى فى الأصل ذات صفة عدائية ، ولكنها تتطور فتصير تناقضات صفتها غير عدائية .

وكما أشرنا آنفا ، فان التناقض بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة داخل الحزب الشيوعى هو انعكاس للتناقضات الطبقية فى الحزب ، عندما تكون الطبقات موجودة . وليس محتما أن يظهر هذا التناقض فورا ، فى البداية ، أو فيما يتعلق بمسائل خاصة ، فى شكل عدائى . لكنه يمكن أن يتطور ، مع تطور الصراع الطبقى ويصبح تناقضا ذا صفة عدائية . ان تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى يبين لنا أن التناقض بين التفكير الصحيح للينين وستالين والتفكير الخاطئ لتروتسكى وبوخارين وآخرين ، لم يظهر فى البداية فى شكل التعادى ، لكنه تطور فيما بعد وأصبح تناقضا ذا صفة عدائية . وقد حدث مثل ذلك فى تاريخ الحزب الشيوعى الصينى . فالتناقض بين التفكير الصحيح لعدد كبير من رفاقنا فى الحزب وبين التفكير الخاطئ لتشن دو شيو وتشانغ قوه تاو وآخرين لم يظهر أيضا فى البداية فى شكل التعادى ، لكنه تطور فيما بعد وأصبح تناقضا ذا صفة عدائية . والتناقض بين التفكير الصحيح والتفكير الخاطئ فى حزبنا فى الوقت الراهن لم يظهر فى شكل التعادى ، وهو لن يتطور الى تناقض ذى صفة عدائية اذا أصلح الرفاق المخطئون أخطاءهم . ولهذا ينبغى للحزب من جهة أن يخوض غمار صراع جدى ضد التفكير الخاطئ ، وينبغى له من جهة أخرى أن يعطى الفرصة الكافية للرفاق الذين ارتكبوا أخطاء كى يدركوا أخطاءهم . ومن الواضح أن خوض صراع مبالغ فيه ضدهم فى مثل هذه الحال أمر غير مناسب . لكنه اذا أصر المخطئون على أخطائهم وتمادوا فيها فمن الممكن أن يتطور التناقض ويصبح تناقضا ذا صفة عدائية .

وفى المجتمع الرأسمالى (حيث تنهب المدينة فى ظل الحكم البرجوازى الريف دونما شفقة أو رحمة) وفى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ فى الصين (حيث تقوم المدينة فى ظل حكم الامبريالية الأجنبية والبرجوازية الكومبرادورية الكبيرة المحلية بنهب الريف فى وحشية بالغة) فان التناقض بين المدينة والريف

من الناحية الاقتصادية هو تناقض فى أعلى درجات التعادى . لكن مثل هذا التناقض ذى الصفة العدائية يصبح ، فى بلد اشتراكى وفى قواعدنا الثورية ، تناقضا ذا صفة غير عدائية ، وهو سوف يتلاشى عندما يظهر المجتمع الشيوعى الى الوجود .

لقد قال لينين : « ان التعادى والتناقض شيئان مختلفان كل الاختلاف . ففى ظل الاشتراكية سيتلاشى التعادى ، أما التناقض فيظل قائما . »(٢٥) وهذا يعنى أن التعادى ليس سوى شكل من أشكال صراع الضدين ، وليس الشكل الوحيد ، فلا يجوز أن نفرض هذه الصيغة على كل شىء .

٧ ــ خاتمة

نستطيع الآن ، وقد بلغنا هذا الحد ، أن نجمل كل ما ذكرناه فى عبارات موجزة . ان قانون التناقض فى الأشياء أى قانون وحدة الضدين هو القانون الأساسى فى الطبيعة والمجتمع وهو بالتالى القانون الأساسى للتفكير . انه مناقض للنظرة الميتافيزيقية الى العالم . وهو يعنى ثورة عظيمة فى تاريخ المعرفة البشرية . ووفقا لوجهة نظر المادية الديالكتيكية ، فان التناقض يوجد فى جميع عمليات الأشياء الموضوعية والتفكير الذاتى ويسرى فى جميع العمليات من البداية حتى النهاية ، هذه هى عمومية التناقض واطلاقه . ولكل تناقض وكل طرف من طرفى التناقض خصائصه ، هذه هى خاصية التناقض ونسبيته . والشيئان المتضادان بينهما وحدة فى ظل عوامل معينة ، ولهذا يمكنهما أن يتعايشا فى كيان واحد ، ويمكن أيضا لكل منهما أن يتحول الى نقيضه ، وهذه هى أيضا خاصية التناقض ونسبيته. لكن صراع الضدين لا ينقطع ، فالصراع يوجد حين يتعايش الضدان أو حين يتحول أحدهما الى نقيضه على حد سواء ، والصراع واضح على الأخص فى

الحالة الأخيرة ، وهذه هي أيضا عمومية التناقض واطلاقه . وحين ندرس خاصية التناقض ونسبيته ، ينبغي أن نلاحظ الفرق بين ما هو رئيسي وما هو غير رئيسي من التناقضات ومن أطراف التناقضات ؛ وحين ندرس عمومية التناقض والصراع القائم فيه ، ينبغي أن نلاحظ الفرق بين مختلف أشكال صراع الضدين ؛ والا وقعنا في خطأ . واذا فهمنا حقا ، بعد الدراسة ، النقاط الجوهرية المذكورة أعلاه فاننا نستطيع اذن أن نسحق تلك الأفكار العقائدية الجامدة المخالفة للمبادئ الأساسية للماركسية اللينينية والمؤذية لقضيتنا الثورية ؛ وكذلك يمكن لرفاقنا المجربين أن ينظموا خبرتهم ويبلوروها في شكل مبادئ متجنبين بذلك تكرار أخطاء التجريبية . وهذه هي بعض النتائج البسيطة التي توصلنا اليها في دراستنا لقانون التناقض .

ملاحظات

(١) انظر « ملخص مبحث "فلسفة مدرسة الايليين" من الجزء الأول من "تاريخ الفلسفة" لهيجل » ، المدون في « الدفاتر الفلسفية » ، تأليف لينين .

(٢) يقول لينين في كتابه « في مسألة الديالكتيك » : « ان انقسام شيء واحد الى شطرين وادراك أجزائه المتناقضة هو جوهر الديالكتيك » . ويقول أيضا في « ملخص "علم المنطق" لهيجل » : « يمكن تلخيص الديالكتيك وتعريفه بأنه نظرية وحدة الضدين . وبذلك نستطيع الامساك بلب الديالكتيك ، غير أن هذا يتطلب ايضاحا وتطويرا . »

(٣) لينين : « في مسألة الديالكتيك » .

(٤) قال دونغ تشونغ شو (١٧٩ – ١٠٤ ق . م) الممثل الشهير للمدرسة الكونفوشيوسية في أسرة هان ، للامبراطور وو دي : « ان عظمة "داو" مصدرها السماء، السماء لا تتبدل ، وداو كذلك لا يتبدل . » وكلمة « داو » اصطلاح شائع الاستعمال

لدى فلاسفة الصين القدامى ، وهى تعنى « الدرب » أو « المبدأ » ، ويمكن تفسيرها بمعنى « القانون » أو « الناموس » .

(٥) انجلز : « ضد دوهرنك » ، الباب الأول ، المبحث الثانى عشر : « الديالكتيك . الكمية والنوعية » .

(٦) لينين : « فى مسألة الديالكتيك » .

(٧) انجلز : « ضد دوهرنك » ، الباب الأول ، المبحث الثانى عشر : « الديالكتيك . الكمية والنوعية » .

(٨) لينين : « فى مسألة الديالكتيك » .

(٩) لينين : « فى مسألة الديالكتيك » .

(١٠) انظر مقالة « الشيوعية » (المؤلفات الكاملة للينين ، المجلد الحادى والثلاثين) ، وراجع الملاحظة (١٠) فى مقالة « قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية » .

(١١) انظر كتاب « سون تسى » ، الفصل الثالث تحت عنوان « استراتيجية الهجوم » .

(١٢) وى تشنغ (٥٨٠ — ٦٤٣) رجل سياسى ومؤرخ عاش فى أوائل أسرة تانغ . وهذه العبارة مأخوذة من كتاب « تسى تشى تونغ جيان » (عبر الأيام فى حكم الأنام) ، الجزء الثانى والتسعين بعد المائة .

(١٣) « أبطال على شاطىء البحيرة » رواية دونت وقائع حرب فلاحية دارت رحاها فى أواخر أسرة سونغ الشمالية . وسونغ جيانغ هو الشخصية الرئيسية فى هذه الرواية . وتقع قرية تشو بالقرب من بحيرة ليانغشانبوه قاعدة حرب الفلاحين ، وكان سيد القرية مالك أراض طاغية يدعى تشو تشاو فنغ .

(١٤) لينين : « مزيد من القول حول النقابات والوضع الراهن وأخطاء تروتسكى وبوخارين » .

(١٥) لينين : « ما العمل ؟ » ، الفصل الأول ، المبحث الرابع .

(١٦) لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .

(١٧) ألف « كتاب الجبال والبحار » فى عصر الممالك المتحاربة (٤٠٣ — ٢٢١ ق . م) . وفى الكتاب أسطورة تقول ان كوافو ، وهو شخصية أسطورية ، طارد الشمس ، فلما وصل الى مغرب الشمس عطش عطشا شديدا فشرب ماء النهر الأصفر ونهر وى فلم يرتو ، فاتجه شمالا ليشرب من نهر أعظم ، وفى منتصف الطريق مات من العطش الشديد . أما عصاه التى خلفها فقد تحولت الى غابة .

(١٨) يى هو بطل من الأبطال الأسطوريين عند قدماء الصين ، اشتهر بمهارته في رمى النبال . وتقول أسطورة في « خواى نان تسى » ، وهو كتاب صنفه ليو آن من أسرة هان (كان من الأشراف عاش في القرن الثاني قبل الميلاد)، انه « أشرقت في عهد الامبراطور ياو عشر شموس في وقت واحد ، فأحرقت جميع الزروع والنباتات ، وحرمت الشعب مما يقتات به ، وفي الوقت نفسه خرجت الأرواح الخبيثة تفسد في الأرض في صورة السباع والجوارح والثعابين ، فأمر الامبراطور ياو البطل يى بأن يرمى الشموس العشر في السماء والأرواح الخبيثة في الأرض . . . . وفرح الشعب بذلك جميعا . » ويقول وانغ يى من أسرة هان الشرقية (وهو مؤلف مشهور عاش في القرن الثاني بعد الميلاد) في شرحه لقصيدة « الاحتجاج على السماء » للشاعر تشيو يوان : « ذكر "خواى نان تسى" أنه أشرقت عشر شموس في عهد الامبراطور ياو فأحرقت الزروع والنباتات . فأمر الامبراطور ياو البطل يى بأن يرمى الشموس فأسقط تسعا منها . . . وأبقى واحدة . »

(١٩) « الحج الى الغرب » قصة صينية أسطورية كتبت في القرن السادس عشر . وبطل القصة سون ووكونغ اله القرود يملك قدرة عجيبة على أن يغير صورته حسب ارادته الى اثنتين وسبعين صورة كالطيور والوحوش والحشرات والأسماك والرياحين والأشجار والأدوات والكائنات البشرية .

(٢٠) « الغرائب المسجلة في قاعة السمر » مجموعة قصص كتبها بو سونغ لينغ من عهد تشينغ ، الذى عاش في القرن السابع عشر ، وهى تضم ٤٣١ قصة قصيرة مأخوذة من الأقاصيص الشعبية ومعظمها حكايات عن الجن والأشباح والثعالب .

(٢١) ماركس : « مقدمة في نقد علم الاقتصاد السياسى » .

(٢٢) لينين : « في مسألة الديالكتيك » .

(٢٣) ظهرت هذه العبارة للمرة الأولى في « تاريخ أسرة هان الأولى » الذى كتبه بان قو (وهو مؤرخ صينى شهير عاش في القرن الأول بعد الميلاد) ، ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه العبارة شائعة الاستعمال .

(٢٤) لينين : « في مسألة الديالكتيك » .

(٢٥) راجع تعليق لينين على كتاب « الاقتصاد في مرحلة الانتقال » لبوخارين .

毛 泽 东 选 集
第 一 卷
*
外文出版社出版（北京）
1968年第一版
编号：（阿）1050—676
1—A—666p